دراسات تربوية إسلامية

أساليب
التشويق والتعزيز
في القرآن الكريم

رسالة جامعية نال بها درجة الماجستير في التربية بدرجة امتياز

أعدها

الدكتور الحسين جرنو محمود جلو

مؤسسة الرسالة

دار العلوم الإنسانية

بسم الله الرحمن الرحيم

حُقوق الطّبع محفُوظة

الطّبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع

مؤسّسة الرّسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف: ٦٠٣٢٤٣ - ٨١٥١١٢ - ص.ب: ٧٤٦٠. برقياً: بيوشران

دار العلوم الإنسانية - دمشق - حلبوني - بناء الجبا - هاتف ٨١٣٥٢٧ - ص.ب ٢١٤١٢

بِسْــــم الله الرَّحْمــــنِ الرَّحيــــم

﴿ إنَّ هذا القُـــرْآنَ يَهْـــدي للَّتي هِيَ أَقْـــوَم وَيُبَشِّرُ المـؤمِـنين الَّذينَ يَعْـمَـلـونَ الصّــالِحاتِ أَنَّ لَـهُـمْ أَجْـراً كبيراً * وَأَنَّ الَّـذيـنَ لا يُؤْمِنونَ بالآخِـرَةِ أَعْـتَـدْنا لَـهُـم عَذاباً أليمــاً . ﴾

[الإسراء: ١٧ : ٩و١٠]

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده . وبعد فإن مدار هذا البحث هو معالجة موضوع مهم في مجال ضبط السلوك . فالتشويق والتعزيز من أهم ما اتخذته التربية في الحفز على التعلم والمتابعة . ولم يأل العلماء جهداً في البحث في هذه الأساليب وتحليل نتائجها وبيان ما فيها من آثار نفسية وتربوية ، ومدى إمكان تحاشي الضرر المحتمل من استخدامها .

وقد تبينت لهم فعاليتها التربوية - بغض النظر عن اختلاف وجهات نظرهم في مدى مشروعيتها في التربية - لما فيها من مساس لحرية الإنسان أو امتهان لكرامته أحياناً .

وهدف هذه الدراسة هو الكشف عن هذا الجانب التربوي الهام في القرآن الكريم ، أي تعرف ما فيه من أساليب التشويق والتعزيز ، ومدى تفاديه من ضررها المشار إليه في مجال التربية وضبط السلوك .

وقد تم اختيار آيات الترغيب والترهيب ـ في ضوء معايير البحث ـ ودراسة نماذج منها وتحليلها وبيان ما فيها من أنواع للترغيب والترهيب ، وعلاقتها بمنهج القرآن الكريم عموماً ـ في ضوء أساليب التشويق والتعزيز المعاصرة . وذلك في ثلاثة أبواب ـ تحتها تسعة فصول موزعة على الأبواب بالتساوي :

الباب الأول: الأطر التمهيدية والدراسات السابقة .

الباب الثاني: أهداف القرآن الكريم وأساليبه في ضبط السلوك .

الباب الثالث: أنواع أساليب ضبط السلوك وأسسها في القرآن الكريم .

هذا وقد تكرم علي بالإشراف أستاذان فاضلان هما السيدان:

- الدكتور محمود أحمد السيد ، عميد كلية التربية .

- الدكتور محمد مصطفى الزحيلي ، وكيل كلية الشريعة للشؤون العلمية .

وبذلا في البحث - بكل خطواته - من الوقت والجهد الشيء الكثير ، حتى أخذ مساراً حاز به مضموناً ، وخرج بحلة كانا موضع تقدير للجنة المناقشة . ولعله بنشره يحوز رضا القراء الكرام - لا سيما وقد تم تعديله[1] حسب مقترحات اللجنة - فتتحقق بذلك الغاية العليا من إعداده ، وهي ابتغاء وجه الله الكريم بخدمة كتابه العزيز ودينه القويم .

والله ولي التوفيق .

المؤلف

---

(١) وما ورد فيه من التعديل لايعدو كونه اختصاراً للجداول والحواشي ، أو نقلاً لفقرة من موضع إلى موضع أكثر مناسبة، بالإضافة إلى تقسيم البحث إلى أبواب وفصول أصغر حجماً. وليس فيه حذف مطلق، ولازيادة شيء آخر - باستثناء شرح مسألة واحدة كان أصلها فيه وهي القول: إن « عمارة الأرض » هي الهدف من التربية الإسلامية.

البـاب الأول

الأطر التمهيدية والدراسات السابقة

وتحته ثلاثة فصول:

- الأطر التمهيدية للبحث.

- الدراسات السابقة.

- آراء العلماء في ضبط السلوك بالثواب والعقاب « أو التشويق والتعزيز » .

الفصل الأول

الأطر التمهيدية للبحث .

أولاً - التربية ومفهومها :

آ - التربية حاجة اجتماعية ملحة :

يتميز الإنسان فطرياً عن غيره من الكائنات الحية الأخرى بميزات كثيرة ، ويختص بمزايا عديدة ، فهو أسمى هذه الكائنات وسيدها ، وكلها في خدمته ، لأنه يتمتع بقدرات عقلية هائلة من تفكير وتدبير ، وله استعدادات لكل من التعمير والتدمير على حد سواء ، كما يشهد به الواقع في الحياة الاجتماعية .

وقد أشار القرآن الكريم إلى استعدادات النفس الإنسانية في آيات كثيرة ، منها قوله تعالى : ﴿ ونَفسٍ وما سَوّاها. فألهَمها فُجورها وتَقواها ﴾ [الشمس : ٨] . فهو الذي يختار ما يطبقه منها ، كما قال تعالى : ﴿ إنّا هَديناهُ السَّبيل إمّا شاكراً وإمّا كَفوراً ﴾ . [الإنسان : ٣] .

وهذا الأمر يؤكد حاجة الإنسان إلى التربية بمعناها الخاص والعام ، تنمية لتلك القدرات وهذه الاستعدادات ، وتوجيهاً لها نحو الخير ، وتقويماً لسلوك الفرد ، وضبطاً لتصرفاته التي إن تُركت هَملاً فقد تتجه إلى تخريب قيم المجتمع وتقويض دعائمه ، وإلى الإخلال بمبادئ الإنسانية وبموازينها الإيجابية .

وبالمقابل إن عُني باستعدادات الإنسان بالتربية الرَّشيدة اتجهت إلى الخير والصلاح ، وإلى العمارة والبناء وحب التعاون على ما فيه جلب المصلحة ودفع المفسدة .

ويشير القرآن الكريم إلى هذين الاتجاهين المحتملين للنفس الإنسانية حيث يقول تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلحَ من زَكّاها. وقَدْ خابَ من دَسّاها ﴾ [الشمس : ٩] ، فإما أن يزكي نفسه فيُفلح أو يُدسِّيها فيَخيب ، وقال تعالى : ﴿ فَهل عَسَيتم إن تَوَلَّيتم أَن تُفسِدوا في الأرض وتُقَطِّعوا أَرْحامَكم ﴾ [محمد : ٢٢] .

فالإعراض عن التعليم والتربية يؤدي إلى الإفساد وقطيعة الرحم ، لأن العلم هو حقاً وسيلة التمييز بين الخير والشر ، وهو شرط ضروري لتحقيق الأهداف السامية ، قال تعالى :

﴿ إنَّما يَخشى اللَّهَ من عبادِهِ العُلماءُ ﴾ [فاطر: ٢٨] .

فالإنسان في كل مراحل عمره بحاجة إلى تربية نوعية تتناسب ومرحلته التي يمر بها ، تكيفاً مع الواقع الراهن واستعداداً لمراحل المستقبل . ولا يمكن للإنسان أن يؤدي واجبه أداءً حسناً إلا إذا خضع لتربية حسنة ، يقول روسو: « إننانرعى النبات بالحراثة ، ونبني الإنسان بالتربية »(١) .

ولعل من ظواهر هذه الحاجة الملحة تلك الاتجاهات الحديثة التي تُنادي بالتربية المستمرة ، وما يلاحظ اليوم من تطبيقات لهذه الاتجاهات في الميدان التربوي ، كالاهتمام بأنظمة الدورات التدريبية أثناء الخدمة ، وبِدُور المعلمين والتأهيل التربوي ، وتعليم الكبار ومحو الأمية . . « فالإنسان يظل في حاجة إلى العلم والمعرفة ما دام على قيد الحياة . إذ من الواضح أن معطيات العلم في تجدد دائم ، وأن على الإنسان أن يواكب روح العصر ، وأن يجدد نفسه دائماً ، فالحقائق العلمية في تزايد مستمر ، وأساليب المعرفة وطرائقها في تبدل دائم ، فإذا تقوقع المرء على معرفته ، وحبس نفسه ضمن دائرة معينة من غير أن يواكب ما يجري في العالم من تجارب علمية ومعطيات جديدة - فإنَّ أُفقَه يضيق ، ونظرته تكون عاجزة عن التكيف مع الحياة الجديدة المتغيرة »(٢) .

والمناداة بالتربية المستمرة اتجاه عميق الجذور ، « فإن أول من أوضح دعائم هذا الاتجاه ودعا إليه إنما هو رسول الله محمد ﷺ . . »(٣) بل كان أكثر من رباهم كباراً ، عاشوا في أمية شبه مطلقة ، فنقلهم بتربيته إلى علماء وأئمة وقادة همهم طلب العلم والجهاد في سبيل الخير والصلاح .

وقد قفا أثَرهم التابعون الذين ازداد نشاط الحركة العلمية في عصرهم أكثر فأكثر ، لما كانوا عليه من الاستقرار النسبي الناتج عن تمكن الإسلام في أرجاء العالم مع الحاجة إلى تعليم الشعوب الأخرى التي دخلت في الإسلام من جديد .

وإلى أولئك يعود الفضل في تبويب الفقه الإسلامي ، وتأسيس علم أصول الفقه وعلم الكلام وأصول الدين ، وعلم الحديث . . بالإضافة إلى علوم القرآن المتنوعة . « فهذه الروح العلمية إنما هي نفحة من نفحات الإسلام ، وقَبَس من نوره وهديه . وهي من

---

(١) فلسفة التربية: الجيوشي، د. فاطمة ٢/٧٤.
(٢) معجزة الإسلام التربوية -مفاهيم تربوية: الديد، د. محمود أحمد ص٥٢.
(٣) المرجع السابق ص٥١.

البوادر التي تدل على مدى إقبال المسلمين في تلك العصور على طلب العلم »[1] . كما أنها تدل على إمكان تحقيق النجاح في تعليم الكبار ومحو الأمية ، وعلى أن عمر الإنسان كله ظرف مناسب لطلب العلم ، فقد نجحت تربية الرسول ﷺ لأصحابه أيما نجاح ، مع أن الأمية كانت تُهيمن على العقول زمناً طويلاً .

فنجاحه في تربيته للأميين إلى هذا القدر يبرز أهمية التربية للإنسان في أي مرحلة من مراحل عمره ، كما أنه يبعث الأمل في نجاح الاتجاهات الحديثة المنادية بمبدأ « التربية مدى الحياة » والتي تسعى لمحو الأمية ، على الرغم من قلة ما حققته من تقدم في هذا المجال في الوقت المعاصر ، مما يقتضي البحث عن أسباب نجاح تلك التربية وقتذاك للاستفادة منها في توجيه تعليم الكبار ومحو الأمية ، ثم في التربية والتعليم بشكل عام . إذ تَبيَّن أن توافر الوسائل المادية غير كافٍ لتحقيق هذا الهدف .

بل يمكن القول إن أمية من نوع جديد قد تنشأ عن كثرة هذه الوسائل الحديثة ، لأنها في معظمها بحاجة إلى تعلم وتدريب على استخدامها ، مما يحوج من يعمل في التربية مثلاً إلى التعلم والمتابعة بشكل مستمر حتى يستطيع التكيُّف مع الواقع المتطور ، ولا تهجم عليه الأمية من حيث لا يدري .

ولا يعني هذا طعناً في التربية المعاصرة ، إذ ليست الأمية التكنولوجية سلبية ، لأنها دليل نجاح تربوي سابق ، ثم إنها محرك فعال لدوافع التعلم والنشاط العلمي والمتابعة المستمرة لِمستجدات الأمور .

هذا ومما يبرز أهمية التربية وقيمة العلم في الإسلام أن أول مانزل من القرآن الكريم كان الأمر بالقراءة بمعناها الصحيح الذي يشمل النظر في هذا الكون وفي الإنسان ، والتأمل فيهما ، قال تعالى: ﴿ اقْرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَق * خَلَقَ الإنْسانَ مِن عَلَق ﴾ [العلق: ١و٢] .

فَمِثْل هذه القراءة يمكن لأيِّ فرد أن يقرأها ويتوصل إلى حقيقة ما ، وإن اختلفت مستويات هذا الإدراك الناتج عنها باختلاف مدارك الأفراد وثقافاتهم ومؤهلاتهم .

وثمة سبب آخر يزيد من أهمية التربية الخاصة للإنسان ، وهو طول مدة طفولته ، فمرحلة الطفولة في غاية الأهمية والخطورة ، لأنها هي الواسطة التي تربط الفرد بالمجتمع وهي التي تُؤهله أو تُسبغ عليه قابلية التربية ، وبها أي الطفولة يستمر النوع الإنساني

---

(١) النظام التربوي في الإسلام: القرشي، باقر شريف ص١٩٦.

متماسك الأفراد ، إذ لايتجاوز الإنسان هذه المدة إلا وقد شعر بأنه مَدينٌ للآخرين وأنه يجب عليه مكافأتهم وعرفان جميلهم ، فيستفيد ويُفيد . يقول روسو: « لو أن الإنسان وُلِدَ كبيراً وقوياً لما استفاد من حجمه ولاقوته قبل أن يتعلم كيف يستخدمها . وقد يشكل هذا خطراً عليه ، لأنه يُبْعِد الآخرين عن عونه (لِم) نشكو حال الطفولة؟ ألا نرى أن النوع الإنساني كان ينقرض لو لم يبدأ بالطفولة؟ »[١] .

ولأهمية التربية الخاصة بالطفولة لاتكاد تُطلق كلمة « التربية » إلا وتدل على توجيه أصحاب هذه المرحلة وتعليمهم ، في حين أن الواقع هو حاجة الإنسان وفي أي مرحلة كان إلى التربية ، وإن اختلفت أشكالها ، حيث تنطلق أهمية مراعاة الفروق الفردية والمرحلية في المناهج وفي الأساليب التربوية ، كما يبدو أن ذلك أمر يشغل بال المفكرين والمربين وعلماء النفس ، بل قرروا ذلك:

« فلقد أثبتت نظريات علم النفس أن كل إنسان يختلف عن الآخر في مقدراته العقلية واستعداداته ، وأن لكل مرحلة من مراحل حياة الإنسان سماتها وخصائصها الفيزيولوجية والعقلية والنفسية والعاطفية ، وأن على المربين أن يراعوا خصائص كل مرحلة في المناهج التربوية التي يرسمونها للناشئة »[٢] .

وذلك روماً لإبلاغ كل فرد إلى أقصى ماتستطيعه قدراته دون إجحاف عليه . وهذا اتجاه وضع أصوله الرسول ﷺ عندما قال:

« نحن معشر الأنبياء ، أُمِرنا أن نُحَدِّث الناس على قدر عقولهم »[٣]

ولعل من المهم هنا إعطاء لمحة موجزة جداً عن مفهوم التربية ، ثم الإشارة إلى بعض الوسائل التي تُسهم في تحقيق أهداف التربية .

---

(١) فلسفة التربية: الجيوشي، د. فاطمة ٢/٧٤.

(٢) معجزة الإسلام التربوية: السيد، د. محمود ص٥٣.

(٣) كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: العجلوني، إسماعيل بن محمد، ١/١٩٦. والحديث روي مرسلاً عن سعيد بن المسيب، كما روي بعدة طرق وبألفاظ مختلفة، معظمها ضعيف، إلا أن له ما يؤيده في الصحيحين، فقد رواه البخاري موقوفاً عن علي كرم الله وجهه بلفظ: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله» علم، ٤٩. ونحوه في مقدمة صحيح مسلم عن ابن مسعود، قال: «ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لاتبلغه عقولهم إلا كان للبعض فتنة».

ب - مفهوم التربية وبعض وسائل تحقيقها:

« إن ثمة خلافاً في تحديد مفهوم التربية ، ناتجاً عن اختلاف النظرة الفلسفية إلى الإنسان: أهي أي التربية عملية نقل للتراث الذي خلَّفه الآباء والأجداد إلى الأبناء والأحفاد . .؟ أم هي عملية توجيه من قِبَل الكبار الراشدين إلى الناشئة القاصرين؟ أم هي عملية تكيف بين الفرد والمحيط الذي يعيش فيه - من جهة - وبين الدوافع الداخلية في الفرد والظروف الخارجية في البيئة - من جهة أخرى - وأن الهدف منها ليس إلا ضمان حسن هذا التكيف . .؟ أم أنها ثمرة التفاعل بين المؤثرات الموجَّهة إلى الناشيء وغير الموجَّهة ، وبين الاستجابات التي يقوم بها الناشيء بنفسه في سبيل إيصال إمكاناته إلى أقصى ماتستطيع الوصول إليه . .؟ أم أنها إبلاغ الذات إلى كمالها الذي خُلِقت له . .؟ » .

وهل هي تشمل الحياة كلها أو لا تشمل؟[1] .

هذه وجهات نظر متنوعة بتنوع المبادئ الفلسفية التي انطلقت منها ، وتبعاً لما يهدف إليه كل مبدأ منها ، بغض النظر عن وَقْتيَّة بعض تلك المبادئ أو ثباتها واستمرارها ، لأن بعض المبادئ التربوية قد تنبع عن حاجات اجتماعية أو اقتصادية راهنة مؤقتة .

وعل كل حال فإن وجهات النظر السابقة الذكر بمجموعها تفيد[2]:

« أن التربية ليست عملية سهلة ، وإنما هي عملية معقدة يتفاعل فيها الناشيء بميوله واهتماماته وقدراته وحاجاته واستعداداته مع التراث الثقافي الذي وصل إلينا عبر العصور ، والبيئة المادية المحيطة به ، والمجتمع بفلسفته وتطلعاته وحاجاته ومشكلاته ، فيحدث عن هذا التفاعل تغيرات في سلوكه ، ويكتسب مهارات مختلفة تساعد على تعديل الخبرات الإنسانية ، وتعديل بيئته بما يتفق وإشباع حاجاته المتغيرة في بيئته المتغيرة .

والتربية الحديثة لايقتصر مفهومها على تكيف الفرد مع مجتمعه تكيفاً سلبياً وإنما « بالإضافة إلى هذا التكيف أن يصبح الناشيء عامل تطوير لهذا المجتمع ورائداً في هذا التطوير ، وأن يتحكم في بيئته ، وأنه لولا هذا التحكم لما حصل التقدم وظهرت الاكتشافات والاختراعات في ميادين الحياة كلها .

ومن هنا كانت مسؤولية التربية كبيرة جداً في تفجير طاقات الناشئة وتفتيح إمكاناتهم إلى أقصى ما تستطيع الوصول إليه ، إفادة لمجتمعهم وللإنسانية

---

(١) معجزة الإسلام التربوية: السيد، د. محمود ص١٥-١٧ باختصار.

(٢) المرجع نفسه.

جمعاء . » .[1]

يقول ويلز - الإنجليزي : « إن ازدهار الحضارة أو انهيارها ليس إلا نتيجة للتسابق بين ما تبنيه رعاية التربية السليمة وما يهدمه إهمالها »[2] .

وهكذا يتضح دور التربية في بناء الإنسان والمجتمع ، وأنها ينبغي أن تشمل حياة الإنسان العقلية والنفسية ، الإدراكية والعاطفية ، وأن تمتد بامتداد العمر ، وتتطور بتطور المجتمع وتَجدُّدِ المتطلبات ، وأن تقترن التربية النظرية بالتربية العملية حتى تعطي ثمارها المطلوبة ، فقد « صرح تولستوي - الروسي بأنه من السهولة بمكان أن يضع آلاف النظريات ، ولكن من الصعوبة أن يحول نظرية واحدة إلى تطبيق »[3] .

ومن الواضح أن التربية الحديثة بتجاربها المختلفة والتي انبثقت عن نظرياتها المتنوعة قد حققت كثيراً من الإنجاز التربوي ، لمّا جمعت بين النظر والتطبيق مع توفير أساليب تربوية حديثة تجذب الانتباه ، وتحث على المتابعة ، كما أنها تجمع بين الترفيه وتحقيق الأهداف التربوية ، سواء في ميدان التربية النظامية أو في التربية غير النظامية ، وهو أمر واضح الأثر في تقدم المجتمع البشري المعاصر ـ على مافي هذا التقدم من ثغرات .

هذا والجمع بين التربية العلمية والتطبيق العلمي سِمَة من سمات تربية الرسول ﷺ : « فإن تربيته بمناهجها وأساليبها وطرائقها استطاعت أن تقرن القول بالعمل والإيمان بالسلوك . . حتى استطاع . . أن ينشيء الأمة إنشاءً سامياً دفع بها إلى الأعالي ، وحلق بها في الآفاق الواسعة ، فملأ سرائرها يقيناً ، ونفوسها حزماً ، وأبصارها نظراً ، وعقولها حكمة . . إنها التربية المُتَّسمة بالشمول لمختلف جوانب الحياة الإنسانية . .[4] وهذا الشمول ضروري لتحقيق التكامل بين الروح والجسد .

ولعل من أهم مااتخذته التربية الحديثة وتلك التربية المُحمَّدية لتحقيق مثل هذه الأهداف المتميزة : أساليب التشويق والتعزيز .

فهما موضع اهتمام كبير من المربين وعلماء النفس ، لأنهما يجمعان غالباً بين ضبط السلوك والترغيب في المتابعة ، وذلك من أهم ما يُلقى على عاتق المربي ، أباً كان أو مُعلماً أو مديراً أو غير ذلك .

ومع هذا فليس اهتمام كل العلماء المعاصرين على الأخص بالتشويق والتعزيز إيجابياً ،

---

(١) المرجع السابق ص ٢٠ .
(٢) المرجع السابق ص٢١ .
(٣) المرجع السابق ص٢٨ .
(٤) المرجع السابق ص٣١-٣٢ .

بل هم بين مؤيد ومنتقد ، والأول أكثر على ما يظهر ، وهذه مسألة ستتم معالجتها في حينها مستقبلاً ، ولكن قد يفيد هنا التلميح إلى حجج المنتقدين ، وهم دُعاة الحرية مثلاً ، حيث يرون أن ضبط سلوك الإنسان بالوسائل الخارجية سواء أكانت شائقة أم كانت منفرة ، فيه تحكم في سلوك الأفراد ، وتقييد لحرياتهم ، ومساس لكرامتهم ، كما يَرون أن الدوافع والحوافز الذاتية كافية لتحقيق الأهداف التربوية .

وعلى الرغم من تلك الانتقادات يمكن القول مبدئياً إن الإنسان ما يزال يحتاج إلى ما يُشوقه للقيام بما يطلب منه سواء أكان ذلك مما يعود عليه هو بالنفع مباشرة أم لا ، كما أنه بحاجة إلى ما يُعزز سلوكه واستجاباته ، بغض النظر عن كون هذا المعزز أو ذلك المشوق ذاتياً أو خارجياً .

ثم إن المجتمع مايزال بحاجة إلى ما يَكُف اليد التي تتعرض لمصالحه ، وإلى مايضمن له الأمن والاستقرار ، الأمر الذي يوحي بأن الصواب قد يكمن في التوفيق بين الحوافز الذاتية والخارجية بحيث يدعم بعضها بعضاً في ضبط السلوك ، ثم في التوفيق قدر الإمكان بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع بحيث يخدم بعضهما بعضاً عدلاً وإحساناً .

ثانياً - دوافع البحث وأهميته والهدف منه :

على الرغم مما بَذلته التربية قديماً وحديثاً مايزال ثمة حاجة إلى البحث عن طرائق أفضل وأساليب أكثر كفاية في مجال التربية وضبط السلوك بما لا يتعارض مع حرية الإنسان وكرامته ، ويؤدي في الوقت نفسه إلى نجاح تربوي يتناسب مع متطلبات الحياة المستجدة ، ويُشبع حاجات الإنسان النفسية والعقلية والروحية إشباعه لحاجاته المادية .

وعلم التربية - وهو أحد العلوم الإنسانية - سريع التطور ، شديد التعقيد ، وهو مع ما بذل فيه لم يصل إلى حد الكمال ، وإنما هو في أساليبه وتقنياته في تغير مستمر وتطور متلاحق وسريع ، تبعاً لتطور المجتمعات البشرية وسرعة تقدم التكنولوجيا فيها ، وتلبية لتنوع متطلباتها الحضارية والمدنية .

وقد أُلِّف في علم النفس التربوي عدد من العلماء ولكن نظراً لسرعة تطور هذا العلم يمكن

القول « إن عدد ماأُلِّف فيه قليل »[1] فما يزال الموضوع بحاجة إلى المزيد من المراجع ، مع تقدير ما بذله علماء التربية وعلم النفس في هذا المضمار .

كما أنهم قد حققوا إنجازات تربوية ملموسة ولكن لم يتوصلوا إلى طريقة تربوية مُثلى ومُوَحدة ، أو أساليب محددة بدقة لا ينبغي استخدام غيرها في مجال ضبط السلوك مثلاً ، وإن كان ثمة ثبات نسبي لأصول التربية ومبادئها التي توصلوا إليها . وإنما الظاهر هو أن أفضلية أي منهج أو أسلوب على غيره أمر نسبي .

ولعل السبب هو أن المناهج التربوية وأساليبها تختلف باختلاف الفروق الفردية من مبتكريها من جهة ، وباختلاف عقائد المجتمعات التي تنشأ فيها هذه المناهج وتلك الأساليب من جهة أخرى ، متأثرة بالحاجات الاجتماعية والاقتصادية الراهنة .

والمجتمعات وإن اشتركت في أهدافها التربوية العامة أو في معظمها تختلف في تطبيق الأساليب المؤدية إلى تلك الأهداف تبعاً لاختلاف أعرافها ، ووفقاً لفلسفة كل منها

ولهذا لايمكن الاعتماد على منهج ما أو أسلوب معين من تلك المناهج أو الأساليب دون غيره على أنه الأمثل ، والأمر الذي لايمكن إنكاره هو أنهم وَضَعوا أسساً عامة اشتقوا منها مبادئ تربوية يمكن وصفها بالثبات ولو نسبياً .

فالحاذق إذن هو من يستفيد من أكبر قدر ممكن من تلك الأساليب - والمبادئ - حسب ما تقتضيه الظروف وتمليه المواقف ، على أساس حديث رسول الله ﷺ إذ يقول: « الحكمة ضالَّة المؤمن ، أنّى وَجدها أخَذَها »[2] .

هذا وجانب الإنسان الأخلاقي من أهم الأولويات التي ينبغي أن تكون موضع العناية في عملية التربية والتوجيه ، لأن صاحب الأخلاق الكريمة هو الذي يهب تلقائياً لخدمة الآخرين بطيب خاطر ، يقول رسول الله ﷺ: « خَيْر الناس أنفعهم للناس »[3] . وقد أثنى القرآن الكريم على الرسول ﷺ بحُسن الخُلق ، إذ قال تعالى يُشيد بهذه الصفة ويعززها: ﴿ وَإنَّك لَعَلى خُلُق عَظيم ﴾ [القلم: ٤] .

كما رغَّب النبي ﷺ في حسن الخلق قائلاً: « ما من شيء أثقل في

---

(١) علم النفس التربوي: عاقل، د. فاخر، ص٥ (ط٢، دار الملايين ٩٧٤ بيروت).

(٢) رواه الترمذي، أبو عيسى: سنن الدارمي، كتاب العلم ١٩، وابن ماجه، محمد بن يزيد: كتاب الزهد ١٥.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير: العلامة المناوي، ٣/٤٨١.

ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخُلق »[١] .

ولا تخلو الأساليب التربوية الحديثة عموماً من الاهتمام بهذا الجانب الضروري ، حيث يعتمد بعضها على مبدأ الحرية والكرامة أو على الحوافز الإنسانية والذاتية لتربية الإنسان وتقويم سلوكه ، إلا أن هذا الاتجاه يعبر عن محاسن الأخلاق التي يتمتع بها بعض المربين أكثر من تعبيره عن الاهتمام بتنمية الأخلاق الحسنة في الناشئة ، بل إن بعض حماة الحرية يُلْقون الحَبْل على الغارب بشكل يؤدي إلى الفوضى التي قد تقضي على الجانب الخُلقي من الإنسان . كما سيأتي شيء من هذا فيما بعد.

فالحاجة إلى البحث عن طرق للتربية وأساليب لضبط السلوك ما تزال قائمة وملحة ، فينبغي البحث عن ذلك في كل مَظانِّه ، ومصادر التشريع السماوي أهم هذه المَظان ، وهو الأمر الذي يقتضي منا العودة إلى تراثنا التربوي العربي والإسلامي الذي لم يأل جهداً في هذا المجال ، حيث فتح أمام العالم آفاقاً ومجالات للعلم والمعرفة والتربية الرشيدة التي كان من نتائجها دخول الملايين في الدين الإسلامي ، وبناء حضارة متكاملة ماتزال معالمها بارزة تشع أضواؤها ، وتسطع أنوارها في الأرجاء . وليس بعيداً أن يكون الآخرون قد اقتبسوا منها الكثير معترفين بذلك أو منكرين ، بل « الفكر العلمي التربوي المسلم هو الذي حمل مشعل الحضارة الإنسانية القديمة ، فعدلها وأضاف إليها ، وأسهم فيها ، ثم أخذها عنه الفكر الأوربي الحديث في النهضة العلمية المعاصرة . »[٢]

« إن الفكر التربوي الإنساني خلال ما لا يقل عن ثمانية قرون متواصلة(من القرن الهجري الأول إلى التاسع منه/القرن السابع الميلادي إلى الرابع عشر منه) قد حمل مشعلَه الفكرُ العربي والإسلامي . . وكان لهذا الفكر إبداعه وإنتاجه في مجال التربية الروحية إيماناً ويقيناً ، ومجال التربية العلمية في علوم الطب والكيمياء ، والجبر والصيدلة ، والزراعة والطبيعة ، والتشريح والضوء، والجغرافيا وغيرها . . حين كان الغرب يعيش ظلام القرون الوسطى »[٣] .

وكان القرآن الكريم هو الوثيقة الأهم والمصدر الثري لتلك التربية ، وقد سلك أساليب لتحقيق أهدافه واتخذ وسائل للوصول إلى غاياته .

---

(١) المرجع السابق ٤٨٣/٥ ، والحديث رواه الترمذي : بر، ٦١ . وأبو داود: أدب ٧.

(٢) الرسول العربي المربي ـ دراسات نفسية وتربوية: الهاشمي، د.عبد الحميد: ص١٢.

(٣) المرجع السابق ص٢١.

ومن المعروف أن مَن حَقَّق نجاحاً وتفوقاً في موضـوع شائـك أو أمر عـظيم أو خطير إنما يُثير بذلك أسئلة الآخرين عما هو سبب نجاحه ، لأن الإنسان - مع ما لديه من نـزعة استقلالية - يحب لا شعورياً تقليد غيره فيما يعجب به ، وقد لا يهتم الإنسان كثيراً بأسباب إخفاق غيره ، ولكنه مولع بتتبع أسباب نجاح الآخرين .

والنبي عليه الصلاة والسلام قد حقق نجاحاً في شتى الميادين التي منها الميدان التربوي الذي شمل نجاحُه فيه الكبارَ والصغارَ في وَسَطٍ تتضارب فيه أسباب الإخفاق ، وكان رائده في تربيته تلك هو القرآن الكريم .

فما هي أهم الأساليب التي سلكها القرآن الكريم في تربيته التي جمعت بين المستويات المختلفة ، ونهضت بها فوق الأمم؟ حتى نزل الوحي يشهد بخيرية هذه الأمة ، قال تعالى: ﴿ كُنتم خَير أمةٍ أُخرِجت للناس ، تَأمرون بـالمعروف وتَنهـون عن المُنكَر ، وتؤمنـون بالله ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

وما هي مكانة التشويق والتعزيز في تلك الأساليب القرآنية؟ علماً بأن مما يشغل بـال المربين مشكلة: كيف يمكن إيجاد منهج موحد وشـامل ، وأسلوب تـربوي مـرن حتى يمكن إشباع حاجات الأفراد المختلفة ، فيتم بذلك تعليم الفرد ضمن الجماعة على تباين مستوياتهم وتنوع استعداداتهم وتفاوت قدراتهم العقلية ، ودون مساس لحرياتهم ولا تعرض لكرامتهم؟ وذلك « أن مشكلة الحرية من أهم قضايا الإنسان المعاصر »(١) .

والفروق الفردية من أبرز أسباب الصعوبة التي يواجههـا المُربّـون في رسم المناهـج التربويـة وتعيين الـوسائـل والأساليب التي ينبغي استخـدامها ، كـما يتجلى ذلـك في قولهم: « والناس جميعاً يمتلكون الحوافـز الأساسيـة نفسها ، ولكن بـدرجات مختلفـة من القوة ، في حين أن ما يستثير زياداً قد لا يستثير عمراً . . وصحيح أن ثمة تشابهاً بين ما يدفع الطفـل الصغير والحَدَث الكبير إلى التمييز ، ولكن مستثيرات الأطفال يجب أن تكون حِسِّية ومرئيَّة ، ثم إن المستثيرات يجب أن تختلف باختلاف كفاءات المتعلم وقدراته ومقدار تشويقـه . . فإن الجوائز والمِنَح والعلامات العالية قد تغري القليلين القادرين على الوصول إليها ، ولكن يجب أن توجد مستثيرات من جميع الـدرجات ومن أجـل جميع القـدرات والكفاءات وفي مختلف الميادين »(٢) .

---

(١) معجزة الإسلام التربوية: السيد، د. محمود: ص٩٩.
(٢) علم النفس التربوي: عاقل، د. فاخر: ص١٨٨-١٨٩.

فمشكلة الفروق الفردية إذن قائمة تحتاج إلى مزيد من البحث .

ـ سبب اختيار الموضوع :

ويعود سبب اختيار هذا الموضوع نفسه « التشويق والتعزيز » إلى عدة عوامل ، منها: أن عدد ما ألفه علماء التربية الإسلامية فيه ما يزال قليلاً نسبياً- في حدود الاطلاع ـ وذلك بالمقارنة إلى ما ألفه فيه غيرهم في هذا العصر ، وإن كان قد بدأ في الظهور دراسات تتناول شيئاً مما له علاقة بنظريات التعزيز من بعض المعاصرين من علماء التربية الإسلامية ، وأما عند السلف فإن دراساتهم لم تتناول القرآن الكريم مثلاً في هذا المجال بشكل مقصود - وإن كان عددٌ منهم قد عالج الجانب التربوي في الشريعة الإسلامية بشكل عام .

ولعل السبب يعود إلى عدة مسوغات ، من أبرزها:

١ - أن الأوائل كانوا منشغلين بالدراسات الأساسية في التشريع الإسلامي وفي اللغة العربية التي هي وسيلة لابد منها لفهم نصوص الشرع ، فلم يُعنوا كثيراً بالجانب التربوي في القرآن الكريم على الأخص .

٢ - أن علم التربية لم يظهر علماً مستقلاً إلا أخيراً ، بل « الحقيقة العلمية المؤكدة في تاريخ التطور التربوي وتاريخ الدراسات النفسية هي أن التربية وعلم النفس - كما هما - من العلوم الحديثة المعاصرة التي خضعت في غير قليل من مجالاتها إلى التجربة والتقنين ، والاختبار والتأمل ، وإن كانا قديمين في جذورهما قدم الإنسان في حياته على وجه هذا الكوكب الأرضي »[1] .

٣ - أن الإسلام كان في أَوْجِه ، يدخله الناس أفواجاً ومن كل صوب ، فكانت الحاجة إلى تعليم أولئك الجدد الأحكام واللغة العربية أمس من الاهتمام بغيره ، بل يمكن القول إن مشكلة التشويق والتعزيز لم تكن قائمة والحالة هذه .

هذا ولعل محمد بن سحنون المالكي كان من الرُوّاد الأُوَل في التأليف التربوي الإسلامي ، حيث وضع منهاجاً تربوياً سماه « آداب المعلمين » ، وذلك في القرن الثالث الهجري ، وقد قام بتحقيق ذلك الأستاذ عبد الرحمن عثمان حجازي ، وأعد بحثاً مستقلاً عن ابن سحنون سماه: « المذهب التربوي عند ابن سحنون رائد التأليف التربوي الإسلامي » .

وللإمام النووي فيما بعد توجيهات تربوية من هذا النوع مفيدة في مقدمة كتابه

(١) الرسول العربي المربي: الهاشمي، د.عبد الحميد: ص١٩-٢٠ .

« المجموع » ، مما يشير إلى أن عدم بحثهم في الموضوع عن طريق تحليل نصوص القرآن الكريم لا يعني أنهم أهملوا هذا الجانب كلياً أونسوه ، وإنما يعني أن ذلك لم يكن من أولويات ما ينبغي البحث فيه في عصرهم .

وأما في السنة النبوية فقد قام عدد من العلماء بالبحث فيها عن أساليب الترغيب والترهيب ، كالإمام النووي نفسه في كتابه « رياض الصالحين » ، ومثله الإمام المنذري في كتابه «الترغيب والترهيب » ، وكذلك الراغب الأصفهاني مثلاً .

وهذا أمر يتصل بموضوع البحث تماماً ، إلا أنهم حصروا بحثهم في السُنَّة دون القرآن الكريم باستثناء آيات قد يؤيد بها بعضهم الموضوع بين الحين والآخر ، كما فعل الإمام النووي .

ولعل سبب تركيزهم على السُنَّة هو أن القرآن الكريم كان مضموناً حفظه وبقاؤه بصريح قوله تعالى: « إنا نَحنُ نَزَّلنا الذِّكر وَإنا له لحافِظون » [الحجر: ٩] بخلاف السُنَّة ، فإنها كانت بحاجة إلى عناية خاصة من كل جوانبها ، وقد حظيت بذلك فعلاً بفضل ما بذله أولئك السابقون .

وقد قام آخرون فيما بعد بدراسة المنهج التربوي في الإسلام عموما مثل الأستاذ القرشي في كتابه « النظام التربوي في الإسلام » ، والدكتور محمود السيد في كتابه « معجزة الإسلام التربوية » حيث عُني بمعالجة منهج الرسول التربوي ، ومثله الدكتور عبد الحميد الهاشمي في كتابه « الرسول العربي المُرَبِّي » .

واهتم آخرون بأصول التربية الإسلامية وأسسها التربوية والنفسية ، مثل الأستاذ عبد الرحمن النحلاوي في كتابه « أصول التربية الإسلامية . . » .

والقلة من المعاصرين - على ما يبدو - اهتموا بدراسة منهج القرآن الكريم التربوي ، مثل الدكتور البوطي في كتابه « منهج تربوي فريد في القرآن » ، والأستاذ محمد شديد في كتابه « منهج القرآن في التربية » .

ولكن ذلك كله لايبدو أنه يغني عن المزيد من البحث في القرآن الكريم عن أساليبه التي سلكها لتحقيق أهدافه ، وعن مدى توافر التشويق والتعزيز فيه ، لأن ذلك جانب - إذا ساغ إهماله قديماً - فإنه جدير الآن بالاهتمام ، لما له من صلة وثيقة بأساليب التربية الحديثة أو المعاصرة ، إذ لكل عصر أعرافه وله طريقته أو أسلوبه الخاص به وإن اتفقت الأهداف في معظمها .

وقد اهتم علماء التربية وعلم النفس المعاصرون بأساليب التشويق والتعزيز ، وقاموا

بتجارب ميدانية أكدت نتائجها أهمية هذه الأساليب في مجال التربية وضبط السلوك لتحقيق الأهداف التربوية .

ومن هنا كان توقع الجدوى لاختيار هذا الموضوع ، والبحث عنه في القرآن الكريم .

وأما سبب اختيار القرآن الكريم دون غيره فيعود إلى كونه (وهو تنزيل رب العالمين) أوثق مصدر للتربية الإسلامية ، ثبت كله بالتواتر عن النبي ﷺ بل إنه كان الوثيقة الكتابية الوحيدة للتربية في صدر الإسلام ، وكانت السُنَّة النبوية القولية والعملية ترجمة لمحتوى هذه الوثيقة التربوية ، قال تعالى:

- ﴿ وأنـزَلنا إليكَ الذِّكر لِتُبيِّنَ للناس ما نُـزِّل إليهم ولعلَّهم يَتفكرون ﴾ [النحل : ٤٤] .

- ﴿ وما أنزَلنا عَليك الكتابَ إلا لِتُبينَ لَهم الَّذي اختلَفوا فيه وهُدىً ورَحمة لقومٍ يُؤمنون ﴾ [النحل : ٦٤] .

والسبب الآخر في اختيار القرآن الكريم مِحور هذا البحث هو أن نصوصه محصورة بين دفتي المصحف الشريف المتداول ، يمكن الإحاطة بحجمه ، ولاتختلف نصوصه باختلاف المصاحف بخلاف غيره من مصادر التربية الإسلامية .

وأما السبب الأخير والأكثر تفصيلاً فهو أنه على الرغم من تنوع أشكال الدراسات القرآنية وأغراضها لم أعثر بعد على دراسة تحليلية لمحتوى القرآن الكريم فيما يخص أسلوبي التشويق والتعزيز ، مع أهميتها التربوية أو على الأقل لم يُعالَجا فيه معالجة متخصصة .

والقرآن الكريم جدير بالدراسة والبحث فيه من الناحية التعزيزية - كغيرها - للكشف عما اتخذه من وسائل وأساليب تربوية في مجال ضبط السلوك والحفز على العلم والعمل معاً .

وذلك أن القرآن الكريم - وهوالمصدر الأول للشريعة الإسلامية - قد استفاد منه كل المستويات المختلفة من الصغار والكبار ، وكانت تربيته سبباً لنقل أمة في الجاهلية من نِير الجهل والتأخر إلى نور العلم والحضارة . . ومن دناءة الوثنية وصراع تعدد الآلهة إلى شرف الإسلام وطمأنينة التوحيد .

والحقيقة أن أسلوب القرآن الكريم التربوي شامل يتسع لهذه الفروق المتباينة ، وإلا لاستثقله الصغار وأصحاب المستويات المتدنية عقلياً ، أواستخف به الكبار ذوو القدرات العالية والعقول الناضجة والمتفتحة نسبياً . .

فإذا وجد فيه مثل هذا الأسلوب الشامل المرن كان ذلك ضالتنا الثمينة ، لما فيه من

توفير للوقت والجهد والكلفة معاً ، الأمر الذي يحقق الفعالية والكفاية اللتين هما من أهم الأهداف التربوية - إذا لم تكونا أهمها جميعاً - في التربية المعاصرة .

كما أن أسلوبي التشويق والتعزيز من أهم الوسائل التي يتخذها المربي لنجاحه في مهمته التربوية ، بعد أن يعرف جيداً ويحدد بدقة الأهداف والغايات التي يسعى إليها .

وإن هذين الأسلوبين ينبغي البحث عنهما في القرآن الكريم على الرغم مما قدمته التربية الحديثة فيهما ، لمعرفة ما إذا كانا يتوافران فيه فعلاً ، ومدى شيوعهما فيه . وذلك عن طريق تحليل محتواه وإحصاء آياته التي تتضمن هذين الأسلوبين.

والسؤال هو: هل سبق أن درس العلماء القرآن الكريم عن طريق تحليل المحتوى بالمفهوم المعاصر ، وكيف؟ وفيما يلي محاولة للجواب عن هذا السؤال .

يبدو أن تحليل المحتوى - بمصطلحاته العلمية ورموزه الفنية - أسلوب حديث المنشأ ، لكن هذا لا يعني أنه وليد هذا العصر بكل معنى الكلمة ، وإنما هو من حيث الأصل أسلوب استخدمه العلماء العرب والمسلمون الأوائل في مواضيع متنوعة ولأغراض شتّى ، وفي ميادين مختلفة ، لكن بمصطلحات تختلف إلى حد ما عما هو معروف الآن .

ويتجلّى هذا عند الرجوع إلى مصادر العلوم العربية والإسلامية ومراجعها ، حيث يتبين أنهم قد عُنوا بدراسة القرآن الكريم من وجهات نظر مختلفة على اختلاف اختصاصاتهم ، ووفقاً لمتطلبات عصورهم ، أي في اللغة والنحو ، وفي العقائد وعلم الكلام ، والفقه وأصوله ، ثم في التفسير وما تفرع عنه من علوم القرآن المتعددة ، ثم في التربية وعلم النفس أخيراً .

وعلوم الشريعة الإسلامية كلها مستنبطة من القرآن الكريم والسُنّة النبوية إما مباشرة وإما استناداً إلى روح النصوص الشرعية ومقاصدها التشريعية ، مما يسوغ القول إن ذلك لم يتم إلا عن طريق تحليل محتوى القرآن الكريم والسُنّة الشريفة .

ولا يتسع المجال للتفصيل ، ولكن قد يفيد ضرب مثال على ذلك:

فعلماء الفقه مثلاً ، نظروا في القرآن الكريم وحللوا نصوصه - كما فعلوا في السُنّة - وتتبّعوا موارد الكلام فيه وأوْجُه الخطاب التي يتضمنها ، فصنفوا الأوامر والنواهي ، آخذين بعين الاعتبار مايحيط بها من قرائن وملابسات . . فاستخرجوا منها الأحكام الشرعية على حسب الأولوية ، ونظراً لدرجة قوة الطلب فيها: من فرض يقابله الحرام ، إلى مندوب أو سُنّة يقابله المكروه ، وإلى مُباح أو جائز ، ثم إلى مشتبه من الأمور تجتنبه النفوس النزيهة .

ثم بوّبوا مواضيع الفقه ، وأسموا هذه العملية باسم « الاستنباط» أو « الاجتهاد » ،

كما اشتهر القائمون بها باسم « المجتهدون »[1] ووظيفتهم طبعاً هو الاستنباط لا التشريع[2] ومنهم أئمة المذاهب الأربعة: أبو حنيفة النعمان (٨٠-١٥٠هـ) ومالك بن أنس (٥٩-١٧٩هـ) ومحمد بن إدريس الشافعي (١٥٠-٢٠٤هـ) وأحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ) . عليهم رحمة الله ورضوانه .

ثم قامت فئة من الفقهاء بالنظر في أدلة تلك الأحكام الشرعية ، فأنشؤوا علماً آخر يعرف بعلم: « أصول الفقه » ، مثل الإمام الشافعي نفسه ، ثم مَن بَعدَه كالإمام الغزالي وغيره .

وقد بين ابن خلدون كيف تفرعت العلوم الإسلامية عن القرآن الكريم والسنة الشريفة مشيراً إلى العلاقة القائمة بين علوم الشريعة واللغة ، وإلى حدود العقل البشري في استنباط الأحكام من النصوص ومن روحها التشريعية . .[3]

وذلك كله مما يؤكد قيام السلف بتحليل محتوى القرآن الكريم والسُّنَّة الشريفة إلا أن ذلك يختلف نوعياً عن تحليل المحتوى بمعناه المعاصر ، أو من حيث الأسلوب على الأقل .

وبعد إعطاء لمحة عن تحليل المحتوى ينتقل البحث إلى مزيد من البيان لأوجه أهمية الموضوع ودواعي دراسته .

- أهمية البحث

وما سبق من أسباب لاختيار الموضوع يبرز شيئاً من أوجه أهمية دراسته لعلاقته بأعظم مصدر للتربية الإسلامية وبأساليب هي من أهم أساليب التربية الحديثة . كما تتمثل هذه الأهمية بالإضافة إلى ذلك فيما يلي:

١ - من المعلوم أن نجاح العملية التربوية يتوقف إلى حد كبير على مدى معرفة المربي للأهداف التي يرمي إليها ، ثم على مدى نجاحه في توفير الأساليب الشائقة أو الجذابة للأفراد ، والتي قد تغرس حب النظام في نفوسهم ، حيث يتم التطبيق بإرادتهم وعن رضا منهم ، لا عن قهر أو إكراه .

٢ - أنَّ القرآن الكريم بواقع التاريخ قد ربّى مجتمعاً أُمّياً في جاهلية ، وألف بين قلوب متناحرة ومتشاكسة ، فجعلهم بتربيته أمة حفظهم التاريخ في العلم والصلاح والإنجاز المتنوع

---

(١) الفقه الإسلامي: الزحيلي، د.وهبة ٢٩/١ وما بعدها «بحث فيه عن علماء السلف والمجتهدين».

(٢) مقدمة ابن خلدون، ص٤٣٥-٤٣٦.

(٣) المرجع نفسه.

الجوانب ، فبَنوا حضارة ترامت أطرافها ثم دامت أطول مدة ممكنة ، لا كسائر الحضارات البشرية .

وهذا يطرح مثل السؤال التالي: ما هو منهج القرآن الكريم في التربية والإقناع؟ وما هو أسلوبه في أداء مهمته التربوية التي أدت إلى مثل هذه النتائج الإيجابية؟ ويرى بعض المعاصرين أنه مع تعدد ما أُلِّف حول القرآن الكريم لا يبدو أن ثمة حظاً يذكر للإجابة عن هذا السؤال ، قائلاً:

« لماذا تفيض المكتبات الإسلامية اليوم بالمؤلفات الحديثة عن إعجاز القرآن الكريم وبلاغته وآدابه ، ولا نجد فيها كتاباً واحداً عن طرائقه التربوية ومنهجه في التعليم والإقناع؟ »[1] .

ثم أشار المؤلف إلى أنه لا يريد بذلك منهج القرآن الكريم بمعنى أسسه ومبادئه التربوية ، وأن ذلك قد كَتَب فيه طائفة من الباحثين ، وإنما يريد منهج القرآن الكريم بمعنى أسلوبه في التربية ، وأنَّ هذا لم يظهر فيه مؤَلَّف مستقل بعد » أي حتى قام هو بإعداد كتابه المشار إليه آنفاً .

٣ - وأخيراً لعل مما تبرز فيه هذه الأهمية ، أن القرآن الكريم كتاب مُقدَّس عند المسلم ، فإن وجد فيه مثل هذه الأساليب التربوية التي ينادي بها العلماء المعاصرون تلقاها بالقبول والرضا ، وازداد تمسكاً بها واطمئناناً إليها ، ثم استفاد منها أباً أو مربياً أو باحثاً على حد سواء ، ولاسيما أن الإنسان ينزع إلى الجديد ولكنه يرتاح إذا نسب إليه السبق إلى ماهو مفيد ونافع .

ولهذا كله ظهر أن من المهم دراسة محتوى القرآن الكريم الذي هو من أهم ما يعتز به العالم العربي والإسلامي ، للوقوف على ماأنتجه من أساليب لتحقيق أهدافه ، على أساس أن تربية ما ـ مهما سَمَت أهدافها واتضحت معالمها ـ إذا خلت من أساليب تُهيىء الظروف المناسبة ، وتُعد النفوس للمبادرة ، ومن حوافز تُجدد الهمم وتدفع إلى المزيد من الرغبة في الاستجابة ومتابعة التعلم - إذا خلت من هذا وذاك - فإنها تربية لا تحظى بالنجاح غالباً .

ونجاح القرآن الكريم دليل على توافر الشروط المشار إليها فيه . ولعل أبرز ما يحقق هذه الشروط أسلوبا « التشويق والتعزيز » . وعليه يحسن إلقاء مزيد من الضوء على أهمية هذين الأسلوبين على وجه الخصوص .

---

(١) منهج تربوي فريد في القرآن: البوطي ، د. محمد سعيد: ص١٢ .

أهمية التشويق والتعزيز في توجيه السلوك وضبطه:

التشويق والتعزيز ظاهرتان تتعاونان وتتعاقبان في تحقيق السلوك الإنساني أو تكراره. فالفرد يتشوق إلى أمر ما بعد شعوره بالحاجة إليه، فيباشره إن سنحت له الفرصة وكانت الظروف مُواتية، فإن نجح في ذلك تعزز سلوكه أو تَقَوّى وتَشَوق إليه مرة أخرى، وأما إذا أخفق فقد يزيد إخفاقه من دافعيته فيندفع مرة أخرى إلى مباشرة السلوك، وقد ييأس ويستسلم.

وهذا بشكل عام، وفي مجال التربية كذلك «يتشوق المتعلم للتعلم لِيُنَفِّذ واحداً أو أكثر من أغراضه، وبعد التشوق تحصل فاعلية التعلم التي تقود إما إلى النجاح أو إلى الفشل»[١]

«أما الذي ينجح فيربط بين السرور وبين فاعلية التعلم الخاصة، وبذلك يتقوى التعلم، وأما الذي يفشل فيربط بين عدم السرور وفاعلية التعلم، وبذلك يضعف التعلم، فإن النجاح أو السرور الذي يجلبه(النجاح) يكون تعزيزاً إيجابياً، في حين أن الإخفاق أو عدم السرور الذي يرافقه يكون تعزيزاً سلبياً.

وهكذا تكون الخطوات الثلاث الأساسية في عملية التعلم، وهي: التشويق - الفاعلية - التعزيز»[٢]، أي تعزيز إيجابي أوسلبي. ومن هنا كان السلوك من أهم ما يشغل بال علماء التربية وعلم النفس، وقد قاموا بتجارب ميدانية على السلوك الإنساني وعلى سلوك الحيوان فتوصلوا إلى عدم وجود فرق يذكر بين السلوكين، حيث خلصوا إلى مثل القول التالي:

«وبالمقارنة بين سلوك الإنسان وسلوك الحيوان، وكذلك الموازنة بين أنواع سلوك الإنسان في مراحل النمو المختلفة وصل علماء النفس إلى أن الدوافع الأولية للسلوك واحدة في الإنسان والحيوان الراقي، والذي سهل كشف هذا هو مابين سلوك الإنسان والحيوان من تشابه لا يصعب إدراكه في كثير من الأحيان: مثل استشعار الخضوع أمام العظيم، وإظهار التيه أمام الأدنى»[٣].

ولا شك أن لجوءهم إلى مثل هذه المقارنة إنما يشير إلى مدى اهتمامهم بالسلوك

---

(١) علم النفس التربوي: عاقل، د. فاخر: ص١٧٤.
(٢) المرجع السابق ص١٧٥.
(٣) أسس الصحة النفسية: القوصي، د. عبد العزيز: ص٧٨.

والبحث عما يمكن تقويمه به ، إلا أنه يبدو أن توافق ما بين السلوكين إنما هو في حدود الدوافع الأولية أو في معظمها.

ومهما يكن من أمر فإن أهمية التشويق والتعزيز كبيرة في توجيه سلوك الإنسان .

ولعل هذه الأهمية تكون أكبر في توجيه العملية التربوية التي تتناول الإنسان بجميع جوانبه النفسية والعقلية ، العاطفية والإدراكية ، وتتعامل مع قواه العقلية ، وتعنى بتنمية هذه القوى وتهذيب فعالياتها ، وتهدف إلى إكسابه مهارات فكرية وحركية تتسم بالنظام والإيجابية .

فالحاجة إلى التشويق والتعزيز ماسة لتحقيق مثل هذه الأهداف الخطيرة والحيوية ، لأنها لاتُحقق إلا بالتعلم: « ولا تعلم دون حافز »[1] . فلا يحدث سلوك دون دافع يثيره ويوجهه ، أو مُشوق يزيد الرغبة فيه ، ويحث على القيام به ، ولا يكاد يتكرر سلوك ما إلا إذا كان قد انتهى في تجربته الأولى بنتيجة تشجع على المعاودة ، كأن ينتهي بنجاح ، أو بإخفاق تَبَين سببه وإمكان التغلب عليه . وبالمقابل لا يمنع من تكرار السلوك إلا عقاب أو إخفاق مجهول السبب يعقبه يأس من اكتشافه ، أو شعور بعدم إمكان التغلب عليه .

ومما ورد في أهمية التعزيز وتَنَوُّع أشكاله قولهم:

« تؤكد النظريات الارتباطية والسلوكية أهمية دور التعزيز في التعلم . . وقدرته على استثارة دافعية المتعلم وتوجيه نشاطاته .

ويأخذ التعزيز في الأوضاع التعليمية أشكالاً متنوعة كالإثابات المادية أو العلاقات المدرسية ، والنشاطات الترويحية . كما يأخذ بعض أشكال التغذية الراجعة الإعلامية والتصحيحية (الاطلاع على النتائج وتصحيح الخطأ) .

ويستطيع المعلم في ضوء معرفته بطبيعة عمليات التعزيز واستراتيجيات استخدام المعززات وضع برامج تعزيز مناسبة ، تستثير دافعية الطلاب وتعزز رغباتهم في النجاح . . »[2] .

هذا وقد يكون ثمة فرق بين أثر كل من الثواب والعقاب في توجيه السلوك وضبطه ، وذلك مما يزيد من أهمية البحث فيهما معاً ، ولاسيما أنهما يُستخدمان في موضوع شديد الحساسية ، هو الإنسان الذي له كرامة تقتضي تَجنُّب المساس بها ، كماتقتضي منحه حرية

---

(١) التعلم ونظرياته: عاقل، د. فاخر، ص٢٠.

(٢) علم النفس التربوي: النشواتي، د. عبد المجيد: ص٢٢١.

يعبر بها عن ذاته المستقلة . وعليه السعي للقيام بهذه المهمة ، ولعلها تكون لبنة - وإن قلت قيمتها النسبية - من لبنات الدراسات القرآنية في الميدان التربوي وفقاً لحدود البحث والإمكانات المتاحة .

هذا وينحصر البحث في رصد الآيات القرآنية التي تتضمن « التشويق والتعزيز والعقاب » مع التركيز على ما هو صريح منها ، بعد دراسة نظرية لهذه الأساليب التربوية ،(وقد سبقت الإشارة إلى سبب اختيار القرآن الكريم دون غيره محوراً لهذا البحث) .

الأسئلة التي يجيب عنها البحث:

سبق أن التشويق والتعزيز من أهم ما سلكته التربية المعاصرة في تحقيق الأهداف التربوية التي يتسم بها هذا العصر في مختلف قطاعاته ومؤسساته . ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن هذا الجانب التربوي الهام في القرآن الكريم ، عن طريق الإجابة عن الأسئلة التالية :

١ - ما رَأْيُ علماء العرب والمسلمين ، وعلماء التربية وعلم النفس في استخدام كل من: التشويق والتعزيز في التربية؟ وما موقفهم (قدماء ومعاصرين) من استخدام العقاب في ضبط السلوك؟

٢ - ما أهم القيم والاتجاهات التي يسعى القرآن الكريم إلى إكسابها للأفراد؟ ثم ما الأهداف والغايات التي يريد تحقيقها من وراء تلك القيم والاتجاهات؟

٣ - ما أهم الوسائل والأساليب التي سلكها القرآن الكريم في تحقيق أهدافه وفي ضبط السلوك خاصة؟ وهل من بينها التشويق والتعزيز والعقاب؟

٤ - فإنْ كان الجواب في الأخير- إيجاباً ، فما مدى شيوع هذه الأساليب في القرآن الكريم؟ (نسبة الآيات التي تحتوي على التشويق والتعزيز والعقاب إلى مجمل آيات القرآن الكريم ، ونسبة المكي منها إلى المدني . ثم نسبة توزيع هذه الآيات فيه ، ونسبة ما يمثل التشويق والتعزيز إلى ما يمثل التحذير « أو التنفير » والعقاب مع الإشارة إلى أنواع التشويق والتعزيز والعقاب الواردة في القرآن الكريم في ضوء أساليب التشويق والتعزيز المعاصرة) .

هذا ومما هو حَرِيٌّ بالاهتمام في البحث العلمي تحديد ما يرد فيه من مصطلحات أو رموز يكثر استخدامها خلال البحث ، إذ يخدم هذا التحديد البحث في الحد من التكرار قدر

الإمكان ، كما يحول دون الانشغال بالمعاني اللغوية أو الاصطلاحية عن جوهر الموضوع . كما يعين تحديد المصطلحات أي باحث آخر يحتاج إليها . وهذا مما يُعنى به هذا الفصل في شقه الثاني .

ثالثاً: تعريف المصطلحات الواردة في البحث .

وتقسم هذه المصطلحات إلى طائفتين أساسيتين:

أولاهما: مصطلحات منبثقة عن نظريات التعلم.

والثانية: مصطلحات إسلامية .

-١ - المصطلحات المنبثقة عن نظريات التعلم :

ولما كان محور البحث هو السلوك الإنساني وأساليب ضبطه كان من المنطق البدء بتعريفه وتمييزه عما لايشمله من الأفعال أو الانفعالات .

- السلوك:

قد وردت تعريفات متعددة للسلوك بعضها عام ، وبعضها محدد ، ومنها أن:

- « السلوك هو ما تفعله العضوية أو تقوله »[١] أو هو:

- « الأفعال التي يأتيها الفرد ، ويكون لها بالحياة النفسية أو العقلية علاقة ، ولذلك يطلق . . عند أغلب علماء النفس المعاصرين على السلوك العقلي . . ويتميز بصفة هامة هي أن الكائن الحي عند قيامه به يرمي إلى تحقيق غرض معين »[٢] .

وبهذا التعريف الثاني الذي يشير إلى غرضية السلوك تخرج الأفعال العشوائية والمنعكسة ، أي « التي لا يبدو فيها نظام أو توافق - في الأول - كحركات صغار الأطفال المختلفة المستمرة ، من رفع الأيدي والأرجل . وكذلك التي تصدر عن الإنسان بطريقة آلية ثابتة ، - بشكل انعكاسي - مثل انقباض العين ، وضيق فتحتها بازدياد الضوء الواقع عليها . . وكالسعال والعطاس . . »[٣]

---

(١) معجم علم النفس: عاقل ، د. فاخر ص٢٠ .

(٢) أسس الصحة النفسية: القوصي ، د. عبد العزيز ص٧٧ .

(٣) المرجع نفسه .

الدافع :

لابد لكل سلوك بالمعنى السابق (السلوك الهادف) من خلفية تكون سبباً لحدوثه ، وهذه الخلفية هي التي يسعى السلوك إلى إرضائها ، وتسمى بالدافع . كما تُعرَّف هذه الخلفية بأنها: « حالة فيزيولوجية تدفع العضوية إلى الفاعلية »[١] . ويُعرَّف الدافع أيضاً بأنه: « نزعة يثيرها تغير في حالة التوازن الفيزيولوجي ، وهذه النزعة حساسة لعدد من المثيرات ، وتكون الاستجابة لها بأساليب متنوعة ، بحيث تؤدي إلى بلوغ هدف ما »[٢]

أو: هو الهدف الذي يسعى الفرد- عن وَعْيٍ - لبلوغه ، كما يعتبر محدِّداً لسلوكه »[٣] .

الحافز :

ويقرب الحافز من معنى الدافع ، حيث يراد به :

« اندفاع أو إلحاح للحصول على أمر مستهدف .. أو تحقيق غاية ، فالحافز يشبه الدافع إلا أنه - أي الدافع - يتميز عنه بأنه غير مميز ولا اتجاه محدد له »[٤] .

الدافعية :

وللدوافع أنواع عديدة لا حاجة لذكرها هنا ، ولكن ثمة مصطلحاً آخر هو: « الدافعية » يعرفونها بتعريفات قريبة من تعريفات الدافع الذي هو أصل لها . ومن ذلك: « يستخدم مفهوم الدافعية للإشارة إلى ما يحضُّ الفرد على القيام بنشاط سلوكي ما ، وتوجيه هذا النشاط نحو وجهة معينة . أو للإشارة إلى حالات شعورية داخلية ، وإلى عمليات تَحض على السلوك وتوجهه وتُبقي عليه . ومن ظواهر الدافعية حب الاستطلاع ، والدافع لإنجاز النجاح . . »[٥] .

إرضاء الدافع :

إذا استطاع السلوك تخفيف الضغوط المصاحبة للدافع سمي ذلك بـ: « إرضاء الدافع »

---

(١) معجم علم النفس: عاقل ، د. فاخر ص٣٧ .
(٢) النظرية السلوكية التعزيزية لدى «هلارك هل»: الطحان ، د. ناظم ص٨٨ .
(٣) المرجع السابق ص٧٩ .
(٤) معجم علم النفس: عاقل ، د. فاخر ص٣٧و٧١ .
(٥) المصدر السابق ص٣٧ و٧١ .

وذلك بقضاء الحاجة[١] . والمراد بالضغوط هنا التوترات النفسية التي ترافق الشعور بالحرمان .

الحاجة :

ورد آنفاً أن إرضاء الدافع يكون بقضاء الحاجة ، وتعرف الحاجة بأنها: « العوز إلى شيء ما . أو أنها التوتّر الذي تثيره لدى الكائن الحي حالةُ الافتقار . . سواء كانت داخلية أو خارجية . أو أنها دافع لم يُشبع أو لم يُلبَّ بعد »[٢]

وللحاجة نوعان: أولية وثانوية :

الحاجة الأولية :

هي تجلٍّ طبيعي للحساسية الداخلية ، يوقظ نزعة إلى فعل ما من قبل الكائن الحي - كالتنفس - أو هي البحث عن مجموعة من الأشياء كالأغذية في حالة الجوع ، والمشروبات في حالة العطش »[٣] .

الحاجة الثانوية :

هي تجلٍّ مرحلي موقت ومكتسب لنزعة تحقيق بعض الأفعال التي أصبحت عادية ، أو لاستخدام أشياء محددة ، كالتدخين . . »[٤]

الفعالية :

والفعالية مصطلح له تعريفات متقاربة المعاني ، منها ما ملخصه:

« والفعالية نشاط ، ولكن هذا النشاط يكون إما: تغيُّراً أو حركة بصورة عامة ، أوتحركاً منظماً ، أو أية عملية عقلية أو بيولوجية متوقفة على حياة العضوية(الكائن الحي) واستعمالها للطاقة المخزونة فيها ، أو أية عملية عقلية أو حركية متوقفة على مبادرة الفرد »[٥] .

الإنجاز :

« وهو معرفة أومهارة مكتسبة وأمر فعلي حاضر (أي واقعي) وليس بإمكانية

---

(١) علم النفس التربوي: إنشواتي ، د.عبد المجيد ص٢٠٦ .
(٢) معجم علم النفس: عاقل ، د.فاخر ص٣٧ .
(٣) النظرية السلوكية التعزيزية: الطحان ص٧٨ .
(٤) المرجع نفسه .
(٥) معجم علم النفس: عاقل ، د.فاخر ص١٤ .

كامنة »[1] .

القدرة - الكفاءة - القابلية - الاستعداد:

« هي معانٍ متقاربة ، تشير إلى الإنجاز الممكن الكامن بدلاً من الإنجاز الفعلي »[2] . هذا ومستوى الإنجاز يتوقف على مستوى الكفاءة ، ولكن ليس دائماً يتناسب المستويان ، وإنما الظاهر هو أن مستوى الإنجاز يتوقف على مستوى الطموح والفعالية ، فلتحقيق إنجاز ما لابد من دافع أو حافز وتشوق وفعالية .

الطموح:

« يراد بالطموح التطلع إلى الوصول إلى هدف إنجازي معين »[3] .

التشويق (الإثارة والحفز):

والتشويق من أهم مصطلحات هذا البحث ، ويراد به:

« توجيه السلوك وضبطه داخلياً بواسطة الشروط الفيزيولوجية والاهتمامات والمواقف والآمال . ومثله الإثارة والحفز »[4] . وبمعنى آخر هو حافز يقدَّم قبل السلوك المرغوب فيه عادة ، ترغيباً في القيام به ، بحيث يثير الاهتمامَ به في نفس الفرد ، ويبعث على مباشرته ، وذلك إما بتقديم الحافز فعلاً ، أو بربطه بالقيام بالسلوك على سبيل الاشتراط مثلاً .

المستثير:

« وهو شيء أو ظروف خارجية تُدرَك على أنها قادرة على إشباع دافع مثار . أو هو هدف إضافي يَستجرُّ سلوكاً ينزع نحو بلوغ الهدف الرئيسي . كتقديم جائزة لطفل على اجتهاده »[5] .

وهذا المصطلح في الواقع ينطبق على معنى التعزيز ، كما سيتبين قريباً .

التعزيز:

وهذا المصطلح يمثل مركز الثقل لهذه الطائفة الأولى من المصطلحات ، وذلك أن الترغيب في القيام بسلوك ما مهم ، ولكن الأهم هو تحقيق الرغبة في تكرار ذلك السلوك

---

(١) المرجع السابق ص١٣ .
(٢) المرجع السابق ص٢٣ .
(٣) المرجع السابق ص١٨ .
(٤) المرجع السابق ص٧١ .
(٥) النظرية السلوكية التعزيزية: الطحان ص٢٧٣ .

المرغوب فيه ، لأن مثل هذا التكرار هوالذي يؤدي إلى تعلم فعلي ، الأمر الذي وجدت هذه النظريات التربوية من أجله .

ومما يشير إلى أهمية هذا المصطلح تعدد أنواعه التي سيتم توضيح بعضٍ منها قريباً ، ومن التعريفات الإجرائية لهذا المصطلح ما يلي :

- « تنطوي نشاطات الإنسان اليومية على الكثير من المواقف التعليمية ، سواء كان الإنسان يعي مثل هذه المواقف أم لا يعيها (وينتهي الإنسان من بعضها بحالة من الرضاء ، ومن بعضها الآخر بحالة من الانزعاج أو الضيق) . فنحن نشجع الأنماط السلوكية التي نرغب فيها ، ونهمل أو نُعاقِب الأنماط التي لا نرغب فيها أو لا نستحسنها ، مُفترضين أن عمليتي الثواب والعقاب تؤديان إلى تغيير السلوك على نحو ما »[١] .

فهذه العملية التي أشار إليها التعريف السابق بشقيها : التشجيع والتثبيط أو الثواب والعقاب - هي التي تسمى ب: « التعزيز » عند أغلب العلماء الذين يجمعون بين كلمتي : « الثواب والعقاب » في كلمة : « التعزيز » مميزين بينهما بصفتي « الإيجابي والسلبي » .

فالطعام مثلاً هو المعزز الإيجابي للكائن الحي الجائع ، واللَّوم هو تعزيز سلبي لمن قام بسلوك غير مرغوب فيه . ويُعرَّف التعزيز أيضاً بأنه :

- « هو الحادث أو المثير الذي يؤدي إلى زيادة احتمال تكرار حدوث الاستجابة »[٢]

وللتعزيز عدة أنواع - أساسية وفرعية - ومن أنواعه الأساسية : التعزيز الإيجابي ، والتعزيز السلبي - التعزيز الأولي ، والتعزيز الثانوي - الخارجي والذاتي :

التعزيز الإيجابي :

« وهو أسلوب في التحكم بالسلوك ، يتم بإعطاء الأشياء الجذَّابة إلى الفرد »[٣] . أي « يكون التعزيز إيجابياً في حالة تقديم المثيرات المرغوب فيها ، أو تطبيقها على نمط سلوكي ما ، كابتسامة المعلم - أو قطع الحلوى للتلميذ الصغير . . »[٤] .

التعزيز السلبي :

في هذا النوع خلاف بين العلماء . أي يختلفون في تحديد معناه :

---

(١) علم النفس التربوي : النشواتي ، د. عبد المجيد ص٢٧٣ .
(٢) المرجع السابق ص١٨١ .
(٣) المعلم العربي ـ تجارب في التحكم بالسلوك بالتعزيز : القلا ، د. فخر الدين ص٢٦-٢٧ .
(٤) علم النفس التربوي لكل من : النشواتي ، د. عبد المجيد ص٢٨١ ، وعاقل ، د. فاخر ص١٩١ .

فالتعزيز السلبي عند أكثر العلماء يعني «العقاب»[1] . بينما هو عند قلة منهم كما يبدو يعني «رفع العقاب أي رفع المثيرات الكريهة عن العضوية، لقيامها بسلوك مرغوب فيه»[2] .

وقد أشار بعضهم إلى وجود الصلة بين العقاب والتعزيز السلبي، وإلى سبب اللبس بينهما عند كثير منهم . ومن ذلك مايلي:

- «وواضح أن التعزيز السلبي على صلة بمسألة العقاب، ولكن الصلة الدقيقة بينهما غير واضحة، إنّ التعزيز السلبي ينتج عن إزالة المعزِّز السلبي، في حين أن العقاب يشتمل على تقديم معزِّز سلبي»[3] .

- «ويستخدم العقاب من قبل المدرِّبين والمجتمع، لأنه يبدأ بتكوين السلوك الهروبي للمتعلم، ويتحول فيما بعد إلى سلوك تجنُّبي، أي تجنب الأشياء الكريهة والعقوبات، فالعقاب إذن يتحول إلى تعزيز سلبي في المستقبل، مما يجعل كثيراً من المفكرين يخلطون بينهما، ولا يُميزون بين العقاب والتعزيز السلبي»[4] .

التعزيز الأولي:

«تشير المعزِّزات الأولية إلى المثيرات أو الحوادث التي تُنتج آثاراً في السلوك دون تَعلُّم سابق، أو دون تاريخ تعزيزي سابق، فالطعام مثلاً والشراب معزِّزان أوليان إيجابيان، لأنهما يُحدِثان أثراً في السلوك دون تعلم سابق . أما المعزِّزات الأولية السلبية فهي المثيرات المُنفِّرة منها . .»[5] كمنع الطعام والشراب لمن هو بحاجة إليهما .

التعزيز الثانوي:

«وهو تعزيز بواسطة شيء بالرغم من أنه لا يرضي الحاجة بصورة مباشرة، ولكنه ارتبط بإرضائها إلى درجة حل معها محل المعزِّز الأولي . فإن الصوت الذي اقترن بتقديم الطعام تصبح له قيمة ثوابية بحد ذاته، ويصبح ذلك معزِّزاً

---

(١) تكنولوجيا السلوك الإنساني: سكنر. ب. ف ترجمة يوسف، د. عبد القادر ص٣٠ .

(٢) المعلم العربي ـ تجارب في التحكم بالسلوك بالتعزيز: القلا، د. فخر الدين ص٢٦ . وعلم النفس التربوي: النشواتي، د. عبد المجيد ص٢٨١ .

(٣) التعلم ونظرياته: عاقل، د. فاخر ص٢٦٨

(٤) المعلم العربي ـ تجارب في التحكم بالسلوك بالتعزيز: القلا ص٢٧ . وعلم النفس التربوي: النشواتي، د. عبد المجيد ص٢٨١ .

(٥) المرجع السابق ص٢٨٧ .

ثانوياً »[1] . وبمعنى آخر: « إن المثيرات التي ترتبط بالتعزيز الأولي تكتسب بعض مميزات هذا التعزيز الأولي ، وتدعى هذه المثيرات بالمعززات الثانوية »[2] . كالبطاقة البريدية الملونة ترسل في مناسبات السرور ، والكتابة بالأحمر في الرسالة أحياناً للعكس .

التعزيز الخارجي ، والتعزيز الذاتي:

إن ما سبق من تعريفات التعزيز كله ينصب على معنى التعزيز الخارجي ، أي التعزيز عن طريق المثيرات الخارجية ، كالمدح والثناء ، والجوائز والمكافآت ، وما إلى ذلك .

ويقابل هذا النوع من التعزيز نوع آخر له أهمية كبرى في ضبط السلوك والحفز على التعلم والعمل ، وهو التعزيز الذاتي الذي يَنبع من أعمال الفرد ويلازم مايبذله من جهد ، ويُعرَّف بأنه:

« هو السرور الذي يجده الإنسان في العمل نفسه ، ومبعثه العمل ، وإنَّ المثيرات الخارجية دون ذلك بكثير ، كالجوائز والمكافآت . . »[3]

فالشعور بالرضا أثناء التعلم أو العمل أهم إذن من الترغيب بالجوائز ، بل إن المعزِّزات الخارجية وسائل لا يحسن اللجوء إليها إلا بمقدار ما يمكن التوصل به إلى التعزيز الذاتي - كما هو الشأن في استخدام جداول التعزيز .

أنواع فرعية لمصطلح « التعزيز »:

وللتعزيز أنواع فرعية أخرى تتمثل في الأسس الثابتة التى يقوم عليها التعزيز النظري (كما سماها الدكتور الطحان ، الذي أفاض في شرح هذه الأنواع) .

وقد أفاد بـ: « أن التعزيز يتأثر بأربعة عوامل هي:

١ - كمية التعزيز ، من حيث الحجم والوزن أو القيمة .

٢ - إرجاء التعزيز ، وفوريته - حيث ثبت أن الاستجابات القريبة مكاناً أو زماناً من التعزيز يمكن تعلمها بسرعة أكبر من الاستجابات البعيدة منه .

٣ - الفاصل الزمني بين المثيرات في عمليات الإشراط الكلاسيكي . وتقدر فترة الإرجاء من بدء المُثير الإشراطي ، لا من بدء حدوث الاستجابات ، حيث يكون الزمن الفاصل بين المثيرين متحولاً بشكل يوازي زمن إرجاء التعزيز في التعلم .

---

(١) معجم علم النفس: عاقل ، د. فاخر ص١٠٢ .

(٢) النظرية السلوكية التعزيزية لدى «هلارك هل»: الطحان ص١٠١ .

(٣) لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها: المصري ، د. محمد أمين ص٨-٩ .

٤ - جداول التعزيز ، حيث يُقدَّم (التعزيز) إما بعد كل محاولة - وهو المتواصل - أو بعد كل محاولة صحيحة ، وهو المتقطع . وإذا قُدِّم بعد كل محاولتين أو ثلاث كان أحسن منه بعد كل أربع محاولات فقط »[1] وقد نسبها المؤلف إلى جامعة سكنر ، وشرح تفاصيلها مما لاحاجة إلى ذكره هنا ، إلا أنه يحسن التذكير بـ: « أن جداول التعزيز تُستعمل عادة في الإشراط الإجرائي »[2]

هذا وقد وردت مصطلحات أخرى فيما سبق كالمثير ، والاستجابة ، والإشراط ، والعقاب . . وفيما يلي تحديد لمعانيها:

المُثير:

وهو بشكل عام: «الحادث الذي يستطيع الملاحظ الخارجي تعيينه ، مفترضاً أن له تأثيراً في سلوك الفرد، كالصوت والضوء والكلام ، أو هو: حادث قابل للتعيين ، وله تأثير ظاهري أو مُفتَرض في الاستجابة »[3] .

الاستجابة:

« يتفق علماء النفس على أن الاستجابة فعل أو رجع ، أو جزء محدَّد من سلوك الفرد . . كالابتسامة ، والسرور . . »[4] ومن ذلك المبادرة إلى القيام بما هو مطلوب من الفرد ، كجواب المتعلم عن سؤال المعلم .

الإشراط:

يُعرَّف الإشراط بأنه: هو العملية التي يتم بواسطتها تكوين استجابات معينة تسمى « الاستجابات الإشراطية . كما يستعمل الإشراط بمعنى التعلم أحياناً »[5] . وهو نوعان: كلاسيكي ، وإجرائي .

الإشراط الكلاسيكي:

وينسب إلى « بافلوف » الروسي ، وهو إشراط: « يَتْلو فيه المُثير غير الإشراطي (كالطعام) المُثير الإشراطي (كصوت الجرس) سواء استجابت العضوية أم لا »[6]

---

(١) النظرية السلوكية التعزيزية: الطحان ص٨٩ و٩٦ و٩٧ .
(٢) معجم علم النفس: عاقل ، د. فاخر ص١٠١ .
(٣) علم النفس التربوي: النشواتي ص٢٧٦ .
(٤) المرجع نفسه .
(٥) معجم علم النفس: عاقل ، د. فاخر ص٢٥ .
(٦) المرجع نفسه .

وبمعنى آخر هو: « تشكيل ارتباط بين مُثير شرطي ما واستجابة ما ، من خلالِ تقديم أُلمثير الشرطي بتقديم أُلمثير غير الشرطي »(١) أي بحيث يصبح أُلمثير الشرطي فيما بعد معززاً ثانوياً .

الإشراط الإجرائي:

ويُعرَف بإشراط سكنر: « حيث يقوم بتحليل السلوك إلى أبسط عناصره وبشكل إجرائي ، عن طريق تنظيم البيئة التعليمية ومثيراتها ، وإتاحة الفرصة للمتعلم للاستجابة ، ويتلقى المتعلم التعزيز فوراً بعد تلك الاستجابة . . »(٢) .

ويستخلص من التعريف السابق للإشراط الإجرائي بمعنى آخر أنه يعني: وَضْعَ العضوية في موقف وسط ظروف أو محيط مثير لعدد من الاستجابات غير المحددة ، بحيث لا يمكن توقع الاستجابة التي ستحدث من العضوية بدقة (بخلاف الحال في الإشراط الكلاسيكي) ، ثم تعزيز المرغوب فيه من الاستجابات التي تحدث منها ، أي العضوية ، وقد تعزز الاستجابات القريبة مما هو مرغوب فيه ، حتى يثبت السلوك المرغوب فيه دون غيره - ويعرف هذا بمصطلح: « تشكيل السلوك » . ويغلب أن يكون باستعمال جداول معينة للتعزيز .

وللإشراط أنواع أخرى ، كالإشراط الإيجابي - والإشراط السلبي . كما أن ماينتج عن نوعي الإشراط (الكلاسيكي والإجرائي) من السلوك فإما سلوك استجابي وإما إجرائي - على الترتيب .

الإشراط الإيجابي/السلبي:

« إذا شكل المثير غير الشرطي حادثاً ساراً أو مرغوباً فيه ، وأدى إلى الرضا كان الإشراط إيجابياً . وأما إذا شكل المثير غير الشرطي حادثاً مُنفِّراً أو غير مرغوب فيه ، بحيث أدى إلى استجابة تجنُّبية سمي الإشراط سلبياً »(٣) . مع ملاحظة « أن المثير غير الشرطي السار لا يؤثر في عملية الإشراط إلا إذا كانت العضوية - موضوع الإشراط - في حالة دافعية معينة »(٤) .

---

(١) علم النفس التربوي : النشواتي ص٣٤٤ .
(٢) المرجع نفسه ، والمعلم العربي -تجارب في التحكم بالسلوك بالتعزيز: القلا ص١٤ .
(٣) علم النفس التربوي : النشواتي ص٣٣٩ .
(٤) المرجع نفسه .

التغذية الراجعة:

وهي من أهم العوامل التي تؤثر في التعلم .. وهي نوعان:

« الأول: المعلومات التي يشتقها المتعلم من خبراته وأفعاله على نحو مباشر ، كشعوره بحركات أدائه (تغذية راجعة ذاتية أو داخلية) .

والثاني: المعلومات التي يقوم المعلم أو المدرب بتزويد المتعلم بها ، مثل إعلامه بالاستجابات الصحيحة أو تصحيح الخاطىء منها »[1] أي تغذية راجعة خارجية .

فالتغذية الراجعة نوع من التعزيز الذاتي أو الخارجي ، ويقوم على تصحيح مسار عملية التعلم عن طريق الإحساس الراجع - أو الإعلام أي الإطلاع على النتائج ثناءً أو تصحيحاً يتسم باللطف .

العقاب:

وهو من أكثر العناصر إثارة للجدل بين المربين وعلماء النفس ، ويراد به: « الحادث أو المثير الذي يؤدي إلى إضعاف بعض الأنماط السلوكية أو كفها ، وذلك عن طريق تطبيق مثيرات منفرة « على هذه الأنماط ، أو حذف مثيرات مرغوب فيها من السياق السلوكي ، بحيث ينزع السلوك - موضوع الاهتمام إلى الزوال »[2] .

والعقاب مثل التعزيز يُعرَف بآثاره ، ويكون إيجابياً أو سلبياً ، أوَّلياً أو ثانوياً .

العقاب الإيجابي/السلبي:

« والعقاب الإيجابي هو الأسلوب الأكثر شيوعاً في معظم المؤسسات الاجتماعية التي تركز على التحكم بالسلوك بتقديم المثيرات الكريهة ، فهو إعطاءُ مُثير كريه لمن قام بسلوك غير مرغوب فيه (أو امتنع عن سلوك مرغوب فيه) .

وأما العقاب السلبي فهو شكل آخر يتم بحرمان المتعلم من مثيرات جذابة أي بسحب المثيرات الجذابة منه أو بمنعه منها »[3] .

ونتيجة كل من العقاب الإيجابي والسلبي واحدة ، وهي احتمال زوال السلوك .

المحو أو الامحاء:

وهو مصطلح أو إجراء يشبه العقاب من حيث الأثر إلى حد ما: « فإنَّ رَفعَ التعزيز

---

(١) المرجع السابق ص٥٠٩ .

(٢) المرجع السابق ص٢٩١ .

(٣) المعلم العربي ـ تجارب في التحكم بالسلوك بالتعزيز: القلا ص٢٧ .

عن الاستجابات التي تم تعلمها به (التعزيز) يؤدي إلى إضعاف هذه الاستجابات أو كفها على نحو تدريجي ، أي سينخفض تواتر حدوثها مستقبلاً . وهذا ما يسمى بالمحو »[1]

وبمعنى آخر هو:

« حذف أو انحذاف استجابة بإثارتها ، والامتناع عن تعزيزها ، ويسمى هذا بالمحو التجريبي »[2] .

فالمحو والعقاب إذن يتفقان من حيث إن كلاً منهما يهدف إلى إضعاف الاستجابات المتعلمة أو كفها ، إلا أن المحو يختلف عن العقاب من حيث إن الأخير تقديم للمثيرات المنفرة ، أو سلب للمثيرات المرغوب فيها ، بينما المحو يعني رفع المعززات أي وقفها[3] .

وعلى كل حال فإن المحو يشبه كثيراً العقاب السلبي عند الأقلية من العلماء كما سبق[4] .

الإيحاء:

« وهو ميل فطري يجعل الإنسان يتأثر بأفكار غيره أو معتقداته ، فيقبلها من غير معارضة أو مناقشة ، ودون أن يكون أساس هذا التأثير قائماً على المنطق والتعقل أو التفكير »[5] - مما يبرز أهمية اختيار القدوة الصالحة.

هذا ويمكن الاكتفاء بهذا القدر من مصطلحات الطائفة الأولى .

وفيما يلي تحديد لمصطلحات الطائفة الثانية ، وهي المصطلحات الإسلامية .

٢- تحديد المصطلحات الإسلامية :

والسبب في فصل هذه الطائفة عن الأولى هو وجود ثلاث أحوال تربط بينهما ربطاً إيجابياً في بعضهما ، وسلبياً في بعضهما الآخر ، وهي :

١ - حالة تتقابل فيها مصطلحات من كلتا الطائفتين ، مثل: السلوك / العمل .

٢ - حالة تكون فيها مصطلحات مشتركة بين الطائفتين ، مثل: الثواب والعقاب .

٣ - حالة تنفرد فيها كل طائفة بمصطلحات خاصة بها ، مثل : التشويق ، والتغذية الراجعة في الأولى ، والحدود ، والقصاص ، والتبشير في الثانية .

---

(١) علم النفس التربوي: النشواتي ص٣٠١

(٢) معجم علم النفس: عاقل ، د. فاخر ص٣٩ .

(٣) علم النفس التربوي: النشواتي ص٣٠١ .

(٤) في ص ٣٧ من البحث .

(٥) فن التدريس للتربية: سمك ، محمد صالح ص٥٧٤ .

العمل/السلوك:

يستخدم القرآن الكريم - عادة - كلمة « العمل » مقابل كلمة « السلوك » في التربية ، بحيث يقابل « العمل الصالح » معنى « السلوك المرغوب فيه » و « العمل السيىء» معنى « السلوك غير المرغوب فيه » .

ويشير إلى هذا اتحاد نوع الجزاء المترتب على كل منهما ثواباً أو عقاباً .

الثواب أو الأجر/التعزيز الإيجابي:

ومصطلحا: « الثواب والأجر » يقابلان مصطلح « التعزيز الإيجابي » في التربية ، وقد وردت كلمة « التعزيز » في القرآن الكريم بمعنى « الإمداد والتأييد » في قوله تعالى: ﴿ فَكذَّبوهما فَعزَّزنا بثالث ﴾ [يس: ١٤] . أي « قويناهما وشددنا جانبهما بثالث »[١] ، حيث أمدهما برسول آخر تشجيعاً لهما على الاستمرار في التبليغ بعد التكذيب .

والتعزيز بالمعنى التربوي تشجيع وتقوية كذلك للسلوك ، إلا أن القرآن الكريم لا يستعمله بمعنى « الجزاء » عادة وإنما يستعمل بدله « الثواب أو الأجر » .

وكلمة « الثواب » تستعمل في القرآن الكريم وفي التربية على حد سواء .

الترغيب- الترهيب/ التشويق والتعزيز الإيجابي - التحذير أو التنفير والعقاب:

والترغيب والترهيب من المصطلحات المتقابلة بين الشريعة والتربية ، حيث يستخدمان حيناً مقابل « التشويق والتحذير أو التنفير » ، كما يراد بهما تارة ما يقابل: « التعزيز والعقاب » أي المؤجلين غالباً ، استناداً إلى استقراء آيات القرآن الكريم وإلى تعريفهما القائل:

« **الترغيب:**

وَعْد يصحبه تحبيب وإغراء بمصلحة أو لذَّة أو مُتعة آجلة ، مؤكَّدة خيِّرة خالصة من الشوائب ، مقابل القيام بعمل صالح ، أو الامتناع عن لذَّة ضارة أو عمل سيىء - ابتغاء مرضاة الله تعالى - وذلك رحمة من الله لعباده »[٢] .

ففي هذا التعريف كثير من الشمول ، فالترغيب وَعْد أي تعزيز مؤَجَّل ، ولكن يرافقه

---

(١) تفسير الجلالين: السيوطي والمحلي ، من سورة يس ١٤/٣٦ ص٥٨٢ .

(٢) أصول التربية الإسلامية وأساليبها: النحلاوي ، عبد الرحمن ص٢٨٦ .

تحبيب وإغراء ، وذلك بمعنى التشويق ، والمعزِّز مؤكَّد وخيرٌ . . ، فلا يتردد الفرد في تحققه ، فكأنه فوري ، لثبوته لمجرد تحقيق شرطه . وهو جزاء على عمل صالح أو امتناع عما هو سيىء أو ضار ، بمحض الحرية والاختيار - كما يشير إليه قوله« ابتغاء مرضاة الله تعالى » ، بل الحرية شرط ضروري لثبوت المعزز أو الثواب لمن قام بالعمل ، إذ الإخلاص لايتحقق معناه إلا إذا نَبَعَ من محض الاختيار .

« والترهيب :

وَعيدٌ أو تهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو ذَنْب مما نهى الله عنه ، أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به . أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده ليكونوا دائماً على حذر من ارتكاب الهفوات والمعاصي »(١) .

ويشير هذا التعريف أيضا إلى أنه يشمل التحذير والإنذار ، ويصرح بالتهديد والوعيد ، كما يشير إلى أن الهدف من الترهيب إنما هو تحقيق رقابة ذاتية في نفس الفرد ، تَحول دون الوقوع في المخالفة : « وليكونوا دائماً على حذر » .

إلا أن تحقيق مثل هذه المراقبة لا يتوقف على الترهيب ، بمعناه الواضح ، وإنما لا بد من معرفة بالله تعالى وبإحاطته بكل شيء علماً؛ وإلا فقد يكون الترهيب سلبياً . ويتجلى هذا في قوله تعالى مشيراً إلى سلبية أثر الترهيب أحياناً: ﴿ ونُخوِّفهم فما يَزيدُهم إلا طُغياناً كَبيراً ﴾ [الإسراء: ٦٠] . وقال تعالى في أهمية العلم والمعرفة به: - ﴿ إنَّما يخشى اللّهَ من عباده العُلماءُ ﴾ [فاطر: ٢٨] . فأهم مصدر لخشية الله تعالى إذن هو معرفته .

كما يلاحظ أن التعريف السابق يحصر الترغيب والترهيب في معنى « التعزيز والعقاب » المؤجَّلين . ولعل السبب هو أن ذلك أغلب أو أكثر ما ورد في القرآن الكريم .

التبشير والإنذار :

واستعمال مصطلحي « الترغيب والترهيب » وارِدٌ في الشريعة الإسلامية بشكل عام ، إلا أن القرآن الكريم يَغلِب أن يستعمل مقابلهما مُصطَلحي : « التبشير والإنذار » .

فقد ورد معنى « التبشير» ومشتقاته في القرآن الكريم ما لا يقل عن ٤٢ مرة . وورد فيه معنى « الإنذار » ومشتقاته كذلك ما لا يقل عن ١٢٣ مرة . في حين لم يرد فيه معنى « الترغيب » ومشتقاته إلا نحو ٨ مرات ، ولا معنى « الترهيب » ومشتقاته أكثر - فيما يظهر - من ١٢ مرة .

---

(١) المرجع نفسه .

وعلى كل حال لايبدو أن ثمة تعارضاً بين: « التبشير والإنذار/والترغيب والترهيب » ، إلا أن التبشير أمْيَل إلى الإشارة إلى التعزيز ، وبالمقابل يبدو أن الترغيب أمْيَل إلى الإشارة إلى التشويق .

هذا وإن الترغيب والترهيب مع ذلك يمكن أن يشملا أغلب المصطلحات المعاصرة لنظريات التعزيز - إذا لم يشملاها جميعاً - لما أشار إليه تعريفهما السابق من أن الترغيب يشمل التحبيب والإغراء . . وأن الترهيب يشمل التحذير والإنذار والتهديد والوعيد .

العقاب:

وكلمة « العقاب » مصطلح مشترك ، كنقيضه « الثواب » بين التربية والشريعة ، إلا أن التربية قد تستعمل مقابله مصطلح «التعزيز السلبي » ، بل هذا هو رأي أكثر المربِّين وعلماء النفس ، فهو عندهم بمعنى « العقاب » ، بخلاف قِلَّة منهم كما تقدم .

هذا وثمة مصطلحات في الشريعة الإسلامية لها علاقة بمعنى « العقاب» لعل من المفيد هنا تحديد معناها ، وهي: الحدود والقصاص والتعازير والكفّارات والدِيَة .

الحدود والقصاص:

يُزجر الناس شرعاً من ارتكاب ما فيه الأذى والضرر ، بعدة أنواع من الزواجر - صيانة للمجتمع عن الفساد والهتك ، وتطهيراً للنفوس من الذنوب . وتتفاوت هذه الزواجر بتفاوت الجنايات من حيث الشدة أو الأثر الذي تحدثه الجناية في المجتمع .

فإذا كان الزاجر عقوبة محددة بالنص سلفاً على معصية أو جناية - كمئة جلدة أو قطع اليد - سمي ذلك العقاب حداً . « فالحد شرعاً عقوبة مقدرة واجبة حقاً لله تعالى ، صيانة للأعراض والأنساب والأموال والعقول والأنفس من التعرض للإتلاف »(١) .

وإذا تعينت المماثلة في العقوبة المقدرة سمي ذلك قصاصاً - كقتل النفس بالنفس ، وفقوء العين بالعين ، وجدع الأنف بالأنف ، وبتك الأذن بالأذن ، وقلع السن بالسن ، ثم الجرح بالجرح - كما بينته الآية الكريمة في قوله تعالى: - ﴿ وكَتَبْنا عَليهم فيها أنَّ النفس بالنفس ، والعَيْنَ بالعين ، والأنْفَ بالأنف ، والأذُنَ بالأذُن ، والسِنَّ بالسِن ، والجُروح قِصاص . . ﴾ [المائدة: ٤٥] .

ومما يحدد معنى القصاص أيضاً قوله تعالى مشيراً إلى ضرورة المماثلة وأفضلية الصبر: ﴿ وإنْ عاقَبْتُم فعاقبوا بِمِثْلِ ما عوقِبتُم به ، ولَئِن صَبَرتم لَهُوَ خَيرٌ للصابرين ﴾

---

(١) الفقه الإسلامي: الزحيلي ، د.وهبة ١٢/٦

[النحل: ١٢٦] . فالآيـة واضحة في اشـتراط المماثلة ، وفي أنَّ العفـو أَوْلى - في الظروف العادية .

التعزير:

ذلك التحديد للعقوبة لا يكون إلا في الجنايات الشديدة الأذى أو الاعتداءات الواسعة الأثر ، لما فيها من زعزعة الأمن والاستقرار ، أو تقويض المبادئ العامة في المجتمع .

أما البسيط من الجنايات فقد تكفي فيهـا الإشارة أو التَّعـريض أو النُّصح ، أو اللوم السِّري أو العِتاب العَلَني ، أو التأنيب الشـديد أو الهَجْـر ، أو بتأديب جسـدي غير مُتَعَـيِّن المقدار ، وإنما يتوقف تحديده على رأي المؤدِّب الشرعي .

وهذا كله يُعَدُّ من أنواع العقاب ، ويسمى شرعاً « التعزير » ، وبمعنى آخر: « التعزير هو العقوبة المشروعة على معصية أو جناية لا حَدَّ فيها ولا كفارة»[١] . أو هو « عقوبة غـير مُقَدَّرة ، تَجب حقاً لله تعالى أو لآدمي ، في كل معصية أو اعتداء ليس فيه حَدٌّ ولا كفارة ، ويراد به الإصلاح والزَّجْر »[٢] .

وذلك كالغشّ في المعاملات ، أو الاعتداء على الغـير بمثل السبِّ أو النَّهب ، أو عنـد اندِراءِ الحدِّ بالشُّبهَة مع ثبوت التعرض للتهمة .

الكفارة والدِّية:

قد يترتب على بعض المعاصي والجنايات التزامات أخرى يؤديها الفرد مالاً أو عبـادة: « يُقصد بها رفع الذنب ومحو الإثم عن الجاني »[٣] .

فإن كانت هذه الالتزامات حقاً لله تعالى ، كأن تكون عبادة كالصوم ، أو مـالاً يؤدى إلى أفراد معينين صنفاً لا عيناً ، كالفقراء والمساكين ، سمي ذلك «كفارة » . كصوم شهرين أو إطعام ستين مسكيناً ، لمن أفطر في رمضان من غير عذر مبيح .

وأما إذا كانت تلك الالتزامات مالية تؤدى إلى صـاحب الحق المعتدى عليـه ، أو إلى وَليِّه ، سمي ذلك « دِية » كأداء ألف دينار من الذهب ، أو مئة من الإبل إلى ولي القتيـل خطأً ، أو بعد العفـو في العمد ، أو أداء نصف ذلـك إلى من عُطِّلت وظيفـة يده أو رجله

---

(١) الفقه الإسلامي: الزحيلي ، د.وهبة ١٩٧/٦ .

(٢) التعزيز في الشريعة الإسلامية: عامر ، د.عبد العزيز ص٣٦ . والمبسوط: السرخسي ، شمس الدين ٣٦/٩ .

(٣) الفقه الإسلامي: الزحيلي ، د.وهبة ٢٩٦/٦

أو عينه ، أو غير ذلك من الأعضاء المزدوجة ، أي في حال عدم القصاص فيها »[1] .

هذا ومما تكرر وروده في القرآن الكريم - ويتكرر كذلك في هذا البحث - مصطلحات أخرى ، من أبرزها: الصدق ، الإيمان ، البر ، التقوى ، الإحسان ، العبودية لله تعالى . وفيما يلي تحديد المراد بها:

الصدق :

المُراد بالصدق هنا ليس مجرد مطابقة الخبر لواقع المُخْبَر عنه قولاً ، فهذا أدنى درجات الصدق ، وإنما المراد به هو المعنى الأوسع الذي يشمل سائر أنواع السلوك النفسي والإخباري والعملي . .

فإذا تطابق ظاهر الإنسان مع باطنه قولاً وعملاً ونيَّة ، وبذل لكل هدف ما يناسبه ويستحقه ، ولم يكترث بالعقبات (غير القاهرة) التي تعترض سبيله في سعيه لأهدافه « فهو صادق » ما دامت أهدافه تلك ووسيلته إليها مشروعة .

وهذا التعريف مستوحى من عدد من تعريفات علماء الشريعة الإسلامية التي منها:

- «الصدق عماد الأمر ، وبه تمامه ، وفيه نظامه ، وأقلّه استواء السرِّ والعلانية ، ولا يشم رائحة الصدق عبد داهن نفسه أو غيره . . والصادق هو الذي لايُبالي لو خرج كل قدر له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه، ولا يحب اطلاع الناس على مثاقيل الذرَّة من حسن عمله ، ولايكره اطلاعهم على السيىء من عمله، لأن كراهة ذلك دليل على أنه يحب الزيادة عندهم ، وليس هذا من أخلاق الصادقين . . »[2] .

- « اعلم أن لفظ الصدق يستعمل في ستة معان: صدق في القول ، وصدق في النيَّة والإرادة ، وصدق في العزم ، وصدق في الوفاء بالعزم ، وصدق في العمل ، وصدق في تحقيق مقامات الدِّين كلها . فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صِدِّيق »[3] .

الإيمان :

ومفهوم الإيمان من المفاهيم التي تتعلق بالمشاعر القلبية ، ولعل هذا هو السبب في عدم ورود تعريف يشخصه بشكل واضح - في حدود الاطلاع - وإنما يرد تعريفه إما مجملاً مع الإشارة إلى علامته من حيث الواقع ، كقوله ﷺ مشيراً إلى أن علامته العمل:

---

(١) المرجع السابق ٣/٢٥٦/٢٦٧ .

(٢) المجموع ، شرح المهذب: النووي ، أبو زكريا ، يحيى بن شرف ١/١٧ .

(٣) إحياء علوم الدين: الغزالي ، أبو حامد ٤/٣٨٧ وما بعدها .

« الإيمان ما وَقَرَ في القلب وصدَّقه العمل »[1] .

كما يرد تعريفه بالإشارة إلى وسائل تحقيقه في القلب وتذوقه فيه ، كقول النبي ﷺ « ذاق طعم الإيمان من رَضي بالله ربّاً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً »[2] .

وقد يَرِد تعريفه بمتعلقاته المعبَّر عنها شرعاً بأركان الإيمان ، كقول النبي ﷺ : « الإيمان ، أن تؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقَدَر . . »[3] .

وورد له في القرآن الكريم تعريف يجمع بين العمل القلبي والتطبيقي ، قال تعالى : ﴿ إنَّما المؤمنون الذين إذا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قلوبُهم وإذا تُلِيَت عليهم آياتُه زادتهم إيماناً وعلىٰ ربِّهم يَتَوكَّلون * الذين يُقيمونَ الصَّلاة ومِمَّا رَزَقْناهم يُنْفِقون * أولٰئِكَ هُم المُؤمنونَ حَقاً . لَهُم دَرَجاتٌ عِندَ ربِّهم وَمَغفرَةٌ وَرِزقٌ كَريم ﴾ [الأنفال: ٢-٤] .

علَّق عليها ابن كثير قائلاً : « أي المتصفون بهذه الصفات هم المؤمنون حق الإيمان »[4] .

وقد ورد في القرآن الكريم تعريفات للإيمان من هذا النوع أكثر من مرة[5] .

البِر والتقوى والإحسان :

ومعاني هذه المفاهيم الثلاثة متداخلة - على ما يظهر - إذ تأتي حيناً مفسَّراً بعضها ببعض ، ومعطوفاً بعضها على بعض تارة ، ومنفردة تارة أخرىٰ ، إلا أنها أخيراً تبدو متدرجة . وفيما يلي بعض ما ورد في كل منها منفرداً :

البِر :

« البِر هو الطاعة والعمل الصالح والصدق »[6] أو هو « اسم جامع للطاعات وأعمال الخير . . »[7] .

وعَرَّفه النبي ﷺ بحسن الخلق ، مشيراً إلى أن نقيضه هو الإثم ، فقال « البِر حُسن الخُلق ، والإثم ما حاكَ في نَفْسِك وكَرِهْت أنْ يطَّلع عليه

---

(١) رواه ابن ماجه ، مقدمة ٩ .
(٢) رواه الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، إيمان ٥٦ ، والترمذي ، سنن الترمذي ، إيمان ١٠ .
(٣) متفق عليه: صحيح البخاري ، إيمان ٣٧ ، وصحيح مسلم ، إيمان ٥٧ .
(٤) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ٢/٢٨٦ .
(٥) وفاتحة سورة المؤمنون ٢٣/١-١١ من أهم ما يعرف الإيمان بالعمل .
(٦) تفسير القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١/٣٦٨ :
(٧) التفسير ـ أحكام القرآن : عتر ، د. نورالدين ص٢٤٤

النّاس »[1].

والقرآن الكريم يؤيد جعل البِر نقيض الإثم ، قال تعالى: ﴿ وتَعاوَنوا على البِر والتَّقْوى ، ولا تَعاوَنوا على الإثْمِ والعُدوان ﴾ [المائدة: ٢] .

هذا وأمّا التقوى التي أشارت الآية إلى أن نقيضها هو العدوان ، فقد وردت فيها عدة تعريفات ، بعضها يُركِّز على الجانب السلبي ، أي اجتناب النواهي ، وبعضها يجمع بين الجانبين: السلبي والإيجابي ، وبعضها الآخر على الجانب النفسي والسلوكي معاً ، ومنها مثلاً:

« **التقوى:**

الكَفُّ عن جميع المحظورات ، وتَجنُّب الشبهات ، والبُعد عن كل مُريب »[2] .

أو هي: امتثال الأوامر واجتناب النواهي [3] . أوهي: « شعور في الضمير ، وحالة في الوجدان ، تنبثق منها اتجاهات وأعمال ، وتَتوحَّد بها المشاعر الباطنة والتصرفات الظاهرة ، وتصل الإنسان بالله في سرِّه وجَهرِه »[4] .

وهذا التعريف الأخير يشير إلى أثر التقوى الإيجابي في بناء الشخصية الصادقة والمتوازنة ، كما أنه يشير إلى معنى الوازع الديني الذي هو من مباعث الاستقامة .

الإحسان:

عرفه النبي ﷺ مشيراً إلى ما فيه من معنى الرقابة لله تعالى فقال: «الإحسان أن تَعبُد الله كأنَّك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك »[5] .

هذا وأما بيان تداخل معاني هذه المفاهيم الثلاثة أو تَدَرُّجها فقد لا يكون من مستلزمات هذا المقام . ولكن يمكن الإشارة إلى أنها جميعاً تترادف في معنى فعل الخير وعمل المعروف ، إلا أن : البِر يَنزع إلى أداء الحقوق والواجبات ، كما تَنزع التقوى إلى الإستقامة على الشرع ، وترك العدوان[6]. وأما الإحسان فيبدو بالإضافة الى ما سبق أنه يركز على

---

(١) رواه الإمام مسلم ،بر ١٤و١٥ .والترمذي ،زهد ٥٢ .
(٢) أيها الولد: الغزالي ، أبو حامد ص٣٢ .
(٣) تفسير الجلالين: السيوطي والمحلي ، فاتحة سورة البقرة .
(٤) اليوم الآخر في ظلال القرآن : فايز ، أحمد ص١٩ .
(٥) الإمام البخاري في صحيحه ، إيمان ٣٧ ، وصحيح الإمام مسلم ، إيمان ٥٧ ، والترمذي ، إيمان ٤ .
(٦) تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٦/٤٧ .

معنى حُسن الخُلق المتمثل في تحمل الأذى والمشاق في سبيل خدمة الخلق وإرضاء الخالق ، قال تعالى :

- ﴿ الَّذينَ يُنْفِقون في السَّراء والضَّراء ، والكاظِمينَ الغَيْظَ والعافِينَ عَن النَّاس ، والله يُحب الُمحْسِنينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٤]

- ﴿ فاعْفُ عنهم ، واصْفَح ، إن الله يُحبُّ الُمحسِنين ﴾ [المائدة : ١٣]

- ﴿ إنَّه مَن يَتَّق ويَصبِر ، فإنَّ الله لا يُضيعُ أجْرَ الُمحْسِنين ﴾ [يوسف : ٩٠]

- ﴿ والَّذينَ جاهَدوا فينا لَنَهْدِيَنَّهم سُبُلَنا ، وإنَّ الله لَمع الُمحسِنين ﴾ [العنكبوت : ٦٩]

ففي الآيات السابقة - وغيرها كثير - ما يشير إلى أن الإحسان كمال في حُسن الخُلق ، وإن كان البر هو الذي ورد تعريفه بذلك صراحة ، فلا يقتضي أنه أكمل من الإحسان الذي عرفه النبي ﷺ بمايشير إلى كمال المراقبة لله تعالى في السِّر والعَلَن .

العبودية لله تعالى :

إن الإنسان عبدُ لله تعالى خَلقاً ، ولكن المراد هنا هو إخلاص هذه العبودية له خُلُقاً ، أي الرضا بها ، وتنزيهها عن شوائب الشِّرك الاعتقادي والسلوكي .

وقد عرفت بتعريفات ، منها ما يشير إلى أهمية الثقة بعدالة الله تعالى في كل تصرفاته ، وإيثار رضاه على رضا النفس . . مثل التعريف التالي :

« العبودية لله : محافظة أمر الشرع ، والرضا بالقضاء والقدر وبقسمة الله تعالى ، وترك رضاء نفسك في طلب رضاء الله تعالى »[١] .

وبالرجوع إلى القرآن الكريم يمكن استخلاص صفات لمن أخلص العبودية لله تعالى ، بما لا يتعارض مع التعريف السابق . فمن هذه الصفات مثلاً : الأوْب (الإنابة أو الرجوع بالتوبة الدائمة إلى الله تعالى)[٢] ، والصَّبر ، والتَّوكل . قال تعالى :

- ﴿ ووهبنا لداود سُليمان ، نِعْمَ العبد ، إنَّه أوّاب ﴾ [ص : ٣٠]

- ﴿ إنّا وَجَدناه صابراً ، نِعْمَ العبد ، إنَّه أوّاب ﴾ [ص : ٤٤]

- ﴿ إنَّه لَيس له سُلطانٌ على الَّذين آمَنوا وعلى ربِّهم يَتوكلون ﴾ [النحل : ٩٩]

أي في حقِّ عباد الله الذين لا سلطان للشيطان عليهم .

هذا وفي القرآن الكريم آيات متتالية تحدد صفات عباد الرحمن

---

(١) أيها الولد : الغزالي ، أبو حامد ص٤٠ .

(٢) تفسير القران العظيم : ابن كثير ٤/ ٣٣ .

تحديداً تفصيلياً ، يمكن الرجوع إليها ، فإنها تشبه ميزاناً للمسلم[١] .

وأما الآن فيحسن تحديد مصطلحات خاصة (أي بيان المراد بها في هذا البحث بشكل أخص) مُسْتَلهَمة من عدد من التعريفات والمفاهيم .

ومن هذه المصطلحات: الوازع الديني ، القيم ، الأهداف ، الغايات . .

الوازع الديني :

ليس من السهل تعريف الوازع الديني بدقة - شأنه شأن الإيمان الذي هو أصله ومصدره - باعتباره من الأحوال القلبية التي لا يطلع عليها - بعد الخالق - إلا صاحبها ، بل حتى صاحبها قد يعجز عن التعبير عنها بالقول . .

ومع ذلك ، وبناءً على ما ذكره العلماء[٢] حول هذا المفهوم الخطير ، يمكن تعريفه بأنه: « هو حافز ذاتي عميق ، ورقابة داخلية مستمرة ، تنبع من حياة الضمير ، الناتجة عن معرفة الله تعالى وسمو الإيمان به وباليوم الآخر ، تدفع إلى الاستقامة على الشرع ، بامتثال الأوامر واجتناب النواهي ، عبادات ومعاملات ، مع الإخلاص فيهما في السرِّ والعَلَن ، دون حاجة إلى رقيب خارجي ، أو حوافز عاجلة ، في أغلب الحالات على الأقل » .

القِيَم :

المراد بالقيم في هذا البحث هو: الصفات الخُلُقية التي يدعو إليها القرآن الكريم ويُثني على من اتصف بها ويُثيبه ، ويَذم الاتصاف بنقيضها أو يعاقب عليه ، كالصدق والصبر والإيثار/الكذب والهلع والشح .

الأهداف :

ويراد بها هنا المرامي المرحلية التي يقصدها القرآن الكريم للوصول إلى غايات أشرف ، كالإيمان وحُسن الخُلق والعمل الصالح ، وأنواع العبادات كالصلاة والزكاة . .

---

(١) خواتم سورة الفرقان ٢٥ .

(٢) منهم البوطي ، د. محمد سعيد رمضان: تجربة التربية الإسلامية في ميزان البحث ص٤٥ و٢١٩ ، والزحيلي ، د. محمد مصطفى: طرق تدريس التربية الإسلامية ص٣٩٤ و٣٩٧ ، والشيخ محمد أبو زهرة: فلسفة العقوبة في الفقه الإسلامي ص٢١-٢٣ ، والقرشي ، باقر شريف: النظام التربوي في الإسلام ص٢٠٥-٢٠٩ ، وشديد ، محمد: منهج القرآن في التربية ص١٢ و١٧ و٦٤ . ومن سورة الحشر ٥٩/٩ آية الإيثار .

الغايات:

ويراد بها الأهداف العليا التي بوصول الإنسان إليها يحوز رِضْوان الله تعالى وينال السعادة والطمأنينة في الدنيا والآخرة - كما يصرح بذلك القرآن الكريم . كجمع العمل الصالح إلى الإيمان ، والبر ، والتقوى ، والإحسان ، وتحقيق مقام العبودية الخالصة لله تعالى .

هذا وثمة استعمالات خاصة أيضاً لبعض مصطلحات التعزيز ، وفيما يلي تحديد المراد منها:

التشويق والتحذير أو التنفير/التحذير أو التنفير والعقاب:

عند عطف كلمة التحذير أو التنفير على كلمة التشويق ، أو عطف كلمة العقاب على ذلك أي « التحذير أو التنفير » يراد به كل ما يجعل النفس تتجنب شيئاً ما ، توقياً أو كراهة ، دون أن يصل التحذير إلى حد العتاب الصريح ، وإلا فهو نوع من العقاب .

التعزيز/العقاب .

وعند إطلاق كلمة « التعزيز » يراد مايقابل الثواب أي ما يرضي الفرد من الجزاء ، وكذلك عند عطف كلمة « العقاب » عليه أي التعزيز .

التعزيز المؤجل/الوعد بالمعزِّز:

يمكن اعتبار الوعد بالمعزز قبل السلوك نوعاً من التشويق ، وأما الوعد به بعد القيام بالسلوك فهو من « تأجيل المعزِّز » ولكنه غير «التعزيز المؤجَّل » لأن الوعد به بعد استحقاقه يعزز السلوك فوراً ، حيث يثبت الموعود به للقائم بالسلوك بمجرد قيامه به .

وسيأتي مزيد من إيضاح الفكرة عند بيان الرأي الشخصي حول « التشويق والتعزيز ».

وسائل التشويق والتعزيز:

بناء على مجموع التعريفات الواردة سابقاً ، يستخلص أن هناك مجموعة من الوسائل يتم بها تشويق العضوية وتعزيز سلوكها ، أو تحذيرها وتنفيرها من سلوك ما ، أو عقابها أحياناً حداً من سلوكها المكروه .

وأن هذه الوسائل إما معنوية أدبية ، وإما مادية ملموسة . وهي بمجموعها تعني: « الأساليب التربوية ، أو الأشياء المادية ، التي تقدم إلى الفرد وتؤثر في نفسه - تأثيراً إيجابياً ، حيث يزيده رغبة في القيام بما يطلب منه ، أو في تكرار السلوك الذي قدمت عقبه

تلك الأساليب ، أو الأشياء ، كالمدح والثناء ، والدرجات العالية والأوسمة ، والجوائز المالية والمكافآت . - أو تؤثر في النفس تأثيراً سلبياً ، بحيث يقلل أو يضعف.- إن لم يمح - تلك الرغبة أو ذلك السلوك ، مثل اللوم والعتاب ، والذم والتنديد ، أو المبالغة في النقد السلبي ، والضرب أو الحرمان من الأشياء المرغوب فيها .

الجائزة والمكافأة:

ويراد بالجائزة هنا العطية المحددة سلفاً ، لقاء نجاح في مسابقة ما ، ويغلب أن تكون الجائزة مادية ، وأما المراد بالمكافأة فهي عطية كذلك ، لكنها قد لا تكون محددة سلفاً ، وإنما تقدم على اجتهاد أو تفوق في النجاح في عملية تعليمية معينة ، بغض النظر عن كونها مسابقة أم لا - كإثابة الأوائل من الطلاب الناجحين في آخر العام الدراسي أو الجامعي .

رموز البحث :

وترد في البحث مجموعة من الرموز وفيما يلي تحديد للمراد بها فيه :

س = سورة

ا = آية

عب = عبارات الترغيب والترهيب أو مفاهيمها .

٢/٦ مثلاً = رقم السورة والآية ، أو رقم جزء الكتاب والصفحة .

/ = تقابل نوعين في نص واحد ، كالثواب والعقاب .

ك = عدد التكرارات للمجموعة موضوع البحث .

ملك = مكي أو مكية .

مد = مدني أو مدنية .

٢/مد = رقم السورة وأنها مدنية مثلاً .

ق = تشويق

ز = تعزيز

ر = تحذير أو تنفير

ع = عقاب

+ = إيجابي

- = سلبي

ص = ترغيب وترهيب عن طريق القصص

صّ = ترغيب وترهيب عن طريق تصوير مشاهد أو مواقف مثيرة تقع عند الموت أو بعده .

وفي ختام هذا المبحث يبدو أن من المستحسن تناول مصطلحي : « التشويق والتعزيز » من ثلاث حيثيات : الاتفاق والاختلاف في المعنى ، الإيجابية والسلبية فيهما ، معيار التمييز بينهما عند رصد الآيات موضوع البحث وتصنيفها . ثم الإشارة إلى معيار استخراج الأهداف من القرآن الكريم .

٣ - مقارنة بين التشويق والتعزيز من ثلاث حيثيات :

يختلف التشويق والتعزيز - في ضوء التعريفات الواردة فيهما - من وجه دون آخر :

- يختلفان من حيث زمن تقديم كل منهما ، فالتشويق يقدَّم للفرد قبل القيام بالسلوك ، ترغيباً فيه ، بينما التعزيز يقدَّم جزاءً على القيام بالسلوك فعلاً ، ترغيباً في استمراره أو تكراره .

- ويلتقيان من حيث وظيفة كل منهما أو في معظم هذه الوظيفة ، فكلاهما يؤدي وظيفة الترغيب في السلوك من حيث المبدأ (أي لمباشرته في الأول ، وتكراره في الآخر) .

- كما يلتقيان في أن كليهما يتحقق بمثيرات مرغوب فيها .

والحاصل أن التعزيز تشويق إلا أنه مع ذلك ثواب أصلاً على ماتمَّ فعله . ولعل وجه التقائهما هذا هو الذي عبَّر عنه أحد المهتمين بعلم النفس قائلاً : « يحدد التعزيز الإيجابي والسلبي . . - إلى مدى بعيد - استجابات الفرد التي ستبقى وتصبح عادات . . ذلك أن التعلم الناجح يخفف التوتر الذي يرافق القيام بالعمل . والرضا الناجم عن تخفيف التوتر يعزز التعلم ويقويه . ومن جهة أخري فإن الإخفاق يفشل في تخفيف التوتر ، والتثبيط الذي ينتج عن ذلك يعزز التعلم سلبياً أو يضعفه .

وهنا يختلف التشويق عن التعزيز ، ولكن مع استمرار عملية التعلم مدة طويلة فإن التشويق والتعزيز يمكن اعتبارهما غير مفترقين . فإن المشاعر التي تعزز التعلم إيجابياً أو سلبياً تساعد في تشويق المتعلم حين يقوم وضع مشابه .

ولذلك فإن كثيراً مما قلناه عن التشويق ينطبق على التعزيز »[١] .

---

(١) علم النفس التربوي: عاقل، د. فاخر ص١٩٠-١٩١ .

وبهذا النص اتضح بجلاء أن التعزيز في الوقت الذي يكون فيه ثواباً على سلوك سابق يكون تشويقاً أو مساعداً في التشويق إلى القيام بمثله في ظروف مماثلة .

وبهذه المناسبة يمكن توضيح الرأي الشخصي في هذا الموضوع .

١- الفورية والتأجيل في التشويق والتعزيز :

وفكرة تقدم التشويق على السلوك وتأخر التعزيز عنه هي قاعدة دَرَج عليها العُرف التربوي . إلا أن لهذه القاعدة - على ما يظهر - فروعاً تفصيلية تجعل كلًّا من التشويق والتعزيز على أنواع تتفاوت في تأثيرها النفسي والسلوكي .

آ - التشويق :

يبدو أن التشويق ينقسم إلى ثلاثة أنواع هي :

١ - تقديم شيء مرغوب فيه سلفاً إلى فرد ما ، حثاً له أو شرطاً للقيام بسلوك معين ، بحيث يمكن القول إنه ثواب معجل ، كشراء حقيبة جميلة لدفاتر الصبي حديث العهد بالمدرسة ، وهذا النوع قد يكون له أثر نفسي مباشر ، يُرَجح في النفس جانب الرغبة في التعلم ، إلا أن ذلك غير مضمون ، لاحتمال عدم وجود حافز آخر يسعى إليه الفرد .

٢ - تقديم شيء مرغوب فيه سلفاً كذلك إلى الفرد ، ترغيباً في سلوك يعقبه سلوك آخر ، كوعد الصبي بعد هدية الحقيبة بشراء دراجة له إذا نجح في الامتحان .

وهذا النوع قد يكون أضمن للقيام بالسلوك من سابقه ، وهو يشبه إلى حد ما ، ما يعرف بالعربون أو السلفة، حيث يقدم جزء من الأجر قبل القيام بالعمل المطلوب ، كما هو دأب بعض الصناع والحرفيين .

٣ - أن يكون القيام بالسلوك شرطاً مطلقاً للحصول على الشيء المرغوب فيه، الذي يعرض على الفرد أو يحدد له سلفاً ، وهذا النوع من التشويق أيضاً فعال إلى حد كبير ، إذ ينتقل إلى تعزيز بالمؤجل بمباشرة السلوك ، حيث يشعر الفرد بثبوت ملكيته لجزء من الثواب الموعود كلما قطع شوطاً من السلوك ، وبملكيته له كاملاً بإنهاء العمل .

وعلى هذا النوع من التشويق تقوم رواتب العمال والموظفين ، وكثير من أجور الصناع والحرفيين عادة . وقد يطلق على هذا النوع اسم « التعزيز المؤجل » أي التعزيز بالمؤجل بمعنى أدق ، لانقلابه إلى ذلك بمباشرة السلوك .

وفي كل من هذه الأنواع الثلاثة يتحقق التشويق مُقدَّماً ، إذ لا يمكن تأجيله ، لتعذر مباشرة سلوك دون حافز .

ب - التعزيز :

وينقسم التعزيز كذلك إلى ثلاثة أنواع هي :

١ - تقديم شيء مرغوب فيه إلى الفرد عقب قيامه بالسلوك فوراً ، بحيث يجوز الثواب دون تَراخ . ولعل هذا أضمن لتعزيز السلوك ، لقوة عامل الارتباط بين السلوك والثواب . كما هي الحال في تقديم التغذية الراجعة إلى المتعلم كلما أنهى مهمة تعليمية ، بحيث يطلع على نتائج عمله فوراً . وكذلك مكافأة المجتهد أو المتفوق عقب الامتحان ، كشراء دراجة للصبي الناجح .

٢ - وعد الفرد صراحة أو ضمناً بشيء مرغوب فيه عقب قيامه بالسلوك ، بحيث يشعر بثبوت ملكيته لهذا الشيء فوراً ، مع تأجيل حيازته له . كوعد الصبي الناجح بشراء دراجة له عقب نجاحه ، وكذلك عندما يحقق الفرد شرط النجاح بجائزة معينة ، وإن كان لا يمكن حيازتها فوراً .

وهذا النوع أيضاً فعّال ، لأنه تعزيز فوري بغض النظر عن كون المعزَّز به مؤجلاً .

٣ - تقديم الشيء المرغوب فيه بعد قيام الفرد بالسلوك بفاصل زمني غير عادي ، أي طويل نسبياً ، كتأخير التغذية الراجعة في الدرس المبرمج أو في المختبر مثلاً إلى آخر الحصة ، وكذلك استدراك التعزيز بشيء سبق أن حازه الفرد ، كأن يقول الأب لولده التلميذ : « إن ماâشتريته لك أمس كان مكافأة لك على نجاحك في الامتحان » .

وهذا النوع من التعزيز أضعف أثراً ، على ما يبدو ، إذ يأتي بعد وقت قد تتكامل فيه عوامل الإطفاء، لفقدان التعزيز فيه عاملاً أساسياً هو الاقتران أو الارتباط الفوري .

وعلى هذا ينبغي أن يكون التعزيز بحد ذاته فورياً دائماً . أما المعزَّز به فيمكن تأجيله دون أن يؤثر ذلك سلبياً في تقوية السلوك ، ولاسيما إذا اقترن الوعد بالثناء .

هذا وما قيل في التشويق (الترغيب) قد يمكن أن يقال في التحذير والعقاب (الترهيب) إيجاباً وسلباً .

وقبل ختام الفصل بتحديد معايير التمييز بين آيات التشويق والتعزيز يحسن التعريج على معنى مصطلحي « الإيجابية والسلبية » لتكرر ورودهما في البحث .

٣ -الإيجابية والسلبية في التشويق والتعزيز :

جرى العرف على استعمال « الإيجابية-السلبية » بمعنى الشيء وعكسه، كأن يقال : « نتائج إيجابية أو سلبية » أي مُرضية لمن تهمُّه ، أو غير مُرضية له .

ومع هذا فإن ثمة خلافاً في معنى بعض أنواع التعزيز ، بعد الاتفاق على تقسيمه إلى تعزيز إيجابي ، وتعزيز سلبي ، حيث يراد بالأول ما يقابل « الثواب » اتفاقاً ، ويجري الخلاف في المراد بالثاني أي التعزيز السلبي ، الذي يراه أغلب العلماء بمعنى العقاب نفسه ، بغض النظر عن نوعية هذا العقاب . في حين يراه بعض آخر بمعنى « رفع العقاب » بحيث تكون نتيجته مُرضية للفرد كنتيجة قَسيمِهِ أي التعزيز الإيجابي - وقد سبقت الإشارة إلى هذا الخلاف - ولعل حجة الأغلبية هي العُرف السائد في معنى الإيجابية والسلبية ، ثم النظر إلى نتيجة ما سماه الآخرون بالتعزيز السلبي ، وهي إيجابية ، فلم يسموه هم سلبياً .

وأما أصحاب الرأي الثاني فلم ينظروا إلى النتيجة ، وإنما نظروا إلى الإجراء الذي يتم به هذا النوع من التعزيز ، وهو سَلْبُ مثيرات معينة ، وهي الكريهة ، فسمّوه تعزيزاً سلبياً ، بغض النظر عن إيجابية النتيجة فيه .

ولعلهم استندوا أيضاً إلى أن كلمة « العقاب » تُغْني عن مصطلح « تعزيز سلبي » بمعنى العقاب ، ويشير إلى صحة هذا الافتراض أنهم قسموا العقاب كذلك إلى إيجابي وسلبي ، نظراً إلى العملية التي يتم بها العقاب ، وإن اتفقت النتيجة .

وقد يكون هذا مُستساغاً ، لأن التعزيز بمعنى « رفع العقاب » يحتاج إلى ما يُمَيِّزه عن غيره . أو على الأقل يمكن أن يسمى هذا النوع من التعزيز « تعزيزاً سلبي الإجراء » إشارة إلى أنه إيجابي النتائج ، ولأنه يتم بإجراء سلبي « وهو سلب المثيرات الكريهة أو سحبها » .

وتميل النفس إلى هذه التسمية ليَبقىٰ « التعزيز السلبي » المطلق على معنىٰ « العقاب » كما هو العرف . وتميل كذلك إلى تقييد ما سمُّوه بالعقاب السلبي ، بصفة « الإجراء » لأنه يتم بسلب ما لدى الفرد مما هو مرغوب فيه أو بمنعه من حيازته .

وعلى هذا فلا تستخدم هنا كلمة « سلبي » بهذا المعنى إلا مقيدة ، كما لاتطلق كلمتا « التعزيز والعقاب » إلا ويشمل المراد بهما الإيجابي وسلبي الإجراء .

٣ - معايير التمييز بين التشويق والتعزيز عند رصد الآيات موضوع البحث :

وبناءً على مابين التشويق والتعزيز من بعض التداخل يعتمد البحث في التمييز بينهما (عند تصنيف الآيات القرآنية موضوع البحث) على المعايير التالية :

ا- آيات التشويق أو عباراته : (التي تَمَحَّضت للتشويق أو غلب ذلك فيها) :

١ - ما يتقدم فيه المثير المرغوب فيه على القيام بسلوك ما (وهو الأصل) ،

كقوله تعالى : ﴿ وَرَزَقَكم من الطيِّبات لَعلَّكم تَشْكُرون ﴾ . [الأنفال : ٢٦] .

٢ - ما يترتب فيه الأجر أو الثواب على شرط أو طلب ، إلا إذا وُجِدت قرينة على أنه تعزيز ، كأن يكون تعليقاً على حادث أو سلوك حسن . كقوله تعالى : ﴿ لَئِن شَكَرتم لأزيدَنَّكم ﴾ . [إبراهيم : ٧]

٣ - ما جاء يخبر عن أسماء الله الحسنى (أسماء الرحمة) بعد الحث على عمل ما ، ويغلب أن تُختم به الآيات . كقوله تعالى : ﴿ واستَغفروا الله إنَّ الله غَفورٌ رَحيم ﴾ . [البقرة : ١٩٩]

٤ - ماجاء من القصص تمهيداً للأمر بالاقتداء بأهل الخير ، كقوله تعالى : ﴿ أولٰئِك الَّذين هَدىٰ الله فَبِهداهم اقتَدِه ﴾ . [الأنعام : ٩٠] . وما جاء من ذلك مما يبين انتصار أهل الحق على معارضهم بعد طول الصبر على الأذى ، كقوله تعالى : ﴿ ثمَّ ننجي رُسُلَنا والَّذينَ آمَنوا ، كَذٰلك حَقّاً عَلينا نُنْجِ الْمُؤمنين ﴾ . [يونس : ١٠٣] . وكذلك ما كان ثناءً أو ثواباً لهم . . .

٥ - ما جاء نداءً للمسلمين بصفة الإيمان ، أو بإضافتهم إليه تعالى باسم العباد ، كقوله تعالى : ﴿ يا عبادي الَّذين آمَنوا ، إنَّ أَرْضي واسِعة ، فإيّايَ فاعبُدون ﴾ . [العنكبوت : ٥٦] .

٦ - ما جاء على صورة العرض والإغراء ، كقوله تعالى : ﴿ أَلا تُحبّونَ أنْ يَغفرَ الله لَكُم ، والله غَفورٌ رَحيم ﴾ . [النور : ٢٢] . ما لم تقم قرينة على أنه تعزيز .

٧ - ما جاء وصفاً لنعيم الجنة ، أو تصويراً لمواقف أهلها فيها حال تقلبهم في النعيم ، كقوله تعالى : ﴿ وإذا رَأيتَ ثَمَّ رَأيْتَ نَعيماً ومُلْكاً كبيراً . عاليَهُم ثِيابُ سُندُسٍ خُضر . . ﴾ [الإنسان : ٢٠]

ب - آيات التعزيز أو عباراته : (التي تَمحَّضت للتعزيز أو غلب ذلك فيها) :

١ - ما يتأخر فيه الْمثير المرغوب فيه (الأجر أو الثواب) عن القيام بالسلوك (وهو الأصل) . كقوله تعالى : ﴿ لَقَد رَضيَ الله عن الْمؤمنين إذ يُبايعونَك تَحتَ الشَّجرة ﴾ [الفتح : ١٨] .

٢ - ما جاء على صورة إخبار وثناء على من يقوم بسلوك معين ، أو من يتصف بصفة ما ، كقوله تعالى : ﴿ إنَّ الله يُحبُّ الَّذين يُقاتِلون في سَبيله صَفّاً كأنَّهم بُنيانٌ مَرصوص ﴾ [الصف : ٤] .

٣ - مايترتب فيه الأجر والثواب على ما يتضمن معنى الشرط ، لكن بصورة إخبار لتحقق السلوك المرغوب فيه من بعض الأفراد بشكل واضح أو ملموس ، كقوله تعالى : ﴿ والَّذين جاهَدوا فينا لَنَهدينَّهم سُبُلَنا ، وإنَّ الله لَمعَ الُمحسِنين ﴾ . [العنكبوت : ٦٩] .

٤ - ما جاء على صورة مبدأ ثابت ، مرتبطاً بصفة أو سلوك معين ، ويغلب أن يأتي تأكيداً لما قبله من معنى التعزيز ، بحيث تختم به الآيات في معظم الأحيان ، كما في الآية السابقة ، حيث ختمت بما يؤكد مضمون ماقبله .

٥ - ما جاء على صورة طلب ، تعليقاً على عمل تم القيام به ، كعرض الَمدَدِ على المجاهدين أثناء القتال ، كقوله تعالى يوم بدر : ﴿ أَلَنْ يَكفيَكم أن يُمِدَّكم رَبُّكم بِثلاثة آلافٍ من الملائِكَة مُنزَلين ﴾ . [آل عمران : ١٢٤] .

٦ - ما جاء تعقيباً على قصة عن أهل الخير ، بصورة مبدأ ثابت لإثابة المحسن ، كقوله تعالى : ﴿ سلامٌ علَى موسى وهارون. إنّا كَذلِكَ نَجزي الُمحسِنين ﴾ . [الصافات : ١٢٠-١٢١] .

٧ - ما جاء جواباً يؤيد الحق وأهله ، ويرد على اعتراض المعترضين . كقوله تعالى : ﴿ قُل الله أعبُدُ مُخلصاً له ديني * فاعبُدوا ما شِئْتُم من دونه . . ﴾ . [الزمر : ١٤-١٥]

ج- آيات التحذير والعقاب أو عباراتها :

ما ورد في التمييز بين التشويق والتعزيز ، يرد بالمقابل في التمييز بين التحذير أو التنفير والعقاب ، إذ التداخل بين هذين الأخيرين قد لا يقل عن تداخل ضديها : التشويق والتعزيز ، ولا سيما أن آيات التشويق والتعزيز لا تأتي خلواً من التحذير بالعقاب بشكل يمكن وصفه بالاطِّراد - كما سيتضح فيما بعد - عند الحديث عن منهج القرآن الكريم التربوي .

٤ - معيار الأهداف والغايات :

ولاستخراج القيم والغايات الأساسية التي يبدو أن القرآن الكريم يسعى إلى تحقيقها بتربيته . . يستأنس بما ورد في ذلك من قرائن ، أهمها :

١ - التعليل (لام التعليل ، كي ، لعل . .)

٢ - ترتيب الفوز بالجنة على سلوك أو صفة معينة .

٣ - استحقاق محبة الله أو رحمته أو جواره بسلوك أو صفة معينة .

٤ - طلب أهل الإيمان وتمنيهم أن يكونوا من أهل صفة يخصها القرآن الكريم

بالذكر والثناء .

هذا ومما يتطلبه البحث العلمي بيان منهجه وأدواته - بل هو أولى بالاهتمام من تحديد المصطلحات - لما فيه من الحيلولة دون العشوائية في سير البحث في كل مرحلة من مراحله ، وذلك ما يتناوله - بإيجاز - ختام هذا الفصل .

رابعاً - منهج البحث وأدواته :

اقتضت طبيعة الموضوع أن يسير البحث فيه على اتجاهين : أحدهما نظري (وصفي تحليلي) ، والآخر إحصائي . أما الأول فيضم القسم التمهيدي - بما فيه عرض دوافع البحث وتحديد الأطر النظرية له - مما سبق الحديث عنه . . ثم استعراض نماذج من الدراسات السابقة وطرح جملة من آراء علماء التربية وعلم النفس من العرب والمسلمين وغيرهم في استخدام الثواب والعقاب في التربية وضبط السلوك ، مع شيء من المناقشة عند الحاجة ، ومع الإشارة إلى ما يحتمل أن يكون سبباً لما وقع بينهم من خلاف ، أو مصدراً للسلبيات التي حملت بعضهم على اقتراح بدائل عن هذه الأساليب أو عن العقاب بصورة خاصة - وهذا هو الجانب الوصفي من الاتجاه النظري المشار إليه .

كما يضم هذا الاتجاه النظري الدراسة التحليلية لآيات الترغيب والترهيب بدءاً من الإشارة إلى محتوى القرآن الكريم : سُوَره ، آياته ، مواضيعه ، ثم نظرته إلى الإنسان - موضوع التربية - لينطلق البحث من هذه النظرة إلى تحديد الأهداف البارزة التي رسمها القرآن الكريم لذلك الإنسان في حياته والغاية البعيدة منها - ومروراً بتحديد الوسائل والأساليب التربوية التي اتخذها القرآن الكريم لتحقيق هذه الأهداف ، مولياً العناية ببيان مسوغات توافر هذه الأساليب فيه ، ومنوهاً عن أن من هذه المسوغات احترامه لحرية الإنسان وكرامته ، وتركيزه على تربية الضمير والوازع الديني ، ثم مراعاة الفطرة في السعي إلى ما فيه السرور والرضا والفرار مما فيه الضيق والانزعاج .

وكذلك عني البحث فيه ببيان أنواع هذه الأساليب القرآنية مقارنة مع أساليب الضبط المعاصرة ، مُركزاً على ما فيها من الخصائص والمزايا التي يُضفيها منهجه التربوي - وما يرتكز عليه هذا المنهج من أسس تربوية ومبادئ نفسية تحد من السلبيات المحتملة من استخدام الترغيب والترهيب . وتبين أن منهجه في ذلك يعتمد على الجمع بين العقل والعاطفة ، والاعتدال في استخدام عناصر الترغيب والترهيب مع الاستفادة من الماضي السحيق ومن المصير المستقبلي . . - وهذا هو آخر الجانب التحليلي من الاتجاه النظري .

وأما الاتجاه الثاني - الإحصائي ، فقد عُني باستقصاء الآيات موضوع البحث ، حيث تم رصد السور القرآنية وجرد الآيات التي يكون فيها الترغيب والترهيب واضحين ، بناءً على المعايير التي حددت سابقاً . وبمعنى آخر تم في الاتجاه النظري القيام بالمهام الأساسية التالية :

١ - استخراج أبرز القيم والأهداف التي يرمي إليها القرآن الكريم بتربيته ، بما في ذلك أسمى الغايات التي يسعى للوصول بالإنسان إليها - مع الإشارة إلى محتوى القرآن الكريم ومواضيعه ، ونظرته إلى الإنسان (محور التربية) ، و إلى الهدف الأساسي من التربية : الوضعية والإسلامية ، ثم الإشارة إلى نظم القرآن الكريم وأسلوبه البياني باعتبارهما من مظاهر التشويق فيه .

٢ - الوسائل التي اتخذها القرآن الكريم - بعد النظم والأسلوب - لتحقيق هذه الأهداف وتلك الغايات ، ثم الأساليب التي سلكها لضبط السلوك ، وذلك لتحديد ما إذا كان من بينها أساليب « التشويق والتعزيز والعقاب » . مع التعرض لبيان الترغيب والترهيب الواردة فيه - من حيث اختلافها أو اتفاقها مع المفهوم المعاصر لأساليب ضبط السلوك .

كما تم في هذه المناسبة إيجاز المنهج التربوي الذي اعتمده القرآن الكريم في استخدام هذه الأساليب ، مع الإشارة إلى المزايا التي يتميز بها هذا المنهج ، وذلك بعد :

٣ - تحليل نماذج من الآيات موضوع البحث ، وضرب أمثلة تطبيقية من استجابات المسلمين للتربية القرآنية ، مع الإشارة إلى أهم الركائز التي يستند إليها الترغيب والترهيب في القرآن الكريم لإبراز وجه من أوجُه فعالية هذه الأساليب القرآنية في النفس الإنسانية ، ومدى احترامها لحرية الإنسان وكرامته .

وأما الجانب الثاني من البحث فيعالج القسم الإحصائي والأخير ، وأهم ما فيه :

١ - المعالجات الإحصائية التي تعنى برصد السور والآيات - موضوع البحث .

٢ - تحليل نتائج البحث وتفسيرها .

٣ - طرح المقترحات والتوصيات المستوحاة من النتائج . وذلك وفقاً للمنهج التالي :

- البدء بقراءة القرآن الكريم - قراءة عامة وشاملة ، تمَّ بها تصور حجم الآيات التي ستكون موضوع الدراسة والإحصاء . . ثم تعرف ما قد يكون فيها من صعوبات ينبغي أخذها في الحسبان ، في ضوء الإمكانات المتاحة وما تقتضيه ضرورة تحقيق أهداف البحث .

- وكان المجتمع الإحصائي للبحث هو مجموع الآيات التي يظهر فيها عنصر التشويق والتعزيز والعقاب - أو الترغيب والترهيب - بصورة واضحة ، والتي يتم جردها وتصنيفها

وفقاً للمعايير السابق ذكرها .

- وأما أهم وسيلة لجمع المعلومات من القرآن الكريم فكان « الاستقـراء » . وذلك عن طريق قراءته قراءة تتبعية تستقصي آياته الواحدة تلو الأخرى ، يتم بها تسجيل الآيات موضوع البحث ، على بطاقات معدة لهـذا الخصوص ، بحيث تمثل هذه الآيات المسجلة المواد الخام للبحث .

وأما الوسيلة الثانية فهي قواميس ألفاظ القرآن الكريم ، التي استخدمت لمعرفة عدد مرات تكرر بعض الآيات والمفاهيم التي تحتاج إلى ذلك . مع الاستعانة بجداول توضح النسب التكرارية لتلك الآيات أو المفاهيم .

- عملية رصد الآيات موضوع البحث من السُّوَر :

وتمت عملية جرد الآيات والعبارات . . التي تحتوي على « التشويق والتعزيز والتحذير أو التنفير والعقاب » ، وتسجيلها وفقاً لتسلسلها في المصحف الشريف ، مصنفة بجداول ، لإحصاء عدد هذه الآيات والعبارات - موضوع البحث ، وبيان نسبتها إلى مجمل آيات القرآن الكريم وكذلك بيان ما فيها من تنوع لأساليب الترغيب والترهيب من حيث عدد العبارات والمفاهيم الأساسية ، أي المفاهيم التي تُشعر بالرحمة أو العذاب ، بالثواب أو العقاب .

ولما كان من المحتمل أن تتضمن تلك الآيات عبارات ومفاهيم للترغيب والترهيب بصورة قد يصعب فيها تصنيف الآيات نفسها إلى فئات مستقلة للتشويق والتعزيز والعقاب ، اقتضى ذلك اعتماد هذه العبارات والمفاهيم في التصنيف ، بحيث يتم ذلك في أربع طوائف تضمها مجموعتان أساسيتان ، هما :

- مجموعة عبارات التشويق والتعزيز (الترغيب) ومفاهيمها ، أو التي يغلب ذلك فيها : طائفة للتشويق ، وأخرى للتعزيز .

- مجموعة عبارات التحذير أو التنفير والعقاب (الترهيب) ، ومفاهيمها ، أو التي يغلب ذلك فيها : طائفة للتحذير ، وأخرى للعقاب . وبمعنى أوضح :

تقسم جداول الرصد إلى أربعة حقول رئيسية ، يسبقها فراغ لتسجيل الآيات والعبارات موضوع البحث - مع الإشارة إلى أرقامها هي وسورها .

١ - أما الحقل الأول فله شعبتان : الأولى لتسجيل الآيات التي تتضمن الترغيب والترهيب ، والشعبة الثانية لتسجيل عدد العبارات والمفاهيم المعنية إجمالاً .

٢ - والحقل الثاني لتسجيل عدد عبارات « الترغيب » وله شعبتان كذلك : الأولى لعبارات « التشويق » ، والثانية لعبارات « التعزيز » .

٣ - والحقل الثالث لتسجيل عدد عبارات « الترهيب » وله شعبتان أيضاً : الأولى لعبارات « التحذير والتنفير » ، والثانية لعبارات « العقاب » ومنه الوعيد .

وأما الحقل الأخير فلتسجيل بيانات أخرى ، فأول شعبة له لتسجيل عبارات « الفوري » من التعزيز والعقاب ، والثانية لتسجيل عبارات الترغيب والترهيب عن طريق « القصص » . وأما الشعبة الثالثة منه فلتسجيل عبارات الترغيب والترهيب عن طريق « تصوير المشاهد ووصف الأحوال » التي تحدث عند الموت وبعده في الموقف وفي الجنة والنار ، مضافاً إلى ذلك ما جاء عن طريق ضرب الأمثال لمضاعفة الأجر والثواب/أو لفداحة الخسارة والندم .

- هذا ولتسهيل معرفة ذلك بصورة تفصيلية يتم إحصاؤه سورة سورة ، إلا في السور القصار التي يمكن جمع عدد منها والاكتفاء بحساب ما فيها في آخر سورة منها ، حداً من التطويل المفرط .

- صعوبات عملية رصد الآيات من السور :

وفي ضوء الدراسة الأولية السابقة تبين أن الآيات التي تحتوي على « التشويق والتعزيز والعقاب » بأنواعها المختلفة قد تكون نسبتها الإجمالية عالية ، وتتمثل هذه الآيات في مجموعات يمكن إجمالها في طائفتين هما :

١ - طائفة تتضمن ما هو صريح من « التشويق والتعزيز ، أو التحذير والعقاب » بكلمات أوعبارات أو مبادىء وقواعد . . وقد يكون بوصف نعيم الجنة وأحوال أهلها ، أو بوصف عذاب النار وأهوالها .

٢ - طائفة من المجموعات السابقة الذكر ، إلا أنها غير موجهة مباشرة إلى هذه الأمة ، وإنما إيحاءً عن طريق القصص ، مما يبين عاقبة كل من أهْلِ الصلاح ، وأهْلِ الفساد ، تبشيراً بانتصار الحق على الباطل بصورة غير مباشرة .

ولما كان من أهم أهداف هذا البحث معرفة مدى شيوع أساليب ضبط السلوك في آيات القرآن الكريم ونسبتها الإجمالية ، ثم معدل توزيعها فيه . . تبين أن من المستحسن أن تشمل عملية الرصد والتصنيف كل المجموعات المشار إليها ، لتكون العملية الإحصائية صادقة في تعبيرها عن النسب والمعدلات قدر الإمكان .

إلا أن ذلك لا يعني إحصاء كل ما في القرآن الكريم من معاني « الترغيب والترهيب » ، وإنما يركز البحث على ما هو صريح من الآيات والعبارات والمفاهيم التي تتضمن هذه الأساليب ، لأن استقصاء ذلك قد يخرج عن حدود البحث ، إذ لا تكاد تخلو

آية من آيات القرآن الكريم من الترغيب أو الترهيب ، عبارة أوإشارة ، صراحة أو ضمنا .

هذا ومن الضروري في هذه المناسبة الإشارة إلى أنه كان ثمة بعض إشكالات اعترضت هذه العملية ، ودعت إلى اختيار طريقة معينة دون غيرها ، لأجل الوصول إلى أكبر عدد ممكن من الفوائد الإحصائية . وفيما يلي إجمال لهذه الإشكالات :

١ - قد يصعب بعض الشيء تصنيف آيات « التشويق والتعزيز ، والتحذير والعقاب » كلًا على حدة ، بسبب تداخل هذه الأساليب في الآيات ، واقتران بعضها ببعض ، حتى إنها قد تجتمع أحياناً في آية واحدة ، مما يجعل فرز كل نوع على حدة يذهب بجمال المعاني ، ويفقدها دلالتها التربوية - أساس البحث .

٢ - أن بعض العبارات صارت صالحة للترغيب والترهيب بحكم موقعها في الآية ، لا من حيث هي صالحة لذلك في الأصل . مما يجعل انتزاعها من موقعها يعيدها إلى معناها الأصلي ، ويجردها من المعنى المكتسب الذي هو الأهم .

٣ - أن تصنيف كل فئة على حدة يحول دون معرفة نسبة شيوع هذه الأساليب في كل سورة من سور القرآن الكريم مثلاً ، أو معرفة توزيعها فيه من حيث المكي والمدني . وهو مما يعنى به هذا البحث ، لما فيه من دلالة تربوية قد تعطي فكرة أو صورة صحيحة إلى حد ما لاستخدام هذه الأساليب في ضبط السلوك حسب الأحوال والظروف . ذلك أن السور القرآنية في معظمها كانت تتنزل بمناسبات مختلفة ، لتتجاوب مع تلك المناسبات وما يحيط بها من ظروف وملابسات . ثم تبقى الآيات لمرونتها صالحة لحل مشكلات المستقبل .

هذا ومعرفة نوعية ما في كل من المكي والمدني من أساليب لضبط السلوك مهم جداً ، حيث يمكن أن يعطي ذلك أصلاً تربوياً فيما ينبغي استخدامه في مختلف مراحل النمو النفسي والاجتماعي .

٤ - أن تتبع الآيات أو رصدها حسب تسلسل السور يشغل حيزاً كبيراً من البحث ، لضرورة كتابة كل آية أو عبارة تهم البحث ، بغض النظر عن كون ذلك قد تكرر مرتين أو عدة مرات . بل قد يكون بعضه متكرراً بنسبة عالية .

ومع ذلك يبدو أن من الأحسن تحمل هذه المهمة الأخيرة ، حرصاً على الفوائد المشار إليها ، والتي قد تفقد بالاختصار أو التصنيف الإفرادي ،مع السعي قدر الإمكان لتقليص ما يشغله الإحصاء من الصفحات ، وذلك باتباع الطريقة التالية :

١ - عدم إعادة كتابة العبارات التي تتكرر أكثر من مرتين في السورة الواحدة ، اكتفاءً بكتابة العبارة مرة مع الإشارة إلى عدد تكراراتها في السورة ، لأن مثل هذا الاختصار لا يخل

بفائدة كبيرة .

٢ - التغاضي عن فرز الإيجابي عن سلبي الإجراء من الترغيب والترهيب ، وذلك لاتحادهما أي الإيجابي وسلبي الإجراء في النتيجة ، ولسهولة تبين ذلك في العبارات نفسها - ولعل مثل هذا الفرز الدقيق يكون في دراسة قادمة .

٣ - الاختصار على اعتبار النداء تشويقاً في أربع صيغ فقط ، هي :

« يا أيها الذين آمنوا - يا عبادي - ياأيها النبي ، أو ياأيها الرسول - ياأولي الألباب » لما في هذه النداءات من معاني التحبب والتشريف ، وبصورة واضحة . وعدم اعتبار النداء تنفيراً إلا في أربع صيغ - هي النداء بنسبة : « الجهل - الضلال - الإجرام - الكفر » إلى المنادىٰ - لما في ذلك من ذم وتقريع . أما مثل : « يا قوم - يا أهل الكتاب - يا بني إسرائيل - يا بني آدم - يا أيها الناس » فإن هذه غير واضحة في التشويق أو التنفير ، لغلبة معنى العموم فيها .

٤ - عدم اعتبار كلمة « قل » في عملية الرصد ، وإن كانت صالحة للتعزيز . وكذلك « البسملة » وإن كانت من وسائل التشويق لإشعارها بالرحمة ، حتى صارت شعاراً لكل السور .

٥ - التغاضي عما يقع بين الطغاة وأقوامهم ، كتهديد فرعون للسحرة ، وتوعده لبني إسرائيل . . اكتفاءً بما يصدر عن الله موجهاً إلى خلقه ، وما يصدر عن رسول أو نبي ، أو عمن ناب عنهم في الهداية والإرشاد . . من دعاة الخير والمصلحين .

٦ - الاختصار على ما هو ضروري لبيان محل الشاهد من الآيات والعبارات - مع الإشارة إلى السلوك - موضوع التشويق أو التعزيز . . عند الحاجة .

وبعد رصد الآيات موضوع البحث من السور القرآنية ، وتقسيمها من حيث عدد العبارات والمفاهيم إلى فئات معينة ، يتم بيان مجموع تلك الآيات إلى إجمالي الآيات القرآنية ، ونسبة توزيعها في القرآن الكريم بصورة عامة ، وفي المكي والمدني بصورة خاصة . ثم نسبة عبارات التشويق والتعزيز ومفاهيمها إلى عبارات التحذير والعقاب ومفاهيمها ، ونسبة المكي منها إلى المدني . وذلك عن طريق جداول معينة - مع اختبار المصداقية .

وبعد هذه المعالجات الإحصائية يأتي استخلاص النتائج وتحليلها مع التفسير ، والإشارة إلى مدى الاعتدال والتوازن فيها ، وما فيها من المرونة والشمول والموضوعية . وذلك للتنويه عما في التربية القرآنية من قابلية التطبيق في الوقت المعاصر على الخصوص . ثم يختتم البحث بطرح المقترحات والتوصيات المستلهمة من هذه النتائج ، أو من أهمها .

وبهذا انتهى الفصل الأول . ولعل من الضروري قبل الشروع في لب موضوع البحث النظر فيما قام به الآخرون أوقدموه من الدراسة حوله . لتحديد موضع القدم أو الخطوة التي يخطوها هذا البحث ، إما قُدُماً إذا توافرت المسوغات ، وإما عُدولاً إلى موضوع آخر إذا احتاج الأمر إلى ذلك . وهذا ما سيتم التأكد منه في الفصل التالي ، والذي سيتناول عدداً من الدراسات التي دارت حول ضبط السلوك بالترغيب والترهيب ، أو التشويق والتعزيز والعقاب ، عن طريق عرض نماذج من الكتب التي كان موضوعها « التربية الإسلامية » مما قد تعرض لشيء من موضوع هذا البحث - ولاسيما الكتب التي خصت القرآن الكريم بالدراسة من الناحية التربوية . ثم يختم الفصل باستعراض جملة من آراء العلماء حول هدف التربية .

* * * * *

الفصل الثاني

الدراسات السابقة

التمهيـــد:

سبقت الإشارة إلى أن اهتمام القدماء من علماء العرب والمسلمين كان يَنصبُّ أساساً على دراسة القرآن الكريم من النواحي اللغوية والتشريعية على اختلاف فروعها ومجالاتها.

أما تعرضهم للنواحي التربوية فيه فكان قليلاً نسبياً، إذ لم يأت ذلك بصورة مقصودة أوبشكل منظم يُمَكن الباحث من الرجوع إليه بسهولة.

وأنهم مع ذلك لم يهملوا هذا الجانب كلياً، فقد بحث عدد منهم في مجال التربية وضبط السلوك بعناوين مختلفة، إلا أن بحثهم كان في غير القرآن الكريم، كالمنذري والنووي.

وأن أول من ألف في التربية الإسلامية هو محمد بن سحنون المالكي، الذي وضع منهاجاً للتعليم سماه: «آداب المعلمين».

هذا وممن كتبوا في التربية بعده عدد من علماء المسلمين، كابن خلدون الذي خص فصلاً من مقدمته لضبط السلوك[1] وكذلك الإمام الغزالي الذي خص التربية بالبحث بمثل رسالته «أيها الولد»، وتعرض للموضوع ضمن كتاباته العامة، كما صنع في «الإحياء». وقد حقق الأستاذ محمد عبد الغفور عطار عدة رسائل لكل من: «إخوان الصفا، والغزالي، ونصير الدين الطوسي، وابن جماعة، وابن خلدون، وابن حجر الهيثمي»، فجمعها كلها في مجلد واحد بعنوان «آداب المتعلمين»، وقد تعرض كل من هؤلاء لمسألة «الثواب والعقاب» في التربية وضبط السلوك. وممن بحث في التربية كذلك برهان الدين الزرنوجي، فقد أعد كتاباً جمع فيه بين آداب المعلم والمتعلم، وسماه: «تعليم المتعلم طريق التعلم».

وبهذا يتبين أن القدماء اهتموا بموضوع التربية إلى حد ما، إلا أن ذلك لم يتناول القرآن الكريم بصورة مركزة.

كما تقدم التنويه عن أن من المعاصرين من قام بدراسات مختلفة حول التربية الإسلامية وأصولها، مثل النحلاوي، والهاشمي، وأن بعضهم تعرض للثواب والعقاب في التربية كالقرشي، والأستاذ سمك. كما تناول بعضهم القرآن الكريم نفسه، فدرسه دراسة

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص٥٤٠-٥٤١

تربوية عن طريق تحليل المحتوى (وإن لم يصرح بذلك) كالدكتور البوطي ، والأستاذ شديد . مما يعتبر فاتحة عهد جديد ، ولو منهجياً ، في دراسة القرآن الكريم ، ويعد في الوقت نفسه بادرة خير ، ومنطلقاً للباحثين المعاصرين .

ولعل من الضروري عرض نماذج لكل من هذه الدراسات القديمة والحديثة .

أولاً - نماذج من دراسات القدماء :

من الدراسات التي تعرضت للتربية الإسلامية - بالإضافة إلى ما سبق ذكره آنفاً - ما قام به عدد من علماء البلاغة ، الذين بحثوا في القرآن الكريم من حيث الأسلوب البياني والنظم والإعجاز ، مما يبين تأثيره النفسي (دون أن يكون الهدف بيان ذلك التأثير تربوياً) وإنما بهدف الإقناع بالبرهان على نزول القرآن الكريم من الله تعالى ، كما فعل الجاحظ (ت٢٥٥هـ) في كتابه « نظم القرآن » ، والباقلاني (ت ٤٠٣هـ) في كتابه « إعجاز القرآن » ، والجرجاني (ت ٤٧١هـ) في كتابه « دلائل الإعجاز » .

كما تشير كتب التفسير المختلفة من حين لآخر إلى جوانب تربوية في القرآن الكريم ، ولكن يهدف المفسرون عادة إلى بيان معاني القرآن الكريم حسب ترتيبه ، مع بيان أصول الأحكام الشرعية فيه ، ويتعرضون لمختلف العلوم التي يشير إليها القرآن الكريم ، لابخصوص نوع معين منها ، مما يجعل استخراج أساليب التشويق والتعزيز من كتب التفسير ممكناً ، ولكنه قد يحتاج إلى كثير من الوقت والتفرغ ، لتناثر هذه المعلومات فيها أو تشتتها ، حتى إنهم قد يذكرون ملاحظاتهم التربوية في مناسبات غير متوقعة جَرَّ إليها طول النَّفَس من الكلام . هذا بالإضافة إلى اختلاف المصطلحات التي كانوا يستخدمونها . ومن المفسرين المتأخرين من يكثر استعمال عبارة « استجاشة المشاعر والعواطف »[1] .

ولهذا يمكن طرح عدة نماذج من الكتب التي جمعت هذه المعلومات تحت عناوين قريبة المتناول نسبياً ، والتي يمكن إخضاعها للمصطلحات المعاصرة ، مقسماً هذه النماذج إلى قسمين: أحدهما ما بحث في السنَّة ، والآخر مابحث في التربية الإسلامية بشكل عام .

آ - من السنة النبوية :

قد يكفي من السنَّة اختيار كتابين تناولا أحاديث الترغيب والترهيب ، أحدهما بهذا العنوان نفسه « الترغيب والترهيب » للإمام المنذري ، والثاني بعنوان « رياض الصالحين »

---

(١) كما هي الحال في فاتحة سورة النساء ٤/١-١١ لسيد قطب، في ظلال القرآن ٤/٧٧-٧٨.

للإمام النووي ، ولعلهما يُغْنيان البحث عن غيرهما من كتب السنَّة الشريفة .

١ - الترغيب والترهيب:

ومؤلفه هو: الإمام زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري الشامي (٥٨١ - ٦٥٦هـ) . ويقع كتابه في أربعة مجلدات متوسطة الحجم ، ويحوي من الأحاديث ما لايقل عن (٥٥٩٨) حديثاً ، في (٢٤) كتاباً (قسماً) ومقدمة ، يَستعمل في العناوين البارزة عبارة: « الترغيب في كذا ، أو الترهيب من كذا » . ثم يذكر أحاديث الباب مرقومة (دون أن يلتزم رقم التسلسل الإجمالي لأحاديث الكتاب) .

ولم يهتم المؤلف بشرح الأحاديث ، ولا بما فيها من النواحي التربوية ، وإنما كان تعليقه عليها قليلاً إلا من حيث السند ، فكان ينبه إلى درجة صحة كل حديث تقريباً . إلا أن باحثاً آخر هو « مصطفى محمد عمارة » قام بضبط ألفاظ الكتاب والتعليق عليه ، حيث يورد من الآيات والأحاديث ما يناسب الباب مما لم يذكره المؤلف ، مشيراً إلى فقه الباب التشريعي والتربوي أحياناً .

وقد بين المؤلف سبب تأليف الكتاب ، ومنهجه فيه ، ونوع ما اختار من الأحاديث ، قائلاً ما ملخصه: « سألني بعض الطلبة أولي الهمم العالية أن أملي كتاباً جامعاً في الترغيب والترهيب . . فاستخرت الله تعالى ، وأسعفته بطلبته . . وأمليت عليه هذا الكتاب مقتصراً على ما ورد صريحاً في الترغيب والترهيب . . فأذكر الحديث ثم أعزوه إلى من رواه من الأئمة أصحاب الكتب المشهورة . . ثم أشير إلى صحة إسناده أوحسنه أوضعفه . . إن لم يكن من عزوته إليه ممن التزم إخراج الصحيح »[1] .

ثم عدَّد المؤلف المصادر التي استقى منها أحاديث كتابه . وتبلغ هذه المصادر (١٩) كتاباً ، صرح باستيعابه ما فيها من الترغيب والترهيب[2] .

ومما دعاني إلى اعتماد هذا الكتاب أساساً كونه جامعاً لكثير مما تفرق في كتب السنَّة مما قد يخدم هذا البحث ، فقد يغني عن غيره في هذا الموضوع . إلا أنه يبدو من المفيد زيادة كتاب آخر هو: « رياض الصالحين » للنووي ، لما فيه من فوائد أخرى في المنهج والأسلوب ، وزيادة للتوثيق .

---

(١) الترغيب والترهيب: المنذري، الإمام زكي الدين عبد العظيم، ١/٣٥-٣٨.
(٢) المرجع السابق: ١/٣٧.

٢ - رياض الصالحين:

ومؤلفه هو الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (٦٣١ - ٦٧٦هـ) . ويقع كتابه في مجلد واحد متوسط الحجم (٥٣٠ ص) جمع فيه المؤلف من الأحاديث النبوية (١٨٩٦) حديثاً (بالضبط بعده وترقيمه هو) وذلك في (٣٧٢) باباً .

ومواضيع الأحاديث التي اختارها تشبه كثيراً ما اختاره المنذري ، وقد صرح بأنه يجمع منها مايكون جامعاً للترغيب والترهيب . . إلا أنه لايضع العناوين بهذا الاصطلاح ، وإنما يضعها مشيراً إلى الحكم الشرعي الذي تدور عليه أحاديث الباب .

وبيَّن المؤلف كسابقه سبب تأليفه الكتاب ، ومنهجه فيه ، ونوع الأحاديث التي جمعها ، بعد أن أورد آيات وأحاديث تحث على الخير وتُرغب في الدلالة عليه ، فقال: « فرأيت أن أجمع الأحاديث الصحيحة . . جامعاً للترغيب والترهيب وسائر آداب السالكين . . وألتزم فيه أن لا أذكر إلا حديثاً صحيحاً من الواضحات مضافاً إلى الكتب الصحيحة المشهورات ، وأُصَدر الأبواب من القرآن العزيز بآيات كريمات ، وأوشح ما يحتاج إلى ضبط أوشرح معنى خفي بنفائس من التنبيهات ، وإذا قلت في آخر الحديث: (متفق عليه) فمعناه: رواه البخاري ومسلم »(١) .

مقارنة بين كتاب المنذري وكتاب النووي:

يتفق المؤلفان في التزام ما هو صريح أو واضح في الترغيب والترهيب ، إلا أن النووي يختلف عن الآخر في وجوه ، من أهمها مايلي:

١ - أن النووي لم يورد في كتابه إلا ماثبتت صحته من الأحاديث . ويغلب أن يكون من صحيحي « البخاري ومسلم » ، ويعبر عنه بعبارة « متفق عليه » .

٢ - أنه نتيجة التزامه الصحيح لايعلق على الأحاديث من حيث السند .

٣ - أنه يتحدث عن الأحاديث على صورة بيان الحكم الشرعي في الموضوع ، لا على

---

(١) رياض الصالحين: النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف ص٤-٥.

صورة الترغيب والترهيب .

٤ - أنه يُصَدِّر أبواب الكتاب (في كثير منها) بآيات قرآنية تعزز الموضوع . وجدير بالذكر أن أغلب هذه الآيات التي صدر بها أبواب الكتاب هي من آيات موضوع البحث ، فقد تتبعتها فوجدتها لاتقل عن (٥٦٩) آية - بغض النظر عن تكرر بعض منها . كما تبين أن المؤلف صدر بالآيات حوالي نصف الأبواب ، لا كلها كما تُوهِم عبارته - إلا أن الأبواب التي لم يصدرها بالآيات أغلبها قصيرة ، وأكثرها في النصف الثاني من كتابه .

٥ - أن السبب المباشر لتأليفه الكتاب كان استجابة لآيات وأحاديث ترغب في التعاون على البر ، وفي عمل الخير والدلالة عليه - وهذا يشير إلى فعالية الترغيب والترهيب . بينما السبب المباشر لدى المنذري كان استجابة لطلب أحد تلامذته .

٦ - أن كتابه أوثق من كتاب المنذري ، لالتزامه الصحيح دون غيره من الأحاديث . إلا أن كتاب المنذري أجمع وأشمل لأحاديث الموضوع ، وإن كان يورد من الأحاديث مادون الصحيح - مادام يعقب ذلك حيثما ورد ببيان أو إشارة . ثم إن التزام المنذري لمصطلحي : « الترغيب والترهيب » عنواناً للكتاب ثم لكل باب من أبوابه ، يشوق المربي أو الباحث إلى الاطلاع عليه .

ب - بعض الكتب التي بحثت في التربية الإسلامية :

سبقت الإشارة إلى أن من القدماء من عني بالتربية الإسلامية ، وعالج فكرة « الثواب والعقاب » ولو بصورة غير مستقلة ، مثل ابن سحنون ، وابن حجر الهيثمي ، والغزالي ، وابن خلدون ، وغيرهم . وفيما يلي توضيح شيء من ذلك .

١ - محمد بن سحنون :

وهو أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد سحنون . . التنوخي القيرواني المالكي (٢٠٢-٢٥٦هـ) . ويرى الأستاذ عبد الرحمن عثمان حجازي أن ابن سحنون يعد رائد التأليف التربوي الإسلامي حيث وضع برنامجاً تربوياً سماه : « آداب المعلمين » .

وقد أعد الأستاذ حجازي بحثاً مستقلاً في خصوص التربية عند ابن سحنون ، بعنوان : « المذهب التربوي عند ابن سحنون ، رائد التأليف التربوي الإسلامي » . مشيراً إلى أنه أي ابن سحنون لم يُسبق إلى وضع مثل كتابه المشار إليه .

وصغر حجم الكتاب لايقلل من أهميته ، باعتباره خطوة من الخطوات الأولية في هذا المجال .

هذا وقد أفاد الأستاذ حجازي بأن ابن سحنون كان متشدداً في منع العقاب في التربية ، كما هو الشأن عند والده سحنون ، الذي طلب من معلم ولده محمد نفسه « أن لايؤدبه إلا بالمدح ولطيف الكلام . . محذراً إياه من أن يؤدبه بالضرب والتعنيف »[1] .

٢ - الإمام الغزالي :

وقد عالج الإمام أبو حامد الغزالي فكرة « الثواب والعقاب » في كتابه المعروف : « إحياء علوم الدين » في المجلد الثالث[2] ، مشيراً إلى أثر كل منهما في نفس المتعلم وسلوكه ، وناصحاً بعدم استخدام العقاب إلا لضرورة ، وبصورة متدرجة .

كما أن رسالته « أيها الولد » التي بعثها إلى تلميذه ، تعد بادرة تربوية تُعنىٰ بأصول التعليم وآداب المتعلم .

كما قام عدد من الباحثين المعاصرين بدراسة كتب الغزالي ، واستنتجوا منها فلسفته التربوية - كما سيتم التعرض له فيما بعد .

ورسالته « أيها الولد » هي من عداد الرسائل التربوية التي جمعها الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ، في مجلد واحد ، بعنوان « آداب المتعلمين » . وهو عنوان لرسالة نصير الدين الطوسي . عولجت في الكتاب فكرة « الثواب والعقاب »[3] مع الإشارة إلى أضرار العقاب في النفس ، ومقدار ما يجوز منه ، ومتى يجوز ذلك .

٣ - ابن خلدون :

أما ابن خلدون فقد خص بمجال التربية عدداً من فصول مقدمته[4] ، عالج فيها الفكرة التربوية ، مبيناً وجه الصواب في تعليم العلوم وطريقة إفادته أي التعليم ، ومشيراً إلى اختلاف المذاهب الإسلامية في التعليم بين المشرق والمغرب ، من حيث الطريقة والمنهج ، ولاسيما في تعليم الولدان . .

ثم ركز على بيان أثر الشدة والعقاب على المتعلمين ، مشيراً إلى سلبيات هذا الأثر ، ومنبهاً إلى أهمية الرحلة لطلب العلم ، وأثر لقاء العلماء في زيادة التعلم[5] .

---

(١) المذهب التربوي عند ابن سحنون: حجازي، عبد الرحمن عثمان ص٢٠.
(٢) إحياء علوم الدين: الغزالي ٣/٧٣.
(٣) آداب المتعلمين -تحرير المقال: الهيثمي، ابن حجر ص٣١٦-٣١٨.
(٤) وهي الفصول التالية: ٢٩ -٣٠ -٣١ -٣٢ -٣٣
(٥) مقدمة ابن خلدون ص٥٣٣-٥٤١

٤ - الزرنوجي :

وهو الإمام برهان الدين الزرنوجي ، من علماء القرن السادس الهجري إلى أوائل السابع منه[١] ، وممن ألَّفوا في مجال التربية الإسلامية ، وطرق الاستفادة منها . له كتاب في ذلك سماه : « تعليم المتعلم طريق التعلم » . وقد حققه أخيراً الأستاذ صلاح الدين الخَيَمي بما لايزيد على (١٠٠) صفحة . والكتاب مع صغر حجمه يحوي الكثير من آداب المتعلم ، مصرحاً بأن العملية التربوية تحتاج إلى جهد ثلاثة أطراف : المتعلم - المعلم - الوالد . وأنه إذا تضافرت جهود هؤلاء حققت العملية التربوية ثمارها[٢] .

هذا ومن الجدير بالذكر أن الإمام النووي قد خص حيزاً من مقدمة كتابه « المجموع » ببيان جملة من آداب المعلمين والمتعلمين على حد سواء ، مشيراً إلى أهمية مراعاة الفروق الفردية والتدرج في التعليم[٣] .

وبمجموع هذه الدراسات يلاحظ أن القدماء جمعوا في البحث بين توجيه المعلمين وإرشاد المتعلمين إلى ما هو الأمثل ، دون تحيز لجانب على حساب الآخر . وذلك كله يدور حول بيان الشروط التي يجب توافرها لنجاح العملية التعليمية - التعلمية ، مركزاً على العناية بالعلاقة التي ينبغي أن تكون قائمة بين المعلم والمتعلم ، ونوع الجو الذي ينبغي أن يسود هذه العلاقة والعملية التربوية بكاملها .

إلا أن مصطلحاتهم تحتاج إلى شيء من التبسيط لتتفق مع المفاهيم المعاصرة . وهذا الشيء قد حصل إلى حد ما ، كما سيتضح في مصطلحات الدراسات التي قام بها بعض الباحثين المعاصرين .

ثانياً - نماذج من دراسات المعاصرين :

وهذه الدراسات كسابقتها تنقسم إلى قسمين : أحدهما يبحث في التربية الإسلامية بصورة عامة . إلا أن الثاني يبحث في القرآن الكريم نفسه - لافي السنَّة .

آ - بعض الدراسات التربوية المعاصرة التي بحثت في التربية الإسلامية عموماً :

وممن قاموا بمثل هذه الدراسات كل من الأساتذة : النحلاوي والقرشي وسمك والهاشمي . .

---

(١) كما أشار إليه المحقق: الخيمي، صلاح الدين ص١٧ من الكتاب نفسه.
(٢) تعليم المتعلم طريق التعلم: الزرنوجي، برهان الدين، تحقيق الخيمي، صلاح الدين محمد ص٥٦
(٣) المجموع -شرح المهذب: الإمام النووى ١/ ٣١.

١ - **النحلاوي :**

وهو الأستاذ عبد الرحمن النحلاوي ، وله كتاب في التربية الإسلامية بعنوان : « أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع » طبع عام ١٩٨٣/١٤٠٣ ، وهو متوسط الحجم (٣٠٠ص) ويحوي ستة فصول ، عالج المؤلف فيهاالتربية الإسلامية من جوانب مختلفة منها : أثر القرآن الكريم التربوي في نفس الرسول ﷺ وأصحابه ، مشيراً إلى شخصية الرسول ﷺ نموذجاً تربوياً كاملاً[١] .

كما أشار المؤلف إلى أهمية الإيمان - بجميع أركانه - وأثر ذلك في السلوك الإنساني[٢] ، ولاسيما الإيمان باليوم الآخر ، كما سيتبين لاحقاً . وخص الفصل الأخير من الكتاب ببيان الأساليب التربوية التي يتسم بها الإسلام ، وأفاض في شرح معنى التربية بالحوار القرآني والنبوي . .[٣]

ثم ختم الكتاب بالبحث في « الترغيب والترهيب » مشيراً إلى أهميتها في التربية إذا توافرت شروط الحكمة في استخدامها . . مُعرِّجاً على بيان مميزات الترغيب والترهيب في القرآن والسنّة ، وأسلوبهما في تربية عواطف الخشوع لله تعالى . .[٤]

٢ - **القرشي :**

وهو باقر شريف القرشي . وكتابه : « النظام التربوي في الإسلام » متوسط الحجم في حدود (٣٦٠ص) ، طبع عام ١٩٨٣/١٤٠٣ . عالج المؤلف فيه فكرة الثواب والعقاب في التربية ، مشيراً إلى أثر كل منهما[٥] مع التعرض لكثير مما عالجه النحلاوي ، مثل التربية الفكرية والنفسية في الإسلام[٦] .

٣ - **الأستاذ سمك :**

وهو الأستاذ محمد صالح سمك ، أستاذ في كلية التربية - جامعة الأزهر - قسم المناهج وطرق التدريس ، وله كتاب كبير الحجم نسبياً ، إذ يتجاوز (٩٠٠ص) . وعنوانه : « فن التدريس للتربية الدينية وارتباطاتها النفسية وأنماطها السلوكية » .

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها: النحلاوي ص٢١ و٢٥ .
(٢) المرجع السابق ص٦٥-٦٨.
(٣) المرجع السابق ص٢٠٦-٢٣٣ .
(٤) المرجع السابق ص٢٨٦-٢٩٠ ومابعدها.
(٥) النظام التربوي في الإسلام: القرشي ص١٨٢-١٨٦ .
(٦) المرجع السابق ص٢٠٣-٢١٩ ومابعدها.

طبع عام ١٩٧٨ . وعالج المؤلف فيه عدة جوانب كذلك من التربية الإسلامية وأساليبها . ولكن أهم ما عالجه بالنسبة لموضوع هذا البحث هو القسم الثالث الذي عُني فيه بما سماه : « الأنماط السلوكية والارتباطات النفسية للتربية الدينية »[1] ، (ثم القسم الرابع الذي بحث في « الظاهرات القرآنية » ، التي منها أسلوبه البياني المشوق) . فقد تعرض المؤلف في ذلك لبيان الأسس النفسية التي تقوم عليها التربية ، مشيراً إلى أثر الثواب والعقاب في التكوين الخُلقي ، وإلى رأي علماء الإسلام في ذلك ، (كالغزالي ، وابن خلدون ، وابن حجر الهيثمي . .) وفي الظاهرات القرآنية أشار إلى أسلوب القرآن الكريم البياني وقوة تأثيره في النفوس ، وإلى ما قاله العرب وغيرهم في ذلك[2] .

٤ - الهاشمي .

وهو الدكتور عبد الحميد الهاشمي ، رئيس قسم علم النفس ، أمين مجلس الدراسات العليا في التربية وعلم النفس ، في جامعة الملك عبد العزيز - جدة . وله كتاب بعنوان : « الرسول العربي المربي » ، وحجمه متوسط (٤٧٠ص) طبع عام ١٤٠١/١٩٨١ . بحث المؤلف في السيرة النبوية من الناحية التربوية ، حيث يختار موقفاً أو مواقف متشابهة ، وحوادث وأقوالاً متصلة بحياة الرسول الكريم ، قولاً وعملاً وإرشاداً ، مستقاة من المصادر الموثوقة ، مما يقدم مبدأً أساسياً ، أو مجالاً هاماً في التربية النفسية التي تساعد الإنسان في نموه المتكامل ، سعيداً في حياته المتوازنة . . ثم يقوم بدراسة ذلك بالتحليل . فكتابه عبارة عن دراسة نفسية وتربوية وإن تعلقت بالسيرة ، وقد أكد المؤلف ذلك[3] .

ومن أمثلة المواقف التي يختارها للدراسة ، جاعلاً ذلك عنواناً يدور عليه الفصل كاملاً : « الرسالة والرسول »[4] - « مراحل في الحياة المحمدية »[5] .

هذا وممن قاموا بدراسة تشبه إلى حد ما هذا النوع من التحليل التربوي الدكتور محمود أحمد السيد ، في كتابه : « معجزة الإسلام التربوية » . وقد بحث في أسلوب النبي ﷺ التربوي بشكل خاص ، مشيراً إلى السمات العامة لتربية الرسول محمد ﷺ ، من حيث أهداف التربية عند الرسول الكريم ، وعظمة تربيته ، وما فيها من الاعتدال

---

(١) فن التدريس للتربية الدينية: سمك، محمد صالح ص٥٢٥-٥٦٠ و٥٧٢-٥٧٣.
(٢) المرجع السابق ص٧٠٢-٧٢٠ و٧٦٧-٧٩٥ و٩٢٥-٩٢٩.
(٣) الرسول العربي المربي: الهاشمي، عبد الحميد ص٢٣.
(٤) المرجع السابق ص٥٢-٦٣.
(٥) المرجع السابق ص٧٩-١٠٧.

والتوازن[1] . . ثم مقارناً بين هذه التربية وبين التربية الحديثة[2] ، ومبيناً أسلوبها في بناء الشخصية جسمياً وفكرياً وخلقياً وانفعالياً وجمالياً واجتماعياً[3] . . ومنوهاً عن فعالية الأساليب التي اتخذها الرسول الكريم لتحقيق التعاطف الاجتماعي ، والتواد بين أفراد المجتمع ، وإحياء الشعور بالمسؤولية في النفوس .

ب - بعض الدراسات المعاصرة الخاصة بالتربية القرآنية :

ألّف في هذا الموضوع عدد من الباحثين ، منهم من سبق ذكرهم ، كالأستاذ محمد شديد ، في كتابه : « منهج القرآن في التربية » ، والدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، وله أكثر من كتاب حول القرآن الكريم ، وأهمها هنا كتابه : « منهج تربوي فريد في القرآن » . وفيما يلي فكرة عن كتاب كل منهما - إذ لايسع المجال لذكر أكثر بالتفصيل .

١ - الأستاذ محمد شديد :

وكتابه « منهج القرآن في التربية » ، صغير الحجم (٣٠٠ص) من القطع الصغير ، طبع عام ١٤٠٢/١٩٨٢ . ويحوي مقدمة وعشرة فصول ، منها : « جولة مع الرعيل الأول » . تحدث فيه عن الدعوة ونوع التربية للعهد المكي من القرآن الكريم ، ثم للعهد المدني منه ، مشيراً إلى أثر الإيمان والوازع الديني في نفس المسلم . . مع التعرض لشيء من أسلوب النبي ﷺ في التربية من خلال حوادث السيرة النبوية . ثم تحدث في الفصلين الأخيرين عن ميزان القيم في القرآن الكريم ، وعن التربية في ظل الأحداث ، مقرراً أن أسلوب تنزيل القرآن الكريم كان أساساً لنجاح التربية القرآنية وعمق أثرها في النفوس ، مشيراً بذلك إلى ما فيه من اغتنام الفرص للتربية والتوجيه ، لنزول كثير من آياته في مناسبات معلومة سميت فيما بعد « أسباب النزول » .

٢ - الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي :

وكتابه : « منهج تربوي فريد في القرآن » لا يتجاوز (١٠٠ص) من القطع الصغير ، ولكنه مكثف المعلومات . ركز المؤلف فيه على بيان المنهج التربوي في القرآن الكريم .

ويرى أنها تتمثل في : « المحاكمة العقلية - العبرة والتاريخ - الإثارة الوجدانية » . موضحاً أهمية البدء بتعريف الإنسان بنفسه لتحقيق معرفته بربِّه ، وكيف اتخذ القرآن الكريم

---

(١) معجزة الإسلام التربوية : السيد ، د. محمود ص٢٧-٣٦ ومابعدها.
(٢) المرجع السابق ص٥١-٥٧ .
(٣) المرجع السابق ص٥٩-٩٨ و١١١-١٥٥ .

التاريخ وسيلة ناجحة في التربية ، ثم كيف استخدم الإثارة الوجدانية (الترغيب والترهيب) من أهم وسائل التربية ، مشيراً إلى ما يجب توافره من الشروط لنجاح هذه الوسيلة التي لم يأل جهداً في بيان خطورتها إذا فقد الاعتدال والتوازن أو الحكمة في استخدامها .

ثم توصل أخيراً إلى أن التربية القرآنية تعتمد منهجاً تربوياً معتدلاً ومتوازناً ، بجعل الفرد في حالة وسطى من الخوف والرجاء ، غير مُغتَر بأعماله ، ولا يائس لتقصيره . ثم ختم النقاش بالإشارة إلى فهم الصحابة لهذا المنهج التربوي القرآني ، فأورد في ختام بحثه مقطعاً من وصية الخليفة الصديق لأمير المؤمنين عمر رضي الله عنهما .

هذا ومن المعاصرين من بحثوا في القرآن الكريم من نواح أخرى ، مثل الأستاذ عبد الرحمن حبنكة الميداني ، الذي بحث في الأمثال القرآنية من الناحية التربوية ، وكذلك الأستاذ محمد فايز ، الذي بحث فيما يتعلق باليوم الآخر ، مشيراً إلى أثر الإيمان به في تقويم السلوك . . إلا أن تفصيل ذلك قد يخرج عن حدود البحث .

خلاصة الدراسات السابقة :

ما سبق عرضه من الدراسات - لاسيما المعاصرة منها - يمثل منطلقاً للبحث ، لامسوغاً للعدول عنه لأنه - كما يبدو - ما تزال ثمة حاجة إلى دراسة القرآن الكريم دراسةً تُبرز أساليبه التربوية من الناحية التعزيزية ، وتبرز بالتالي وجهاً من أوجه نجاحه في التربية ، أو سراً من أسرار تأثيره العميق في النفوس .

هذا ويمكن تسجيل بعض الملاحظات حول الدراسات المستعرضة ، كما يلي :

١ - من القدماء من كتبوا في موضوع هذا البحث نفسه ، حيث تم جمع ما يتوافر فيه عنصرا : « الترغيب والترهيب » . . من السنّة - كما فعل كل من المنذري والنووي . وبعضهم عالج فكرة « الثواب والعقاب » من خلال البحث في التربية الإسلامية ، مثل ابن سحنون ، والزرنوجي ، وابن خلدون ، والغزالي ، وابن حجر الهيثمي وغيرهم .

٢ - أكثر ما كتب في الموضوع غير مستقل ، وكان مصدره الأساسي من غير القرآن الكريم .

٣ - الاهتمام بالبحث في التربية الإسلامية قد ازداد في العصر الحديث ، كما ظهر اتجام جديد إلى البحث في القرآن الكريم من الناحية التربوية ، كالسعي لاستخراج منهج تربوي متكامل منه ، مع العناية بأسلوبه في عرض موضوعاته ، وبث تعاليمه إلى الأفراد والمجتمع .

٤ - من المعاصرين من عالج جانباً من موضوع هذا البحث في القرآن الكريم نفسه ،

كالبوطي الذي تعرض لإثارة العاطفة أو ما سماه « الإثارة الوجدانية » ، مع العناية بمنهج القرآن الكريم أو أسلوبه التربوي في استخدام هذه الوسيلة .

٥ - وعلى الرغم من تعدد الجوانب التي عالجوها في القرآن الكريم وغيّره ، فإن ثمة جوانب أخرى لم تحظ - على ما يبدو - بدراسة تغني تماماً ، كإحصاء آيات الترغيب والترهيب ، وتصنيفها تصنيفاً نوعياً يتم وفقاً له استخلاص النتائج وتفسيرها ، مع العناية بما ورد في القرآن الكريم من أنواع الترغيب والترهيب ، من حيث الصيغ والمباني ونسبة توزيع ذلك فيه مكياً ومدنياً .

وهذا من أبرز مسوغات الاستمرار في البحث - مع الإشارة إلى أن تلك الدراسات تستحق كل تقدير . والسؤال الآن هو : ما الهدف الأساسي للتربية؟ فقبل عرض آراء العلماء في استخدام الثواب والعقاب في التربية ، يحسن إلقاء الضوء على الهدف الأساسي الذي تدور حوله التربية ، وتستخدم تلك الأساليب لتحقيقه ، لمعرفة ما إذا كان في ذلك خلاف بينهم من جهة ، ثم في الهدف التربوي الوضعي ، وهدف التربية الإسلامي من جهة أخرى .

ثالثاً : - آراء العلماء حول الهدف الأساسي للتربية :

١ - الهدف الأساسي للتربية في الأنظمة الوضعية :

يبدو أن الفلاسفة والمربين لايختلفون في تحديد هذا الهدف الأساسي وإن كانوا قد اختلفوا في سُبُل تحقيقه ، بل « تلتقي مناهج التربية الأرضية على أن هدف التربية هو : إعداد المواطن الصالح ، وتختلف الأمم بعدئذ في تصور هذا المواطن ، وفي تحديد صفاته . . فقد يكون هو الجندي الشاكي السلاح . . أو الرجل المسالم . . أو الناسك المتعبد . . أو المحب لوطنه . .[1] أو غير ذلك مما يساعد على تحقيق أهداف المبادئ التي يحددها كل مجتمع وكل نظام أو شعب . .

ومن المربين من يركز على الناحية القومية ، ما بين معتدل في ذلك ومبالغ . ولعل « روسو » على رأس المتحمسين أو المبالغين لهذا الاتجاه ، كما يتمثل ذلك في خطبته التي ألقاها على البولونيين ينصحهم قائلاً :

« لايمكن للوطن أن يقوم بغير الحرية ولا تقوم الحرية بغير الفضيلة ولاتتحقق الفضيلة

---

(١) منهج التربية الإسلامية : قطب، محمد ص١١-١٢.

﴿ يـاأيُّهـا الَّـذين آمَنـوا استَجيبـوا لله وللرَّسـول إذا دَعـاكم لِمـا يحييكم . . ﴾
[الأنفال : ٢٤]
﴿ مَن عَمِـل صـالحـاً مِنْ ذَكَـر أو أُنْثى وهـو مؤمن فَلَنُحيِيَنَّه حيـاةً طيبـة . . ﴾
[النحل : ٩٧]
﴿ وابْتَغِ فيما آتاكَ الله الدّارَ الآخرة . . ﴾ . [القصص : ٧٧]
﴿ قُل إنَّ صلاتي ونُسُكي ومَحيايَ ومَماتي لله ربِّ العالَمين ﴾ . [الأنعام : ١٦٢]
قال الدكتور :

« فقـد أوضح البيـان الإلهي في الآيتين الأوليـين أن من شاء أن يحـرز لنفسـه الحيـاة السعيدة الطيبة فليجعل من الاستجابة لله ولرسوله في تنفيذ أوامره عز وجل ضمانة وسبيلاً .

وهذا قد يجعلنا نتصور أن الدين جاء خادماً لأمر الدنيا .

إلا أنه عاد فأمرنا أن نجعل حياتنا كلها - بكل ما فيها من نَصَب ورَغَد - لوجه الله وحده : بأن نسخرها في سبيل مرضاته . ونبتغي بها الدار الآخرة دون سواها

فالجواب هو : أن الدين في الوقت الذي جـاء ضمانـة لإصلاح شـأن الدنيـا والنهوض برعايتها ، ينبه الناس إلى أنهم ليسوا إلا عبيداً مملوكين لله عز وجل ، فواجبهم أن يبتغوا بكل نعمة متعهم الله بها بلوغ مرضاته »[1] .

وقول الدكتور باتخاذ الاستجابـة لأمر الله ورسـوله ضـمانة لا يعني جـواز اتخاذ الـدين لكسب الدنيا ، لأن ذلك يتنافى مع الإخلاص الـذي هو أسـاس الدين كله ، بـل وأساس المعاملة في أمور الدنيا[2] ، ولعل ذلك يتضح أكثر فيـما تتضمنه إشـارة الدكتـور إلى علاقـة الدين بالدنيا وأهمية الإخلاص فيهما ، حيث يقول :

« على أن من أعاجيب العلاقة التي أقامها الله بين الدين والدنيا أن من لم يُخلص دينه لله عز وجل ، ولم يجعله في المرتبة الأولى من قصده وهواه . . لايستطيع أن يخلص في خدمة أمته ، ولا أن يصدق في تحقيق مصالحها الدنيوية ، بل لا بد أن تكون خدمته استغـلالاً ، وهدفه أثرة ، وهواه تبعاً لأنانيته . . ثم إنه يأكل ولا يشبع ويطمع دون أن يقنع »[3] .

وكأنه يشير بالشره الذي لايشبع إلى قوله تعالى :

﴿ والَّذين كَفروا يَتمتَّعون ويَأكُلون كما تَأْكُلُ الأنْعام . . ﴾ . [محمد : ١٢] .

وعلى كل حـال ، فإن حـاصل كـلامه لايـدعم كـون عـمارة الأرض هـدفـاً للتربية

---

(١) المرجع نفسه.

(٢) لقـوله تعـالى: ﴿وما أمـروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الـدين حنفاء﴾ [البينـة: ٥]. وقولـه تعـالى: ﴿لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم﴾ [الأنفال: ٢٧].

(٣) منهج الحضارة الإنسانية في القرآن: البوطي ص٣٤.

الإسلامية ، وإنما يفيد أن عمارة الأرض واقعة بشرية تُعنى الشريعة الإسلامية بتنظيمها حتى تكون عوناً لتحقيق الهدف الأساسي والغاية النهائية التي هي الوصول إلى مرضاة الله تعالى .

وأما الأدلة التي استند إليها أصحاب هذا الرأي فأهمها ما يلي :

آ - آيات قرآنية ، كقوله تعالى :

﴿ . . هوَ أنْشَأكم مِنَ الأرضِ واستَعمَرَكم فيها . . ﴾ . [هود : ٦١] .

﴿ وإذْ قال رَبُّكَ للملائِكَة إنّي جاعلٌ في الأرض خَليفَة . . ﴾ . [البقرة : ٣٠]

﴿ وَعَدَ الله الَّذين آمَنوا مِنْكم وعَمِلوا الصَّالِحات لَيَستَخلِفَنَّهم في الأرض . . ﴾ . [النور : ٥٥] .

ب - كما استندوا إلى جملة من حقائق الشريعة الإسلامية ، منها :

١ - أن جميع الأحكام الإسلامية ، تؤول إلى قسمين : قسم يراعى فيه النهوض بحقوق الله تعالى . وقسم يراعى فيه النهوض بحقوق العباد . وأن القسم الأول ضئيل جداً بالمقارنة إلى القسم الثاني .

٢ - القاعدة الفقهية القائلة : « حقوق الله مبنية على المُسامحة ، وحقوق العباد مبنية على المُشاحَّة» .

٣ - أنّ ما يقارب ثلثي أحكام الشريعة الإسلامية - باستثناء العبادات - يُناط تنفيذها بجهاز الحكم في المجتمع الإسلامي ، أي بسلطة الحاكم أو القاضي .

ومع احترام أصحاب هذا الرأي يمكن القول :

آ - صحيح أن أكثر الأحكام الإسلامية تعالج مشاكل اجتماعية لتأمين حقوق العباد ، ولكن هذه الكثرة لا تعني بالضرورة أن هدفها هو عمارة الأرض ، وإنما ذلك يشير إلى واقعية الإسلام ، بحيث لا يتجاهل الواقع الذي يعيشه البشر ، ولا يحول دون ما يحتاجون إليه في حياتهم بشراً ليسوا كغيرهم من الكائنات الحية الأخرى .

ثم إن هدف الإسلام الذي يتمثل في الوصول إلى مرضاة الله لايمكن أن يتحقق مع الفوضى والتظالم والتنافر بين الأفراد . . فلا بد من تنظيم شؤونهم بما يضمن وحدتهم وتعاونهم على البر والتقوى . وذلك أن تعدد حاجات الإنسان قد يجعله شحيحاً بحقوقه ، فالتعرض لها يؤدي إلى النزاع الذي يذهب بهيبة الجماعة ، كما قال تعالى : ﴿ وأطيعوا الله ورسوله، ولا تَنازَعوا فَتَفْشَلوا وتَذْهَبَ ريحُكم واصبروا إنَّ الله مع الصَّابِرين ﴾[1]

---

(١) سورة الأنفال: ٤٦، وانظر آية الأمر بأداء الأمانات [النساء: ٥٨].

﴿ وتَعاوَنوا علىٰ البِر والتَّقوىٰ ولا تَعاوَنوا عَلىٰ الإثم ِ والعُدْوان . ﴾[1] .

ب - وأما إناطة تنفيذ أكثر الأحكام بجهاز الحكم فلأن ذلك أضمن لِحسم النزاع والتقاتل مما لوأخذ كل ذي حق حقه بنفسه . ثم إن إناطة ذلك بجهاز الحكم يدل على احترام الإسلام لكرامة الإنسان حتى ولو انحرف ، فلا يجعله عرضة للابتذال .

ج - وأما الاستدلال بتلك الآيات : فآية ﴿ واستعمَركم فيها . . ﴾ لاتؤيد بظاهرها إضافة العمارة إلى الأرض دون تقييد وإنما تؤيد معنى قضاء العمر فيها أي إمضاء الحياة في الأرض « ظرفاً لامفعولاً به » كما صرح القرآن بذلك غير مرة ، كقوله تعالى :

﴿ قال فيها تحيَون وفيها تَموتون ومِنها تُخرَجون ﴾ . [الأعراف : ٢٥] .

وكقوله تعالى في حق أهل النار مشيراً إلى أن العمر كان للعبادة :

﴿ أوَلم نُعَمِّرْكم ما يَتَذكرُ فيه مَنْ تذكَّر وجاءَكُم النَّذير ﴾ . [فاطر : ٣٧] .

ولعل مما يؤيد تفسير الآية بمعنى قضاء العمر في الأرض أن القرطبي قد أورد عدة أقوال عن العلماء ، فقال[2] :

« واستعمركم فيها : جعلكم عُمّارها وسكانها ، وقال قتادة : أسكنكم فيها ، وقال الضحاك : أطال أعماركم فيها ، وقال زيد بن أسلم : أمركم بعمارة ما تحتاجون إليه فيها من بناء ومسكن وغرس أشجار . . والمعنى : ألهمكم عمارتها في الحرث والغرس وحفر الأنهار . . »

فحاصل هذه الأقوال إنما هو وصف لواقع البشر على هذه الأرض لا أن العمارة هي الهدف في حد ذاتها . وذلك بالأدلة التالية :

١ - أن آية ﴿ واستعمركم فيها ﴾ نفسها بدأت بالأمر بعبادة الله وتأكيد وحدانيته ، ثم ذكرت بأنه تعالى هو الذي أنشأ العباد من الأرض واستعمرهم فيها ، ثم ختمت الآية بالأمر بالاستغفار والتوبة إلى الله تعالى . فالآية كاملة هي :

﴿ وإلىٰ ثَمودَ أخاهُمْ صالحاً ، قالَ ياقَوْم ِ اعبُدوا الله مالَكُم مِنْ إلهٍ غَيره هُوَ أنْشَأكم مِنَ الأرض واسْتَعمَرَكم فيها ، فاستَغْفِروه ثُمَّ تُوبوا إلَيْه إنَّ ربي قَريبٌ مُجيب ﴾ . [هود : ٦١] . فالموضوع هو الدعوة إلى عبادة الله تعالى . فكأن وسط الآية : ﴿ هو أنشأكم . . ﴾ بيان لوجه من وجوه استحقاق الله تعالى أن يُفرَد بالعبادة ، أو إشارة إلى

---

(١) سورة المائدة : ٢ ، وآية شح النفس [النساء : ١٢٨] .

(٢) تفسير القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ٩/٥٦ .

وجوب شكر الله على نعمه بالعبادة .

٢ - أن مجرد عمارة الأرض لا تكفي هدفاً ، لأن ذلك من ضرورات الحياة عليها . ويؤيد ذلك أن الله تعالى قد نعى على بعض الأمم انشغالهم بعمارة الأرض ، فقال تعالى :

﴿ أتَبْنونَ بِكلِّ رِيعٍ آيةً تَعبَثون . وتَتَّخذونَ مَصانِعَ لعلَّكم تَخلُدون؟ ﴾ . [الشعراء:١٢٨-١٢٩].

﴿ أوَلم يَسيروا في الأرض فَيَنظُروا كيف كانَ عاقبةُ الَّذينَ مِنْ قَبْلهم ، كانوا أشدَّ مِنهم قوَّة وأثاروا الأرض وعَمَروها أكثَرَ مِمّا عَمَروها ، وجاءَتْهم رُسُلهم بِالبيِّنات ، فما كانَ الله لِيَظْلمَهم ولكنْ كانوا أنفُسَهم يَظْلِمون ، ثُمَّ كانَ عاقبةَ الَّذين أساؤوا السوأىٰ أنْ كذَّبوا بآياتِ الله وكانوا بها يَسْتَهزِئون ﴾ [الروم :٩-١٠] .

﴿ أوَلم يَسيروا في الأرضِ فَيَنْظُروا كيف كانَ عاقِبَةُ الَّذين كانوا مِنْ قَبْلِهم ، كانوا هُمْ أشدَّ منهم قُوَّة وآثاراً في الأرض فأخَذَهُم الله بِذُنوبِهم ، وَما كانَ لَهُم مِنَ الله مِنْ واق ﴾ . [غافر :٢١] . وقريب منه قوله تعالى :

﴿ أفَلَمْ يَسيروا في الأرض فَيَنْظُروا كيف كانَ عاقِبَةُ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهم كانوا أكثر منهم وأشدَّ قُوَّةً وآثاراً في الأرض ، فَما أغنىٰ عَنْهم ما كانوا يَكْسِبون . فلمّا جاءَتْهم رُسُلهم بالبيِّنات فَرِحوا بِما عِنْدَهم مِنَ العِلْم وحاقَ بهم ما كانوا بِهِ يَسْتَهْزِئون ﴾ . [غافر :٨٢-٨٣] .

٣ - أنَّه تعالى حصر الغاية من خلق الجن والإنس في عبادته ، قال تعالى :

﴿ وما خَلَقتُ الجنَّ والإنسَ إلا لِيَعبُدون . . ﴾ . [الذاريات : ٥٦] .

٤ - الإشارة إلى أن الله تعالى جعل الطيب من أجل العمل الصالح ، وصلاح العمل إنما هو بالإخلاص الذي هو من أهم شروط العبادة . قال تعالى مخاطباً رسله :

﴿ ياأيُّها الرُّسُل كلوا مِن الطيِّبات واعمَلوا صالِحاً ، إنِّي بِما تَعمَلون عَليم ﴾ . [المؤمنون : ٥١] .

كما قال تعالى مخاطباً كل العباد :

﴿ ياأيُّها الناسُ كلوا مما في الأرضِ حَلالاً طيِّباً ولا تَتَّبِعوا خُطُوات الشيطان. . ﴾ . [البقرة:١٦٨] .

٥ - أن رزق العباد مضمون لهم بتوفير المواد اللازمة دون مطالبتهم بما لا يقدرون عليه . وإنما مطالبون فقط بتحويل بعض هذه المواد لتصلح لمعيشتهم ، فسعيهم هذا يجب أن يكون معتدلاً . وأن يصطبغ بالإخلاص حتى يأخذ طابع العبادة التي هي الهدف والمدار .

قال تعالى :

﴿ وأْمُـر أهلَك بالصَّـلاة واصـطَبِرْ عَليهـا لانَسـأَلُـكَ رِزْقـاً نحن نـرزُقـكَ والعـاقِبَـةُ للتقوى ﴾ . [طه : ١٣٢]

وقد حذر النبي ﷺ من المبالغة في الانشغـال بالـرزق فقال : « إيـاكم أن تنشغلوا بالـرزق انشغال تعب القلوب »[١] .

ونقل الغزالي عن الشبلي أنه قرأ أربعة آلاف حديث واختار منها واحداً ، فيه نجاته وخلاصه ، وفيـه علم الأولين والآخـرين مندرج ، وهـو قول النبي ﷺ لبعض أصحـابه : « اعمل لدنياك بقدر مقامك فيها ، واعمل لآخرتك بقدر بقائك فيها ، واعمل للجنة بقدر حاجتك إليها ، واعمل للنار بقدر صبرك عليها »[٢] .

هذا كله يشير إلى أن الإسلام عُني بتنظيم أمور الدنيا وشؤون البشر فيها واقعةً ماديةً هم بحاجة إليها للنهوض بهم متعاونين إلى ما يرضي الله ورسوله ، وتصـح بذلـك أهليتهم للخلافة في الأرض ، فيسودَ العدل فيها ويحققوا معنىٰ العبودية لله تعـالى[٣] ، لا أن العمارة أو الخلافة بحد ذاتها غاية جـاء الشرع لتحقيقها - عـلى الرغم من عنـايته بتنـظيمها - والله أعلم .

هذا وقد عقد الأستاذ النحلاوي مقارنة بين هدف التربية في الإسلام وبين هدف التربية الوضعية ، مؤكداً في ذلك أهميـة تعيين الهـدف منطلقاً لتعيين الـطريق إلى تحقيقه . . وأن التربية الإسلامية تربية واعية . . هدفها شامل للحياة بكل جوانبهـا ، مشيراً إلى خـطأ من يحصر هدف التربية الإسلامية في النسك في المساجد وأداء شعائر العبادات . . وقد سخر الله تعالى للإنسان هذا الكون بما فيه لخدمة حياته حتى يتمكن من أداء ما عليـه من طاعـة الله والتمسك بهديه ، ويحقق بذلـك الغايـة العليا من خلقـه المتمثلة في « إخلاص العبـودية لله تعـالى » في الحياة الفـردية والاجتماعية ، فهـذه الغـايـة - كـما أكـد المؤلف - تشمـل جميع الأهداف التربوية المتفرقة في الأنـظمة الـوضعية ، وتسمـو بها بـالتوجيـه السليم نحو خـدمة الإنسانية وتحقيق السعادة للفرد والمجتمع[٤].

---

(١) في تربية الإنسان المسلم: الشعراوي، الشيخ متولي، ذكره المؤلف دون عزو إلى راو، ولم أعثر له على مصدر آخر ص١٩٧.

(٢) آداب المتعلمين -ملخص آراء الغزالي ص١٢٤ .

(٣) انظر من روائع القرآن: البوطي ص١٢١، وقد كرر هذا المعنى عدة مرات.

(٤) أصول التربية الإسلامية وأساليبها: النحلاوي ص١٠٧-١٠٨ .

الفصل الثالث

آراء العلماء حول ضبط السلوك بالثواب والعقاب أو «التشويق والتعزيز».

والحاصل: أن مفهوم المواطن الصالح يختلف باختلاف مبادئ المجتمعات وعقائدها الفلسفية. ولكنها تتفق في مفهومه العام، بحيث يراد به على سبيل المثال - يعني وضعياً:

«الشخص الذي أصبح لديه انسجام مع اتجاهات مجتمعه، وتقدير لمشاعره الفردية والجماعية، ووعي كاف لأهدافه ومتطلباته، وحسن تكيف مع ظروفه وأنشطته، وقدرة على أداء ما يطلب منه باعتباره عضواً في مجتمع.. بغض النظر عن كون هذا الشخص كذلك في رأي مجتمع آخر».

وهذا القيد الأخير أهم مميز بين هدف التربية في الإسلام، وهدفها في الأنظمة الأخرى، فالإسلام يريد إنساناً لا يرى تعدد المجتمعات ولا الأوطان، من حيث صلاحية المواطنة، بل يرى العالم البشري كله مجتمعاً واحداً في وطن واحد، مهما اتسعت أطرافه واختلفت شعوبه، كما حصل ذلك مدة من الزمن في مساحة كبيرة من المعمورة.

وبتحقيق العبودية الخالصة لله تعالى، تتحقق كل الفضائل الاجتماعية.. وبه تتحقق باتزان تربية الذاتية الفردية، وتربية النزعة الاجتماعية الشاملة(١)، وذلك لما في هذا الهدف من المرونة، والإشعار العميق بالمسؤولية.

هذا ولابد لكل هدف (تربوي وغيره) من وسيلة تُعتمد لتحقيقه، وهدف التربية لا يخرج عن هذه القاعدة، سواء كان الهدف إعداد المواطن الصالح، أو إعداد الإنسان الصالح.

وذلك أن مثل هذا الهدف الخطير يحتاج إلى نظام وضبط، كما يحتاج إلى كثير من المرونة والحنكة، لأنه يتعلق بسلوك الإنسان الذي يتمتع بحساسية نفسية وعقلية، وله كرامته التي من حقوقها التمتع بحرية كافية للتعبير عن الذات المستقلة مهما عظمت مسؤوليتها الأخلاقية والاجتماعية..

ومع ذلك فإن للإنسان حاجات متنوعة يسعى إلى إشباعها، ويعجب بمن يساعده على ذلك، ويكره ما يحول دون تحقيقه لهذا الهدف.

ومن هنا انبثقت فكرة التشويق والتعزيز، أو الترغيب والترهيب التي تعني تقديم ما يشبع حاجة أو أكثر من حاجات الإنسان حثاً له على القيام بسلوك معين، أو تقوية لذلك السلوك وطلباً لاستمراره أو تكراره. كما تعني بالمقابل تقديم ما يشعره بالألم والانزعاج. أو الحيلولة دون ما يشبع حاجة من حاجاته، حداً لسلوك قام به، أو حملاً على القيام بسلوك امتنع عنه.

---

(١) المرجع السابق ص١٢٣

وفي هذا كله شيء من المساس بحريته وكرامته ، مما جعل المفكرين وعلماء التربية وعلم النفس يختلفون في مدى مشروعية استخدام هذه الأساليب في ضبط السلوك .

وهذا هو موضوع الفصل التالي ، مع الإشارة إلى أنه لايُعنى بدراسة نظريات التعلم أو التعزيز بشكل متسلسل ومركز ، فإن ذلك قد يخرج عن حدود البحث ، وإنما المراد به تحديداً هو عرض عدد كاف من الأدلة النظرية المتمثلة في آراء المربين وعلماء النفس ، للبرهنة على مدى أهمية هذه الأساليب التربوية في مجال ضبط السلوك ، باعتبار أن تلك الأدلة النظرية أو معظمها ناتجة عن تجارب ميدانية ، أو ملاحظات متكررة من أهل الخبرة التربوية .

* * *

التمهيد : فكرة عن الثواب والعقاب في واقع حياة الإنسان .

يلاحظ أن حياة الإنسان زاخرة بمظاهر الثواب والعقاب ، فهو في مساعيه اليومية ، الفردية والاجتماعية ، ينجح فيتعزز ذاتياً ، أو يخفق فينزعج مندفعاً أحياناً ، ومستسلماً أحياناً أخرى ، كما أنه يثاب إذا خدم ، ويعاقب إذا اعتدى ، بغض النظر عن مشروعية الثواب والعقاب ، فهما في واقع الحياة اليومية حاصلان إما طبيعياً وإما اجتماعياً ، بل القوانين الكونية قد تكون أشد صرامة في ذلك ، لأنها لاتقبل العذر بالجهل ولا بالخطأ أو النسيان . إلا أنها ثابتة لاتهضم حقاً لمن تكاملت لديه شروط النجاح .

وأما سلوك الإنسان الاجتماعي فكذلك مراقب ، من عدة نواح ، أبرزها :

- سلوكه بحد ذاته : مرغوب فيه أم لا؟
- طريقة سعيه لمصلحته : إيجابية أم سلبية؟
- نتيجة سلوكه : نجاح أم فشل؟ « فالإنسان مسؤول عن سلوكه ، ليس فقط أنه قد يلام أو يعاقب حينما يسيء التصرف ، ولكن أيضاً بمعنى أنه ينال الإعجاب لما يحقق من إنجازات»[١] .

هذا وللتشويق والتعزيز علاقة وثيقة بفكرة الثواب والعقاب ، من حيث إنهما أي التشويق والتعزيز يتعاونان في تشكيل السلوك وتوجيهه وضبطه .

إلا أن التشويق يبدو أكثر شمولاً لمظاهر الحياة ، لأنه قد يتحقق دون أن يقتضي ذلك بالضرورة حدوث الفاعلية ، بحيث يمكن أن تتشوق النفس إلى القيام بسلوك معين فيمنعها منه مانع خارجي ، مع أن كل سلوك يسبقه تشويق ، باستثناء حالات الإكراه مثلاً - إذ « لاتعلّم دون حافز »[٢] . في حين أن السلوك قد يخلو من تعزيز خارجي ، ثم إن كل تعزيز يتضمن معنى التشويق ، بل هذا هو هدف التعزيز الأساسي ، مما يجعل ظاهرة التشويق بهذا المعنى شاملة لجميع مظاهر الحياة .

وكثيراً ما يتفنن تاجر ما في زخرفة محله أو متجره ، فيقع زبون فأكثر في فخ تلك

---

(١) تكنولوجيا السلوك الإنساني: سكنر، ب.ف. ص٢٣

(٢) التعلم ونظرياته: عاقل، د.فاخر ص٢٠

الزخرفة ، لروعتها وجمالها الفني ، أو لطيب كلام البائع وقدرته على التأثير في الأعماق .

ولعل من التشويق ما يشاهد من اللافتات ، والعناوين البارزة في الكتب والمجلات . . وكذلك الدعايات والإعلانات حول سلعة تجارية أو مؤسسة معينة أو اتجاه اجتماعي . . بل حتى العملات المتداولة تتفاوت فيما بينها من الناحية التشويقية مع تساويها في القيمة ، فالذي لم يتحقق فيه مبدأ « الإيثار » يبخل بالجديد منها .

وأما التعزيز فلا يتوقف فقط على نوعية السلوك ونتيجته حتى يحوز الفرد الإعجاب أو يواجه الإنكار ، وإنما يتوقف كذلك على الظرف الذي يحدد موقف الآخرين من السلوك : ﴿ لكلِّ نَبَأٍ مُسْتَقر ﴾ . [الأنعام : ٦٧] . فقد يحدث سلوك ولا يعقبه تعزيز لا إيجاباً ولا سلباً - من قبل الآخرين على الأقل - وذلك مثلاً عندما يكون السلوك أو النجاح أو الفشل ، معتاداً مثله ، أو واضح الأسباب ، ففي هذه الحالة : « نبخل بالتقدير - أي حينما تكون الأسباب جلية - فنحن في العادة لا نمدح شخصاً لأنه قام باستجابة منعكسة . . ولا نمدح السلوك الذي يتم تحت سيطرة بغيضة واضحة ، مع أنه قد يكون سلوكاً نافعاً . . ولا نمنح تقديرنا لمن يعملون بوضوح من أجل السمعة والشهرة ، لكننا نمنح التقدير بسخاء حينما لايكون هناك أسباب واضحة للسلوك[١] .

ومن هنا كان « اللوم الرقيق أجدى من إنزال العقاب ، لأن المعززات الشرطية أقل وضوحاً من المعززات غير الشرطية ، ولأن تجنب العقاب خير من الفرار منه ، فالتلميح أجدى من التصريح »[٢] .

هذا وليس كل سلوك غير مرغوب فيه يعاقب عليه - فقد يحدث إغضاء عنه ، مما يجعل احتمال امحائه أو تكراره على حد سواء ، مع ملاحظة أن احتمال تكرار السلوك المعزَّز إيجابياً كبير ، وأن احتمال كف السلوك بالعقاب ، دون هذه الدرجة . فقد « دل عدد من التجارب على أن آثار الثواب والعقاب ليست متساوية ولا متضادة . فالمكافأة أقوى بكثير من العقاب . . وهذه النتيجة على جانب من الأهمية كبير ، ولاسيما في حقل التطبيق التربوي : إثابةُ رابطٍ تُقوِّيهِ دوماً تقوية عظيمة ، ومعاقبته تُضعفه إضعافاً بسيطاً أو لا تضعفه على الإطلاق »[٣] .

---

(١) تكنولوجيا السلوك الإنساني: سكنر، ب. ف. ص٤٨-٤٩

(٢) المرجع السابق ص٥٣

(٣) التعلم ونظرياته: عاقل، د. فاخر ص١٥٧-١٥٨

« ولقد انطلق ثورندايك ومعاونوه لجمع الشواهد عن القيمة النسبية لكل من الثواب والعقاب ، اعتماداً على تراجم الحياة وغيرها من المصادر ، عائدين إلى سني العمر الأولى ، ودلت جميع النتائج على أن أثر الثواب أكبر من أثر العقاب ، مما أيد النتائج التي وصلت إليها التجارب ، وجعلها منطبقة على الحياة اليومية العادية »[(١)] .

فَلِجدوى العقاب إذن حدود ، وأما أثر الثواب فواسع جداً ، بل « تؤثر المكآفات مباشرة على الروابط المجاورة ، فتقويها . أما العقاب فليس له مثل هذا الأثر في الإضعاف . على أنه من الممكن للعقاب أن يؤثر بصورة غير مباشرة عن طريق جعل المتعلم يفعل شيئاً آخر يقوده إلى الحصول على الثواب »[(٢)] ، مع ملاحظة أن « العقاب قد يؤدي إلى تكرار الخطأ ورسوخه ، كما هي الحال في عقاب طفل يقشم أظافره باستمرار »[(٣)] .

ومن هذه الفكرة التمهيدية تبين أن الثواب والعقاب واقعان في حياة الإنسان الفردية والاجتماعية ، وأن الثواب في واقعه مرغوب فيه بداهة ، وعلى نقيضه العقاب ، فإنه بغيض بالفطرة ومنفر ، وأن أثر الثواب أقوى إيجابياً من أثر العقاب سلبياً .

ولتباين الأثر النفسي والسلوكي لكل منهما - ولما فيهما من احتمال حدوث سلبيات من استخدامهما - وقع بين العلماء اختلاف حاد في مدى مشروعيتهما وسيلتين من وسائل ضبط السلوك ، بل وفي مدى فعاليتهما في هذا المجال ، مما أدى إلى انقسامهم إلى ثلاث فئات رئيسية ، وهي :

١ - فئة ترى ضرورة استخدام كلا العنصرين : الثواب والعقاب .

٢ - فئة ترى ضرورة إلغاء عنصر العقاب ، دون الثواب .

٣ - فئة تنادي بإلغاء العنصرين كليهما من الميدان .

وفيما يلي استعراض لهذه الاتجاهات الثلاثة ، بدءاً بالأخير .

أولاً - إلغاء الثواب والعقاب في ضبط السلوك .

مما طبع عليه الإنسان السعي وراء المتعة والطمأنينة ، والفرار من الألم والانزعاج ، سواء كان ذلك جسدياً أم نفسياً ، والثواب متعة ، والعقاب مزعج .

ومع ذلك يرى عدد من علماء التربية وعلم النفس التربوي إمكان إلغاء كل من

---

(١) المرجع السابق ص١٥٨

(٢) المرجع السابق ص١٦٣

(٣) مبادىء في الدراسة النفسية للتعلم رقم١ : سوريال، لطفي ص٣٣

الثواب والعقاب ، وينادون بذلك ، لما يرون فيهما من احتمال حدوث سلبيات تربوية ، نفسية أو سلوكية . ومن أقطاب هذا الاتجاه أنصار الحرية وأصحاب المذهب الإنساني أو الذاتي ، مثل : كارل روجرز ، وماسلو ، وتولمان ، وديوي .

ولعل اتجاههم لايخلو من صواب (وإن كان يظهر فيه شيء من المبالغة) ولاسيما إذا فقد الثواب والعقاب الاعتدال في الاستخدام . فالمبالغة في اللوم والاستحسان . . سبب رئيسي في أن القوى الاجتماعية التي تؤدي إلى تشكيل الأخلاقية الواقعية تعمل عملاً أعمى غير مُرضٍ ، والحكم الذي يقع التأكيد فيه على اللوم والاستحسان أن لديه من الحرارة أكثر من الضوء . . إذ يكون عاطفياً أكثر منه عقلياً ، وترشده التقاليد والمنفعة الشخصية والحنق أكثر مما ترشده البصيرة بالأسباب والنتائج ، ويتجه نحو جعل التعلم الأخلاقي والتأثير التربوي . .والاجتماعي مسألة شخصية مباشرة[١] .

والعلة فيما أشار إليه النص السابق هي :

« أن البحث عن الأخطاء يخلق استياءً وحنقاً عند الشخص الذي نلومه ، وتخلق الموافقة رضاً وقبولاً لإعادة تمحيص السلوك تمحيصاً موضوعياً ، إذ يجعل من أولئك الأفراد الحساسين بالنسبة لأحكام الآخرين في موقف دفاعي دائم ، أو أمام عادة عقلية جدلية تتهم النفس أو تبرئها ، بينما المطلوب عادة هو : الملاحظة العامة العادلة »[٢] .

ويرى تولمان :

أن « الثواب والعقاب يعملان على تنظيم تنفيذ العمل أكثر من عملهما على تنظيم الاكتساب ، وذلك بالرغم من أنهما متصلان بالاكتساب أيضا ، لأنهما يعملان عملاً توكيدياً »[٣] . ومهم أن يذكر المعلم أن المكافآت كثيراً ما تضيع قيمتها ، لاسيما إذا تزايد عددها أو مناسباتها ، أو تناهت في صعوبتها . وأهم من هذا أن يذكر أنه إذا كان بالإمكان أن تبعث القراءة مثلاً لذة وفائدة فلا لزوم للمكافأة . . إن العلاقات المدرسية قد تستطيع الدفع إلى العمل طيلة أيام الدراسة ، ولكن التعلم الذي لا يصبح محبباً لذاته وقادراً على إرضاء رغبات المتعلم وحاجاته ، إنما هو تعلم ينتهي بانتهاء أيام الدراسة[٤] .

---

(١) الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني: ديوي، جون ص٣٣٢

(٢) المرجع نفسه.

(٣) التعلم ونظرياته: عاقل، د. فاخر ص٣١٧

(٤) المرجع السابق ص٢٢

ولهذا « ظهرت اعتراضات على نظرية سكنر في تحليل السلوك وضبطه ، وخاصة اعتراضات المذهب الإنساني »(١) بل « تشير النظرية الإنسانية في الدافعية إلى ضرورة إشباع بعض الحاجات السيكولوجية الأساسية ، كالأمن والانتماء ، واحترام الذات ، للتمكن من إشباع حاجات المعرفة والفهم وتحقيق الذات »(٢) .

« ويرفض ماسلو الافتراض القائل بإمكان تفسير الدافعية الإنسانية جميعها بدلالة مفهوم الارتباطيين أو السلوكيين ، كالحافز والحرمان والتعزيز ، مع اعترافه بأن بعض أشكال السلوك الإنساني تكون مدفوعة بحاجات بيولوجية .

ويفترض أن الدافعية الإنسانية تنمو على نحو هرمي لإنجاز حاجات ذات مستوى مرتفع ، كحاجات تحقيق الذات . وترتب كما يلي : الحاجات البيولوجية ، ثم حاجات : الأمن ، الحب والانتماء ، احترام الذات ، تحقيق الذات ، المعرفة والفهم ، ثم الحاجات الجمالية »(٣) .

« وقد اهتم كارل روجرز بالتوجيه غير المباشر أو بالتوجيه الذاتي في التربية ، وأعطى دعاة المذهب الذاتي لمفهوم الإنسان عن نفسه أهمية كبرى في التعلم ، وهذا المفهوم يتعلق بمستوى طموح الإنسان الذي يحفز على مواصلة التعلم . . كما يتعلق بإدراك الإنسان لذاته ، وتكامل شخصيته وإسهامه في الجماعة »(٤) .

وقد دعوا إلى تنمية التفكير الابتكاري والإبداعي أثناء التدريس ، ومن مبادئهم :

« تلعب الدوافع والحوافز دوراً هاماً في التعلم »(٥) ، حيث يكون التعزيز ذاتياً .

وإن : « المثيرات الخارجية كالجوائز والمكافآت دون أهمية التعزيز الذاتي بكثير »(٦) ، « فالتنافس الشديد . . وترتيب الدرجات في ضوء معايير خارجية ، والعقوبات الشديدة المترتبة على الفشل ، هي من العوامل الحاسمة التي تستثير قلق الطلاب ومخاوفهم والتي تؤدي إلى إحباط دافعيتهم وإلى فشلهم »(٧) .

---

(١) أصول التدريس: القلا ١/ ١٤

(٢) علم النفس التربوي: النشواتي ص٢٢٢

(٣) المرجع السابق ص٢١٢

(٤) أصول التدريس: القلا ١/ ١٤

(٥) المرجع السابق ١/ ٦٨، والتعلم ونظرياته: عاقل، د. فاخر ص٢١

(٦) لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها: المصري ص٨

(٧) علم النفس التربوي: النشواتي ص٢٢٢

هذا ومن أهم تعليلات هذا الاتجاه قولهم في الثواب والعقاب معاً :

« إن الجوائز والمكافآت تولد روح الكسب في نفس الولد ، كما أن العقوبات تلقي بذور الخوف في قلبه ، فينشأ ذليلاً جباناً . وإن المربين لا يعترفون بمبدأ المكافأة على الحسنات ، والمعاقبة على السيئات ، لأن على الولد أن يدرس حباً للدرس ، ليصبح عالماً في المستقبل ، كما أن عليه أن يتربى ويتهذب ، ليصبح رجلاً كاملاً صالحاً ، وليكون المواطن المثالي . فهو لا يتعلم ويجد ويجتهد حباً للمكافأة أو الجائزة ، كما أنه لايتهذب إرضاءً للأهل والمعلمين ، وانتظاراً لمكافآتهم . إذ أن أحسن مكافأة على الاجتهاد وحسن السيرة هي ما يكسبه الولد لمستقبل حياته وكمال نفسه . كما أن أحسن عقوبة (أنكاها) للمقصر هي فقدانه ما قصر فيه نحو نفسه في ميدان التعلم والتربية »[1] .

وفي هذا القول جوانب إيجابية ولكنه لا يخلو من مبالغة ، كما يبدو . ولذلك هبَّ اتجاه آخر معاكس بأنواع من الردود التي ستتضح في الفقرة التالية ، مع ملاحظة أن هذه الاتجاهات الثلاثة غير مستقلة بأنصارها كل الاستقلال ، وإنما قد تكون آراء شخص واحد في أكثر من اتجاه ، مثل سكنر ، فإنه يؤيد هذا الاتجاه في المناداة بإلغاء العقاب ، كما يؤيد الاتجاه الثاني في الدفاع عن الثواب .

ثانياً - ضرورة الثواب والعقاب في ضبط السلوك .

ويبدو أن هذا أكثر الاتجاهات الثلاثة أنصاراً ، لأنه يضم في جانبه الأول أي الثواب خصوم العقاب ، بل كثير منهم من خصوم العقاب ، وإن لم ينادوا بإلغائه ، فقد ضيقوا مجال استخدامه ، ولم يسمحوا به إلا آخر علاج ممكن ، معتمدين من حيث الأساس على عنصر الثواب ، أو التعزيز الإيجابي . وذلك كما يرى سكنر « أن التعزيز الإيجابي يهيئنا للبدء بتغيير مدارسنا وضبطها هي وغيرها من المؤسسات ، وأن سلوك الإنسان يتجه نحو الثواب »[2] .

فللثواب جدوى حتى ولولم يكن ذا صلة بميول المثاب واهتماماته في الوقت الذي حدثت فيه الإثابة ، « فقد دلت التجارب - تجارب ثورندايك مثلاً - على أن الأثر المُرضي يقوي الاستجابة حتى ولولم يكن هناك ارتباط أساسي بين الأثر والغرض الذي حدثت الاستجابة بالنسبة إليه . . وأن من الممكن أن ينتقل أثر الإثابة من الاستجابة التي ترتبط بها

---

(١) ورقة عمل النشاط المقترح للدورات التمهيدية: سوريال، لطفي ص١٩

(٢) فلسفة التربية: الجيوشي ٢/١٢٥

إلى استجابات أخرى تتصل بها .

وهذا الانتقال يحدث بالنسبة لما هو قبل الاستجابة المثابة ، ولما هو بعدها على حد سواء »[١] .

فأثر الثواب إذن يسري إلى ماحول الاستجابة المثابة سرياناً إيجابياً ، مما جعل أنصار هذا الاتجاه يركزون عليه أي الثواب ، دون أن يعني ذلك منهم إهمالاً أو تساهلاً في أمر التعزيز الذاتي ، بل يهدفون من وراء استخدام التعزيز الخارجي إلى تحقيق التعزيز الذاتي . وذلك أنه « إذا كان التعزيز خارجياً في البدء فإن التعلم الجيد هو الذي يؤدي إلى أن يعلِّم المرء نفسه في ضوء التعزيز الداخلي . والرأي السائد اليوم أنه لاسبيل أمام الإنسان لكي يتعلم إلا عن طريق التعلم الذاتي . ولن يتمكن المتعلم من تحقيق ذلك إلا إذا كانت الظروف الخارجية في البيئة عاملة على تفتيح قدراته ، معززة له على نمو ذاته ، وعلى أن يمتص من الجو ما يساعده على ذلك النمو .

وهنا يأتي دور التعزيز في تثبيت النواحي الإيجابية وإشعار المتعلم بذاته[٢] .

هذا في الثواب ، وأما العقاب فكذلك يرون له جدوى وإن قلت قيمتها النسبية عن قيمة الثواب ، فهما يستخدمان « في حياتنا اليومية على نحو واسع ، لما ينتج عنهما من آثار في السلوك . . ويكرس الكائن البشري جزءاً من نشاطاته اليومية ، محاولاً الحصول على الخبرات الإثابية ، وتجنب الخبرات العقابية ، لمعرفته بأن السلوك المرغوب فيه متبوع بالتعزيز والاستحسان عادة ، في حين يتلو العقاب السلوك غير المرغوب فيه »[٣] .

ومع هذا فإن عدداً من أنصار هذا الاتجاه - أو أغلبهم - يتحفظون في حكمهم على استخدام العقاب ، وإن أجازوه في ظروف خاصة أو حالات ضرورية . « فقد يساعد العقاب على إيضاح بعض الأمور ، ولاسيما ما يتعلق منها بنتائج الاستجابات التي كان من الممكن أن تمر غير ملحوظة . . فقد يكون العقاب دافعاً مثيراً ، فيحاول المتعلم تجنبه ، ويسارع إلى إيجاد استجابة صحيحة ، كما أن العقاب قد يدفع المتعلم إلى التفريق بين الهام وغيره في حل مشكلة ما ، ولكن العقاب الشديد قد يكون له تأثير سيء »[٤] .

والتحفظ واضح في هذا ، بل حتى في الثواب نفسه لم يطلق بعضهم الحكم على

---

(١) التعلم ونظرياته: عاقل، د. فاخر ص٧٩
(٢) المعلم العربي، أسس استخدام اللغة في المختبرات اللغوية: السيد، د. محمود ص١٥
(٣) علم النفس التربوي: النشواتي ص٢٨١
(٤) التعلم ونظرياته: عاقل، د. فاخر ص٨٠-٨١

إيجابيته ، وإنما قيدوه إما بالفورية ، وإما بقوة الصلة بينها وبين السلوك المثاب ، مشيرين إلى أهمية التعزيز الذاتي . . ، فيرون مثلاً أن « المكافأة كي تكون فعالة يجب أن تلي السلوك المرغوب فيه مباشرة ، وتكون وثيقة الصلة به من وجهة نظر المتعلم نفسه ، والمكافأة ذات الأثر الانتقالي الفعال إلى مواقف الحياة الأخرى هي تلك التي يكافىء بها المتعلم نفسه وأعني بها ذلك الإحساس بالرضا الذي ينتج عن تحقيق الغرض من النشاط »(١).

وكل هذا يشير إلى وجه الصواب في الاتجاه الأول لاعتراضه على استخدام كل من الثواب والعقاب في ضبط السلوك : « ولكن هذه الاعتراضات المشروعة لاتحول بين المربي وبين استخدامه الأساليب العلمية في التحكم بالسلوك ، وتوجيهها باتجاه خير الإنسان ورُقيِّه ، وتقدمه وسعادته ، وفقاً لقيمه ، مع شيء من التضحية بحرية الإنسان ، ليكسب حرية أكبر من التصرف وفق القوانين العلمية »(٢) .

ويشير هذا التحفظ مرة أخرى إلى ما في هذه الأساليب من التحكم بالسلوك الإنساني وقلة الثقة بما يتعلق بمصداقية هذا التحكم العلمي وجدواه ، وإلى ما فيها من إمكان وقوع التحكم الخاطىء الذي يؤدي إلى عكس ما يحدده المربي . ولذلك يشترط أن تكون هذه الأساليب . « علمية ولخير الإنسان ورفاهيته وسعادته وحريته وكرامته ، وجذابة قدر الإمكان ، تدفع إلى المواصلة ، وتحفز عليها »(٣) .

ومن أسباب مبالغتهم في التحفظ فيما يتعلق بالعقاب بالإضافة إلى احتمال سلبية نتائجه أن تأثيره في كف السلوك في أحسن حالاته أقل من أثر الثواب في تقوية السلوك ، كما سبقت الإشارة إليه . وذلك عكس ما كان يعتقده ثورندايك الذي « كان يظن في بادىء الأمر أن للثواب والعقاب أثراً متساوياً من حيث قدرتهما على تقوية الارتباطات أو إضعافها ، غير أنه عدل عن هذا الرأي فيما بعد ، نتيجة لعدة تجارب ، تبين له من خلالها أن الثواب والعقاب ليسا متساويين أو متضادين ، من حيث تأثيرهما في الارتباطات بل أثر الثواب أكثر فعالية من أثر العقاب ، ففي حين يؤدي الثواب إلى تقوية الارتباط فإن العقاب لا يؤدي إلى إضعافه بالضرورة ، بل يؤثر فيه على نحو غير مباشر ، بحيث يدفع الحيوان إلى القيام ببعض الاستجابات في حضور مثيرات مزعجة أو منفرة ، مما يقلل من احتمال تكرر

---

(١) التعلم والتعليم الفعالان -دليل الدراسة الذاتية رقم٥: سوريال، لطفي ص١٣
(٢) المعلم العربي، تجارب في التحكم في السلوك بالتعزيز: القلا ص٢٥-٢٦.
(٣) المرجع السابق ص٢٦.

الارتباطات الأصلية التي تم تعلمها »[1] .

وعلى كل حال يجب أن يكون العقاب عند الحاجة إليه معتدلاً ، لأن « العقاب المعتدل المعقول مدعاة إلى الأخذ بالحيطة وتجنب الأخطاء . أما العقاب الذي يجرح كبرياء الفرد ، ويمس كرامته ، أو الذي يتخذ شكل توبيخ علني فنوع ضار عقيم ، والإسراف في العقاب يذهب بقيمته »[2] .

ومهما يكن من أمر فإن علماء النفس استفادوا من فكرة الثواب والعقاب ، فقرروا أنه « لكي يتم الثبوت والتحسن في الاستجابات التي يقوم بها الفرد لابد من توافر عامل الجزاء ، فالاستجابات إذا لم تؤد إلى نوع من الترضية أو الجزاء أو الإشباع ، فإن الفرد لا يحاول تكرارها . فقد تبين في تجارب بافلوف أن تكرار المثير الصناعي أو الشرطي - كصوت الجرس - دون أن يكون مقروناً بالمثير الطبيعي أو غير الشرطي - كالطعام - يُفقده صنعته التي اكتسبها عن طريق الاقتران »[3] . فلا يعود معززاً ثانوياً . ولعل مثل هذه النتائج هي التي جعلت بعض أنصار هذا الاتجاه يميلون إلى ضرورة استخدام الثواب والعقاب بتحفظات أقل بكثير مما سبق ذكره عن بعضهم الآخر ، حيث يؤكدون « أن أسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب التي لا يستغني عنها المربي في كل زمان ومكان ، فهناك نتائج سارة أو مؤلمة وراء عمل الإنسان وسلوكه ، فإن عمل خيراً نال السرور والحلاوة ، وإن عمل شراً ذاق الألم والمرارة . فالصبي يعيش في المدرسة التي تعده للمجتمع الذي يصنع الحدود والقوانين والعقوبات ، لذلك عليه أن يتحسس أو يعي المسؤولية »[4] .

« وكان للمسلمين السابقين اتجاهان في التربية : أحدهما الاهتمام بالوسائل الدافعة المتمثلة في القدوة الحسنة ، والبيئة الصالحة ، والتشجيع والترغيب والملاينة . وثانيهما الاهتمام بالوسائل المانعة ، كالعقاب أو التهديد عند الضرورة »[5] .

ولعل من أهم ما ورد عن أنصار هذا الاتجاه رداً على الاتجاه الأول (المنادي بإلغاء الثواب والعقاب) قول أحدهم : « أعتقد أن المثل العليا توضع للبشر غايات ونهايات ، يعمل الناس إلى تكميل أنفسهم بمحاولة الوصول إليها ، ولا يصل إليها إلا القليل . وإننا

---

(١) علم النفس التربوي : النشواتي ص٣٣٢

(٢) المرجع السابق ص٣٣٣ ومبادىء في الدراسة النفسية للتعلم : سوريال، لطفي ص١٣-١٤

(٣) فن التدريس للتربية الدينية : سمك، محمد صالح ص٦٠٨-٦٠٩

(٤) المرجع السابق ص٦١٠

(٥) المرجع السابق ص٤٦٥ ، وآداب المتعلمين : عطار، أحمد عبد الغفور ص٢٤

لو استطعنا إيصال جميع الأولاد إلى ما نكملهم به من تربية وتعليم ، دون مرغِّب ولا مرهب - كما أرادت لهم بعض النظريات - لَكُنّا كمن يطلب إلى البشر أن يصبحوا جميعاً ملائكة . . ولخالفنا بذلك الطبيعة التي جبل عليها الإنسان منذ بدء الخليقة . وإنني أعتقد أن مبادئ بعض المربين غايات نحاول إدراكها بواسطة القليل من تلاميذنا ، ولا يمكن تطبيقها على الجميع بنجاح ، بل لابد من عودة التوسل بما يتلاءم مع طبيعة الإنسان الذي رغَّبه الله في العبادة بجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، ورهَّبه من التمادي في الضلال والغي بجهنم موطن النيران الخالدة والعذاب المقيم لمعاقبة الضالين والعاصين المُصِرِّين »[1] .

وهذا القول رد فعل معاكس يكاد يتجاوز حدود ما عناه الخصم - على ما يبدو - إذ لا ينكرون أصل الحوافز ، ولكنهم يركزون على الذاتي منها[2] .

والذي يظهر أن أنصار هذا الاتجاه الثاني جميعاً يحبذون عنصر الثواب في ضبط السلوك بشكل يكاد يكون مطلقاً ، إلا أن عدداً منهم أشاروا إلى ضرورة التزام الحكمة فيه ، حتى لاتضيع قيمته التعزيزية ، أو ينقلب إلى هدف أساسي للمتعلم .

وأما في خصوص عنصر العقاب فإن تحفظهم فيه واضح في آرائهم ، فلا يرون استخدامه إلا عند الحاجة الشديدة ، وبشكل لايمس كرامة الفرد ، ولا يزعزع شخصيته .

ولذلك ستظهر رؤوس كثير من هؤلاء في الاتجاه الثالث الذي ينادي بإلغاء العقاب وحده ، حيث ينقسم أنصار هذا الاتجاه إلى فريقين . أحدهما يمنع العقاب بتاتاً ، والثاني لا يمنعه عند الضرورة القصوى ، أي عندما لا يرجى أي جدوى لغيره في تعديل السلوك ، ويمنعونه فيما عدا ذلك .

ثالثاً - إلغاء العقاب دون الثواب في ضبط السلوك .

لقي الاتجاه السابق تجاوباً من عدد كبير من المربين في أحد مصراعيه « الثواب » لأنه - وإن كان وسيلة تحكم بسلوك الإنسان - أسلوب جذاب ومحبوب بالطبع والفطرة . « ويرى سكنر أن ضبط السلوك بالأساليب الجذابة لابد أن يتم بديلاً عن أساليب الضبط القهرية . . ودافع عن عملية الضبط هذه على الرغم من تقييدها للحرية ، لأن أساليب الضبط المستخدمة فيها جذابة ، ولا تسيء إلى الكرامة الإنسانية »[3] .

---

(١) ورقة عمل النشاط المقترح للدورات التمهيدية : سوريال، لطفي ص١٩

(٢) علم النفس التربوي : النشواتي ص٢١٢

(٣) المعلم العربي، تجارب في التحكم بالسلوك بالتعزيز: القلا ص١٤

إذن لقد لقي الاتجاه نفسه في مصراعه الثاني « العقاب » اعتراضاتٍ يحمل لواءها فريق ينادي بإلغاء العقاب - دون الثواب - مع ملاحظة أن هذا الفريق - كما سبق التلميح به - إنما يمثل آراء الفئة السابقة (ممن بالغوا في تضييق مجال العقاب) أكثر من تمثيله لفئة مستقلة تلغي العقاب كلياً ، مما يجعل عدد من يمنعه بتاتاً أقل من عدد من يستثنون حالات الضرورة القصوى .

وفيما يلي مزيد بيان لهذا الاتجاه مع الإشارة إلى بعض أنصاره ، وإلى الآثار التي حملتهم على منع العقاب ، عند كل من علماء التربية ، وعلماء المسلمين .

آ - رأي علماء التربية في العقاب :

يرى بعض المربين ضرورة تجنب العقاب كلياً ، لما له من آثار سيئة على الصحة العقلية للطلاب - قد تتجاوز الوضع التعليمي أحياناً - : « فقد يولِّد العقاب انفعالات متناقضة . . وقد تكون النتيجة شعوراً بالخزي والعار . . . ، وإن الحالة البغيضة التي تنجم عن العقاب لها آثار أخطر بكثير . . ويمكن أن يتجه سلوك الشخص المعاقَب فيما بعد إلى تجنب العقاب لكن هناك احتمالات أخرى ، بعضها ذات طابع تدميري أو عصابي ، أو مؤدية للتكيف السيىء[1] . إذ « تقصر كلمة العقاب أو القصاص على حالات طارئة يرتبها عن عمد أناس آخرون ، لأن النتائج معززة لهم ومقوية لمركزهم . . ونتوقع من آداب الحرية والكرامة مقاومة الإجراءات التي هي من هذا القبيل ، والعمل في سبيل عالَم يكون فيه العقاب أقل شيوعاً أو حتى غائباً . وقد فعلت الآداب هذا إلى حد ما ، ولكن المراسم القصاصية ما زالت شائعة . . . ، ولم يتخل المعلمون عن عصا التأديب إلا ليستبدلوا بها أشكالاً من العقاب أكثر مكراً . . .

ولا يمكن فهم هذا الموضوع الغريب إلا عن طريق النظر في الأسلوب الذي تستجيب به الكائنات الحية للطوارىء العقابية . إن العقاب مصمم لإزالة السلوك الأخرق والخطر أو غير المرغوب فيه ، على افتراض أن الشخص الذي يعاقب قلما يعود إلى السلوك بالأسلوب نفسه ، لكن - لسوء الحظ - ليست المسألة بهذه البساطة . . فالطفل الذي يعاقب بقسوة . . ليس بالضرورة أقل ميلاً إلى الاستمرار - فيما عوقب عليه - والرجل الذي يسجن بسبب قيامه باعتداء عنيف ليس بالضرورة أقل ميلاً للعنف . والسلوك المعاقب قد يعود للظهور بعد أن تزول الطوارىء

---

(١) تكنولوجيا السلوك الإنساني: سكنر، ب. ف. ص٦٣

العقابية[1] .

وما سبق هنا يلخص وجهة نظر سكنر العقابية ، ويصور مدى حماسته فيها ، ويرى ديوي أن على المجتمع جميعاً أن يتحمل مسؤولية سلوك الإنسان ، لأنه نتيجة تفاعل مع البيئة المحيطة ، فسلوك الإنسان « اجتماعي بالضرورة . . خيراً أم شراً . وإن محاولتناالتخلص من المسؤولية بالنسبة للجرائم التي يرتكبها الآخرون هي طريقة الاشتراك معهم في الجرم - ما دامت تشجع فيهم الاستمرار في اتباع طريق الرذيلة - فعدم مقاومة الشر عن طريق إهماله وعدم الاهتمام به هما من طرق تشجيعه وترويجه ، ومع ذلك فهناك ظروف قد تكون فيها صورة المقاومة السلبية أكثر تأثيراً في إبطال الفعل الخاطىء .

وهناك ظروف أيضاً قد يكون فيها إنزال العقاب الصارم على المجرم أقوى الطرق تأثيراً في تغيير سلوكه .

وأما الشعور بالعطف نحو مجرم ، أي العفو عنه ساعة تأجج عاطفتنا نحوه فهو تمهيد السبيل لخلق مجرمين . على أننا إذا افترضنا أن توقيع العقوبات الرادعة كافٍ دون أن نشير إلى النتائج المادية كذلك ، كان معنى هذا أن نترك الأسباب الأولى للجريمة ، دون أن نتعرض لها ، ونخلق أسباباً أخرى لها - بتغذية روح الانتقام الوحشية عند الأفراد[2] .

« فالاعتراف بأن الأخلاق هي نتيجة تعامل فرد مع بيئته الاجتماعية هو شرط ضروري للتحسن في التربية الأخلاقية ، وللفهم الذكي للأفكار الرئيسية أو تصنيفات الأخلاق . فإذا كان مستوى الأخلاق منخفضاً فمرجع ذلك إلى أن التربية الناتجة عن التفاعل بين الفرد وبيئته الاجتماعية ناقصة »[3]

هذا وفي النظام المدرسي « يصر أنصار القمع على أن يسود جو المدرسة الهدوء التام المطلق والشامل في جميع أوقات الدراسة -عن طريق الحكم القسري الشديد . مع أن القمع لا يحل مشكلة النظام إلا وقتياً ، لأنه حين تختفي يد القمع يعود التلاميذ إلى حالة من الفوضى تسود المدرسة ، كما يحدث حال خروجهم منه مباشرة . بل الضرب لا يزيد التلميذ إلا عصياناً ، ويؤدي إلى انحطاط قواه العقلية - تحت تأثير الخوف والألم والخجل - كما أنه لايجبره على اتباع الصواب تلبية لوجدانه .

ثم إن طريقة القمع لا تتفق مع المبادىء الديموقراطية ، وهي أبسط المثل الإنسانية

---

(١) المرجع السابق ص٦٣-٦٥ مختصراً.

(٢) الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني: ديوي، جون ص٤٢

(٣) المرجع السابق ص٣٣٠-٣٣١

اليوم ، ولا فائدة من القمع ليسود النظام في المدرسة ، لأنه ليس بالإمكان - عادةً - الوصول إلى غايات نبيلة بوسائل منحرفة نابية[1]

وهذا يشير إلى خطورة المهمة الملقاة على عاتق مدير المدرسة ومدرسيها ، وهي الجمع بين التشويق والنظام ، بل هي مهمة على عاتق كل معني بالتوجيه أو الإشراف : « وكلكم راع ، وكل راع مسؤول عن رعيته »[2] .

هذه بعض آراء علماء التربية حول العقاب ، وهي في معظمها معقولة إلى حد كبير من الناحية النظرية ، ولكن ثمة احتمالات متعددة لطروء ظروف قد تلجىء إلى استخدام هذه الوسيلة من حيث الواقع العملي - كما تشير إليه تحفظات ديوي . وذلك أن أي مثالية مهما حلقت في الأعالي يمكن تحقيقها عن طريق التعليم النظري أو تمثلها عن طريق التصورات الإنسانية ، ولكن ظروف الميدان العملي قد تأتي على كثير من مبادئ تلك المثالية ، وتبدد تصوراتها .

فمثلاً تطلب التربية الحديثة ضبط النفس حتى تجاه موقف عدواني زاخر باحتمال أن يثير الحفيظة : « فحين يلقي التلميذ عمداً قطعة من الطباشير مثلاً على السبورة في الوقت الذي يكون المعلم مولياً ظهره للفصل ، ترى التربية الحديثة - أن الواجب الأول على المدرس في هذه الحالة هو أن يحاول فهم هذا السلوك : لماذا ألقى التلميذ القطعة؟ هل فعل ذلك لأنه كُلف فوق طاقته؟ هل يعبر عن استيائه لنقد وجَّهه إليه المعلم ، أو إهانة أحس بها؟ هل لم يُظهر المعلم به اهتماماً؟ .

وأن من الخطأ أن يلجأ إلى العقاب وسيلة لقمع العدوان ، ذلك أن كل عدوان يزيد الرغبة في العدوان ، وينافي مفهوم الحرية في التربية ، ويمنع إقامة علاقات إنسانية مثمرة بين المعلم والتلاميذ . لأنه كي تؤتي العملية التربوية ثمارها لابد من إيجاد جو من الألفة في قاعة الدرس ، حتى يتجاوب التلاميذ مع معلمهم[3] .

وهذا يجر البحث إلى استعراض آراء علماء المسلمين في العقاب .

---

(١) التربية العامة : رحمة ، د . أنطون ٢/٣٢٢-٣٢٥ .

(٢) والحديث متفق عليه: البخاري، وصايا٩، جمعة١٧و١٩، نكاح٨١و٩٠، ومسلم، إمارة٢٠ .

(٣) المذهب التربوي عند ابن سحنون: حجازي ص٨٥ .

ب - نظرة علماء المسلمين إلى العقاب في ضبط السلوك:

كان التحفظ في استخدام أسلوب العقاب في ضبط السلوك سمة بارزة في آراء علماء الإسلام ، إلا أنه لا يظهر أن منهم من يمنع استخدام ذلك منعاً كلياً ، وإنما منهم من ضيق مجال هذا الاستخدام ، مثل ابن سحنون . .

« فقد شدد كثيراً في منعه العقاب ، واشترط قصد المنفعة عند اللزوم ، كما اشترط الخبرة بنفسية الطفل قبل التصدي للتعليم »[1] .

حتى قال عنه أحد العلماء (أبو إسحق الجبنياني-٤٤٠هـ): « رحم الله أبا عبد الله محمد بن سحنون ، لو عَلَّم الصبيان لرفق بالمعلمين »[2] .

« وذلك أنه حاول في كتابه (آداب المعلمين) أن يوضح للمعلم أنه مسؤول عن الطالب ، ويتحمل هو وعائلته الأذى الحاصل للصبي نتيجة الضرب . . حتى إنه طالب بالقصاص عندما يتعدى المعلم ما يجوز له من العقاب ، واشترط عليه أن يباشر هو تأديب الصبي ، ولا يولي صبياً آخر ، وأن لا يضرب رأسه ، ولا وجهه ، وأن لا يعاقبه بمثل منع الطعام والشراب ، ولا يضربه في ثورة الغضب ، ولا يضرب صبيّاً فيما دون العاشرة من عمره ، وأن لايضربه بانفراد . . وأن يضع في الحسبان دائماً حين يمارس التأديب الجسدي أن أي أذى يلحق بالصبي فإنه يتحمل هو تبعاته»[3] .

منطلقاً في ذلك من مفهوم الآية الكريمة التي هي قوله تعالى: ﴿ وَلَكم في القصاص حَياةٌ يا أولي الألبابِ لعلَّكم تتقون ﴾ .[البقرة: ١٧٩]

« فالقيود التي قَيَّد بها ابن سحنون الضرب دليل على توخي الحذر في استعماله ، وأنه غير مسيء إلى الصبي ، وينبغي أن ينظر إليه من الوجهة الإيجابية »[4] .

ومما يحدد المقدار اللازم من العقاب عند الضرورة قول ابن خلدون:

« ينبغي للمعلم في متعلمه - والوالد في ولده ، أن لا يَسْتبدّا عليهما في التأديب . وقد قال محمد بن أبي زيد: - لاينبغي لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضربهم - إذا احتاجوا إليه - على ثلاثة أسواط شيئاً .

---

(١) المرجع السابق ص٦٨-٦٩
(٢) المرجع السابق ص٤٢
(٣) المرجع السابق ص٧٦ وما بعدها.
(٤) المذهب التربوي عند ابن سحنون: حجازي ص٨٣.

ومن كلام عمر رضي الله عنه: - من لم يؤدبه الشرع لا أدَّبه الله - حرصاً على صون النفوس عن ذلة التأديب ، وعلماً بأن المقدار الذي عينه الشرع لذلك أملك له ، فإنه أعلم بمصلحته »[١] .

هذا وينبغي أن يكون العقاب عند الحاجة متدرجاً ، أي « مهما ظهر في الصبي خُلق جميل وفعل محمود فينبغي أن يكرم عليه ، ويجازى عليه بما يفرح به ، ويمدح بين أظهر الناس ، فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي للوالد أن يتغافل عنه ، ولا يهتك ستره ، ولا يكاشفه ، ولا يظهر له أنه يتصور أن يتجاسر أحد على مثله ، ولاسيما إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه ، فإن إظهار ذلك عليه ربما يفيد جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة .

فعند ذلك إن عاد ثانياً فينبغي أن يعاقب سراً ، ويعظم الأمر فيه ، ويقال له: إياك أن تعود بعد ذلك بمثل هذا ، وأن يطلع عليك أحد في مثل هذا ، فتفتضح بين الناس ، ولا يكثر القول عليه بالعتاب في كل حين ، فإنه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ، ويسقط وقع الكلام من قلبه »[٢] .

وهذه النظرة تعبر عن الخبرة النفسية للإمام الغزالي .

وعلماء الإسلام يؤكدون منع التأديب بالضرب إلا لمن أذن له الشرع أو أذن له النائب الشرعي ، مع التقيد بقدر الضرورة ، وأن لايستخدم إلا عند توقع الجدوى منه دون إلحاق شديد الأذى بالمتعلم:

« فلا يجوز للمعلم الضرب إلا بعد إذن أبٍ فجدّ ، فقيِّم ، فأُم . . . ، ويلزمه أن يكون على حسب ما يراه كافياً بالنسبة لجريمة الولد ، فلا يجوز له أن يرقى إلى مرتبة وهو يرى ما دونها كافياً - كدفع الصائل - (أي مثل الدفاع الشرعي) .

ويشترط أيضاً في جواز التعزير للمعلم أن يظنه زاجراً من غير ضرب مبرح ، أما إذا ظن أنه لايفيد إلا الضرب المبرح فلا يجوز إجماعاً ، ولاغيره على الأصح ، لأنه لا يفيد والعقوبة إنما جازت . . على خلاف الأصل ، لظن إفادتها زاجراً أو إصلاحاً ، فإذا ظن انتفاء فائدتها فلا مقتضى لجوازها »[٣] .

---

(١) مقدمة ابن خلدون، ص٥٤٠-٥٤١ .
(٢) إحياء علوم الدين: الغزالي ٧٣/٣
(٣) آداب المتعلمين «تحرير المقال»: الهيثمي، ابن حجر ص٣١٦-٣١٨

فهذا النص صريح في أن الأصل هو عدم مشروعية العقاب، وأن جوازه يرتبط بالضرورة، وبشرط الإفادة والإصلاح، بل حتى عندما يحتمل أن لايفيد ذلك إلا بضرر شديد فإنه يمنع بالإجماع، كما يمنع ما دون الشديد من الضرب في هذه الحالة أي عند توقع عدم الجدوى.

ومما يؤيد وجوب التركيز على الشفقة والرحمة في التوجيه قوله تعالى:

﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعفُ عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. فقد أثنى سبحانه وتعالى على النبي ﷺ بحسن الخلق في معاملته لأصحابه، وحثه على الثبات على ذلك، فالأمر «الأساسي من التعزير. هو الردع والزجر، مع الإصلاح والتهذيب.. وقد حرمت الشريعة الإسلامية كل ما فيه خروج على هذه الأغراض»[١].

وبمعنى آخر إن: «الغاية من العقاب في الفقه الإسلامي أمران:

- أحدهما حماية الفضيلة، وحماية المجتمع من أن تتحكم فيه الرذيلة.
- والثاني المنفعة العامة أي المصلحة العامة»[٢].

هذه نظرتهم إلى العقاب بصورة موجزة، وأما آثاره في رأيهم فقد لخصتها كلمة وردت في مقدمة ابن خلدون، مشيرة إلى تعدد الأضرار المحتملة منه. وذلك تحت عنوان: «الفصل٣٢ في أن الشدة على المتعلمين مضرة لهم». جاء فيها: «وذلك أن إرهاق الجسد بالتعليم مضرة بالمتعلم، سيما في أصاغر الوُلد، لأنه من سوء الملكة، ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم، سطا به القهر، وضيّق على النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها، ودعاه إلى الكسل، وحمله على الكذب والخبث - وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه - وعلى المكر والخديعة لذلك. وصارت له هذه عادة وخلقاً»[٣].

ثم تابع مشيراً إلى الأضرار الاجتماعية والنفسية، ومؤكداً أن ذلك قاعدة مطردة بالاستقراء: «وفسدت معاني الإنسانية له من حيث الاجتماع والتمرن - وهي الحمية والمدافعة عن نفسه - وصار عيالاً على غيره في ذلك. وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل

---

(١) التعزير في الشريعة الإسلامية: عامر، د.عبد العزيز ص٢٤٣

(٢) فلسفة العقوبة في الفقه الإسلامي: أبو زهرة ص٣٣

(٣) مقدمة ابن خلدون ص٥٤٠.

والخلق الجميل ، فانقبضت عن غايتها ومدى إنسانيتها ، فارتكس وعاد في أسفل السافلين .

وهكذا وقع لكل أمة حصلت في قبضة القهر ونال منها العسف . واعتبره في كل من يُملك أمره ولا تكون الملكة الكافلة له رفيقة به . . تجد ذلك فيهم استقراءً »[1] .

وبعد أن حدد مقدار العقاب اللازم عند الحاجة قال مشيراً إلى ما يراه مثالاً من أحسن الأساليب التربوية - نقلاً عن هارون الرشيد:

« ومن أحسن مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد لمعلم ولده محمد الأمين ، فقال: يا أحمر ، إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه ، وثمرة قلبه ، فصيِّر يدك عليه مبسوطة ، وطاعته لك واجبة ، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين . . ولا تَمرَّن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها ، من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ، ولاتمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه ، وقوِّمه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة »[2] .

مشيراً بهذا إلى أهمية اغتنام الفرص في التربية ، وإلى أن الثواب أقوى أثراً من العقاب في تغيير السلوك وتقويمه ، وإلى عدم مشروعية العقاب إلا لضرورة .

تلك هي بعض آراء كل من أنصار الاتجاهات الثلاثة وموقفهم من استخدام الثواب والعقاب في ضبط السلوك وفي التربية .

وهذه آثار العقاب التي حملت فئة منهم على النداء بإلغائه ، وقد تبين موقف علماء الإسلام من ذلك كله ، ومن العقاب بصورة خاصة .

وسواء منهم من نادى بإلغاء العنصرين معاً ، أو أحدهما - العقاب - ومن نادى بإبقائهما معاً ، فإن التحفظ في الأخير حاصل منهم جميعاً ، ما بين مشير ومصرح ، مقتصد ومتشدد أو مبالغ ، مما دعا إلى السعي لإيجاد بدائل أخرى عنهما أو عن العقاب . فما هذه البدائل المقترحة؟ وهل يمكن الاعتماد عليها؟ ذلك ما سيختتم به هذا الفصل .

رابعاً: بدائل العقاب .

ويمكن تقسيم البدائل المقترحة إلى طائفتين ، هما:

- طائفة يرى أصحابها أنها تغني كلياً عن العقاب . . وقد تغني عن الثواب .
- طائفة ثانية يرى أصحابها أنها قد لا تغني عن العقاب ، ولكنها تخفف من استخدامه أو وقوعه ، وذلك عن طريق منعها أو تقليلها لدواعيه .

---

(١) المرجع نفسه.

(٢) المرجع السابق ص٥٤١.

وفيما يلي شيء من كلتا الطائفتين من البدائل ، على هذا التقسيم ، ثم المناقشة .

١ - الطائفة الأولى من بدائل العقاب :

قد ذكر معظم هذه الطائفة سكنر وناقشها(١) ، وتضم الأساليب التالية :

التساهل أو طريقة الحرية ، القبالة ، الإرشاد بمعنى البستنة ، الاعتماد على الأشياء ، ثم الاعتراف بالمسؤولية الاجتماعية .

١ - التساهل :

« لقد طرح التساهل طرحاً جدياً باعتباره بديلاً عن العقاب ، من أنصار الحرية والكرامة ، ولا يمارس في هذا أي تحكم ، ولذلك سيظل استقلال الفرد حراً من أي اعتراض . فإذا سلك شخص سلوكاً جيداً فلأنه طيب بالفطرة ، أو لأنه منضبط بنفسه . فالحرية والكرامة مكفولتان »(٢) .

« ويرون أن الرجل الفاضل لايحتاج إلى مُوجِّه ، فهو تقي . . دون اتباع مبادئ أو قواعد ، ولا يحتاج إلى محفزات اقتصادية منظمة ، فهو بطبيعته كدود - أي كثير الكد - .

وطريقة التساهل توفر الجهد المبذول في الإشراف والمراقبة وفي تطبيق القوانين ، ولا تولد هجوماً معاكساً ، ولا تعرض لتهمة الحد من الحرية أو تهمة تدمير الكرامة ، وتعفي من المسؤولية حينما تسوء الأمور . فإذا أصبح الطفل جانحاً . فلأنه رافق السيئين ، أو لأن لديه ميولاً إجرامية »(٣) .

علماً بأن أنصار الحرية ، مثل ديوي ، يزعمون أن الطفل خيِّر بطبيعته ، فكيف تكون لديه ميول إجرامية؟ فعلى الأقل يلزم تفسير معنى كون الإنسان خيراً بطبيعته . والظاهر هو أن « التساهل ليس بسياسة ، إنما هو ترك السياسة والتخلي عنها تماماً ، كما أن فوائده الظاهرة خادعة . فرفضنا التحكم معناه ترك السيطرة والتحكم لا للشخص نفسه ، ولكن لأجزاء أخرى من البيئات الاجتماعية وغير الاجتماعية »(٤) .

وذلك أنه يخشى بتبني مثل هذه الطريقة بهذا المعنى أن تفضي إلى الفوضى مادام الطفل يفعل ما توحيه الطبيعة . . في حين أن المطلوب هو تحقيق النظام بأسلوب يحترم كرامة

---

(١) تكنولوجيا السلوك الإنساني : سكنر ، ب.ف. ص٨٥-٩٢.
(٢) المرجع السابق ص٨٥ (ملخصاً ومختصراً ، وكذلك ما بعده من هذا المرجع).
(٣) المرجع السابق ص٨٥-٨٦.
(٤) المرجع السابق ص٨٦.

الإنسان . ولعل هذا ما دعا « باركهرست » إلى القول:

« إن الطفل الذي يفعل ما يروق له ليس طفلاً حراً ، بل هو بالعكس معرض لأن يغدو عبد عاداته السيئة »(١) . ولهذا طرحوا بديلاً آخر لا يخلو من التحكم ، دون المساس بالكرامة والحرية ، وهو « القبالة » أي التحكم على شكل قابلة .

٢ - القبالة:

« وهي إحدى طرق تعديل السلوك دون الظهور بمظهر من يمارس التحكم . ويمثلها التشبيه الذي استعمله سقراط بشأن القابلة ، حيث يساعد شخص ما شخصاً آخر في إنجاب السلوك ، فبما أن القابلة لا تقوم بأي دور في الحمل ، وإنما فقط في المخاض ، فإن الشخص الذي ينجب السلوك قد ينال كل التقدير على ذلك .

وإن سقراط يرى أن الروح تعرف الحقيقة ، ولا تحتاج إلا إلى أن يوضح لها أنها تعرفها ، أي الحقيقة ، يقول كومنيوس: كلما زاد المعلم من تعليم التلاميذ قل تعلمهم ، فعلى المعلم أن ينتظر إجابة التلميذ ، لاأن يندفع لإخباره بما عليه أن يعمل أو يقول »(٢) .

ويرون أن لهذه الطريقة فوائد منها:

« تجنب الممارس المسؤولية ، قياساً على القابلة عندما يأتي الطفل مشوَّهاً أو ميتاً ، مشيرين إلى أن فوائد الممارسات الحِوارية لها مكانها ، بمقدار المساعدة التي ينبغي على المعلم أن يعطيها للتلميذ أثناء اكتسابه لأشكال جديدة من السلوك »(٣) .

إلا أن « القبالة الفكرية والعلاجية والأخلاقية ليست بأسهل من التحكم بواسطة العقاب ، لأنها تتطلب مهارات معقدة واهتماماً مركزاً . . وإن فوائد هذه الطريقة أقل بكثير من الفوائد التي كان يُدَّعى أنها ستتحقق »(٤) .

هذا واقترح بعضهم طريقة أخرى يبدو فيها معنى الإشراف أكثر من سابقتيها: التساهل والقبالة ، ألا وهي طريقة الإرشاد أو البستنة .

٣ - الإرشاد:

« وهو تشبيه آخر مرتبط بالممارسات الضعيفة ، ومأخوذ من البستنة أو فن الزراعة ، وهو أن السلوك الذي ينتجه الشخص ينمو ، ويمكن أن يوجه كما توجه النبتة النامية ، أي

---

(١) التربية العامة: رحمة، د. أنطون ٣٢١/٢..
(٢) تكنولوجيا السلوك الإنساني: سكنر، ب. ف. ص٨٦-٨٧.
(٣) المرجع السابق ص٨٨.
(٤) المرجع نفسه.

أن السلوك مثل النبات يمكن تعهده . . فالمعلم لا يستطيع أن يعلم إنما يستطيع فقط مساعدة التلميذ ليتعلم »[1] .

« وليس الإرشاد في مثل سهولة التساهل ، ولكنه عادة أسهل من القبالة ، وله بعض الفوائد نفسها ، فالشخص الذي يكتفي بتوجيه التطور الطبيعي لا يمكن اتهامه بمحاولة السيطرة على التطور ، ويبقى النمو إنجازاً للفرد ، يشهد على حريته وقيمته ، وعلى نزعاته الخفية ، كما أن الجنائني ليس مسؤولاً عن الشكل النهائي لما يستنبت ، كذلك فالذي يرشد فقط يُعفى من المسؤولية حينما تُمنىٰ الأمور بالإخفاق . . ولكن مهما يكن فالإرشاد فعال فقط إلى الحد الذي تمارس فيه السيطرة . . مع ملاحظة أنه شكل من السيطرة - إذا زاد من احتمال ظهور السلوك - فالمعلم الذي يقوم باختيار المادة التي على التلميذ أن يمارسها ، أو المعالج الذي يقترح القيام بعمل مختلف أو بتغيير المنظر ، يكون قد مارس تحكماً مع أنه قد يكون من الصعب تبين ذلك التحكم »[2] .

ومن هنا لجأ آخرون إلى اقتراح بديل آخر ، يرون فيه الإبقاء على الحرية أكثر ، وهو الاعتماد على الأشياء .

٤ - بناء الاعتماد على الأشياء:

وهذا آخر ما ذكره سكنر من البدائل عن خصوم الثواب والعقاب ، مشيراً إلى أن من أقطاب هذا الاتجاه « جان جاك روسو » حيث قال أي سكنر:

« وكان (ج .ج .روسو) متيقظاً لأخطار التحكم الاجتماعي . وقد ظن أنه يمكن تحاشيها بجعل المرء معتمداً لا على الناس وإنما على الأشياء . وأوضح ، في هذا الصدد ، كيف يمكن للطفل أن يتعلم عن الأشياء من الأشياء نفسها ، وليس من الكتب »[3] .

وذكر من فوائد هذه الطريقة ما يلي:

- « أنها توفر الوقت والطاقة ، حيث يمكن للطفل الاستغناء عن الآخرين .
- أن الحالات الطارئة التي تشمل الأشياء تكون أكثر دقة ، وتشكل سلوكاً أكثر نفعاً من الطوارىء التي يرتبها أناس آخرون .
- أن الخصائص الزمنية للبيئة هي أكثر انتشاراً وأكثر دقة من أية سلسلة من الأشياء

---

(١) المرجع السابق ص٨٨-٨٩.
(٢) المرجع السابق ص٨٩.
(٣) المرجع السابق ص٩٠.

المذكِّرة . فالشخص الذي يتشكل سلوكه في قيادة السيارة بناءً على استجابة السيارة نفسها يتصرف بمهارة أكثر من الشخص الذي يتبع التعليمات من الآخرين .

- أن العالَم الذي يعتمد فيه السلوك على الأشياء هو مطمح جذاب ، حيث يسلك كل إنسان سلوكاً جيداً بالنسبة لزملائه ،كما كان قد تعلم أن يفعل لدى تعرضه لرضاهم أو سخطهم »[1] .

ومما يلاحظ على هذه الطريقة ما يلي:

- « أن الأشياء لا تُمكِّن من التحكم بسهولة ، ولم تكن الإجراءات التي وصفها روسو بسيطة ، وكثيراً ما لا تنجح ، بل إن الطوارىء المعقدة التي تشمل الأشياء يمكن (بلا مساعدة) أن تكون ذات تأثير قليل جداً على الفرد خلال حياته . .

- أن السيطرة التي تمارسها الأشياء قد تكون سيطرة تدميرية ، ويمكن لعالَم الأشياء أن يكون استبدادياً . . وأما السيطرة التي تمارسها البيئة الاجتماعية فهي وحدها التي تقدم الحماية ضد النتائج السلبية .

- أن الذي يعتمد على الأشياء معتمد بالضرورة على من علموه أن يفعل ذلك ، والذين اختاروا له الأشياء التي يعتمد عليها وحددوها له، وهم مسؤولون عن النتائج »[2]

هذا والسِّمَة العامة للبدائل السابق ذكرها هي التهرب من المسؤولية ، أو محاولة التنصل من تبعات الممارسات الهادفة إلى ضبط السلوك وتقويمه ، مما حمل آخرين - وعلى رأسهم جون ديوي - على اقتراح بديل آخر يتقبل المسؤولية الاجتماعية ، حيث أكد أن حل المشكلة التربوية يكمن في:

« الاعتراف بالمسؤولية الاجتماعية شرطاً ضرورياً للتحسن في التربية الأخلاقية ، وذلك بناءً على أن الأخلاق الإيجابية والسلبية على حد سواء إنما هي نتيجة لتفاعل الفرد مع بيئته الاجتماعية ، وأن على الجميع أن يتحملوا مسؤولية سلوك الإنسان أو ما ينتج عنه من سلبيات »[3] .

هذا ويرى الإمام الغزالي نفسه أن التربية تشبه الفلاحة ، ولكنه لايعني بذلك - على ما يظهر - رفع المسؤولية عن المرشد أو المربي ، حيث قال: « أيها الولد ، اعلم أنه ينبغي لك

---

(١) المرجع السابق ص٩٠-٩١.
(٢) المرجع السابق ص٩٢.
(٣) الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني: ديوي، جون ص٣٣٠-٣٣١.

شيخ مرشد مرب ، ليخرج الأخلاق السيئة بتربيته ، ويجعل مكانها خلقاً حسناً ، ومعنى التربية يشبه فعل الفلاح الذي يقلع الشوك ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع ليحسن نباته ويكمل ريعه »[١] .

وعلى هذا فإن كون الإرشاد أو التربية بمعنى الفلاحة لا يعفي المرشد أو المربي من المسؤولية ، إذ الفلاح مسؤول عن تقصيره الزراعي - كعدم بذله الجهد الكافي لاستقلال الزرع عن النباتات الأجنبية ، ومثله التقصير في السقي اللازم لضمان صلاح الزرع - وإن كان لا يتحمل نتائج الجوائح القاهرة .

ولعل مبالغة المربين في تحميل المعلم مسؤولية نتائج التعليم السلبية ناتجة عن إسراف المعلمين سابقاً في استخدام الأساليب القاسية المنفرة في مهمتهم التربوية .

ومن أبرز من اتهم معلمه وحمله مسؤولية النتائج السلبية سلوكياً « جان جاك روسو » في اعترافاته ، حيث وضع عنواناً مستقلاً في كتابه قائلاً: « قسوة المعلم دفعتني إلى الفساد »[٢] . معترفاً بأمور ليس من العادة الاعتراف بمثلها - كتابياً على الأقل - فلعل فساده دفع إلى القسوة عليه لا العكس .

٢ - الطائفة الثانية من بدائل العقاب:

وما تم عرضه من البدائل المقترحة لا يبدو أنه يغني عن استخدام الثواب والعقاب ، ولا عن الأخير على الأقل ، وإن كان يمكن الاستعانة بتلك البدائل في تخفيف الحاجة إلى الحوافز المالية والإجراءات المنفرة . فما تزال الحاجة إلى البحث عن بدائل أخرى قائمة بغض النظر عن مدى ما يمكن أن تسهم به تلك البدائل في الموضوع .

وطرحت فعلاً أساليب تربوية قد تكون من أهم ما يقلل من دواعي العقاب إن لم تمنعه كلياً . ويشترك في معظمها كل من علماء العرب والمسلمين وغيرهم من علماء التربية وعلم النفس ، مما يجعل البحث يركز على ما قاله الفريق الأول ، روماً للاختصار ، مع الإشارة إلى غيرهم عند الحاجة .

ومن هذه الأساليب: مراعاة الفروق الفردية - التدرج والتنويع في التعليم - اغتنام الفرص والترويح بمثل اللعب الجميل المعتدل - الزجر بالتعريض والتدرج في العقاب أي عند الضرورة إليه .

---

(١) أيها الولد: الغزالي ص٣٥-٣٦.

(٢) اعترافات روسو، ترجمة خليل، محمد بدر الدين ص٣٩و٥١.

١ - مراعاة الفروق الفردية والتدرج:

بعد اتفاق أفراد البشر في أصل الفطرة، وتشابههم في عموم الملامح والسمات . . ، فإنهم يختلفون في ملامح أخص وسمات أدق . . بحيث يتميز كل فرد عن غيره بصفات خَلقية وخُلقية، ومدارك عقلية، وميول مزاجية . . هذا مع اختلاف الأعمار والبيئات والثقافات والمتطلبات . . مما يقتضي مراعاة كل فرد أثناء التعامل معه كائناً بشرياً مستقلاً، له حاجاته واتجاهاته ومستواه الإدراكي وعواطفه.

وهذا يحتم على المربي أن يراعي استعداد المتعلم ومستوى فهمه للأمور، حتى لا يضيع الجهد التربوي. بل ينبغي على المعلم أن يكون كالطبيب. «فكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم، فكذلك الشيخ لو أشار على المريدين (التلاميذ) بنمط واحد من الرياضة (أو التعلم) أهلكهم وأمات قلوبهم، بل ينبغي أن ينظر في مرض المريد وفي حاله وسنه ومزاجه وماتحتمله بنيته من الرياضة، ويبني على ذلك رياضته»[١] أو تعليمه وتوجيهه.

ومن هنا يظهر أن من المهم جداً في التربية مراعاة المتفوقين ومَن دونهم: «فينبغي أن يكون المعلم باذلاً وسعه في تفهيمهم وتقريب الفائدة إلى أذهانهم، حريصاً على هدايتهم، ويفهم كل واحد بحسب فهمه وحفظه - بأن يراعي مستوى ذكائه وإدراكه وخلفيته الثقافية - فلا يعطيه مالا يحتمله، ولا يقصر عما يحتمله بلا مشقة . . فيكتفي بالإشارة لمن يفهمها فهماً محققاً، ويوضح بالعبارة لغيره، ويكررها لمن لايحفظها إلا بتكرار»[٢].

كما يظهر أن للتدرج صلة وثيقة بمراعاة الفروق الفردية، بل التدرج نفسه ينبغي أن يختلف ما بين تلميذ أو فرد وآخر، تبعاً لاختلافهما في الإدراك مثلاً. وقد أشار إلى ذلك الطوسي قائلاً:

«ينبغي أن يكون قدر السبق (الحصة) للمبتدىء قدر ما يمكن ضبطه بالإعادة مرتين بالرفق والتدرج»[٣]. وقد أوضحه كذلك كل من ابن خلدون والغزالي . بما يفيد «أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على سبيل التدرج شيئاً فشيئاً . . وهو إنما يحصل في ثلاثة تكرارات، وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك، بحسب

---

(١) إحياء علوم الدين : الغزالي ٣/٦١ وانظر بعدها ٧٢، ٧٤.
(٢) المجموع -شرح المهذب، الإمام النووي ١/٣١
(٣) آداب المتعلمين: الطوسي، نصير الدين ص١٤٨.

ما يُخلق له ويتيسر عليه »[1] . « وأن المتعلم القاصر ينبغي أن يُلقى إليه الجَلِيُّ اللائق به ، ولايذكر له وراء هذا تدقيقاً وهو (أي المعلم) يدخره عنه ، فإن ذلك يفتر رغبته في الجلي ، ويشوش عليه قلبه ، ويوهم إليه البخل به عنه ، إذ يظن كل واحد أنه أهل لكل علم دقيق ، فما من أحد إلا وهو راض عن الله سبحانه في كمال عقله . وأشدهم حماقة وأضعفهم عقلاً أفرحهم بكمال عقله . . (فينبغي على المعلم أن) يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه ، فلا يلقي إليه مالا يبلغه عقله ، فينفره أو يخبط عليه عقله ، وقد قيل : كِل لكل عبد بمعيار عقله ، وزِن له بميزان فهمه ، حتى تسلم منه ، وينتفع بك ، وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار »[2] .

وذلك اقتداءً بالنبي ﷺ الذي « وضع أصول هذا الاتجاه »[3] . حيث قال : « نحن معشر الأنبياء أمرنا أن نُحدِّث الناس على قدر عقولهم »[4] . « فلا يلقي إلى المتعلم ما لم يتأهل له ، لأن ذلك يبدد ذهنه ويفرق فهمه »[5] .

هذا وممن بحث في فلسفة الغزالي التربوية الأستاذ مرزة ، وقد علق على ملاحظاته التربوية التي منها بعض ما سبق قائلاً :

« وهذه ملاحظات قيمة عند الغزالي ، وتدل على خبرة ودراية بأمور التربية والتعليم . فدعوته إلى التدرج في التعليم ومراعاة عقل الطفل أو المتعلم وقدرته على الفهم ، أهم ما تدعو إليه التربية الحديثة ، وتتفق مع مبادئ علم النفس ومكتشفاته حول مراحل النمو وخصائصه التي تؤكد أن لكل طفل طبيعة خاصة في نموه وتطوره العقلي ، يختلف بها عن غيره »[6] .

ومما يشير إلى مبدأ التدرج ومراعاة الفروق الفردية ، قوله تعالى : ﴿ وقرآناً فَرقناه لِتقرَأهُ علىٰ النَّاس علىٰ مُكثٍ ونزَّلناه تَنزيلاً ﴾ . [الإسراء : ١٠٦] .

فهو سبحانه وتعالى لم ينزل القرآن الكريم جملة واحدة - كما اقترح المعارضون الذين قال تعالى عنهم : ﴿ وَقالَ الَّذين كَفروا لولا نُزِّل عليه القرآنُ جُملة واحدة ﴾ .

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص٥٣٣ .
(٢) إحياء علوم الدين : الغزالي ٥٧/٣ .
(٣) معجزة الإسلام التربوية : السيد د. محمود ص٥٤ .
(٤) كشف الخفاء : العجلوني ١٩٦/١ ، وتقدم الحديث ص١٦ .
(٥) آداب المتعلمين -تذكرة السامع : ابن جماعة ص١٩٧ .
(٦) المعلم العربي ، التربية عند الغزالي ص٦٠ : مرزة ، باكزة .

[الفرقان: ٣٢] . فرد عليهم تعالى فوراً: ﴿ كذلك لنُثبِّت به فؤادَكَ ورتَّلناه تَرتيلاً ﴾ . [الآية نفسها] . فلم يجبهم إلى اقتراحهم ، تحقيقاً لهذا المبدأ التربوي الذي كان الجو الاجتماعي والعقلي في أمس الحاجة إليه ، مما يشير إلى أن من اللازم: « الانتباه إلى أهمية اختلاف الطبع والاستعداد وتأثير البيئة والوراثة »[١] .

وقبل ختام هذه الفكرة يحسن الذكر أن مما يتصل بمبدأ مراعاة الفروق الفردية من حيث فعالية التشويق: التنويع في التعليم ، لأن النفس البشرية مجبولة على حب المنوعات وكراهة النمطية ، فينبغي مراعاة هذه الفطرة في التربية والتعليم كذلك ، حتى في الأسلوب ، بل « يحسن تغيير الأسلوب والنبرة والطريقة . كما يحسن تنويع العلوم أو المواضيع والمعلومات »[٢] .

وسبق أن أشار الغزالي إلى ما في مراعاة الفروق الفردية من احتمال الحساسية . إذ يمكن أن يرى كل فرد نفسه أهلاً لأن يصنف في المتفوقين . ولعل التنويع يكون مما يتخذه المربي لتفادي سلبيات تصنيف الطلاب إلى متفوقين ومتوسطين ثم متأخرين .

ولا يخفى أن التوفيق بين المستويات المختلفة والميول المتباينة من أصعب ما يواجه المربي في مهمته ، ولكن ذلك لايحول دون السعي لتحقيق أكبر قدر ممكن من هذا المبدأ الإيجابي في التربية ، عن طريق اغتنام كل فرصة سانحة .

٢ - اغتنام الفرص ، والترويح .

سبقت الإشارة إلى أهمية اغتنام الفرص في التربية ، بما نقله ابن خلدون عن الخليفة هارون الرشيد الذي أوصى مؤدب ولده أن لايدع فرصة إلا ويغتنمها بما يفيده به[٣] . وذلك أن لاغتنام الفرص أثراً إيجابياً في تحقيق الأهداف التربوية وربط التعليم النظري بالواقع . وهو نوع من وسائل التنويع الذي يُبعد السآمة والملل ، أو يخفف منها ، بل الواقع أن « من العوامل المساعدة على التعلم اختيار الوقت وتحيُّن الساعات الملائمة »[٤] .

« فإن المناسبات والأحداث تكوِّن عند السامع انتباهاً خاصاً ، واستعداداً ذاتياً ، وتلهفاً وحب استطلاع للنتيجة (وتهيؤاً لتقبل) النصيحة . . سواء كانت الحادثة - أو المناسبة - سارة أو مؤلمة . .

---

(١) آداب المتعلمين -ملخص آراء إخوان الصفا ص٥٧ .
(٢) طرق تدريس التربية الإسلامية: الزحيلي، د. محمد ص٢٢٨ .
(٣) مقدمة ابن خلدون ص٥٤١ .
(٤) آداب المتعلمين: المحقق عطار ص٢٥ .

والأصل في هذا المبدأ ظاهر وقوي ، وهو نزول الآيات الكريمة بحسب المناسبات لتكون أقرب إلى الفهم ، وأدعى للتطبيق والالتزام »[1] .

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا »[2] .

فإذا كان النبي ﷺ قد وضع أصول مراعاة الفروق الفردية[3] ، فإن هذا الخبر يؤيد اهتمامه عملياً بمبدأ « التشويق » ومراعاة قوانين النفس .

وأما في خصوص الترويح عن المتعلم بين الحين والآخر فيرى الغزالي أنه : « ينبغي أن يؤذن له (الصبي) بعد الانصراف من الكتّاب أن يلعب لعباً جميلاً ، ليستريح إليه من تعب المكتب ، بحيث لا يتعب في اللعب ، فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه بالتعليم دائماً يميت قلبه ، ويبطل ذكاءه ، وينغص عليه الغيش حتى يطلب الحيلة من الخلاص منه رأساً »[4] .

فالغاية من اللعب عند الغزالي هي الترويح عن الطفل بعد عناء الدرس .

وعندما جاء فروبل أعطى اللعب دوراً مهمّاً في نظامه التربوي ، فابتكر الألعاب التربوية التي تعتبر وسيلة للتشويق ، وتساعد على تفتح ما يحمله الطفل من قوى (عقلية) واستعدادات . . وكذلك مونتسوري الإيطالية . . استندت إلى الألعاب التربوية في تربية حواس الطفل وتهيئتها للإدراك الذهني ، ووضعت هذه الألعاب على أساس علمي - وليد الملاحظة والتجربة - لتربية كل حاسة بمفردها ، ولتنمية نشاطها الطبيعي »[5] .

ومما هو جدير بالذكر هنا أن الغزالي اشترط في اللعب الذي يساعد على تقدم العملية التعليمية-التعلُّمية أن يكون جميلاً ، معتدلاً أي غير متعب ، وأن إجازته للعب إنما هو على أساس التدرج في التوجيه لمن لا يترك المخالفة رأساً - كما سيتبين في الفقرة التالية .

---

(١) طرق تدريس التربية الإسلامية : الزحيلي ، د. محمد ص٢٢٧-٢٢٨ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، علم ١١و١٢ ، ومسلم في صحيحه ، منافقين ٨٢و٨٣ . والترمذي ، أدب ٧٢ .

(٣) حيث قال : «أمرنا أن نحدث الناس على قدر عقولهم» وتقدم في الصفحة قبل السابقة وص١٦

(٤) إحياء علوم الدين : الغزالي ٦٢/٣ .

(٥) المعلم العربي -التربية عند الغزالي : مرزة ، باكزة ص٥٨ .

٣ - الزجر بالتعريض، والتدرج في التوجيه:

تبعاً لتنوع طبائع النفس البشرية، وصعوبة اكتشافها بدقة، فإن توافر الأساليب التربوية الشائقة قد لايحول دون وقوع بعض الأفراد في مخالفات تؤدي إلى عقاب. والعلاج الوقائي الأخير لمثل هؤلاء هو تنبيههم بلطف إلى خطورة ماهم عليه، عن طريق التعريض، فإن من دقائق صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن - ولا يصرح - وبطريق الرحمة، لا بطريق التوبيخ، فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة، ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف، ويهيج الحرص على الإصرار.. ولأن التعريض يُميل النفوس الفاضلة والأذهان الذكية إلى استنباط معانيه، فيفيد فرح التفطن لمعناه، رغبة في العلم به، ليُعلَم أن ذلك مما لا يعزب عن فطنته»[١].

مشيراً بذلك إلى مصدر إفادة التعريض من الناحية النفسية، وإلى أن التعريض يحتاج إلى فطنة في استخدامه، لأنه ينبغي أن يكون قدر الحاجة، لاأكثر ولا أقل، بحيث يفهمه الطرف المراد به، ولا يتجاوزه إلى غيره.

وقد أشار بعضهم إلى وجه من أوجه الصواب في استخدام أسلوب التعريض قائلاً: «من آداب الشيخ إذا رأى من بعض المريدين مكروهاً، أوعلم من حاله اعوجاجاً، أو أحس منه بدعوى، أو رأى أنه داخَله عُجب. أن لا يصرح له بالمكروه، بل يتكلم مع الأصحاب، ويشير إلى المكروه الذي علمه، ويكشف عن وجه المذمَّة فيه.. فتحصل بذلك الفائدة للكل، فهذا أقرب للمداراة وأكثر أثراً لتأليف القلوب»[٢].

ومما يتصل بهذا الأسلوب التلطف بالمتعلم بنقله مماهو عليه من الشر إلى ما هو أهون منه، حتى إذا تمكن من ترك ما كان عليه نقله المعلم إلى شيء آخر أهون ممانقله إليه أولاً، وهكذا حتى يترك الشر كله في نهاية المطاف.

وهذا أيضاً مما يؤيده قول الغزالي: «ومن لطائف الرياضة إذا كان المريد لا يسخو بترك الرعونة رأساً أو بترك صفة أخرى، ولم يسمح بضدها دفعة واحدة، فينبغي أن ينقله المرشد من الخلق المذموم إلى خلق مذموم آخر أخف منه، كالذي يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء (إذا كان الماء لا يزيل الدم) وكما يُرغَّب الصبي في المكتب باللعب والكرة»[٣].

---

(١) إحياء علوم الدين: الغزالي ٣/٥٥و٥٧.
(٢) عوارف المعارف، ملحق إحياء علوم الدين: السهروردي ٥/٢٠٥.
(٣) إحياء علوم الدين: الغزالي ٣/٦٢.

ولعل مما يشير إلى هذا الأصل قوله تعالى: ﴿إنْ تَجتَنبوا كبائِرَ ما تُنْهون عنه نُكفِّر عنكم سيِّئاتكم ونُدخِلكم مُدخلاً كريماً﴾. [النساء: ٣١].

فالنص على الكبائر هنا لا يعني جواز الصغائر، وإنما يشير إلى أنه يُبدَأ بالأهم فالذي يليه.

فهذه بدائل يمكن أن تساعد إلى حد كبير في منع وقوع العقاب، وتقليل الحاجة إلى الحوافز المالية أو الجوائز والمكآفات المادية.

وأما إذا لم يرتدع الشخص بذلك كله فيلجأ إلى العقاب، ولكنه ينبغي أن يكون هو كذلك بالتدريج: فبعد التعريض يأتي التصريح سراً، ثم علناً بلين، ثم بشدة في القول.. ثم إنذار فوعيد.. ويأتي في آخر خطوة العقاب الجسدي الخفيف أو المتناسب مع المخالفة - إذا رجي منه جدوى في الردع والإصلاح - على ما قرره علماء المسلمين[1].

والمشكلة التي ما تزال قائمة هي كيف يحدد المربي بدقة متى يلزم العقاب، بحيث لا يجدي غيره؟ وما مقداره المناسب تماماً لكل حالة مع اختلاف الأفراد وتنوع المخالفات..؟ ومتى لا يجدي حتى العقاب إلا إذا كان شديد الأذى فيمتنع عنه المربي؟.

ولهذا قررت بعض الأنظمة التربوية نوعاً من التدرج في العقاب ينتهي بالفصل أو الطرد من المؤسسة التربوية، بحيث يبدأ العقاب مثلاً «بالتنبيه اللفظي ثم الخطي، ثم التأنيب أو الإنذار المسجل، ثم الفصل المؤقت، ثم الفصل النهائي»[2].

وهذا يشير إلى أن العقاب الذي تشددوا فيه هو الضرب أو العقاب الجسدي، لا المعنوي منه، لأن ما سبق كله يُعد من أنواع العقاب على ما فيه من التدرج.

والتدرج الذي ينتهي بالفصل - ولو لم يسبقه ضرب - يغلب أن يكون أثره السلبي أخطر بكثير على مستقبل المتعلم، ولاسيما الفصل الذي يرافقه تسجيل على الأوراق الثبوتية، يثبت أنه مفصول، فإن مثل هذا الإجراء يصدم مشاعر المتعلم صدمة مؤلمة، إذ يُفقده قيمة هذه الوثائق التي بذل فيها جزءاً من عمره وقواه. ثم إن ذلك قد يحول دون قبوله في مدرسة أخرى، فيفقد كل فرصة لمواصلة التعلم.

ولهذا إذا لم تفلح العقوبات المعنوية مع المتعلم فلا يمكن اعتبار الفصل النهائي إصلاحاً له، وإن كان في ذلك ردع لغيره، وإنما يبدو أن من الأفضل والحالة هذه أن يلجأ

---

(١) آداب المتعلمين -تحرير المقال: الهيثمي ص٣١٦-٣١٨.

(٢) المذهب التربوي عند ابن سحنون: حجازي ص٨٣ وما بعدها

إلى وسيلة العقاب الجسدي بعد استنفاد العقوبات المعنوية التي لا تصل إلى حد الطرد ، ليتم بذلك الجمع بين إصلاح المخالف وزجره وبين ردع الآخرين - مع الحرص على أن يكون العقاب عند الضرورة وعلى قدرها.

وبناءً على هذه الفكرة قد يكون من المفيد في ختام هذا الفصل العودة إلى تعليلات رافضي الثواب والعقاب ، وبراهين خصوم العقاب التي دعت إلى اقتراح بدائل من النوع الذي سبق عرضه ، ولاسيما الطائفة الأولى من هذه البدائل ، وذلك للقيام بمناقشة موجزة لها ، مع الإشارة إلى ما قد يكون مصدراً من مصادر سلبيات الثواب والعقاب.

خامساً- مصدر سلبيات الثواب والعقاب في التربية -مناقشة.

لابد من مصدر فأكثر للسلبيات التي دفعت المربين وعلماء النفس إلى كراهة استخدام الثواب والعقاب في مجال التربية وضبط السلوك -مع ملاحظة أن حملتهم على العقاب كانت أشد ، ولاسيما ما كان من ذلك جسدياً - لما يرون فيه من غلبة السلبية.

ويمكن استلهام هذا المصدر السلبي من تعليلاتهم للكراهة ، حيث نصوا في ذلك على أن هذه الأساليب عبارة عن وسائل للتحكم بحرية الإنسان ، وعلى الخوف من انمحاء السلوك المعزز بتوقف المعززات أو تأخيرها ، أو احتمال اعتياد الفرد لها فيما إذا استمرت ، أو انقلابها إلى هدفه الأساسي ، لاوسيلة لتحقيق الأهداف التربوية الأصلية. . كما أشاروا إلى أن صعوبة شروط الفوز ببعض الجوائز أحياناً يجعل عدد من يتصدون لها قليلاً ، حيث تتقاصر هِمم غير الموهوبين. ثم نصوا في خصوص العقاب على الخوف من حدوث رد فعل معاكس ذي نتائج سلبية أو مدمرة نفسياً أو اجتماعياً ، وعلى الخوف من عودة السلوك المعاقَب عليه عند اختفاء سوط العقاب ، أو عند الأمن منه ، وعلى أن العقاب المؤجل يصعب التعامل معه بفعالية. . وغير ذلك من التعليلات السابق ذكرها عند استعراض آرائهم حول هذه الأساليب.

ولعل من المفيد ذكر ثلاث كلمات وردت في الموضوع مما لم يذكر سابقاً ، بحيث تعيد هذه الكلمات إلى الذاكرة صورة ممثلة لعدد من تعليلاتهم المشار إليها ، وهي:

١ - «إنه لمن الصعب بمكان التعامل بفعالية مع النتائج البغيضة المؤجلة ، لأنها تحدث في وقت لايكون الفرار أو الهجوم فيه ممكناً ، ولكن التعزيز الفوري يكون إيجابياً ، ويستمر دون أية عراقيل»[1].

---

(١) تكنولوجيا السلوك الإنساني: سكنر، ب.ف. ص٣٨

٢ - «ولقد اكتشف ثورندايك حقائق هامة ومفيدة أخرى عن عملية الإثابة، مثل اكتشافه أن أثر الثواب يكون أعظم ما يكون حين يتلو الاستجابة مباشرة، وأن أثره يقل بطول الفاصل بين الاستجابة والإثابة»(١).

٣ - «إن مهارة المربي الذي يتحكم بسلوك المتعلمين تتطلب تأجيل التعزيز بجداول غير متوقفة حتى يقوم المتعلم بالعمل والتعلم بعمله، مع الحذر من أن يمحو السلوكَ المتعلَّم أو أن يعزز سلوكاً غير مرغوب فيه»(٢).

وأما التعليلات الأخرى فلا حاجة لإعادتها، والمهم الآن هو الإشارة إلى ما يتوقع أن يكون من أهم مصادر السلبيات التي ذكروها.

مدى الثقة بمصدر الثواب والعقاب:

لدرجة الثقة بمصدر أمر ما تأثير كبير في دفع الأفراد إلى الاهتمام بهذا الأمر، بل يبدو أن الثقة بالمصدر تسري إلى الأمر الصادر عنه إيجاباً وسلباً، قوة وضعفاً.

فقد تنطق بالحق ألسنة كثيرة، ولكن اهتمامات الأفراد بالمنطوق تتفاوت بتفاوت أهمية الألسنة التي نطقت به من وجهة نظرهم على الأقل.

وعليه يظهر أن سلبيات الثواب والعقاب تعود في معظمها إلى هذا العامل، أي مدى الثقة بمصدرهما. وأنه لو تحققت ثقة المتعلم به من حيث إمكاناته وإخلاصه له في اللين والشدة، لايلين إلا رحمة، ولا يشتد إلا وقاية من شر مقبل. (أي رأفة بالفرد) لم يكن ثمة اعتراض على هذا المصدر إلا بمقدار الاستفسار عما يتطلب ذلك. وحتى مثل هذا الاعتراض الاستفساري كان يقل إلى أقصى حد ممكن.

ولعل مما يبرهن على هذا الافتراض من الواقع أن ثقة المريض بعلم الطبيب وخبرته، وكذلك ثقة الولد بشفقة والديه ورأفتهما به، تسري إلى التصرفات التي تصدر عنهم نحو الفرد، وتضفي عليها مطاوعة شبه مطلقة، أو تسليماً يحد من الاعتراض أو الإلحاح عليهم بطلب التعليل، كما تحول مثل هذه الثقة دون إضمار النقمة منهم، حتى في الحالات التي ظاهرها الشدة والقسوة، كحالة عزم الطبيب على المريض بمنعه أغلب مألوفاته، أو عندما يقرر إجراء عملية جراحية يعلم الطرفان مدى خطورتها: فإما هلاك أو نفقة مثقلة مع أوجاع مضنية قد يعقبها شلل أو ضعف عقلي.

---

(١) التعلم ونظرياته: عاقل، د. فاخر ص٧٩.
(٢) المعلم العربي - تجارب في التحكم بالسلوك بالتعزيز: القلا ص٢٨.

ومع ذلك يسلِّم الفرد له ، ويوافق عليه الوالدان ، ولايرى في ذلك اعتداءً على كرامته ، ولا مساساً لحريته. ولا يرى في العملية العلاجية شدة أو قسوة عليه.

فإذا وعد مثل هذا الطبيب مريضه ثواباً على التزامه لتعليماته ، بعد أن داواه مجاناً. أو أنذره بعودة المرض بالمخالفة ، وضرورة إجراء عملية جراحية أخطر ، فلا شك أن مثل هذا الوعد أو الإنذار يكون محل ثقة لدى الفرد ، واحتمال الامتثال يكون قوياً ، ولاسيما إذا أيد الطبيب توجيهاته بحوادث واقعية تصور خطورة النتائج السلبية لمن خالف ، وأهمية النتائج الإيجابية لمن امتثل ، مما يجعل تأجيل الثواب أو العقاب لا يؤثر سلبياً في سلوك الفرد. أما إذا لم يكن المصدر موثوقاً به فكل شيء محتمل.

ويشير إليه قول سكنر السابق: «تقصر كلمة العقاب.. على حالات طارئة ، يرتبها أناس آخرون ، لأن النتائج معززة لهم ، ومقوية لمركزهم»[1]. فالأمر لصالحهم - في رأيه - لا للفرد.

وفيما يلي - بعد هذه المقدمة - مناقشة لتعليلات المربين ، بدءاً بعلة الدفاع عن الحرية..

١ - الدفاع عن حرية الإنسان وكرامته:

« الواقع أن مشكلة الحرية من أهم قضايا الإنسان المعاصر. ولم تتحقق حرية الإنسان - بمعناها السامي والشامل بعد - وما تزال شعوب تناضل في سبيل الحصول على حريتها[2].

وأنصار الحرية وأتباع المذهب الإنساني يرون في استخدام الثواب والعقاب في مجال التربية وضبط السلوك وسيلة للتحكم بحرية الإنسان ، ومساساً لكرامته ، مشيرين بذلك إلى أن الفرد أو المتعلم يخضع لشروط في الحصول على الثواب أي الجوائز والمكآفات ، على الرغم من مخالفة تلك الشروط أحياناً لرغباته ، أو معارضتها لاتجاهاته وميوله.

كما يتجنب العقاب بترك كثير مما يهواه ويشتهيه.. هذا بالإضافة إلى احتمال بذل كثير من الجهد دون أن يعقب ذلك الفوز بالثواب ، أو النجاة من العقاب ، ثم احتمال عدم تربوية الأغراض المستخدم لها الثواب والعقاب ، أو احتمال سوء الاستخدام فيهما.. مما ألجأهم إلى اقتراح البدائل التي منها ما سبق استعراضه في الشطر الثاني من هذا الفصل.

---

(١) تكنولوجيا السلوك الإنساني : سكنر، ب.ف. ص٦٣-٦٤.

(٢) معجزة الإسلام التربوية: السيد، د.محمود ص٩٩.

وسواء كان هذا أو ذاك.. لايبدو ادعاء الدفاع عن الحرية والكرامة الإنسانية.. مسوغاً كافياً لترك الحبل على الغارب، أو لرفض كل من الثواب والعقاب مطلقاً.

فالقول بمبدأ حرية الفرد نفسه يحتاج إلى تحديد للمراد به، لما يلاحظ من تصادم الحريات بعضها ببعض، نتيجة لسوء فهم هذا المبدأ الخطير، مثل ما يقع في قوافل النقل: فقد يشعر فرد بحاجة إلى فتح شباك القافلة لينفس عن نفسه ضيقاً يجده، فلا يكاد يفتحه حتى يعترض آخر، لتضايقه مثلاً من هواء بارد أو غبار ثائر، فيقع تبادل رد الفعل المنعكس بينهما، وقد يكون ذلك بأسلوب لبق، فيما إذا كانا على مستوى رفيع من الذكاء الاجتماعي، وقد يكون رد الفعل خشناً، إما بكلمة قاسية أو بالمبادرة الهوجاء لرد الفعل، مما يعقد بينهما صراعاً عنيفاً أو شجاراً محتدماً.

وكذلك الحال في المدخن الذي يبعث دخانه يمنة ويسرة، دون أن يأخذ في الحسبان موقف الآخرين من الدخان، أو مدى تأذيهم منه. وقد يتعمد بعض الأفراد مثل هذا الإيذاء بأن يرسل الدخان مباشرة على وجه من بجواره إذا شعر بأن جليسه ذاك متضايق من الدخان فعلاً.

وكل ذلك بحجة حرية الأفراد في التصرف، مع أن مثل هذا المفهوم للحرية ينبغي أن لايكون هو المراد بمبدأ حرية الإنسان، أو حرية التصرف، لأن حرية كهذه تحول دون تفاهم بني البشر، كما أنها حرية تنسى كرامة الإنسان، التي تقضي أن لا يعرض نفسه للذل أو للهوان، ولا يعرض لذلك غيره.

فالإنسان حر ولكن قد تتقيد حريته بالنسبة لمكان معين أو وضع خاص وبشكل مؤقت، حفاظاً على جانبه الآخر، وهو كرامته التي ينبغي أن لا يعرضها للإهانة، ومراعاة لحرية الآخرين وكرامتهم.

ومن الملاحظ أن طبائع الأفراد تختلف من حيث الميول والاتجاهات الفرعية، ومن حيث الأسلوب في مواجهة الظروف والتكيف مع المواقف المختلفة في تلبية حاجات العقل والنفس والجسد.. الأمر الذي يقتضي أن يمنح كل فرد مجالاً من الحرية يحقق به رغباته واستعداداته أو إمكاناته الخاصة به، ليستفيد منها ويفيد.

ومع هذا فإن تلك الطبائع غير متباينة جملة وتفصيلاً، بل إنها تتفق من حيث الملامح العامة وأصل الفطرة الإنسانية، وإلا لما كان ثمة جدوى للمناداة بحرية الأفراد، لتعذر تحقيق مثل هذا المبدأ في ظل هذه الحالة التي تشبه قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا ﴾. [الأنبياء: ٢٢].

كذلك لوكانت طبيعة كل فرد صورة طبق الأصل عن طبائع الآخرين لم يكن ثمة

حاجة إلى المناداة بمبدأ حرية الأفراد. ولكن الواقع هو أن الطبائع مختلفة بقدر ما تتحقق فيه الفروق الفردية، مع شيء من التقارب بقدر ما تتحقق فيه الوحدة الاجتماعية. قال تعالى: ﴿ يـاأيها النّـاس إنّـا خَلَقنـاكم مِنْ ذَكَـرٍ وأنْثىٰ وجَعَلنـاكم شُعـوبـاً وَقَبـائـلَ لِتَعـارَفـوا ﴾. [الحجرات:١٣]. فثبت بالاختلاف النسبي مع الاتحاد الأصلي مبدأ حرية الأفراد واحترام المصلحة العامة التي تقضي أحياناً التنازل عن الحرية الفردية دون هضم لحقها ولا إجحاف. كما قال تعالى: ﴿ وَيُؤْتِ كلَّ ذي فَضل فَضله ﴾. [هود:٣]. والواقع أن أنواع المعاملات الاجتماعية في معظمها قائمة على أن يتنازل كل طرف عن شيء من حريته أورغبته، ليأخذ بدلاً من ذلك ما تنازل عنه الطرف الآخر، بحيث يمكن القول إنه يتعذر من الناحية الاجتماعية أن يسير الفرد وفقاً لرغباته المطلقة، لأن الفرد لا يستطيع تأمين أي مصلحة له دون معاونة الآخرين إما مباشرة أو بطريق غير مباشر[١]. ولأن الإنسان ينبغي أن لايكون أسير نزعاته.

ومن هنا «وضع رسول الله ﷺ للبشرية الأسس الواضحة السليمة لممارسة الحرية، فالإنسان حر في أن يمارس هذا الحق المقدس، ولكن بشرط أن يكون سيد نفسه لا أن تستبد به أهواؤه، وبشرط أن لاتتعارض حريته مع حق المجتمع بكامله. فالإنسان حر ولكنه مسؤول في الوقت نفسه عن خير المجموع والصالح العام، فالحرية في منهج الرسول ﷺ لها قطبان: شخصي واجتماعي»[٢].

وعلى هذا فقد لا يكون مقبولاً دون تحفظ تأييد إلغاء الثواب والعقاب في ضبط السلوك بحجة الدفاع عن حرية الإنسان، لأن ذلك قد يوقعه في أخطاء أخطر ويؤديه إلى نتائج أسوأ، لإهمال جانب كان ينبغي الانتباه إليه وهو الحفاظ على كرامته عن طريق احترام كرامة غيره، ثم بذل جزء من حريته لنيل قسم أكبر من الحرية فيما بعد.

وإنما الذي ينبغي هو إعادة النظر في هذه الأساليب للكشف عن مصدر سلبياتها ليجري فيها التنقيح والتهذيب، حتى تتوافق مع كرامة الإنسان ومكانته الإنسانية.

هذا وأما السلبيات الأخرى المحتملة في استخدام الثواب والعقاب والتي لاتتعلق بالإخلال بمبدأ الحرية مباشرة وإنما بالسلوك الإنساني، ففيما يلي مناقشة وجيزة لها.

٢ - مناقشة السلبيات الأخرى للثواب:

« احتمال انمحاء السلوك المعزز بتوقف المعززات، واحتمال انقلابها إلى هدف أساسي

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص٤٣.

(٢) معجزة الإسلام التربوية: السيد، د. محمود ص١٠٠-١٠١.

للفرد ، واحتمال اعتيادها وعدم الاكتراث بها ، وصعوبة شروط المعززات . . ». هذه المخاوف يمكن أن تعود إلى قلة الثقة بالقدرة على تقديم المعززات باستمرار - إن كانت مؤجلة على جداول - أو عدم تقديمها بشكل معتدل وفي مناسبات ملائمة. وبعبارة أخرى عدم تحقق الحكمة في استخدامها . . مما يذهب بجدواها التربوية. ولعل مما يذهب بقيمة هذه الأساليب في التربية أنها لاتأتي مع توجيهات كافية لإحياء الضمير الذي يمكن أن يسد خلل فقدان تلك الشروط التي تم ذكرها الآن.

وذلك أن هذه الأساليب (الثواب والعقاب) معززات خارجية ، فإذا كانت هي الأساس في تشكيل السلوك أو تغييره وضبطه نتج عن ذلك خوف من تباطؤ السلوك أو توقفه أو ضعفه ثم امحائه بمجرد تباطؤ المعززات أو توقفها أو تأجيلها . . مما جعل السلوكيين يحددون الزمن المفضل لتقديم التعزيز بعد الاستجابة بما هو أقل من نصف ثانية ، مشيرين إلى « أن أي زيادة على ذلك يؤخر الإشراط »[1].

وهذا في غاية التضييق إلا في حالات خاصة. هذا من جهة ، وأما من جهة أخرى فإن اعتماد المعززات الخارجية أساساً لتغيير السلوك يجعلها مادية أكثر ، بحيث يوازن الفرد بينها وبين ما سيبذله من أجلها ، ويشهد على ذلك «أننا جميعاً نعلم أن الناس يميلون إلى العمل بشدة أكبر بالنسبة للمكافأة الأكبر. وبتعبير آخر: يكون مستوى العمل في المعتاد أعلى إذا كانت الجائزة المعطاة بعد حدوث الاستجابة أكبر. . فكلما كانت المكافأة أكبر كان تخفيف الدافع أكبر ، وبالتالي كانت الزيادة في قوة العادة أعظم[2].

وعلى هذا المبدأ ينبغي أن يكون للإنسان معزز مستقبلي ذو قيمة عظيمة ، ينبَّه إليه بين حين وآخر ، حتى يكون ذلك المعزز هو هدفه الأساسي ، بحيث لايمنعه عدم أهمية المعززات المرحلية من مواصلة السعي الجاد إلى هدفه الأساسي ، بل ولا يمنعه توقف المعززات الخارجية ولا انعدامها في بعض الظروف.

ومن هنا يظهر جانب من أهمية اتجاه المذهب الإنساني ، الذي يركز على الحوافز الإنسانية والأهداف البعيدة لكمال الإنسان ، إلا أن مشكلة هذا الاتجاه تتمثل في أن الحوافز الإنسانية نفسها بحاجة إلى تغذية وتعزيز.

وأما احتمال اعتياد المعززات الخارجية مما يذهب بقيمتها التربوية ، فقد يعود السبب

---

(١) التعلم ونظرياته: عاقل، د. فاخر ص١٧٥-١٧٦.
(٢) المرجع السابق ص٣٢٨-٣٢٩.

فيه إلى نمطيتها ، أو إلى أنها لما صارت هدفاً للفرد أصبح لا يقدم رجلاً ولايؤخر أخرى إلا إذا توافرت المعززات زائدة على ما يبذله من جهد لأجلها.

وأما صعوبة شروط الفوز بالمعززات فتمثل عائقاً آخر لفعالية هذه الأساليب ، وذلك أن الإنسان يتميز بأنه لايقوم بسلوك إلا لهدف ، وأنه قلما يباشر عملاً إلا إذا توقع قدرته على بذل كل ما هو من متطلبات ذلك العمل. فإن شعر بعدم القدرة عليه ، أو عدم أهمية الهدف امتنع عن أي بذل له.

ولهذا إذا كانت شروط الجائزة صعبة وغير عادية لايقتحمها إلا عدد قليل من الأفراد ، وهم الموهوبون والمتفوقون ، وهؤلاء أنفسهم لايفعلون ذلك إلا بعد مقارنة بين قيمة الجائزة وما يُبذل لأجلها.

وبهذا تكون أساليب التعزيز قد فشلت ، لإهمالها الفروق الفردية بمحاباة فئة على فئات أخرى ، أو بعدم تحقيق الاعتدال والتوازن في الاستخدام.

فلو كان الحصول على الجائزة متوقفاً على بذل قدر مشترك بين الأفراد لكان أدعى إلى مسارعة الجميع إلى السلوك (شرط الجائزة) ولابأس بعد ذلك بفتح مجال للتفاوت عن طريق مكافأة المتفوقين ، حفزاً لهم على بذل طاقاتهم المتميزة.

ويشير إلى صحة هذه الفكرة أن تقدير ٥٠-٦٠٪ حداً أدنى للنجاح الدراسي جعل المتعلمين جميعاً يشاركون في تقديم الامتحانات ، في حين لو اشترط مثلاً ٨٠٪ حداً أدنى للنجاح لاحتمل أن يحجم منهم الكثير حتى عن الالتحاق بالمؤسسات الدراسية.

وأما سلبيات العنصر الثاني أي العقاب فأظهر من سلبيات نقيضه الثواب ، لما طبع عليه الإنسان من الانزعاج من الألم والفرار منه.

٣ - مناقشة السلبيات الأخرى للعقاب:

« احتمال حدوث رد فعل معاكس ذي نتائج مدمرة واحتمال عودة السلوك عند الأمن من العقاب ، وضعف تأثير المؤجل منه على تقويم السلوك. . »

ويبدو أن سبب هذه المخاوف يعود إلى مدى تحقق العدالة عند عملية العقاب ، فقد ينتفي ذلك - في نظر المعاقَب على الأقل - إما لعدم أهلية من يوقع العقاب ، أوعدم تناسب العقاب مع السلوك المعاقب عليه ، أو لعدم شمول العقاب لجميع مستحقيه. .

وبالجملة عدم تحقق الحكمة في إيقاع العقاب - شأنه شأن الثواب - في الحاجة إلى الحكمة.

- أهلية المؤدب في نظر الفرد:

لو رأى شخص ولداً يبكي ، وسأله عن السبب فقال: « ضربني والدي » يغلب أن لايعطي الشخص الأمرَ بعدئذ أهمية تذكر ، فقد لا يسأله عن السبب التفصيلي ، إلا ليبني على ذلك نصيحته ، كما أن الولد قد لا يتأثر سلبياً بقلة مبالاة الشخص بالأمر بعد أن تبين مصدر الضرب ، عكس ما إذا قال الولد: « ضربني جارنا » فإن احتمال أن يولي الشخص الأمر بالاهتمام وارد.

وما هذا وذاك إلا لأن للوالد حقاً في تأديب الولد حتى في رأي الولد نفسه ، فبكاؤه إنما هو من الألم المادي - أو يغلب أن يكون ذلك - ويندر أن ينقم الولد من أبيه فيما بعد لمثل هذا التأديب ، بل قد يشكره في مستقبل حياته.

وأما جاره فليس له هذا الحق إلا استثناءً ، كما لو ولي أمر الولد بصورة شرعية. وبكاء الطفل من ضرب الجار يكون من الألم المادي والنفسي معاً ، ويغلب أن يكون الثاني أشد وأهم عنده ، لما يشعر من قسوة الجار وظلمه له.

ولهذا لا يعطي الشرع حق التأديب إلا لمن يقتنع بهم الفرد نفسه ، ويأمنهم على مصلحته ، مطمئناً إلى شفقتهم عليه ورأفتهم به - ولو لاحقاً - كالوالد والنائب الشرعي.

وقبول العقاب إلى حد ما ، من الوالد مثلاً إنما هو لأهميته في نظر الفرد المعاقَب ، وثقته بإخلاصه له ولغلبة تحقق العدالة في ذلك. حتى إذا شذت القاعدة لم يقف الولد عند حد البكاء وإنما يدافع عن نفسه ، مشيراً إلى وجه الخلل من تصرف الوالد.

- وأما الخوف من عودة السلوك المنحرف عند الأمن من العقاب فالسبب في ذلك يمكن استلهامه من هذه المناقشة ، لأن شعور الفرد بأنه مظلوم أو مضطهد ، يجعله يتحين الفرص والمناسبات للإعلان عما في نفسه قولاً أو عملاً ، لِيُنفِّس بذلك عما كان قد كبته في ظل تأثير ضغوط لاحراك له تحتها.

كما أن الخوف من عودة السلوك ناتج عن عدم ضمان المراقبة المستمرة ، أو بالأحرى بسبب مادية المراقبة وسطحيتها ، أو لعدم تأمين مخرج للنجاة من العقاب بعد استحقاقه (بما لا يشجع على الاستمرار والتمادي) ، أو لعدم وجود مبدأ كاف يحتكم إليه الفرد هو بالذات في سره وعلنه.

فلو وجد مثل هذا المبدأ لقل ارتكاب دواعي العقاب ، ولما كان يؤثر تأجيل المعزز المنفر ولا غيره. مع ملاحظة أن توافر المعزز ضروري بغض النظر عن فورية هذا المعزز أو

تأجيله ، وبغض النظر عن إيجابيته أو سلبيته.

فالحاجة إلى الثواب أمر واقعي ، بل إن ضبط السلوك دون مرغِّب ولا مرهِّب في غاية الصعوبة ، ولهذا لا يظهر في الواقع خلو أي نظام منهما في الميدان العملي لأن الإنسان لا يزهد زهداً مطلقاً ، وإنما يغلِّب رغبته في شيء على شيء آخر ، فيزهد في الأدنى إذا رغب في الأعلى. وبمعنى أدق يزهد فيما يراه أدنى إلى ما يراه أعلى. حتى مثل رابعة العدوية التي أعلنت أنها تعبد ربها لا لما عنده من الجنة والنار ، وإنما لأنه أهل لأن يُعبد ولا يعصى[1]. أي إنها تعبده رغبة في رضائه عنها ، وتجنباً لسخطه ، وهذا نفسه ضرب من الثواب والعقاب ، حيث يحوز رضا الله من عَبَده ويتعرض لسخطه مَنْ عصاه.

خلاصة البحث في آراء العلماء حول الثواب والعقاب.

قد تبين أن اهتمام العلماء بأساليب ضبط السلوك كبير ، وأن هذه الأساليب أمر واقع من حيث كونها ظاهرة طبيعية واجتماعية ، وأن مدار البحث إنما هو عن مدى مشروعيتها ، الأمر الذي جعل المربين وعلماء النفس من العرب والمسلمين وغيرهم ينقسمون إلى ثلاث فئات رئيسية:

- فمنهم من يرى ضرورة الغاء عنصري الثواب والعقاب كليهما من ميدان ضبط السلوك ، تغليباً لسلبياتها - في رأيهم - وعلى رأسهم أصحاب المذهب الإنساني ، وأنصار الحرية ، مثل: كارل روجرز ، ومسلو ، وتولمان.

- ومنهم من ينادي بإبقائهما معاً ، وأكثرهم على ما يبدو يرون ضرورة الاعتدال في الثواب ، وعدم استخدام العقاب إلا لضرورة قصوى. وممن يمثلون هذا الاتجاه علماء المسلمين أو معظمهم على الأقل ، مثل: محمد بن سحنون ، وابن حجر الهيثمي ، والإمام الغزالي وابن خلدون.

- وأما الفئة الثالثة ، فتنادي بإلغاء العقاب دون الثواب ، إلغاءً كلياً ، وعلى رأسهم سكنر وروسو.

مع ملاحظة أن سلبيات العقاب أكثر من إيجابياته بالمقارنة إلى الثواب ، وذلك في رأي جميع الفئات الثلاث ، بحيث لم يظهر منهم من يرى الاعتماد على العقاب ، إلا ما أشار إليه الدكتور رحمة عن أنصار طريقة « القمع » في

---

(١) منهج تربوي فريد في القرآن: البوطي ص٨٢.

النظام المدرسي[1]. وحتى هذا لايقتضي بالضرورة أن أنصاره لا يستخدمون عنصر الثواب ، بل الاعتماد على العقاب دون سواه غير معقول.

كما يلاحظ أنهم جميعاً لا ينكرون أصل التشويق بمعنى الإثارة والحفز بما لايمس كرامة الإنسان.

هذا وإن خصوم العقاب ورافضي كِلا الأسلوبين قد اقترحوا بدائل معقولة إلى حد كبير ، ولكن لا يمكن القول - في الوقت المعاصر على الأقل - إن هذه البدائل كافية لضبط السلوك ، بحيث تغني عن كل من الثواب والعقاب - كما يرى بعضهم - أو أنها تغني عن العقاب - كما يرى خصومه.

ولكنها بمجموعها يمكن الاستفادة منها والاستعانة بها لتحقيق الاعتدال في استخدام الثواب ، والتخفيف إلى حد أقصى من العقاب ومن دواعيه.

وذلك على سبيل المثال ، إذا نظرنا:

- إلى التساهل بمعنى التسامح والإغضاء عن الزلات غير الخطيرة ، بحيث لا تؤدي إلى المساس بمصلحة هي أهم من مصلحة الفرد.
- وإلى القبالة بمعنى المعاونة على تحقيق الأهداف التي فيها مصلحة الفرد على الأقل ، كتسهيل وصوله إلى الحقيقة بمثل الحوار المنطقي والمناقشة البناءة.
- وإلى الإرشاد بمعنى الحرص على مصلحة الفرد ، وإثارة حوافزه الذاتية على التعلم ، بأساليب إرشادية لاتمس كرامته ولاتشعره بالهوان.
- وإلى طريقة الحرية بمعنى منح المتعلم حرية يستطيع بها أن يشعر بأنه ذات مستقلة له كرامته وشأنه ، بحيث يباشر تعلم ما يرغب فيه ويناسبه.
- وإلى بناء الاعتماد على الأشياء بمعنى الاستعانة ببعضها وسائل إيضاح ، وببعضها الآخر مواد أولية للتجربة والممارسة العملية.
- وإلى الاعتراف بالمسؤولية الجماعية بمعنى وجوب تعاون جميع الأفراد على تحقيق الخير والصلاح بصورة موضوعية.. فيوجَّه النقد إلى السلوك السيىء لا إلى الشخص مباشرة إلا عند الضرورة.

وأما بقية البدائل المقترحة التي هي: مراعاة الفروق الفردية ، والتدرج في التعليم ، مع تنويع المعلومات والأساليب ، واغتنام الفرص والترويح ، والزجر بالتعريض ، والتدرج في منع الشر. فإنها وسائل تربوية لا يظهر فيها خلاف يذكر ، بل هي في معظمها مما تنادي به التربية الحديثة.

---

(١) التربية العامة: رحمة، د. أنطون ٢/٣٢٢-٣٢٥.

مع التأكيد على أن الكمال لا يكون في الاعتماد على أحد هذه البدائل ، ولكنه في التوفيق بينها قدر الإمكان. وعلى أن بديل « مراعاة الفروق الفردية » حساس ولكنه من أهم هذه البدائل ، حيث ينبغي فهم رغبات كل متعلم وشعوره وقدراته ، ثم تكييف المناهج الدراسية لتلبي حاجات كل فرد قدر الإمكان.

وبناءً على حساسية المسألة فإن التمييز بين الفروق الفردية لايعني بالضرورة أن يفاضل المربي بين المتعلمين من حيث التقدير الإنساني ، وإنما المراد هو أن يتفهم مستوى طلابه حتى يخاطبهم على قدر عقولهم ، محاولاً في ذلك أن لايشعر أحداً منهم بما فيه ذل أو هوان ، قريباً أو غريباً ، فقيراً أو غنياً ، كما قال تعالى آمراً بالعدل والمساواة مع كل الناس على اختلاف طبقاتهم: ﴿ ياأيُّها الَّذين آمَنوا كونوا قَوَّامين بالقِسط شُهداءَ لله ولو عَلى أنْفُسكم أو الوالدَين والأقرَبين ، إن يَكُن غَنياً أو فَقيراً فالله أوْلى بهما ، فلا تتَّبِعوا الهَوى أنْ تَعدِلوا ، وإن تَلْوُوا أو تُعرِضوا فإنَّ الله كانَ بما تَعمَلونَ خَبيراً ﴾. [النساء: ١٣٥].

وقال تعالى مشيراً إلى أهمية الحكمة في التوجيه والتحفظ فيه: ﴿ ادعُ إلى سَبيلِ ربِّك بالحِكمَة والموعِظة الحَسَنة ، وَجادِلْهم بالَّتي هِيَ أحْسَن ﴾. [النحل: ١٢٥].

وقبل الإكثار من سرد الأدلة القرآنية ينتقل البحث إلى الجانب النظري من الدراسة القرآنية ، حيث يتم البحث عن أساليب القرآن الكريم التربوية في مجال ضبط السلوك ، بعد الإشارة إلى محتواه وأهدافه التي يريد تحقيقها للإنسان.

* * * * *

الباب الثاني

أهداف القرآن الكريم وأساليبه في ضبط السلوك

وتحته ثلاثة فصول:

- القرآن الكريم وأهدافه التربوية.

- مدى توافر أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم.

- مسوغات توافر الثواب والعقاب في القرآن الكريم.

الفصل الأول

القرآن الكريم وأهدافه التربوية.

التمهيد : لمحة عن الجو الذي كان سائداً قبل القرآن الكريم :

من تحصيل الحاصل أن ينشغل باحث بعدُ بتعريف القرآن الكريم الذي أصبح في غنىً عن ذلك منذ قرون. كما أن من المعروف تاريخياً، وبشكل كامل، الجو الاجتماعي والعقائدي الذي كان سائداً قبل نزول القرآن الكريم، ثم ما صار إليه ذلك الجو بعد نجاح القرآن الكريم أو الدعوة الإسلامية، التي كانْ يحمل أعباءها الرسول العربي الكريم سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ.

ولهذا لا يبدو أن ثمة حاجة إلى الإطالة لا بتعريف الكتاب العزيز، ولا بالرسول الكريم، ولا بتعريف الجو الجاهلي المشار إليه، اكتفاءً عن ذلك كله بتقديم حديث وحوار عن هجرة طائفة من أوائل المسلمين إلى الحبشة، بعد أن اشتد عليهم الأذى من قريش، فلحقهم وفد منها، يلتمس من النجاشي - ملك الحبشة آنذاك - أن يسلمهم إليه للعودة بهم إلى مكة لمحاكمتهم. فانبرى أحد المهاجرين - جعفر بن أبي طالب - أمام الملك يدافع عنهم مشيراً إلى سبب اعتناقهم الإسلام والدين الجديد، وإلى سبب هجرتهم إلى الملك دون غيره، فقال:

« أيُّها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف. فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه. فدعانا إلى الله لنوحِّده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان. وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الأرحام وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء. ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات. وأمرنا أن نعبد الله وحده، ولا نشرك به شيئاً. وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام. فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده ولم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرَّم علينا، وأحللنا ما أحلَّ لنا. فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا في ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان، وأن نستحل ما كنا عليه من الخبائث. فلما قهرونا وظلمونا، وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك،

ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك »[1] .

فقال النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم ، فقال له النجاشي: فاقرأه علي . . فقرأ عليه صدراً من - كهيعص - (فاتحة سورة مريم) . . فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته ، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم . ثم قال لهم النجاشي: إنَّ هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، . . انطَلِقا (يعني وفد قريش: عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبي ربيعة) فلا والله لا أسلمهم إليكما ، ولا يُكادون[2]

فهذه القصة تلقي الضوء على ذلك الجو الجاهلي الذي كان قد هيمن على العقول ، كما تعطي القصة فكرة موجزة جداً (لكنها غنية) عن النبي الكريم ﷺ وما كان عليه من الشرف والخلق الرفيع قبل البعثة وبعدها .

وأخيراً تحمل القصة أهداف التربية الإسلامية المتمثلة في توحيد الله إيماناً به وعبادة له ونبذاً للأصنام والأوثان ، وكل أنواع الشرك بالله تعالى ، مع المطالبة بالتزام مبادئ الأخلاق التي يكون على رأسها الصدق والأمانة ، وصلة الرحم وحسن الجوار ، وحقن الدماء وصيانة الأعراض . . إنها من أهم أهداف القرآن الكريم كما سيأتي .

وبعد هذه المقدمة ، يحسن إعطاء فكرة عن محتوى القرآن الكريم ومواضيعه .

أولاً : محتوى القرآن الكريم مكياً ومدنياً .

قد استمر نزول القرآن الكريم مدة ثلاثة وعشرين عاماً: ثلاث عشرة سنة بمكة المكرمة ، أي قبل الهجرة النبوية ، وعشرة أعوام بالمدينة المنورة أو بعد الهجرة . وهذا المنطلق أرجح لتقسيم القرآن الكريم إلى مكي ومدني ، فالعبرة فيه بالزمان مطلقاً لا بالمكان أو الموضوع[3] .

وعدد سور القرآن الكريم هو ١١٤ سورة - كما هو عليه المصحف الشريف ، أطولها على الإطلاق وأكثرها آية هي سورة البقرة (٢/٢٨٦) .

أما أقصرها حجماً فهي سورة الكوثر (٣/١٠٨) ، وإن كان يساويها في عدد الآيات

---

(١) السيرة النبوية: ابن هشام ١/٣٥٩-٣٦٠.
(٢) المرجع السابق ص٣٦٠.
(٣) الإتقان في علوم القرآن: السيوطي ١/٩ ومباحث في علوم القرآن: صالح ، د.صبحي ص١٨٤، ومن روائع القرآن: البوطي ص٨٤.

سورتان أخريان ، هما: سورة العصر (٣/١٠٣) ، وسورة النصر (٣/١١٠) ، إلا أنهما أطول منها من حيث عدد الكلمات .

هذا و٧٥,٤٣٪ من السور مكية ، وعددها ٨٦ سورة: ١٢,٧٩٪ منها في النصف الأول من القرآن الكريم وهي ١١ سورة ، و٨٧,٢٠٪ منها في النصف الأخير منه وهي ٧٥ سورة .

وبالمقابل فإن ٢٤,٥٦٪ من السور مدنية ، وعددها ٢٨ سورة ، أي أقل من الربع: ٢٥٪ منها في النصف الأول ، وهي ٧ سور ، و٧٥٪ منها في النصف الأخير وهي ٢١ سورة .

مع ملاحظة أن ثمة خلافاً في تحديد عدد السور المكية من المدنية لصالح الأولى[١] .

- وأما عدد آيات القرآن الكريم ، بحسب المصحف الذي اعتمد في البحث وتمَّ التأكد من صحته (أي العدد) من كتب التفسير[٢] فهو ٦٢٣٦ آية . أطولها على الاطلاق آية الدَّيْن من سورة البقرة٢/٢٨٢ . وأما أقصرها فهي آية ﴿ مُدهامَّتان ﴾ من سورة الرحمن ٥٥/٦٤ (على أن البسملة جزء من آية أول كل سورة - غير الفاتحة - لا آية مستقلة ، وإلا فأقصر آيات القرآن الكريم هي: حم وأمثالها ، ثم القارعة١٠١/١ ، فالحاقة٦٩/١ ، ثم مدهامتان) .

هذا و٧٣,٩٧٪ من الآيات مكية وعددها ٤٦١٣ آية: ٢٥,٧٠٪ منها في النصف الأول من القرآن الكريم وعددها ١١٨٦ آية ، و٧٤,٢٩٪ منها في النصف الأخير منه وعددها ٣٤٢٧ آية .

وبالمقابل فإن ٢٦,٠٢٪ من الآيات مدنية ، وعددها ١٦٢٣ آية ، أي فوق الربع: ٦٣,٤٠٪منها (أي آيات المدني) في النصف الأول من القرآن الكريم وعددها ١٠٢٩ آية ، و٣٦,٥٩٪ منها في النصف الأخير منه ، وعددها: ٥٩٤ آية .

مع ملاحظة أن بعض السور المكية تتضمن آيات مدنية ، وكذلك العكس[٣] .

كما يلاحظ في النسب السابقة للمكي والمدني أخيراً أن آيات النصف الأول من القرآن الكريم أقل بكثير من آيات النصف الأخير بصورة عامة ، ولكن نسبة آيات المدني في النصف الأول إلى مجمل آيات المدني الكلي أعلى منها في الثاني: (٣٦,٥٩/٦٣,٤٠) ، والعكس

---

(١) تفسير القرطبي -الجامع لأحكام القرآن ١/٦٤، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ١/٧.

(٢) المرجع السابق للقرطبي ١/٦٥.

(٣) المرجع السابق ١/٦٥ ثم٧/١٦٠ ثم١٢/١.

بالنسبة للمكي: (٧٤,٢٩/٢٥,٧٠) .

ويمكن توضيح ذلك بصورة أخرى هي النظر إلى نسبة كل منهما إلى مجمل آيات النصف ، أي نسبة آيات المكي في النصف الأول ، ثم في الثاني إلى مجمل آيات كل منهما إلى نصفه ، وكذلك المدني:

فعدد آيات النصف الأول هو ٢٢١٥ آية ، ونسبتها الإجمالية هي ٣٥,٥١٪ ، ٥٣,٥٤٪ منها مكية ، وعددها ١١٨٦ آية ، و٤٦,٤٥٪ منها مدنية وعددها ١٠٢٩ آية .

وأما عدد آيات النصف الأخير فهو ٤٠٢١ آية ، ونسبتها الإجمالية هي: ٦٤,٤٨٪ ، ٨٥,٢٢٪ منها مكية ، وعددها ٣٤٢٧ آية ، و١٤,٧٧٪ منها مدنية ، وعددها ٥٩٤ آية ، (فنسبتها في المكي هي على الترتيب: ٨٥,٢٢/٥٣,٥٤) . (وأما نسبة ذلك في المدني فهي: ١٤,٧٧/٤٦,٤٥) .

هذا من حيث النسب العددية ، ولعل الحكم يكون أدق بعد معرفة نسبة الحجم الحقيقي لكل من المكي والمدني ، أي بعد النظر إلى أجزائه وجزئياتها:

فالقرآن الكريم من حيث الحجم يقع في ٣٠ جزءاً=٦٠حزباً ، ويقسم الحزب إلى نصفين فأرباع فأثمان ، فيبلغ مقدار الجزء بالأثمان ١٦ ثمناً - وذلك نحو ملزمة واحدة .

إذ يقدر الثمن بحدود صفحة واحدة من المصحف عادة ، أو نحوها . فيكون مجموع الأثمان في القرآن الكريم ٤٨٠ ثمناً بالضبط (١٦×٣٠) . ٦٠,٨٣٪ منها مكية ، وعددها ٢٩٢ ثمناً ، (١٨ جزءاً و٤/١٦ أي ربع الجزء): ٣٧,٦٧٪ منها في النصف الأول من القرآن الكريم ، وعددها ١١٠ أثمان في ١١ سورة ، و٦٢,٣٢٪ منها في النصف الأخير منه ، وعددها ١٨٢ ثمناً ، في ٧٥ سورة .

وأما نسبة حجم المدني فهي ٣٩,١٧٪ من المجموع ، أي فوق الثلث ، بل قريب من ٥/٢ القرآن الكريم ، وعددها ١٨٨ ثمناً (١١ جزءاً و١٦/١٢ أي ٤/٣ الجزء): ٦٩,١٤٪ منها في النصف الأول ، وعددها ١٣٠ ثمناً ، في ٧ سور ، و٣٠,٨٥٪ منها في النصف الأخير ، وعددها ٥٨ ثمناً في ٢١ سورة .

ومما يلاحظ فيما سبق:

- أن القرآن المدني من حيث الحجم أكثر من ثلث القرآن الكريم: (٣٩,١٦٪) ، ولكنه ، أي المدني ، من حيث عدد الآيات دون الثلث ، بل فوق الربع قليلاً: (٢٦,٠٢٪) ، وأنه من حيث عدد السور أقل من الربع قليلاً: (٢٤,٥٦٪) .

وذلك أن نسبة طوال السور المدنية إلى مجمل المدني نفسه أعلى من نسبة طوال السور المكية إلى مجمل المكي كذلك .

فأطول سور القرآن الكريم ، وهي ما بين رقمي: ٢-٧ ثم ٩ .

خمس منها مدنية: (٧١,٤٢٪ منها) ، وأرقامها هي: ٢-٥ ثم ٩:

ثم إن نسبة طول آيات المدني أعلى من نسبة طول آيات المكي. بل إن لكل من المكي من القرآن الكريم والمدني منه ميزات أو خصائص توصَّل إليها الباحثون[1]. حيث لاحظوا أن كلاً منهما له سمات واضحة تتفق مع متطلبات الدعوة الإسلامية قبل الهجرة وبعدها من الناحية التربوية: موضوعاً وأسلوباً.

ويمكن إيجاز هذه الخصائص هنا:

- يركز المكي من القرآن الكريم على أصول الدين (من الإيمان بالله وباليوم الآخر) فيكثر من لفت النظر إلى آيات الكون، وطلب الاعتبار بالأمم الخالية، ومن تصوير مواقف أو مشاهد وأحوال تقع بعد الموت.. وذلك بعد إقامة البرهان على البعث بمثل القياس على بدء الخلق.. كما أنه يكثر من الحوار المنطقي والمناقشة ومخاطبة العقل، وتعميم الخطاب بمثل: «يا أيها الناس». وذلك بأسلوب يبعث على التأمل والتفكير، ويثير الخشية والرهبة في النفوس.. وبفواصل ذات وقع يزيد المعاني روعة تشد إليها السامع شداً.. كما يغلب أن تكون آيات المكي قصيرة.

وأما المدني من القرآن الكريم فيركز على بيان الأحكام التشريعية والعملية، من عبادات ومعاملات مدنية، وأحوال شخصية.. كما تتسم بالحث على الجهاد والتعليق على الغزوات وذكر أحوال المنافقين، وبيان الحدود والقصاص. ويختص كلياً بالنداء بـ« يا أيها الذين آمنوا» حيث لم يرد هذا النداء في المكي مطلقاً. وذلك بأسلوب شائق، يذكر بمبادئ الإيمان، ليربطها بالتشريع العملي.. كما يغلب أن تكون آيات المدني طويلة.

والخلاصة أن العهد المكي من القرآن الكريم عني بالتربية العقلية والمعرفية، الروحية والقلبية، مع الإشارة إلى ضرورة العمل الصالح، وأهمية الأخلاق الحسنة، متخذاً في ذلك آيات هذا الكون وسائل للإيضاح. وكان الحوار من أهم أساليبه. أما عهده المدني فقد ركز على التربية العملية والتشريعية، متخذاً التربية المكية منبراً وأساساً لتحقيق أهدافه، حيث تظهر بين الحين والآخر (إن لم يكن مطرداً) مبادئ الإيمان - التي أرسيت قبل الهجرة - مع المبادئ السلوكية والتطبيقية التي يتسم بها العهد المدني. وذلك تحقيقاً للتكامل بين النظري والعملي، الأمر الذي جعل مواضيع القرآن الكريم أكثر تداخلاً وأشد ترابطاً. وقد أشار الدكتور البيومي إلى حكمة أخرى لهذا التداخل بعد أن رد على المنتقدين، وهي:

(١) مثل البوطي في كتابه: من روائع القرآن ص٨٦، والأستاذ سمك في كتابه: فن التدريس ص٦٦٩-٦٧٠.

« أنه يمكن الاستفادة من القرآن الكريم حتى عند قراءة جزء يسير منه »[1] والواقع أن القرآن الكريم يشير إلى هذا ، حيث قال تعالى: ﴿ فاقرؤوا ماتيسر من القرآن ﴾ [المزمل: ٢٠]

فلو كان كتاباً مُبوَّباً كما هو مألوف لفقد هذه المزية المهمة ، وللزم كل مسلم أن يقرأه كله ، ليقف على مختلف مواضيعه ومبادئه وموارد أوامره ونواهيه ، ولكن الإنسان يقع على ذلك أو كثير منه أنّ قرأ من القرآن الكريم .

وأما هذه المواضيع التي هي مدار القرآن الكريم كله فتتلخص في أربعة أمور:

١- العقائد أو الأصول ، التي منها: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر .

٢- التشريعات ، وتشمل العبادات والمعاملات ، وشؤون الجهاد والمعاهدات .

٣- القصص ، وتأتي تسلية للنبي ﷺ ولأتباعه ، وتحذيراً للمعارضين .

٤- الأخلاق ، أو محاسن الأخلاق التي منها الصدق والأمانة والوفاء والصبر .

ولا يتسع المجال لتفصيلها هنا[2] ، خوفاً من الخروج عن حدود البحث .

هذا وفيما يلي جدولان لتوضيح أهم النسب التي سبق ذكرها بين المكي والمدني .

---

(١) البيان القرآني: البيومي ص١٨٥-١٨٧ .

(٢) فصله الدكتور البوطي «من روائع القرآن» ص٨٦، وكذا الأستاذ سمك «فن التدريس» ص٦٨٢-٦٨٣ .

جدول رقم «١»

نسبة آيات المدني من القرآن الكريم إلى آيات المكي منه :

ا - آيات النصف الأول من القرآن الكريم ٢٢١٥/ ٦٢٣٦= ٣٥,٥١٪

السور المدنية	أرقامها وعددها	عدد اياتها	نسبتها إلى النصف	نسبتها الإجمالية
البقرة - المائدة	٢- ٥=٤	٧٨٢	٣٥,٣٠	١٢,٥٤
الأنفال والتوبة	٨و٩= ٢	٢٠٤	٩,٢٠	٣,٢٧
الرعد	١٣	٤٣	١,٩٤	٠,٦٨
المجموع	= ٧ سور	١٠٢٩	٤٦,٤٥	١٦,٥٠

فالمكي هو١١ سورة

ب - آيات النصف الأخير من القرآن الكريم : ٤٠٢١/ ٦٢٣٦= ٦٤,٤٨٪

السور المدنية	أرقامها وعددها	عدد آياتها	نسبتها إلى النصف	نسبتها الإجمالية
الحج والنور	٢٢و٢٤=٢	١٤٢	٣,٥٣	٢,٢٧
الأحزاب، محمد والفتح	٣٣و٤٧و٤٨=٣	١٤٠	٣,٤٨	٢,٢٤
الحجرات، الرحمن والحديد	٤٩و٥٥و٥٧=٣	١٢٥	٣,١٠	٢,٠٠
المجادلة-التحريم	٥٨-٦٦=٩	١٣٧	٣,٤٠	٢,١٩
الإنسان والبينة والزلزلة والنصر	٧٦و٩٨و٩٩ و١١٠= ٤	٥٠	١,٢٤	٠,٨٠
المجموع	٢١سورة	٥٩٤ آية	١٤,٧٧	٩,٥٢
فالمكي إذن	٧٥ سورة	٣٤٢٧	٨٥,٢٢	٥٤,٩٥

جدول رقم (٢)

نسبة حجم المدني من القرآن الكريم إلى المكي منه بالأثمان :

أ- حجم النصف الأول من القرآن الكريم بالأثمان ٢٤٠/ ٤٨٠=٥٠٪

السور المدنية	حجمها بالأجزاء	حجمها بالأثمان	نسبتها إلى النصف٪	نسبتها الإجمالية٪
البقرة – المائدة	٦و١٦/٥	١٠١	٤٢,٠٨	٢١,٠٤
الأنفال والتوبة والرعد	١و١٦/١٣	٢٩	١٢,٠٨	٦,٠٤
المجموع ٧ سور	٨و١٦/١٤	١٣٠!	٥٤,١٦	٢٧,٠٨
فالمكي هو ١١ سورة	٦و١٦/١٤	١١٠	٤٥,٨٣	٢٢,٩١

ب – حجم النصف الثاني من القرآن الكريم بالأثمان ٢٤٠/ ٤٨٠= ٥٠٪

السور المدنية	حجمها بالأجزاء	حجمها بالأثمان	نسبتها إلى النصف ٪	نسبتها الأجمالية ٪
الحج والنور	١	١٦	٦,٦٦	٣,٣٣
الأحزاب، محمد، الفتح	١	١٦	٦,٦٦	٣,٣٣
الحجرات، الرحمن، الحديد	٢/١	٨	٣,٣٣	٦,٦٦
المجادلة– التحريم	١	١٦	٦,٦٦	٣,٣٣
الإنسان، البينة	١٦/٢	١٦/٢	٠,٨٣	٠,٤١
الزلزلة، النصر				
المجموع ٢١ سورة	٣و١٦/١٠	٥٨	٢٤,١٦	١٢٠٨
فالمكي هو ٧٥ سورة	١١و١٦/٦	١٨٢	٧٥,٨٣	٣٧,٩١

فنسبة آيات المدني في النصف الأول من القرآن الكريم أعلى منها في النصف الأخير -كما سبق.

ومما يحسن ملاحظته أن ثمة تقارباً بين نسبة السور المدنية إلى السور المكية وبين نسبة آيات السور المدنية إلى آيات السور المكية: (٢٦,٠٢/٢٤,٥٦)، في حين ترتفع نسبة حجم المدني إلى المكي إلى ما يقارب ٢/٥ حجم القرآن الكريم كله: (٣٧,٣٩٪)

والسبب يعود إلى طول آيات المدني. (وتقدير ثمن الحزب لا يخضع لعدد الآيات، وإنما لحجمها الحقيقي. ويتأكد هذا في الجدول الثاني).

وكذلك نسبة حجم المدني من القرآن الكريم في النصف الأول أعلى منها في النصف الثاني، كما هي الحال في الآيات، إلا أن ارتفاع نسبة الحجم في النصف الأول هنا أعلى منها هناك، إذ كانت (٣٥,٥١/٦٤,٤٨)، أما هنا فهي: (٣٠,٨٥/٦٩,١٤) أي ١٣٠/١٨٨، كما زاد ارتفاع نسبة المدني على حساب المكي.

ولعل السبب في هذه الزيادة هنا يعود إلى أن آيات السور الطوال تكون عادة أطول من آيات السور القصار، وأكثر السور الطوال مدنية -وهي في النصف الأول من القرآن الكريم.

وهذه خلاصة وجيزة عن معلومات تتعلق بمحتوى القرآن الكريم ينطلق منها البحث إلى الإشارة إلى نظرة القرآن الكريم إلى الإنسان الذي خصه بتحمل المسؤولية، ثم النظر في الأهداف التي رسمها له، والأساليب التي يحثه بها على السعي الجاد في مهمته هذه.

ثانياً:- نظرة القرآن الكريم إلى الإنسان

من المعروف في الحقل التربوي أن التوجيه والإرشاد النفسي والمهني كلها تتعاون في مساعدة الفرد لتحقيق النجاح في حياته النفسية والاجتماعية والمهنية أوالعملية.. وذلك عن طريق دراسة استعدادات الفرد وإمكاناته، ثم دراسة متطلبات المهنة المرادة، ثم مقارنة ما

بين الدراستين ، حيث يوجه الفرد في ضوئها إلى ما هو مناسب له[1] .

وعلى هذا المبدأ فلابد من إلقاء الضوء على نظرة القرآن الكريم إلى الإنسان - قبل التعرض للبحث في الأهداف التي يحددها لذلك الإنسان في ضوء نظرته إليه .

هذا ، والإنسان باعتباره موضوع التربية ، ينظر إليه القرآن الكريم أهم الأركان الثلاثة التي يقوم عليها هذا الوجود ، لأنه أي الإنسان هو العنصر الفعال والمؤثر المستفيد ، أما العنصران الآخران (الحياة والكون) فمنفعلان ومتأثران بالدرجة الأولى في خدمة الإنسان .

« ويراد بالحياة هنا عمر الإنسان ، وبالكون مجموع المخلوقات المسخرة له »[2] .

وهذا يعني - كما يؤكده عدد من الباحثين : كالبوطي والنحلاوي والقرضاوي[3] أن الإنسان هو محور العمارة الكونية في هذه الحياة الدنيا ، بما أوتي من نعمة الفكر ونفوذ البصيرة .

وقد عُنيَ القرآن الكريم بهذه العناصر الثلاثة ، فعرَّف كلاً منها بما يحقق للإنسان الاتزان النفسي والسلوكي ، ويضمن له الطمأنينة ، ويهديه إلى الاعتدال في تصرفاته ومساعيه دون إفراط ولا تفريط[4] .

فنظرة القرآن الكريم إلى الإنسان نظرة شاملة معتدلة ، بل هي نظرة خبيرة هادية[5] .

وفيما يلي محاولة لإلقاء الضوء على أبعاد هذه النظرة بصورة مختصرة .

التعريف بالإنسان في القرآن الكريم :

قد عرف القرآن الكريم بالإنسان بأصله الذي هو الماء والتراب أي الطين ، وبسلالته التي هي الماء المهين أو النطفة . كما عرفه بمكانته وكرامته عند ربه ، حيث أسجد له الملائكة ، وأعلن كرامته وتفضيله على كثير من الخلق ، ليقف الإنسان وسطاً بين هذين الحدَّين : الأدنى والأعلى .

فبمكانته وكرامته يرى نفسه عزيزاً ، وبأصله وسلالته يتواضع معظماً شأن من أنشأه من ذلك الأصل ، وأوصله إلى تلك المكانة العالية ، فينجو بذلك من العُجب والكبر

(١) انظر التوجيه والإرشاد النفسي: زهران ص٣٨٣-٣٨٤ و٣٨٧-٣٨٨.
(٢) منهج الحضارة الإنسانية في القرآن: البوطي ص٦٤ و٩٢.
(٣) المرجع السابق ص٣٦، وأصول التربية الإسلامية: النحلاوي ص٣١ ومابعدها، والخصائص العامة للإسلام: القرضاوي ص٦٩ ومابعدها.
(٤) المرجع السابق ص١٣٩، ولمحات في وسائل التربية الإسلامية: المصري ص١١٨.
(٥) خصائص التصور الإسلامي: قطب، سيد ص١٧٠، ط٣ ١٣٨٨/١٩٦٨.

والغرور ، كما يمنعه عزه وكرامته من التذلل لغير الله تعالى ، فيكون البشر كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

والإنسان لو تركه الإله دون هدي لعانى الكثير من سوء الفهم للنفس ، بل إن عدداً من الناس قد يعانون من ذلك لسبب ما ، كالإفراط في الثقة بنظرتهم الخاصة إلى أنفسهم ، التي قد تؤدي إما إلى الغرور والتعالي ، وإما إلى الهوان والتدني .

وذلك « أن نظرة الإنسان إلى نفسه من أقوى المؤثرات في تربيته . . وما زال الإنسان منذ وجد على وجه الأرض مأخوذاً بسوء الفهم لنفسه : يميل إلى جانب الإفراط حيناً ، فيرى أنه أكبر أو أعظم كائن في العالم ، فينادي بذلك وقد امتلأ أنانية وغطرسة وكبرياء . . كما نادى قوم عاد : ﴿ وقالوا مَنْ أشدُّ مِنّا قُوة ﴾ [فصلت : ١٥] . وكما نادى فرعون ﴿ فقالَ أنا ربُّكم الأعلى ﴾ [النازعات : ٢٤] . ويربأ بنفسه - أي الإنسان - أن يعتقد أنه مسؤول أمام أحد ، ويتحول إلى متأله . ./ ويميل حيناً آخر إلى جانب معاكس هو التفريط ، فيظن أنه أدنى أو أرذل كائن في العالم ، فيُطأطىء رأسه أمام شجر أو حجر ، أو نهر أو جبل ، أو أمام حيوان ، بحيث لا يرى السلامة إلا أن يسجد للشمس أوللقمر[١] .

وقد بين القرآن الكريم بوضوح أن « حقيقة الإنسان ترجع إلى أصلين : الأصل البعيد وهو الخلقة الأولى من طين ، حين سواه الله ونفخ فيه الروح . . والأصل الثاني القريب (المستمر) وهوخلقه من نطفة »[٢] . وقال تعالى في ذلك عن نفسه : ﴿ الَّذي أحسَنَ كلَّ شيءٍ خَلَقَه ، وبدأ خَلْقَ الإنسانِ مِنْ طين * ثمَّ جَعَل نَسْله من سُلالةٍ من ماءٍ مَهين * ثمَّ سوّاهُ ونَفَخ فيه من روحه ، وجَعل لكُم السَّمْع والأبصار والأفئِدة ، قليلاً ماتَشْكُرون ﴾ [السجدة : ٧-٩][٣] .

فكما يُوَضح النص القرآني - في نصفه الأول - أصل الإنسان الذي ظاهره قلة الأهمية ، فإنه فيما بعد يشير إلى كرامة الإنسان ، بأنه من روح الله ، وله وسائل المعرفة التي هي السمع والبصر والفؤاد ، بمعناها الراقي - ثم يشير النص أخيراً إلى مهمة الإنسان المعبر عنها هنا بالشكر ، أي شكر ذلك الخالق القدير المتفضل .

(١) أصول التربية الإسلامية : النحلاوي ص٣١ .
(٢) المرجع نفسه .
(٣) وانظر في الموضوع سور: الحجر ١٥/٢٨-٢٩ ، والطارق ٨٦/٦-٧ ، ويس ٣٦/٧٧ ، والزمر ٣٩/٦ ، والمؤمنون ٢٣/١٢-١٤ .

وقال تعالى في خصوص مكانة الإنسان : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمنا بني آدمَ وحَملناهُم في البَر والبَحر وَرَزقناهُم مِنَ الطَّيِّبات وفضَّلناهم على كثير ممن خَلقنا تَفضيلاً ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

ومن الحكمة من تعريف الإنسان بحدَّيه :

« أنه من عاش لايبصر من ذاته إلا مظاهر ضعفها ودلائل تفاهتها وهوانها ، جدير به أن يركن إلى ضعف يجعله ضحية طغيان الجبابرة والمتكبرين ، وأن يبعده ذلك عن إنجاز أي عمل أو خدمة إنسانية مما حمله الله تعالى مسؤولية النهوض به . . /ومن عاش وهو لا يعرف من ذاته إلا أنه الإنسان المكرم الذي يملك من المزايا والصفات ما يخوله أن يبسط نفسه حكماً وسلطاناً على كل ما حوله ومن دونه ، جدير به أن يسكر بنشوة تلك الصفات . . وأن يجعل من نفسه حاكماً من دون الله عز وجل ، يبسط قهر ربوبيته المزعومة على سائر المستضعفين . . ولا علاج من التطرف إلا بالجمع بين الحقيقتين »[١] ليمكن للإنسان أن يحقق الاعتدال والتوازن في أموره مخلصاً لله العبودية والعبادة ، ومحباً لخدمة البشر ، واقفاً عند حده أخذاً وعطاءً[٢] .

تعريف الحياة والكون في القرآن الكريم :

ونظرة الإنسان إلى الحياة وإلى ما حوله من أجزاء هذا الوجود لاتقل أهمية وخطورة عن نظرته إلى نفسه ، من حيث التأثير في تربيته وتوجيهه ، ولهذا عني القرآن الكريم كذلك بتعريف كل من الحياة والكون عنايته بتعريف الإنسان .

فالحياة في نظر القرآن الكريم - من جهة - عَرَض قصير الأمد ، بل هو لعب ولهو . . ولكنها من جهة أخرى ذات قيمة كبيرة - يعاقَب من تعرض لحياة إنسان بريء بعقاب دنيوي وأخروي ، بل يعادل قتل النفس بغير حق قتل الناس جميعاً ، والعكس بالعكس . ولبيان ذلك قال تعالى :

- ﴿ وما هذه الحياة الدنيا إلا لعبٌ ولهوٌ وإنَّ الدار الآخرة لَهِيَ الحَيَوان ﴾ [العنكبوت : ٦٤] .

- ﴿ ويَوم يَحشُرهم كأنْ لم يَلبَثوا إلا ساعةً من نهار ﴾ [يونس : ٤٥] .

- ﴿ مَنْ عَمِل صالحاً من ذَكرٍ أو أنثى وهو مُؤْمنٌ فَلَنُحيينه حياةً طيبةً ﴾ [النحل : ٩٧] .

---

(١) منهج الحضارة الإنسانية في القرآن: البوطي ص٥٣ و٥٩ .

(٢) وانظر الدعوة القرآنية إلى ذلك من سورة آل عمران ٣/٦٤ .

- ﴿من قَتل نَفساً بغير نفسٍ أو فَسادٍ في الأرض فكأنَّما قَتل الناسَ جميعاً ، ومن أحياها فكأنَّما أحيا الناس جميعاً﴾ [المائدة: ٣٢]

واهتمام القرآن الكريم بتعريف الحياة من طرفيها إنما ذلك لأن أشد ما يتعلق به الإنسان من دنياه إنما هو عمره . . فالحياة أقدس شيء يملكه على الإطلاق . . فلا بد من أن يكون ثمة ظروف تتطلب الحرص عليه والتمسك به ، وظروف تتطلب المغامرة به[1] .

وأما الكون المتمثل في الأرض والسماء وما فيهما من أجرام لاتحصى فمصيره إلى الانهدام أو النسف ، وهو بما فيه من مال وأهل وولد . متاع قليل ، وظل زائل ، وهو - أي الكون - من جهة أخرى بما فيه من آيات هو العون على تحقيق معرفة الله تعالى ، لأنه وسيلة الإيضاح ، والمعبِّر عن عظمة الخالق وقدرته ووحدانيته . . ثم إنه بما فيه من مال وأهل وولد ، قوام الحياة ، يعاقَب على الاعتداء عليه ، وبه يتم الحفاظ على المصالح والذود عن الحرمات ، بل هو من الحرمات.

ومما يمثل هذا التعريف ذا الطرفين المتباعدين قوله تعالى في فناء الكون :

- ﴿ لا إله إلا هو ، كل شيء هالكٌ إلا وجهه ﴾ [القصص : ٨٨] .

- ﴿ ما عِندَكم يَنفد ، وما عِنْد الله باق ﴾ [النحل : ٩٦] .

وقال تعالى مؤكداً أن هذا الكون وسائل إيضاح ومسخر للإنسان :

- ﴿ إنَّ في خلق السموات والأرض واختلافِ اللَّيل والنَّهار لآيات لأولي الألباب ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

- ﴿ وسخر لكم ما في السمٰوات وما في الأرض جَميعاً منه ﴾ [الجاثية : ١٣] .

ثم قال تعالى في إباحة التمتع بما في الكون ، مشيراً إلى التزام الحلال الطيب من ذلك منكراً على من يحرمه :

- ﴿ قُل من حرَّم زينةَ الله الَّتي أَخرَج لعباده والطَّيِّبات مِنَ الرزق ﴾ [الأعراف : ٣٢]

- ﴿ وَكُلوا مِمَّا رَزَقكم الله حَلالاً طيباً ، واتَّقوا الله الذي أَنْتُم به مُؤمِنون ﴾ [المائدة : ٨٨] .

وبعد هذا يهدي القرآن الكريم الإنسان إلى الموقف الوسط المعتدل ، الذي يجب أن يقفه من هذا الكون الذي سخره الله له - وأباحه - بعد أن حذره من الانشغال به . . وهذا الموقف المتزن هو أن يكون الإنسان كالمستخلف الجائز له التصرف والاستفادة والإفادة مما

(١) منهج الحضارة الإنسانية في القرآن: البوطي ص٦٤.

استخلف فيه ، دون إسراف ولا تقتير ، آخذاً بعين الاعتبار أنه مسؤول أمام المالك الحق . فبين له متى يسخو بما عنده ، ومتى يمسك ، قال تعالى :

- ﴿ آمِنوا بالله ورَسولِه وأنْفِقوا مّما جَعَلكم مُستَخلفين فيه ، فالَّذين آمنوا منكم وَأنْفَقوا لهم أجرٌ كَبير ﴾ [الحديد : ٧]

- ﴿ إنَّ الله اشترىٰ من المؤمنين أنفُسَهم وأموالَهم بأنَّ لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله ﴾ [التوبة : ١١١]

- ﴿ ولا تُؤتوا السُّفهاء أموالَكم التي جعل الله لَكم قِياماً ، وارزقوهم فيها واكْسوهم ﴾ [النساء : ٥]

ومن أهم ما يأمر بالاعتدال في هذا الموضوع قوله تعالى :

- ﴿ وآتِ ذا القربى حقَّه والمسكينَ وابْنَ السَّبيل ، ولا تُبذِّر تَبذيراً ﴾ [الإسراء : ٢٦]

- ﴿ ولا تَجعل يَدك مَغلولةً إلى عُنُقك ولا تَبسطها كلَّ البَسطِ فتقْعُد مَلوماً محسوراً ﴾ [الإسراء : ٢٩] .

إلى غير ذلك مما هو كثير في هذا الموضوع ، الذي خصه الدكتور البوطي بكتاب مستقل هو « منهاج الحضارة الإنسانية في القرآن » ، حدد فيه التعريفات بدقة ، ودعم الموضوع ببراهين من واقع الحياة البشرية . . وكان من المفيد تلخيصه هنا كما عالجه إلا أن ذلك قد يخرج عن حدود البحث .

وبناءً على هذه النظرة القرآنية إلى الإنسان ، والتي بدأت به من نقطة « صفر » كما يدل عليه قوله تعالى : ﴿ أَوَلا يَذْكُر الإنسان أنّا خلقناه من قَبلُ ولم يَكُ شيئاً ﴾ [مريم : ٦٧] ، وسمت به حتى بوأته مكانة التكريم والتفضيل ، وأهلته بالتعليم لشرف الخلافة في الأرض . . لابد من أن تتابع هذه النظرة في سموها بالإنسان إلى أن توصله أعلى ما يمكن الوصول إليه ، حيث تحدد له أهدافاً وغاية تتناسب مع مكانته وقدراته . .

« فالقرآن الكريم يرى الإنسان إذن مخلوقاً مكرماً ، ومسخراً له الكون كله ، وأنه مميز مختار ، له القدرة على التعلم ، وعليه مسؤولية وله جزاء ، وأن مهمته العليا هي عبادة الله عز وجل »(١) . ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربَّكم الذي خَلَقكم والَّذين مِنْ قَبلِكم لعلَّكم تتَّقون ﴾ [البقرة : ٢١] .

---

(١) أصول التربية الإسلامية: النحلاوي ص٣١-٣٣

ويؤكد هذا عدد من الآيات - منها بعض ما تقدم - كالتي رتبت الأمر بتقوى الله تعالى على إباحة الأكل من رزق الله الحلال الطيب، إذ قال تعالى:

- ﴿ وَكُلوا مّما رَزَقكم الله حلالاً طيباً، واتَّقوا الله الَّذي أنتُم به مُؤمنون ﴾ [المائدة: ٨٨]. فهذه الآية تجعل الحلال الطيب منطلقاً للأمر بالتقوى التي هي من أرقى أهداف الإسلام، مع الإشارة إلى وجوب التقيد بالكسب الحلال غير المشوب بالحرام، كما تشير الآية في الوقت نفسه إلى أنه لا يصح أن يكون هدفاً للإنسان المكرم: الأكل والشرب ولا سائر أنواع المتاع العاجل الذي ينتظر كل يوم وكل آن أو لحظة مفآجات آخرها انقضاء هذه الحياة بما فيها.. وإنما يجب أن يكون متاع الدنيا وسيلة وعوناً على تحقيق ذلك الهدف العالي الذي تتدرج قبله أهداف مرحلية يكون الفرد بمجموعها الإنسان الصالح، أو يكون مقامه من الصلاح على قدر ما حققه منها.

بل للقرآن الكريم نظرة عميقة في النفس الإنسانية، وشاملة في الوقت نفسه، بحيث يمكن أن تستخرج منها نظرية متكاملة - إن صح التعبير - أو مبادئ صادقة لعلم النفس على اختلاف أنواعه وفروعه - ولاسيما علم النفس التربوي.

فقد عالج قضايا النفس بصورة مقصودة لاعرضية: « فاعتد بالنفس الإنسانية ونزعاتها وفطرتها وغرائزها وميولها.. في الدعوة للهداية والإرشاد إلى أقوم الطرق، وعالج النفس البشرية بنوازعها التي تمتد إلى الجذور، ولا تقتصر على أعمال الجوارح... وقد عرض للنفس ووجوب النظر فيها والتأمل في حقيقتها، والبحث عن آفاقها ومكنونها في آيات تبلغ ٣٠٥ آيات، وكان التعرض للنفس مقصوداً لذاته من أجل التربية والتوجيه والتهذيب[(١)].

كما أعطى القرآن الكريم فكرة دقيقة عن النفس واستعداداتها وقوانينها السلوكية.. ففيها استعدادات للخير والشر: الرشد والغي، الهداية والضلال، التواضع والكبر، الرفعة والضعة، الشرف والدناءة.. مشيراً إلى أن طريقي الشر والخير واضحتان أمام النفس، ولها الخيار والحرية في السير على إحداهما، ما دامت تعرف نتائج كل منهما، قال تعالى:

- ﴿ ونَفسٍ وما سوّاها، فألهَمها فُجورَها وتَقواها، قد أَفلحَ من زكّاها، وقد خابَ من دسّاها ﴾ [الشمس: ٧-١٠].

---

(١) طرق تدريس التربية الإسلامية: الزحيلي. د. محمد ص١٠-١١.

- ﴿ إنا هَدَيناه السبيلَ ، إمّا شاكراً وإمّا كَفوراً ﴾ [الإنسان :٣] .

وعلى هذا الخيار الثابت للنفس تكون مسؤولة عن تصرفاتها الإيجابية والسلبيـة ، قال تعـالى : ﴿ فَمَن يَعمـل مِثقـالَ ذرَّة خَيـراً يَـرَه ، ومَن يَعمـل مِثقـالَ ذرَّةٍ شـراً يَـرَه ﴾ [الزلزلة :٧-٨].

وانطلاقاً من هذه النظرة الخبيرة بالنفس الإنسانية فقد حدد لها القرآن الكريم أهدافاً في حياتها ، تتناسب مع استعداداتها وكرامتها ، ليسمو بها فوق مكانتها الأصلية ، ويحـول دون وقوعها في حمأة الرذائل ، أو إلى مستوى الحيوان .

فأراده بهذه النظرة إنساناً صالحاً مطلق الصلاحية بقدر مـا يستحق عليه رضـا الخـالق والخلق قدر الإمكان ، حتى إن القرآن الكريم استنكر على من يظن أن الإنسان يبقى بـلا هدف من هذا النوع ، فقال تعالى : ﴿ أَيَحسبُ الإنسانُ أن يُترك سُدى ﴾ [القيامة :٣٦] .

كما يؤكد القرآن الكريم هذه الخبرة العميقة بالنفس ليمنعه من الاغترار بما يعمل من خير ، كي يقف معتدلاً في أمره ، قال تعالى مبرهناً على كمال علمه بالإنسان :

- ﴿ هو أَعْلم بكم إذ أنْشأكم من الأرض ، وإذ أنْتُم أَجِنَّةٌ في بطون أُمَّهاتكم ، فلا تُزَكوا أنفُسَكم ، هو أعلمُ بِمَن اتقى ﴾ [النجم :٣٢] .

والآيات المصرحة بخبرة القرآن الكريم بالإنسان كثيرة - سيأتي شيء منها لاحقاً .

وفيـما يلي أبـرز القيم التي يسعى إليها القـرآن الكريم بـتربية الإنسـان ، أي بصورة موجزة قدر الإمكان .

ثالثاً : -أبرز القيم والأهداف القرآنية .

سبق أن علماء الإسلام يرون أن تحقيق الإنسان الصالح هو الهـدف الأساسي للتربيـة الإسلامية . والواقع أن القرآن الكريم يؤيد ذلك إلى حد كبير، لما يظهـر فيه من أن تحقيق الصلاح أو اللحوق بالصالحين هو أمنيّة الأنبياء والمؤمنين.

ومن ذلك قوله تعالى عن كـل من أنبيائـه : إبراهيم ، ويـوسف ، وسليمان ، عليهم السلام ، ثم عن المؤمنين عامة ، على الترتيب:

- ﴿ رَبِّ هَبْ لي حُكماً وألحقني بالصّالحين ﴾ [الشعراء:٨٣] .

- ﴿ أَنْتَ وليّي في الـدُنيـا والآخـرة، تَـوفَّـني مُسـلماً وأَلحِقـني بـالصّـالحـين ﴾ [يوسف:١٠١] .

- ﴿ وقال ربِّ أوْزِعني أنْ أشْكُرَ نِعمتكَ التي أنْعمْتَ عليَّ وعلى والدَيَّ وأنْ أعْمَلَ صالحاً تَرْضاه وأدْخِلني برحمتك في عبادِكَ الصّالحين ﴾ [النمل: ١٩]

- ﴿ وما لنا لا نُؤْمِنُ بالله وَما جاءَنا منَ الحقِّ ونَطمَع أنْ يُدخِلنا ربُّنا مع القومِ الصّالحين ﴾ [المائدة: ٨٤] .

فقد عني القرآن الكريم بالإنسان الصالح بمعناه المطلق عناية كبيرة ، حين أعلن ولاية الله للصالحين ، مبيناً صفاتهم وأعمالهم ، ومثنياً عليهم بأعمالهم الصالحة ، كقوله تعالى يشير إلى أهم ما يحقق الصلاح :

- ﴿ يُؤمنون بالله واليوم الآخر ويَأمُرون بالَمعروف ويَنْهوْن عنِ الُمنكر ويُسارِعون في الخيرات وأولئك مِنَ الصّالحين ﴾ [آل عمران: ١١٤].

وفي الحديث القدسي يقول النبي ﷺ عن ربه عز وجل إنه قال: « أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولاأذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. فاقرؤوا إن شئتم ﴿ فلا تَعْلَمُ نفسٌ ما أُخفي لَهم من قُرَّة أَعْينٍ جزاءً بما كانوا يعملون ﴾. »(١). وفي هذا إشارة واضحة إلى أن الهدف الأهم للتربية الإسلامية هو تكوين الإنسان الصالح - مادام ذلك أمنية أهل الإيمان: الرسل ومن دونهم ، وأن ما أعد الله للصالحين لا يحيط به الوصف ولا التصور من البشر.

ومن مظاهر عناية القرآن الكريم بالصلاح والصالحين أنه وردت كلمة: « صالح » ومشتقاتها صفة للإنسان وعمله ١٤٤مرة (غير اسم العَلَم منه):

١١,٣٦٪ منها نعت به الإنسان فرداً أو أكثر: (٥٢مرة).

و٨٨,٦٣٪ منها نُعت به العمل النافع: (٩٢مرة).

كما أُسند فيه إلى الإنسان فعل الصلاح والإصلاح ٣٦ مرة. ولايتعارض هذا مع ما سبق التنويه عنه من أن الغاية النهائية للإسلام هي تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى ، وذلك

---

(١) متفق عليه: البخاري، تفسير سورة٣٢، وتوحيد ٣٥، ومسلم، جنة، ٢و٥. والآية -في آخر الحديث- من سورة السجدة ١٧/٣٢ .

أن الصلاح - كما يبدو - له درجات ومقامات تتعاون في تحقيق تلك الغاية التي تعني الإخلاص في التوحيد قولاً وعملاً . . ولا يطلع على ذلك غير الله ثم المخلص نفسه - لاختصاص القلب به .

بينما الصلاح يظهر في القول والعمل والمعاملة ، ويشهد به الناس على ظاهره ، ويستأثر بباطنه صاحبه ومن لاتخفى عليه خافية .

هذا وإن القرآن الكريم قد صرح بأهداف تفصيلية لنزوله ، وأشار إلى بعضها الآخر عن طريق التعليل حيناً ، وربطها بعظيم الثواب والأجر تارة . .

وفيما يلي نبذة عن ذلك .

أهداف نزول القرآن الكريم كما صرح به أو أشار إليه :

﴿ كتابٌ أنزَلناهُ إليكَ لِتُخرجَ النّاسَ مِنَ الظلماتِ إلى النور ﴾ . [إبراهيم : ١] .

ما ورد آنفاً في الصلاح والصالحين يشير إلى بعض القيم التي ينبغي للإنسان أن يكتسبها ليكون صالحاً بالمعنى الصحيح ، كالإيمان والعمل الصالح . .

وثمة قيم أخرى لم ترد في ذلك ، والقرآن الكريم يركز عليها ، كالصدق والبر والتقوى . . وقد تم تتبُّع كلمة « لَعَلَّ » قرينة على الأهداف القرآنية ، فتبين أنها وردت في القرآن الكريم ١٢٨مرة :

٨١,٢٥٪ منها لبيان الهدف القرآني ، مثل تنمية العقل : لعلكم تعقلون ، تذكرون . . =١٠٤مرات .

و٧٧,٤٠٪ منها يتعلق بالاهتداء والإيمان وما إليهما : (لعلكم تهتدون ، تتقون . .)=٤٢مرة .

و١٩,٤١٪ منها يتعلق ببيان النتيجة والثواب : (لعلك ترضى ، لعلكم تفلحون)=٢٠مرة .

١١,٦٥٪ منها يتعلق بالرجوع إلى الله بالتوبة ، وبيان علة العقاب : (لعلهم ينتهون ، يحذرون)[1]=١٢مرة .

كما تبين أن الآيات التي وردت فيها كلمة : « نزل » ومشتقاتها - مراداً بها نزول

---

(١) ويلاحظ أن مجموع النسب المئوية يتجاوز مئة، وذلك لتضمن بعض الآيات أكثر من هدف.

القرآن الكريم - أو أسماء له ، كالكتاب والفرقان - أو الآيات - مراداً بها القرآن الكريم كذلك - أو ما يشير إليه. . تصرح بعض هذه الآيات بهدف نزول القرآن الكريم بالتعليل بلام الجر مثلاً ، وأن المعاني أو المفاهيم التي وردت في تعيين هذا الهدف تلتقي كلها في معنى: « الإخراج من الظلمات إلى النور » الأمر الذي صرحت به طائفة من الآيات ، ومنها قوله تعالى: ﴿ كِتابٌ أَنْزلناهُ إليْك لِتُخرجَ النّاسَ مِنَ الظُّلمـاتِ إلى النّور ﴾ [إبـراهيم: ١] والظاهر أن معنى الإخراج من الظلمات إلى النـور ، أو من الضلال إلى الهـدى يمثل هـدف القرآن الكريم - الشامل للتوحيد والعبـادة والمعامـلات - كما أجملتـه ثلاث آيـات هي قولـه تعالى:

- ﴿ قُل تَعالَوْا أَتلُ ما حَرَّم ربُّكم عليكم ألاّ تُشْركوا به شَيئاً ، وبالوالِدَين إحساناً ، ولاتَقتُلوا أولادَكم مِنْ إملاقٍ ، نَحنُ نَرزُقُكم وإيّاهم ، ولاتَقْربوا الفَواحِشَ ما ظَهَرَ منها وما بَـطَن ، ولاتَقْتُلوا النَّفس الَّتي حـرَّم الله إلا بـالحقّ ، ذٰلِكم وصّـاكم بـه لَعلَّكم تَعقِلون * ولاتَقْربوا مالَ اليَتيمِ إلا بالَّتي هِيَ أحسنُ حتى يَبلغَ أشُدَّه ، وأوْفوا الكَيْل والميزانَ بالقِسط ، لانُكلِّفُ نفساً إلا وُسْعها ، وإذا قُلْتُم فاعدِلوا ولَوْ كانَ ذا قُربىٰ ، وبعهـدِ الله أَوْفوا ، ذٰلِكُم وصّاكُم به لعلَّكم تَذكَّرون * وأنَّ هذا صِراطي مُستقيماً فاتَّبِعوه ولا تَتَّبِعوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بكُم عَن سَبيله ، ذٰلكُم وَصّاكُم به لعلَّكم تَتَّقون ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣].

فبالتأمل في القرآن الكريم تبين أن كل أهدافه تعود إلى محتوى هذه الآيـات[١]. ومع ذلـك يمكن ترتيب أبـرز القيم والأهداف القـرآنيـة التي تتعـاون في تحقيق الصـلاح المـطلق للإنسان ، بإخراجه من الظلمات إلى النور.

وذلك أن هذا الهدف يخضع لمراحل متـلاحقة يكتسب خـلالها الإنسـان قيماً ، ويحقق أهدافاً آخرها إخلاص العبودية لله تعالى ، أو تبوُّؤ هذا المقام.

ويُرتب ذلك على النحو التالي:

- الصدق ، ومنه الصبر والأمانة والوفاء والإخلاص.
- العلم والمعرفة ، والإيمان بجميع أركانه.
- العمل الصالح ، ومنه العبادات.
- الوحدة الاجتماعية أو الإنسانية.
- البر والتقوى والإحسان.

---

(١) تفسير القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ٧/١٣٠-١٣١.

- العبودية الخالصة لله تعالى.

١ - الصدق، هدف وشرط، وسيد للقيم الأخلاقية:

سبق عند تعريف الصدق أنه يشمل جميع خصال البر، وينبغي أن يكون هو أساس أي نشاط هادف، بل هو مركز الثقل في تعامل الإنسان مع ربه، وهو الضمان لتحسين تعامله مع الناس، لأن صدقه مع ربه يجعل له حافزاً ذاتياً على السعي لإرضاء الآخرين.

وقد رغَّب القرآن الكريم في مجالسة أهل الصدق، حيث قال تعالى:

- ﴿ ياأيُّها الَّذين آمَنوا اتَّقوا الله وكونوا مَعَ الصّادِقين ﴾. [التوبة: ١١٩].

فمع الإيمان والتقوى يجب أن يكون الصدق حليف الإنسان وأنيسه، كما رغب النبي ﷺ في الصدق قائلاً: « إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً/وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً »[١].

والحقيقة هي أنه لايمكن تحقيق هدف ذي بال دون أن يكون أهم وسائل السعي إليه الصدق، أي في الإرادة والعزم والبذل.. وما إلى ذلك.

ومن أهمية مظاهر الصدق في القرآن الكريم أنه وصف الأنبياء بهذه الصفة يثني عليهم بها، كقوله تعالى:

- ﴿ واذكُرْ في الكِتابِ إبْراهيم إنَّه كان صدِّيقاً نَبيّاً ﴾ [مريم: ٤١].

وقد ورد مفهوم الصدق ومشتقاته في القرآن الكريم (غير معنى الصدقة) ١١١مرة:

٦٣,٠٦٪ منها نُعت به الإنسان: (٧٠مرة)

و٣٦,٩٣٪ منها فعل أو مصدر: (٤١مرة)

مع ملاحظة أن الصدق يشمل معنى الصبر والإخلاص والأمانة والوفاء[٢]. والصبر مما يستحق عليه الإنسان رعاية الله. قال تعالى:

- ﴿ استَعينوا بالصَّبرِ والصَّلاة، إن الله مَعَ الصّابرين ﴾ [البقرة: ١٥٣]

وأما الأمانة والوفاء والإخلاص فهي كذلك مما أكد القرآن الكريم الأمر به كقوله تعالى:

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، أدب ٦٩. ومسلم، بر١٠٣ و١٠٤ و١٠٥. والترمذي، بر ٤٦.
(٢) إحياء علوم الدين: الغزالي ٤/٣٨٧ وما بعدها.

- ﴿ إنَّ الله يَأمُركم أن تُؤدوا الأماناتِ إلى أهلها ﴾ [النساء: ٥٨].
- ﴿ ياأيُّها الَّذين آمَنوا أَوْفوا بالعقود.. ﴾ [المائدة: ١].
- ﴿ فَادْعوا الله مُخلِصينَ لهُ الدِّينَ ولو كَرِهَ الكافرون.. ﴾ [غافر: ١٤].

ووردت هذه المفاهيم الأربعة في القرآن الكريم على النحو التالي:

١٠٣ مرات لمفهوم الصبر ومشتقاته.

٦٥ مرة لمفهوم الأمانة كذلك (غير معنى الإيمان).

٤٣ مرة لمفهوم الوفاء، ثم ٣٢ مرة لمفهوم الإخلاص.

هذا ولعل طلب العلم من أهم ما يحتاج إلى الصدق والصبر وما في معناهما، مما جعل من الأولى البحث في نظر القرآن الكريم إلى العلم ومكانته هنا.

٢ - العلم والمعرفة، هدف وشرط لصحة الإيمان والعبادة.

مكانة العلم في الإسلام بصورة عامة عالية جداً، فهو السلاح لمحاربة أكثر أنواع الظلمات التي منها: الجهل، الكفر، الانحطاط الخلقي، التأخر المدني والحضاري..، وهو السبيل إلى الإيمان بالله تعالى، مما جعل العهد المكي من القرآن الكريم يُعنىٰ به كثيراً.

وفي العلم حصر القرآن الكريم إمكان تحقيق خشية الله تعالى:

- ﴿ إنَّما يَخشىٰ اللّهَ مِنْ عِباده العُلَماءُ ﴾ [فاطر: ٢٨].

كما قدم طلب العلم على مباشرة العبادة، قال تعالى: ﴿ فاعْلَم أنَّه لاإلٰه إلا الله، واستغفر لذنبك ﴾ [محمد: ١٩]. حيث أشار إلى أن طلب المغفرة ينبغي أن يقوم على معرفة بالله تعالى.

وقد اعتبر القرآن الكريم أن البصير الحقيقي هو العالم. قال تعالى مقابلاً العلم بالعمى:

- ﴿ أفَمَنْ يَعلمُ أنَّما أُنْزِل إليكَ مِنْ ربِّك الحقُّ كَمَنْ هو أعمىٰ، إنَّما يَتذكر أولو الألباب ﴾ [الرعد: ١٩]. كما وعد على العلم رفع الدرجات، قال تعالى:

- ﴿ يَرفَعِ الله الَّذين آمَنوا مِنْكم والَّذينَ أُوتوا العِلمَ دَرَجات ﴾ [المجادلة: ١١].

وحصر القرآن الكريم القدرة على فهم الأمثال والحِكَم في أهل العلم، قال تعالى:

- ﴿ وتِلكَ الأمثالُ نَضرِبها للناس وما يَعقِلُها إلا العالِمون ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وحث النبي ﷺ على طلب العلم، حيث اعتبر طالبه سالكاً إحدى الطرق الموصلة إلى الجنة، مشيراً إلى رضا الله بذلك. فقال: « من سلك طريقاً يطلب فيه علما سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم لرضا الله عنه - وفي

رواية: رضاً بما يصنع »[1].

بل عَدَّ النبي ﷺ طلب العلم من الفرائض الإسلامية، فقال: « طلب العلم فريضة على كل مسلم »[2]. وعلق الإمام النووي على هذا الحديث قائلاً: وإن لم يكن ثابتاً فمعناه صحيح[3]. فقد فرض طلب العلم على كل مسلم، يحثُّ بذلك على محو الأمية ونشر العلم والثقافة، ومؤكداً مجانية التعليم.. كما فتح مجال طلب العلم مشيراً إلى أن ليس له وطن معين، بل العلم يجب كسبه في أي مكان وُجِد، ومع أي شخص[4] فقال: « اطلبوا العلم ولو في الصين »[5] « والحكمة ضالة المؤمن، أنّى وجدها أخذها[6].

والصين آنذاك لم يكن من السهل الوصول إليها.

هذا ومفهوم العلم ومشتقاته وما في معناه هو من أكثر ما ورد في القرآن الكريم. كما ورد كثير من المفاهيم المساعدة لتحقيق العلم، كالفكر والعقل.. والسمع والبصر:

٧٧٨ مرة لمفهوم العلم ومشتقاته: ٦٧,٩٩٪ منها بصيغة الفعل أو المصدر: (٤٢٤+١٠٥) مرات، و ٣٢,٠٠٪ منها صفة (٢٤٩) مرة - ولايدخل فيه معنى العَلَم والعلامة.

٨٨ مرة لمفهوم المعرفة والفقه (٦٨+٢٠) مرة: ٤٢,٦٤٪ من المعرفة بصيغة الفعل أو المصدر: (٢٧+٢) و٥٧,٣٥٪ منها صفة (٣٩) مرة - أي غير الأعراف وعرفات.

ومفهوم الفقه كله بصيغة الفعل.

٦٧ مرة لمفهومي الفكر والعقل بصيغة الفعل لكليهما.

٢٥٤ مرة لمفهوم الذكر ومشتقاته: ٩٨,٠٣٪ منهافعل، أو مصدر أو اسم مصدر، (١٤٠+١٠٩).

١٨٧ مرة لمفهوم السمع ومشتقاته: ٧٠,٥٨٪ منها بصيغة الفعل (١٣٢).

٤٣٤ مرة لمفهوم البصر، ومنه النظر والرؤية ومشتقاتها: ٣٤,١٠٪ منها من البصر،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، علم ١٠، والترمذي في سننه، قرآن ١٠، وعلم ١٩، وأبو داود، علم ١.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه، مقدمة ١٧. ورواه البيهقي والخطيب وابن عبد البر وغيرهم بلفظ: «اطلبوا العلم ولو بالصين فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم». كما أشار إليه العجلوني في كشف الخفاء ١/١٣٨-١٣٩.

(٣) المجموع -شرح المهذب: النووي ١/٢٤.

(٤) معجزة الإسلام التربوية: السيد، د. محمود ص٥٥-٥٦.

(٥) كشف الخفاء: العجلوني، ١/١٣٨ وسبقت الإشارة إليه.

(٦) رواه الترمذي في سننه، علم ١٩.

(١٤٨) ، و ٤٦,٧٧٪ منها من الرؤية ، كلها بصيغة الفعل أو المصدر: (١٩٠+١٣) ، و١٢,١٩٪ منها من النظر (٨٣): ٩١,٥٦٪ منها بصيغة الفعل أو المصدر (٧٦).

ويلاحظ من المفاهيم الأخيرة (الفقه ، الفكر والعقل ، الذكر ، النظر ، السمع) أن الغالب فيها هي ورودها بصيغة الفعل ، حتى إن الأول والثاني لم يردا في القرآن الكريم إلا فعلاً. ولعل ذلك يشير إلى أن المطلوب هو استمرار حركة العملية العقلية وما يساعد على تنمية استعدادات العلم والمعرفة لدى الإنسان ، لاأن يكون الفكر أو العقل اسماً أو صفة ثابتة المستوى لاتحتاج إلى مزيد - أو لايمكن تنميتها ، كما هو الشأن في الصفات الوراثية الأصلية ، بل هي أشبه - على ما يبدو - بالرُّشَيمات: تنمو وتتطور ، وتعطي الكثير إذا حظيت بالعناية الزراعية الكافية من سقي وتعهد بإبعاد النباتات المؤذية عنها.

هذا ومن أهم ثمار العلم في القرآن الكريم تحقيق الإيمان بالله تعالى:

٣ - الإيمان ، هدف أساسي لاستقامة سيرة الإنسان[١].

- ﴿ وَمَنْ يُؤمن بالله يهدِ قلبه ، والله بِكُلِّ شيءٍ عَليم ﴾ [التغابن: ١١].

هذا الهدف هو المحور المركزي الذي دار عليه العهد المكي من القرآن الكريم. لأن الإيمان بالله هو الذي يتم به خروج الإنسان من الظلمات إلى النور - أي بعد خروجه من ظلمة الجهل - وما بعد هذا من الأهداف قد لا يعدو كونه من تطبيقات هذا الهدف أو من مقاماته ، كالعمل الصالح وتحقيق البر والتقوى.

فالإيمان هو الحد الفاصل بين الصراع النفسي الوثني الناتج عن تعدد الآلهة المزعومة. . وبين الاطمئنان الإسلامي الناتج عن عبادة الله وحده.

وقد ضرب الله تعالى لهذا مثلاً فقال عز من قائل:

﴿ ضَربَ الله مَثلاً رَجلاً فيه شُركاءُ مُتشاكسون ، ورَجلاً سَلَماً لِرَجُل ، هل يستويان مثلاً؟ الحمدُ لله بَلْ أكثرُهم لا يَعلَمون ﴾ [الزمر: ٢٩].

وبالإيمان أثني سبحانه وتعالى على الأنبياء والرسل ، مشيراً إلى أنه هو الوسيلة لتحقيق مقام الإحسان مثلاً ، فقال تعالى عن عدد من الرسل[٢] منهم خليله إبراهيم: ﴿ سلامٌ على إبراهيم * كذلك نَجزي المحسِنين * إنَّه مِنْ عبادِنا الْمؤمِنين ﴾ [الصافات: ١٠٩-١١٠].

وعلى الإيمان ارتكز العهد المدني من القرآن الكريم في تشريعاته العملية التي اقتضت

---

(١) الإعداد النفسي والتربوي لمدرس التربية الإسلامية وعلومها الدينية: الهاشمي، د.عبد الحميد ص٧-٨.

(٢) انظر الصافات ٣٧/٧٩-٨١ و١٢٠-١٢٢ و١٣٠-١٣٢.

الحكمة الإلهية أن تبنى على مبدأ ثابت لضمان تطبيقها تطبيقاً مجدياً أو مثمراً. وذلك أنه « إذا قوي إيمان المرء فقد قامت سيرته على ما صدقه واطمأن إليه.. أي على أسس متينة رصينة، يجوز الاعتماد عليها والاطمئنان إلى أن الأعمال لن تصدر عنه إلا متفقة معها.. فالإيمان أساس متين لتربية ثابتة مضمونة النتائج، حيث تكون للمؤمن سيرة معلومة[1].

وقد ورد مفهوم الإيمان ومشتقاته في القرآن الكريم مئات المرات (٨١٢) مرة:

٧١,٦٧٪ منها بصيغة الفعل أو المصدر (٥٣٧+٤٥)

٢٨,٣٢٪ منها صفة(٢٣٠)، مع ملاحظة أن أكثر من ٣٠٪ منها مقترن بالعمل أو السعي أو ما في معناهما: (حوالي٢٥٠) مرة.

وهذا يشير إلى قوة العلاقة القائمة بين الإيمان والعمل.

٤ - العمل الصالح هدف لاغنى عنه للانتفاع بالإيمان:

- ﴿ فَمَنْ كان يَرجو لِقاءَ ربِّه فلْيَعمل عَملاً صالحاً، ولا يُشرك بِعبادَة ربِّه أَحَداً ﴾ [الكهف: ١١٠].

والاهتمام بالعمل الصالح من أهم سمات العهد المدني من القرآن الكريم حيث جعله رديف الإيمان الذي كان دعامة العهد المكي. فلا يكاد يذكر الإيمان أو أهله إلا مقروناً بالعمل الصالح، إما صراحة - كالاثنتين والتسعين مرة المشار إليها لاحقاً عند الحديث عن الصلاح والصالحين - وإما ضمناً - كترتيب الأمر والنهي على نداء المؤمنين بصفة الإيمان، مثل قوله تعالى:

- ﴿ ياأيُّها الَّذين آمَنوا اتَّقوا الله وكونوا معِ الصّادقين ﴾ [التوبة: ١١٩].
- ﴿ ياأيُّها الَّذين آمَنوا لايَسخَرْ قومٌ مِنْ قومٍ عسىٰ أن يَكونوا خيراً مِنهم.. ﴾ [الحجرات: ١١].

ويظهر أنه بجمع العمل الصالح إلى الإيمان يبدأ المسلم درجات الصلاح، ويرجى له الدخول في الصالحين، قال تعالى يؤكد وعده بذلك لمن جمعهما:

- ﴿ والَّذين آمَنوا وعَمِلوا الصّالحات لنُدْخِلنَّهم في الصّالحين ﴾ [العنكبوت: ٩].

وقد علق القرطبي على هذه الآية قائلاً:

« لندخلنهم في الصالحين: في الذين هم نهاية الصلاح وأبعد غاياته، وإذا تحصل للمؤمن هذا الحكم تحصل ثمرته وجزاؤه وهو الجنة »[2]، مشيراً بالأخير إلى مثل

---

(١) أصول التربية الإسلامية: النحلاوي ص٧٤-٧٥.
(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١٣/٣٢٩.

قوله تعالى:

- ﴿ ومَنْ عَمِل صالحاً مِنْ ذكرٍ أَوْ أُنثىٰ وَهو مُؤْمنٌ فأولٰئك يَدخُلونَ الجَنَّة ، يُرزَقونَ فيها بِغَيرِ حِساب ﴾ [غافر: ٤٠].

ولأهمية العمل قَصَر القرآن الكريم الجزاء على مقدار السعي ، وجعل على حسبه تفاوت الدرجات ، متعهداً بحفظه من الضياع ، ومشيراً إلى أن ثمن الجنة هو العمل الصالح . . قال تعالى: ﴿ وأنْ لَيْس لـلإنْسانِ إلا ما سَعىٰ ﴾ [النجم: ٣٩] وقال تعالى: ﴿ وما تُجزَونَ إلا ما كُنتُم تَعمَلون ﴾ [الصافات: ٣٩]. وقال تعالى: ﴿ ولِكُلٍ دَرَجاتٌ مّما عملوا ، وما رَبُّك بِغافلٍ عـمّا يَعمَلون ﴾ [الأنعام: ١٣٢]. وقال تعالى: ﴿ ونُودوا أَنْ تِلكُم الجَنَّة أورِثْتُموها بما كُنْتُم تَعمَلون ﴾ [الأعراف: ٤٣].

كما جعل العملِ الصالح شرطاً لقبول كلمة الإيمان والتوبة إلى الله تعالى:

- ﴿ إليهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطيِّب ، والعملُ الصالحُ يرفَعُه ﴾ [فاطر: ١٠].
- ﴿ وإنّي لغفّارٌ لمَنْ تابَ وآمنَ وعَمِلَ صالحاً ثُم اهتدىٰ ﴾ [طه: ٨٢].

والواقع أنه يندر أن يرتب القرآن الكريم الثواب على الإيمان إلا مقروناً بالعمل الصالح ، بل إن « طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب »[1].

هذا وقد ورد مفهوم العمل ومشتقاته ٣٥٩ مرة على الأقل:

٩٦,٣٧٪ منها بصيغة الفعل أو المصدر أو الاسم (٢٧٥+٧١) ، و٣,٦٢٪ منها صفة(١٣). ثم إن ٢٥,٦٢٪ منها ، اقترن العمل بصفة الصلاح: صالحاً ، صالحات: (٩٢) ، وكلها تقترن بالإيمان ، ويعقبها أجر أو ثواب ، مع ملاحظة أنه اقترن بالعمل وما في معناه كالسعي . . مالا يقل عن ٢٥٠ مرة.

والعمل الصالح من أهم دعائم الوحدة والتعاطف في المجتمع ، لما فيه من إسداء الخير إلى الأفراد بعضهم إلى بعض . . مما جعل القرآن الكريم يعده صنو الإيمان ورديفه.

٥ - الوحدة الاجتماعية ، هدف ومصدر للقوة ، ووسيلة للتعاون على الخير:

- ﴿ ولا تَنازَعوا فَتَفشلوا وتَذهبَ رِيُحكم ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وتحقيق الوحدة في المجتمع هدف عُني به القرآن الكريم ، مشيراً إلى أنه من عوامل القوة ووسائل التعاون على البر والتقوى ، وأن لاحول ولاقوة لمجتمع يعيش النزاع ، ولا هيبة له في وجه العدو. قال تعالى في هذا المعنى:

- ﴿ وأَطيعوا الله وَرَسولـه ، ولاتَنازَعوا فتَفشَلوا وتَـذهبَ رِيُحكم ، واصبِروا

(١) أيها الولد: الغزالي، ص١٦.

إنَّ الله معَ الصّابِرين ﴾ [الأنفال: ٤٦].

ومن هنا ركز القرآن على الإشعار بالأخوة الإنسانية والوحدة الاجتماعية.. «حيث يربّي في الفرد الإحساس بهذه الحقيقة.. التي تسلكه فرداً في الأمة الواحدة: أب واحد، وأم واحدة، وإله واحد»[1] قال تعالى:

- ﴿ إنَّ هٰذه أمَّتُكم أمةً واحدة، وأنا ربُّكم فاعبُدون ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

- ﴿ ياأيُّها الناسُ اتَّقوا ربَّكم الَّذي خَلَقَكم مِنْ نفسٍ واحدةٍ، وخَلقَ منْها زَوجَها وبَثَّ مِنهما رِجالاً كَثيراً وَنساءً، واتَّقوا الله الَّذي تَساءَلونَ به وَالأرْحام.. ﴾ [النساء: ١].

فشخَّص وحدة الأصل هذه، ثم أوضح أن التفاضل بعدها إنما يكون بالتقوى، فقال تعالى مشيراً إلى علة تعدد الشعوب والقبائل:

- ﴿ ياأيُّها النّاس إنّا خَلقناكُم مِنْ ذَكَرٍ وأنثىٰ وجَعلناكُم شُعوباً وَقَبائلَ لِتَعارَفوا، إنَّ أكْرَمَكم عنْدَ الله أتقاكم، إنَّ الله عَليمٌ خَبير ﴾ [الحجرات: ١٣].

ونهى عن كل ما من شأنه أن يعكر جو العشرة والتعامل بين الأفراد، مثل سوء الظن، والغيبة،.. وأمر بإصلاح ذات البين.. قال تعالى:

- ﴿ ياأيُّها الَّذين آمَنوا اجتَنِبوا كثيراً مِنَ الظنّ، إنَّ بعضَ الظنِّ إثْم، ولا تَجسسوا ولا يَغتَبْ بَعضُكم بَعضاً، أيُحبُّ أحدُكم أنْ يَأكلَ لحمَ أخيهِ مَيْتاً فكَرِهْتُموه، واتَّقوا الله.. ﴾ [الحجرات: ١٢].

- ﴿ فاتَّقوا الله وأصلِحوا ذاتَ بَينِكم، وأطيعوا الله وَرَسولَه إنْ كُنتم مُؤمنين ﴾ [الأنفال: ١].

بل أمر القرآن الكريم بمقابلة السيئة بالحسنة أو بما هو أحسن، قال تعالى:

- ﴿ ولاتَسْتَوي الحَسَنة ولاالسيئة ادْفَعْ بالَّتي هيَ أحسَن، فإذا الَّذي بينَك وبَينَه عَداوةٌ كأنَّه ولي حَميم * وما يُلقّاها إلا الَّذين صَبَروا وما يُلقّاها إلا ذو حظّ عَظيم ﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥].

فهذه الآيات بمجموعها تنمي دواعي الوحدة، وتستأصل أسباب التمزق.. وأما الآية الأخيرة فتحض على أحسن علاج للعداوة إن حدثت، علاج يقلب العدو ولياً حميماً، وهو مقابلة السيء بالحسن بل بالأحسن، ومثله قوله تعالى:

- ﴿ وقُل لِعبادي يَقولوا الَّتي هِيَ أحْسَن.. ﴾ [الإسراء: ٥٣].

هذا بالإضافة إلى عدد غفير من الآيات التي تحث على الإحسان إلى الآخرين، قريبهم

---

(١) منهج القرآن في التربية: شديد، محمد ص١٠٣.

والبعيد. حتى إن القرآن الكريم كثيراً ما يقرن الأمر بعبادة الله وحده بالأمر ببر الوالدين والإحسان إلى الأقارب والمجاورين وغيرهم ، كقوله تعالى:

- ﴿ واعبُدوا الله ولا تشرِكوا به شيئاً ، وبالوالِدَين إحْساناً ، وبذي القُربىٰ ، واليَتامىٰ والَمساكين ، والجارِ ذي القُربىٰ ، والجارِ الجُنب ، والصاحب بالَجنْب ، وابنِ السَّبيل ، وما مَلَكَت أيْمانُكم ، إن الله لا يُحِبُّ مَنْ كان مُختالاً فَخوراً ﴾ [النساء: ٣٦].

وقد أدرك النبي ﷺ أهمية الوحدة ، فآخى بين المهاجرين والأنصار ونجح أيما نجاح ، فتحققت الوحدة حتى امتن الله تعالى على المؤمنين بها - مؤكداً لهم النهي عن الفرقة بعد ذلك ، فقال تعالى:

- ﴿ واعتصِموا بِحَبْل الله جَميعاً ولا تَفرَّقوا ، واذكُروا نِعمة الله عَليكم إذ كُنتُم أعداءً فألَّف بَيْنِ قُلوبِكم فأصْبَحتُم بِنعمتِهِ إخْواناً ، وكُنتم على شَفا حُفرَةٍ منَ النّار فأنْقَذكم منها ، كذٰلك يُبَيِّنُ الله لكم آياتِه لعلَّكم تَهتَدون ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وبتحقيق هذا الهدف الحساس والإنساني ، يتحقق كثير من أهداف المجتمع ، فبه يتحقق التعاون البنّاء على الخير في جو ودي ، وروح معنوية عالية للأفراد ، وبه تتحقق مقامات الإيمان التي منها البر والتقوى والإحسان.

٦ - البر والتقوى والإحسان ، أهداف في القمة:

هذه المفاهيم الثلاثة في قمة الأهداف المرحلية لتحقيق العبودية الخالصة لله تعالى ، وهي التي كثر الوعد عليها بالأجر والثواب أو الجنة ، دون اشتراط أمر آخر كما هو الشأن في اشتراط العمل الصالح بالنسبة للإيمان.

وذلك أن هذه الثلاثة شاملة لجميع خصال الخير ، حيث يندرج تحتها ما عداها من الأهداف السابقة ، ويصير بهاالإنسان صالحاً بالمعنى الشامل.

ومن الآيات التي ورد فيها الوعد بالثواب والجنة على هذه القيم مطلقاً ، قوله تعالى:

- ﴿ إنَّ الأبرارَ لَفي نَعيم . وإنَّ الفُجّارَ لَفي جَحيم ﴾ [الانفطار: ١٣].

- ﴿ إنَّ الأبرارَ يَشربونَ مِنْ كأسٍ كانَ مِزاجُها كافوراً ﴾ [الإنسان: ٥].

هذا في البر ، وأما في التقوى فمثل قوله تعالى:

- ﴿ لٰكِنِ الَّذين اتَّقوْا رَبَّهم لَهم جَنّاتٌ تَجري مِنْ تَحتِهاالأنهار ﴾ [آل عمران: ١٩٨].

- ﴿ تِلكَ الجَنَّةُ الَّتي نُورِثُ مِنْ عِبادِنا مَنْ كان تَقيّاً ﴾ [مريم: ٦٣].

وقال تعالى في الإحسان:

- ﴿ لِلَّذينَ أحْسَنوا في هٰذه الدُّنيا حَسَنة ، ولَدارُ الآخرة خَير. ﴾ [النحل: ٣٠].

- ﴿ لِلَّذين أحْسَنوا الُحسنىٰ وزِيادَة ، ولايَرهَقُ وجوههم قترٌ ولا ذِلَّة ، أولئك

أصحابُ الجنَّة هُمْ فيها خالدون ﴾ [يونس: ٢٦].

هذا ومما يؤكد أهمية هذه القيم الثلاثة أنها أمنيّة أهل الإيمان ، يحوز الإنسان بها محبة الله والقرب منه ، كما تشير إليه الآيات التالية ، قال تعالى:

- ﴿ ربَّنا فاغفِرْ لنا ذُنوبَنا ، وكفِّرْ عنّا سيِّئاتِنا ، وتَوَفَّنا مع الأبْرار ﴾ [آل عمران: ١٩٣].
- ﴿ إنَّ الله مع الَّذين اتَّقوا والَّذين هم مُحسِنون ﴾ [النحل: ١٢٨].
- ﴿ وَأَحسِنوا إنَّ الله يُحبُّ المُحسِنين ﴾ [البقرة: ١٩٥]
- ﴿ بَلى مَنْ أوْفى بِعَهده واتَّقى فإنَّ الله يُحبُّ المتَّقين ﴾ [آل عمران: ٧٦]
- ﴿ إنَّ المُتَّقين في جنّاتٍ ونَهر . في مَقْعدِ صِدْقٍ عنْد مَليكٍ مُقتَدر ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥]

ومن أشمل ما يجمع خصال البر والتقوى وغيرهما ، كالصدق والإيمان قوله تعالى:

- ﴿ ليس البر أنْ تُوَلُّوا وُجوهَكم قِبَلَ المَشْرقِ والمَغرب ولٰكنَّ البر مَنْ آمَنَ بالله واليَوم الآخرِ والملائِكةِ والكِتابِ والنَّبيِّين ، وآتى المالَ على حُبِّه ذَوي القُربى واليَتامى والمَساكينَ وابنَ السَّبيلِ والسائِلينَ وفي الرِّقاب ، وأقامَ الصَّلاة وآتى الزَّكاة ، والمُوفُونَ بِعَهدِهم إذا عاهَدوا ، والصّابِرينَ في البَأساءِ والضَّراءِ ، وحينَ البَأس ، أولٰئكَ الَّذين صَدَقوا وأولٰئك هُمُ المُتَّقون ﴾ [البقرة: ١٧٧].

قال ابن كثير: « اشتملت هذه الآية على جمل عظيمة وقواعد عميقة وعقيدة مستقيمة »(١) مشيراً إلى أنها جواب لمن سأل عن الإيمان.

وعدد القرطبي لهذه الآية ١٦ قاعدة اشتملت عليها(٢) ، كما أشار آخرون إلى أن الإسلام يكاد يُجمع في هذه الآية(٣).

هذا وقد وردت مفاهيم البر والتقوى والإحسان في القرآن الكريم كما يلي:

البر: ٢٠ مرة: ٥٠٪ منها بصيغة الفعل أو الاسم ، والباقي صفة.

التقوى: ٢٣٩ مرة: ٧٧,٢٠٪ منها بصيغة الفعل أو اسم المصدر: (١٦٦+١٩) مرة. و٢٢,٥٩٪ منها صفة (٥٤). ولم يرد مصدر« الاتقاء » في القرآن الكريم ، مما يشير إلى أن المراد بالتقوى فيه هو كمال الاتقاء.

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٢٠٧/١.
(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٢٣٨/٢.
(٣) في ظلال القرآن: قطب، سيد ٣٢/٢.

الإحسان: ١٨٤ مرة: ٤٨,٣٦٪ منها بصيغة الفعل والمصدر أو الاسم (٢٤+٢٥+٤٠)، و٥١,٦٣٪ منها صفة: (٩٥).

والظاهر أن من تحققت فيه هذه القيم والأهداف فقد صار من عداد الصالحين الذين يمكن القول: إنهم تبوؤوا مقام العبودية لله تعالى، أو على الأقل صار أهلاً لأن يندرج في سلكهم.

٧ - تحقيق العبودية لله تعالى: غاية لكل هدف قرآني:

هذا هو الهدف المحوري الذي يدور عليه ما سواه من الأهداف القرآنية، وهو «مغزى العبادات، فالعبادة مع الإيمان بالله تعالى إلهاً واحداً يقصد بها إصلاح الفرد والجماعة بتهذيب النفوس وتربيتها، وإصلاح الأخلاق وتقويمها، وزرع المعاني والصفات الخيرة، والتخلي عن المفاسد والقبائح والشرور»[1].

بل إن من تحققت لديه الأهداف السابقة يكون قد طهر من الرذائل وتحلى بالفضائل، فما عليه بعد ذلك إلا الثبات على الصدق والصبر، ومواصلة السير حتى يتكامل لديه مقام العبودية لله تعالى، فيندرج في زمرة «عباد الله المخلصين» الذين انقطع أمل الشيطان فيهم، باعترافه أي إبليس نفسه، قال تعالى حكاية عنه ثم رداً عليه: ﴿ولأغوينَّهم أجْمعين * إلا عِبادَك منهُم المخلَصين * قال هذا صراطُ عليَّ مُستقيم * إنَّ عِبادي ليْسَ لك عَليهم سُلطان.. ﴾ [الحجر: ٣٩-٤٢].

ومما يشير إلى شرف هذا المقام أن الله تعالى سمى أنبياءه عباداً، وهم أئمة المتقين، ومن ذلك قوله تعالى في حق الرسول محمد ﷺ: ﴿سُبحانَ الَّذي أسْرىٰ بِعَبدِه لَيلاً مِنَ المَسجِدِ الحرامِ إلى المسجِدِ الأقصىٰ﴾ [الإسراء: ١].

قال القرطبي وعزاه إلى العلماء: «لو كان للنبي ﷺ اسم أشرف منه لسماه به في تلك الحالة العليه»[2].

وقال تعالى في حق عدد من الأنبياء: ﴿واذْكُرْ عبادَنا إبْراهيم وإسْحٰق ويَعقوبَ أولي الأيْدي والأبْصار * إنّا أخْلَصْناهم بخالصةٍ ذكرىٰ الدّار * وإنَّهم عِنْدَنا لَمنَ المصطَفَينَ الأخيار﴾ [صٓ: ٤٥-٤٧].

فهذه الآيات وغيرها تؤكد على شرف هذا الاسم وأهمية مقام العبودية الخالصة

---

(١) آداب المتعلمين: المحقق ص١٩-٢٠.

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١٠/٢٠٥.

لله تعالى ، حيث سماهم عباداً ، ثم أثنى عليهم بما أثنى.

يقول الإمام النووي تعليقاً على آية: ﴿ وما خَلقْتُ الجنَّ والإنْسَ إلا لِيَعبُدون ﴾ [الذاريات: ٥٦] « وهذا نص في أن العباد خُلقوا للعبادة ، فكان ذلك أولى ما اشتغل به المحققون ، واستغرق الأوقات في تحصيله العارفون ، وبذل الوسعَ في إدراكه المشهورون »(١).

وثمة آيات متتاليات فصلت صفات عباد الرحمن ، مع الترهيب من الكبائر والترغيب في التوبة ، بحيث تمثل ميزاناً كاملاً للمسلم ، يعرض عليها نفسه بين فترة وأخرى. وهي خواتيم سورة الفرقان(٢٥/٦٣-٧٦) يمكن الرجوع إليها.

هذا وورد مفهوم العبادة والعبودية اسماً وصفة ، فعلاً ومصدراً : ٢٧٦ مرة : ٤٧,٨٢٪ منها بصيغة الفعل والمصدر (٢٣+٩) مرات. و٥٢,١٧٪ منها صفة واسم: (عابد ، عباد ، عبد ، عبيد): (١٤٤) مرة.

٨ - الطاعة:

ومن الجدير بالذكر قبل ختام بحث الأهداف القرآنية أن طاعة الله تعالى ورسوله من أهم ما يبوىء الإنسان مقامات الإيمان. فقد وقف القرآن الكريم الاهتداء على هذه الطاعة ، ووعد عليها الجنة ومرافقة ذوي الدرجات العالية عند الله سبحانه وتعالى:

- ﴿ قُلْ أطيعوا الله وأطيعوا الرَّسول ، فإنْ تَولوا فإنَّما عَليهِ ما حمل وعليكم ما حملتم ، وإن تُطيعوه تَهتدوا ، وما على الرَّسولِ إلا البَلاغُ المُبين ﴾ [النور: ٥٤].

- ﴿ وَمنْ يطعِ الله وَرَسولَهُ يُدْخِله جنّاتٍ تجري مِن تَحتِها الأنهارُ خالِدينَ فيها وذٰلك الفَوْزُ العَظيم ﴾ [النساء: ١٣].

- ﴿ وَمَنْ يُطعِ الله والرَّسولَ فأولئكَ مع الَّذينَ أنعمَ الله عَليهِم مِنَ النَّبيينَ والصِّديقينَ والشُّهداءِ والصَّالِحين ، وَحَسُنَ أولئك رَفيقاً ﴾ [النساء: ٦٩].

مما يشير إلى أن أساليب الترغيب والترهيب التي هي موضوع هذا البحث إنما جاءت لتحقيق طاعة الله ورسوله بالدرجة الأولى ، لأنها ، أي طاعتهما ، هي الوسيلة والشرط لتحقيق الأهداف المشار إليها.

هذا وورد مفهوم الطاعة (غير الاستطاعة) في القرآن الكريم ٨٤ مرة:

٨٨,٠٩٪ منهابصيغة الفعل: (٧٤) مرة ، و٨,٣٣٪ منها اسم مصدر: (٧ مرات)

---

(١) المجموع، شرح المهذب: النووي ١/٢.

و٣,٥٧٪ صفة: (٣ مرات).

مع ملاحظة أن ٧١,٤٢٪ من مفهوم الطاعة في القرآن الكريم إنما هو في المدني منه (٦٠) و٢٨,٥٧٪ في القرآن المكي ، مع أن نسبة المكي أعلى (٦٠,٦٢/٣٩,٣٧).

ولعل السبب يعود إلى أن العهد المدني هو عهد التشريع والعمل الميداني ، فيحتاج إلى توافر الطاعة من الأفراد أكثر من العهد المكي الذي كان الحوار والنقاش من أبرز سماته.

وفيما يلي جدول يوضح نسبة ورود كل من مفاهيم تلك القيم والأهداف الأساسية: الصدق ، العلم ، الإيمان ، العمل مطلقاً ، الطاعة ، الصلاح ، البر والتقوى والإحسان ، ثم العبادة والعبودية.

الجدول رقم (٣)
تكرارات مفاهيم القيم والأهداف القرآنيّة البارزة، ونسبة كل منها إلى المجموع الذي لا يقل عن ٤٨٠٨ مرات:

الفئـــات وتوابعهـــا		ك	المجموع الفئوي	نسبته ٪ إلى المجموع العام
١-مفهوم الصدق وتوابعه	١- الصدق ومشتقاته (غير الصدقة)	١١١		
	٢- الصبر ومشتقاته	١٠٣		
	٣- الأمانة ومشتقاتها	٦٥	٣٥٤	٧,٣٦
	٤- الوفاء ومشتقاته	٤٣		
	٥- الإخلاص ومشتقاته	٣٢		
٢-مفهوم العلم وتوابعه	١- العلم ومشتقاته (غير العَلَم والعلامة)	٧٧٨		
	٢-المعرفة والفقه ومشتقاتهما (غير عرفات)	٨٨		
الإدراك	٣- الفكر والعقل ومشتقاتهما	٦٧		
	٤- الذكر ومشتقاته	٢٥٤		
	٥- السمع ومشتقاته	١٨٧	٢٢٧٢	٤٧,٢٥
الحواس المساعدة	٦- البصر ومشتقاته	١٤٨		
	٧- الرؤية ومشتقاتها	٢٠٣		
وسائل الإيضاح	٩- آية - آيات	٣٧٢		
الهداية	١٠- معنى الإخراج من الظلمات إلى النور	٩٢		
٣- الإيمان واليقين (أي مفهوم كل منهما) ومشتقاتهما		٨٤٠	٨٤٠	١٧,٤٧
٤- مفهوم العمل (غير السعي) ومشتقاته		٣٥٩	٣٥٩	٧,٤٦
٥- مفهوم الطاعة ومشتقاتها (غير الاستطاعة)		٨٤	٨٤	١,٧٤
٧- مفاهيم : البر والتقوى والإحسان ومشتقاتها		٤٤٣	٤٤٣	٩,٢١١
٨- مفهوم العبادة والعبودية ومشتقاتهما		٢٧٦	٢٧٦	٥,٧٤
المجموع العام		٤٨٠٨		٩٩,٩٧

الفصل الثاني

مدى توافر أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم

التمهيد: أهمية الوسائل التربوية

يحول تحديد الأهداف عادة دون العشوائية في العمل، إذ يشير إلى أفضل ما يمكن اتخاذه من وسائل تستخدم فيه لتحقيق تلك الأهداف، مما جعل العلاقة بين الهدف والوسيلة متينة إلى حد التداخل.

فثمة غاية بعيدة تتسلسل دونها أهداف مرحلية، يعتبر كل واحد منها وسيلة لما بعده، فالتشويق مثلاً أو إثارة الاهتمام في التربية وسيلة لحفز المتعلمين على التعلم الجاد. فالتعلم الجاد إذن هدف، ولكنه في الوقت نفسه وسيلة لتحقيق النجاح التربوي، الذي هو بدوره وسيلة لرفع مستوى الكفاءات العلمية للأفراد، وذلك لرفع مستوى الكفاية الإنتاجية للمجتمع في مختلف قطاعاته ومؤسساته، أي لتحقيق الاكتفاء الذاتي للمجتمع.. وهكذا.

ولعل هذا التداخل هو ما أشار إليه «جون ديوي» قائلاً:

«والوسائل هي الوسائط، إذ هي شيء متوسط، وهي تعبيرات عن الوسط. فالهدف ليس إلا مجرد سلسلة من الأفعال تُرى في مرحلة بعيدة جداً، والوسيلة ما هي إلا تلك السلسلة من الأفعال نراها عن قرب. ولكن الوسيلة يمكن تمييزها عن الهدف عندما نبحث في اتجاه الخطة المقترحة للعمل، أي عندما نبحث في العمل على أنه سلسلة من الأفعال متصلة الحلقات، والهدف آخر عمل نفكر فيه، والوسائل هي الأعمال التي نقوم بها سابقة لذلك»[1].

والطريف في الأمر أن التشويق نفسه، وهوالذي كان أولى الوسائل في المثال المذكور آنفاً، يكون هدفاً يبذل لتحقيقه الكثير، وتستخدم فيه وسائل فرعية متنوعة، بل ذلك التشويق - أو مبدأ الاهتمام - من أبرز ما عُنيت به التربية الحديثة بصورة خاصة، حيث اتخذت لإثارته وسائل متنوعة: سمعية وبصرية، أو جامعة، تثير اهتمام المتعلم وتشوقه.. لما ترى التربية من أن ذلك من أهم المبادئ التربوية التي يتوقف عليها نجاح العملية التعليمية-التعلمية، فلجأت مثلاً إلى برمجة الدروس واستخدام الأجهزة الحديثة، كالسبورة الضوئية - الدياسكوب - الأبيسكوت.. وجهزت بها المختبرات اللغوية والعلمية

---

(١) الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني: ديوي، جون ص٥٨.

والتجريبية ، مع تنويع الأساليب المستخدمة فيها.

كما لجأت التربية الحديثة إلى اتخاذ الإذاعة المسموعة والمرئية للتعليم والتوجيه والتوعية الجماعية للمواطنين. وما ذلك كله إلا لإثارة الاهتمام في النفوس وتشويقها إلى المتابعة الواعية ، مما يجعل التشويق بحد ذاته من الأهداف المرحلية.

ولم تهمل التربية الحديثة أساليب التشويق والتعزيز الأخرى ، كالجوائز والمكافآت ، ولكنها جعلت ذلك في المرتبة الثانية ، لما ترى في الأساليب الحديثة من فعالية وحيوية في نفوس المتعلمين بصورة خاصة ، والمواطنين عموماً. وذلك لتنوع ما فيها من تقنيات من جهة ، ولحداثتها من جهة ثانية ، إذ النفس تُعجَب بالمنوعات ، وتقبل على الحديث من الأمور.

بل « إن الوسائل التعليمية خير حافز يثير نشاط الطالب واهتمامه ، لما يرى فيها من ألوان جديدة تجتذب انتباهه وتشعره بتغيير جو الدرس وطريقته مما يساعد على التركيز وانطباع المعلومات في ذهنه ، لأن من عوامل التعليم: التشويق والاهتمام »(١).

وموضوع هذا البحث بأهدافه ووسائله لايخرج عن القاعدة المشار إليها من تلازم الأهداف والوسائل ، وأهمية كل منهما.

هذا والوسائل السمعية-البصرية ذات أثر إيجابي في التعلم لايقل عن أثر الوسائل الثوابية.

والقرآن الكريم لم يأل جهداً في استقصاء هذه الوسائل التربوية على اختلاف أنواعها ، « فقد اعتبر الحواس وسيلة للعلم والتعلم ، واعتبر الأفئدة (فكراً وعقلاً) مصدراً أساسياً للمعرفة الإنسانية ، التي تستمد معلوماتها الأولية من الحواس ، حتى إذا استقام معه (أي الإنسان) الأمر وبلغ مرحلة النضوج العقلي جعل من نفسه رقيباً على الحواس ، يميز الصواب من الخطأ »(٢).

قال تعالى مشيراً إلى أهمية الحواس في التعلم ، وإلى الغاية من تسليح الإنسان بالعقل:

- ﴿ والله أَخْرَجَكم مِنْ بُطونِ أُمَّهاتِكم لا تَعْلَمونَ شَيئاً ، وجَعلَ لكُم السَّمعَ والأَبْصار والأَفئِدَة لَعَلَّكم تَشْكُرون ﴾ [النحل: ٧٩] .

والواقع أن القرآن الكريم قد اتخذ عدداً من الوسائل التربوية لتحقيق أهدافه

---

(١) طرق تدريس التربية الإسلامية: الزحيلي، د. محمد ص١٧٩ .

(٢) الإعداد النفسي والتربوي: الهاشمي ص٣٠-٣١.

الأساسية ، وسلك جملة من الأساليب التربوية التي تثير الاهتمام ، وتضمن من الأفراد التطبيق الدقيق إلى أقصى حد ممكن ».

بل « يكمن في هذا الكتاب ، من وسائل الاستحواذ على النفس وإيصال الحقائق العلمية إلى العقل ما تعنو له جباه أولي الفكر والأبصار[1].

فقد تنوعت أساليبه تنوعاً « يشمل جميع جوانب النفس الإنسانية ، ويشبع حاجاتها الفكرية والفطرية والعاطفية ، دون أن يطغى أحد الأمرين على الآخر: إقناع للعقل وإمتاع للعاطفة »[2].

ومن هذه الأساليب إذن ما تتوافر فيه عناصر الإقناع الفكري والعقلي ، ومنها ما تتوافر فيه عناصر الترغيب المتمثل في التشويق والتعزيز الإيجابي . . ومنها ما يشتمل على الترهيب الذي يتمثل في التحذير أو التنفير والعقاب أي التعزيز السلبي .

وبالجملة يمكن تصنيف وسائل القرآن الكريم إلى طائفتين أساسيتين:

- وسائل إقناعية أو عقلية .
- وسائل عاطفية إيجابية وسلبية أي إرضائية وعقابية .

وموضوع هذا البحث ينصب أساساً على الوسائل العاطفية ، وإن كان ذلك لايحول دون التعرض للطائفة الأخرى بما لايخرج عن حدود البحث.

أولاً -التشويق بتنويع وسائل الإقناع العقلي.

ويتمثل هذا الجانب في نظم القرآن الكريم وأسلوبه البياني ، أو - بالمعنى الأدق - في وسائله اللغوية والصور البيانية التي تتجلى في نظمه البديع أو أسلوبه الرفيع الذي وُصف بأنه « سهل ممتنع » وبمعنى آخر أنه « كتاب معجز ». لما يتحلى به القرآن الكريم من تناسب في النظم ، وروعة في الأسلوب ، ووحدة مع التنويع ، وقوة في التأثير. الأمر الذي « جعله خارجاً عن المألوف من الكلام »[3].

يقول الباقلاني مشيراً إلى سهولة القرآن الكريم وامتناعه:

« إن القرآن سهَّل سبيله ، فهو خارج عن الوحشي المستكره ، والغريب المستنكر ، وعن الصنعة المتكلفة ، وجعله قريباً إلى الأفهام: يبادر معناه لفظَه إلى القلب ، ويسابق

(١) منهج تربوي فريد في القرآن: البوطي ص١٣و١٥.
(٢) البيان القرآني: البيومي ص٢٥٤.
(٣) تفسير القرطبي -الجامع لأحكام القرآن ١/٧٣-٧٥.

المغزى منه عبارته إلى النفس/ وهو مع ذلك ممتنع المطلب، عسير المتناول، غير مُطمِع مع قربه في نفسه، ولا موهم مع دنوه في موقعه أن يُقدر عليه أو يُظفر به»[١].

وذكر الشهرستاني من المزايا الإجمالية للقرآن الكريم: «أن إيجازه بالغ مع الإعجاز، دون إخلال بالمقصود، وأنه اشتمل على السهل الممتنع الذي يعد ملاك الإعجاز والتفوق النهائي»[٢].

ومما يشير إلى ما في القرآن الكريم من السهولة والامتناع قوله تعالى:

- ﴿ وَلَقد يسَّرنا القُرآن للذِّكر فهل من مُدَّكِر ﴾[٣].
- ﴿ وإنه لكتابٌ عَزيز. لايأتيهِ الباطِل مِن بَين يَديه وَلامِن خَلفِه، تَنْزيلٌ مِن حَكيمٍ حَميد ﴾[٤].

فهو ميسر للذكر لوضوح معانيه وعذوبة ألفاظه وقوة تأثيره في النفوس.. /ولكنه عزيز المنال لسمو أسلوبه وإحكام سبكه ودقة تعابيره[٥]. ثم لجمعه بين طرفي الإيجاز والوضوح أو بين الإجمال والبيان.. مع جمال في التصوير الفني.

وهذا الأسلوب يُعد ظاهرة مشوقة وعزيزة المنال، لاتكاد تتفق لمتكلم أو خطيب، «ولكنك تقرأ القطعة من القرآن الكريم فتجد في ألفاظها من الشفوف والملامسة والإحكام والخلو من كل غريب عن الغرض ما يتسابق به مغزاه إلى نفسك، دون كدٍّ خاطر، ولااستعادة حديث، كأنك لاتسمع كلاماً ولغات بل ترى صوراً وحقائق ماثلة»[٦]. بل إن «نهج القرآن ونظمه وتأليفه ورصفه تتيه في جهته العقول، وتحار في بحره، وتضل دون وصفه»[٧].

ومما يلفت النظر أن القرآن الكريم ينتقل من موضوع إلى موضوع، ومن أسلوب إلى آخر.. دون أن يُخل ذلك التنويع بوحدة السورة، وإنما يضفي عليها روحاً تركيبية تأسر الألباب «وهذه الروح لم تُعرف قط في كلام عربي غير القرآن الكريم وبها انفرد نظمه وخرج عما يطيقه الناس.. إذ عهدنا بالمؤلف البشري أنه تختل أبوابه وتتفكك عراه إذا كانت

---

(١) إعجاز القرآن: الباقلاني ص٦٩.
(٢) تناسق الدرر في تناسب السور: السيوطي ص١٠.
(٣) سورة القمر ٥٤/ ١٥ و١٧ و٢٢ و٣٢ و٤٠.
(٤) سورة فصلت ٤١/ ٤٢. هذا بالإضافة إلى آيات التحدي، انظر مثلا سورة الإسراء ١٧/ ٨٨.
(٥) تفسير القرطبي -الجامع لأحكام القرآن ١/ ٧٦-٧٧.
(٦) البيان القرآني: البيومي ص٢٥٣.
(٧) إعجاز القرآن: الباقلاني ص١٧٩.

موضوعات الباب الواحد متناثرة. . ولكنا نقرأ السورة من القرآن الكريم فنجدها ذات موضوعات عدة ، وهي على تعدد موضوعاتها ملتئمة ملتحمة ، تنتقل بك من غرض إلى غرض ، ومن معنى إلى معنى دون أن تحس فجوة أو خللاً ، ودون أن تشعر أنك فارقت مكاناً إلى آخر. ذلك لأن روح القرآن الكريم ، الآسر بروعته ، الناصع بقوته ، قد سيطر على الأسلوب سيطرة كانت من المعاني مكان السلك من الدرر ، يجمع نظامها ويضم لألاءها ، فتبدو ساطعة فاتنة متناسقة. . »[١].

هذا في نظم القرآن الكريم وأسلوبه من حيث التشويق فيهما ، وقد بحث علماء اللغة والبلاغة[٢] في هذا المجال ما يغني عن الإطالة به في هذا البحث.

« وإذا كان القرآن الكريم قد أوتي الإقناع المنطقي الملزم ، فإنه لايتجه بحديثه إلى الفكر وحده فيلزمه بالحجة ، مكتفياً به عما سواه. . لأن المعرفة العلمية وحدها لاتكفي في الجذب والتأثير. فلابد معها من غزو لمناطق الشعور ، وبعث لكوامن العواطف حتى يتهيأ السامع والقارئ إلى الانجذاب النفسي الذي يدفعه إلى اعتناق أشرف المبادئ وأحكم المثل »[٣] التي تم الإقناع بها بالأسلوب البياني.

وعلى هذا فإن القرآن الكريم يولي جانباً من الأهمية بأساليب التشويق والتعزيز العاطفية تحقيقاً للتكامل.

وتلك الأساليب العاطفية هي موضوع البحث في الفقرات التالية.

ثانياً -وسائل القرآن الكريم العاطفية في ضبط السلوك

« الثواب والعقاب »

ومنطق ترتيب الجزاء على العمل لغة يفهمها كل إنسان ، أو على الأقل ليس من الصعب ترجمتها لأي لسان. وقد تكفي الإشارة أو الإيحاء أحياناً.

والنفس الإنسانية لاتنصاع عادة للحقائق -ولاسيما المجردة منها- إلا ببرهان عقلي يقنعها ، ولايصل انصياعها بالإقناع إلى حد الالتزام والتطبيق إلا إذا دعمه إرضاء عاطفي ، فالأمران متلازمان لتربية النفس تربية ناجحة. .

والتاريخ يؤكد أنه « كان للقرآن الكريم وقع عظيم وأثر تربوي بالغ في نفوس المسلمين. . والسر في ذلك أن له أسلوباً رائعاً ومزايا فريدة في تربية المرء. . : إنه يفرض

---

(١) البيان القرآني: البيومي ص١٧٦-١٧٧.

(٢) كالجرجاني في «دلائل الإعجاز».

(٣) البيان القرآني: البيومي ص٧٨.

الإقناع العقلي مقترناً بإثارة العواطف والانفعالات الإنسانية. فهو بذلك يربي العقل والعاطفة جميعاً، متمشياً مع فطرة الإنسان في البساطة وعدم التكلف وطَرْق باب العقل والقلب مباشرة. . »[1].

فلم يقتصر القرآن الكريم إذن على وسائل الإقناع والتشويق البيانية السابق التنويه عنها، اكتفاءً بما فيها من عمق وجمال وحيوية. . لأنها لفظية مهما بلغت من التأثير العقلي والعاطفي. والأساليب اللفظية لا يستفيد منها حقيقة إلا من كان له قدر كاف من فهم اللغة المصوغة بها تلك الأساليب.

والقرآن الكريم كتاب عمل ورسالة مصير للإنسان، بمعناه الكائن البشري أيّاً كان جنسه وجهة انتمائه ومستوى ثقافته، وأياً كان لسانه .

فإن بقيت وسائل الترغيب والترهيب في القرآن الكريم لفظية فقط كانت في الواقع خاصة بمن مهر في اللغة العربية، إذ لايمكن ترجمة القرآن الكريم بمعانيه البليغة كما هي إلى من لايفهم العربية، بل قد قال بعض العلماء الأفذاذ: « لايقدر على وصف وجه الإعجاز في القرآن الكريم إلا النوادر من العلماء »[2]. فكيف بمن لا يعرف من العربية إلا اليسير، أو لا يعرفها أصلاً؟

فلا بد إذن من أن يتضمن القرآن الكريم بطابعه العالمي مايشترك في إدراكه وفهمه كل أجناس البشر، كالثواب والعقاب، حتى إذا لفت الداعي النظر إلى آيات الكون وسيلة للإقناع عمد إلى بيان نتائج الإيمان مرغِّباً فيه، ونتائج الإعراض مرهِّباً منه.

بل يقرر القرآن الكريم اتخاذه الترغيب والترهيب أو الثواب والعقاب جزاءً يتناسب وما يقوم به كل فرد من الأفراد، حفزاً على الإكثار من العمل الصالح والنافع، وردعاً عن العمل السيىء والضار قدر الإمكان.

كما يقرر أن الثواب والعقاب ليسا فقط للترغيب والترهيب بالمعنى المحدود والمتعارف عليه، وإنما هما نتيجتان حتميتان للسلوك إيجاباً وسلباً. قال تعالى:

- ﴿ فَمَنْ يَعمل مِثْقالَ ذرَّةٍ خيراً يَرَه * ومَن يَعمل مِثْقالَ ذرَّةٍ شراً يَرَه ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]. فهذا النص صريح في إرساء تلك القاعدة الجزائية التي بها يمكن للعدل أن يتحقق بين البشر، مع الإشارة إلى ما فيها من دقة الحساب.

وذلك حتى لايستوي المحسن مع المسيء في حيازة الرضا، فيترتب عليه عدم المبالاة، وشيوع الفساد في الأرض، دون أي شعور بالمسؤولية:

---

(١) أصول التربية الإسلامية: النحلاوي ص٢٢.

(٢) الإتقان في علوم القرآن: السيوطي ٢/١٢٠. وانظر محاسن التأويل: القاسمي، جمال الدين ١/٥.

وقد استنكر القرآن الكريم على من يعتقد مثل هذا التساوي ، قال تعالى:
- ﴿ أَمْ نَجعلُ الَّذينَ آمَنوا وعملوا الصّالِحات كالمفسِدين في الأرض؟ أَمْ نَجْعَلُ المُتَّقين كالفُجّار ﴾ [صٓ: ٢٨][1].

« فأسلوب الترغيب والترهيب واضح وبارز في القرآن الكريم: فكلما ذكرت النار ذكرت بعدها الجنة ، وبالعكس ، وعندما يذكر الله صفات المؤمنين يقرنها بصفات الكفار والمنافقين »[2].

ومما يشير إلى توافر التشويق والتعزيز أوالترغيب والترهيب في القرآن الكريم ، قوله تعالى:
- ﴿ الله نَزَّل أحسنَ الحديثِ: كِتاباً مُتشابهاً مَثاني ، تَقْشَعِرُّ منهُ جُلود الَّذين يُخشَوْنَ ربَّهم ثُمَّ تَلينُ جُلودُهم وقُلوبُهم إلى ذِكْرِ الله ، ذَلِكَ هُدى الله يَهدي بِهِ مَن يَشاء ﴾ [الزمر: ٢٣]. أي « يقرأ المؤمنون كتاب الله فتقشعر جلودهم خشية لدى مواقف الترهيب وتنبسط نفوسهم شوقاً لدى مواقف الترغيب ، وهم أثناء التلاوة يستشعرون روحاً قوياً ، يسيطر عليهم بسلطانه ، وضوءاً باهراً يغمر الآيات فيجتذب أرواحهم بشعاعه ، وهذا الروح الآسر ينتظم آيات القرآن الكريم جميعها.. »[3].

وهذا يشير إلى توافر كل من مواقف الترغيب والترهيب وإلى أن ذلك بما فيه مصطلح « التشويق » متوافر في آيات القرآن الكريم كلها.

آيات تصرح باتخاذ القرآن الكريم الترغيب والترهيب من وسائله التربوية:

ومما يؤيد توافر الترغيب والترهيب في القرآن الكريم ورود كلمات في بعض الآيات تشير أو تكاد تصرح بأن الله تعالى قد رغب عباده في الإيمان والطاعة، ونفرهم من الإعراض والمخالفة ، وأنه أمر نبيه ﷺ بذلك في توجيهه للعباد. وذلك مثل قوله تعالى في معرض طلب التثبت في الأخبار:

١ - ﴿ ياأيُّها الَّذين آمَنوا إنْ جاءَكم فاسقٌ بِنَبَأٍ فَتَبيَّنوا أنْ تُصيبوا قَوماً بِجَهالةٍ ، فَتُصبحوا على ما فَعَلتُم نادِمين . واعلَموا أنَّ فيكُم رَسولَ الله لَوْ يُطيعُكم في كَثيرٍ مِنَ الأمرِ لَعَنِتُّم ، ولكنَّ الله حَبَّبَ إلَيكُم الإيمانَ وزَيَّنه في قُلوبِكُم وكَرَّه إلَيكُم الكُفرَ والفُسوقَ والعِصيان ، أولَئكَ هُمُ الرّاشِدون ﴾ [الحجرات: ٦-٧]. فكلمات حبب ، وزين ، / وكره ، في النص صريحة إلى حد كبير بأن القرآن الكريم قد سلك أساليب الترغيب

(١) وانظر سورة: ن ٦٨/٣٥، والسجدة ٣٢/١٨.
(٢) طرق تدريس التربية الإسلامية: الزحيلي، د. محمد ص٢٢٣-٢٢٤.
(٣) البيان القرآني: البيومي ص١٧٥-١٧٦

والترهيب في غرس الإيمان بالله في القلوب أو تثبيته فيها ، ثم في إبعادها عما يضاد الإيمان والاستقامة والطاعة ، وهو: الكفر والفسوق والعصيان - بغض النظر عن نوع هذا الترغيب أو ذاك الترهيب.

ومثله قوله تعالى في معرض الحث على الجهاد:

٢ - ﴿ يأيُّها النبي حرض المؤمنين على القِتال: إنْ يَكُنْ مِنْكم عِشرونَ صابرونَ يَغْلِبوا مِئَتين ، وإنْ يَكن مِنكم مِئَةٌ يَغلِبوا أَلْفاً مِنَ الَّذين كَفَروا بأنَّهم قومٌ لا يَفْقَهون ﴾ [الأنفال: ٦٥]. فكلمة « حرض » بصيغة الأمر واضحة في طلب القرآن الكريم من النبي ﷺ أن يرغب المؤمنين في الجهاد ويحثهم[1] على الدفاع عن الدين والمجتمع.

٣- وكذلك يمكن الاستئناس بورود كلمة « عزز » في القرآن الكريم على معنى التعزيز بالمفهوم المعاصر إلى حد ما ، حيث قال تعالى في معرض القصة عن تأييده رسولين بعثهما: ﴿ فَكَذَّبوهما فعَزَّزنا بِثالث ﴾ [يس: ١٤]. فالتعزيز في الآية بمعنى « التأييد » وذلك ليس ببعيد عن مصطلح « التعزيز الإيجابي » بمفهومه المعاصر ، وإن اختلفت الإجراءات في ذلك.

وأما كيف تم في النص الأول ذلك التحبيب والتزيين/ وذاك التكريه ، فقد ضرب النص ذاته أمثلة عليه ، فقوله تعالى في آخر النص: ﴿ أولئكَ هم الرّاشِدون ﴾ إنما هو مدح وثناء ، أي تعزيز لمن تحقق في نفسه الشعور بمحبة الإيمان ، والاستقامة والطاعة/ وكراهة الكفر والفسوق والعصيان. وفي الوقت نفسه هو تشويق إلى تحقيق ذلك أو الزيادة فيه ، عن طريق قصر صفة الرشد على أهل ذلك الشعور.

وكذلك ضربت آية التحريض على الجهاد مثالاً مباشراً ، حيث قال تعالى:

- ﴿ إنْ يَكُنْ مِنكُمْ عِشرونَ صابِرونَ يَغلِبوا مِئَتين.. ﴾ لأن في هذا ما يقوي معنوياتهم على القتال ، ففيه التشويق إلى الصبر ، مع التعزيز المؤجل أي الوعد بالنصر.

كما أن في آخر النص ذاته ذمّاً لأهل الكفر بالجهل الذي حال دون إيمانهم بالله ، وكان سبباً لاستباحة قتالهم ، وهذا نوع من العقاب.

هذا من حيث الإجمال ، وإلا ففي الآيات السابقة الكثير من أنواع التشويق والتعزيز الإيجابية والسلبية وإن كان معظمها لغوية.

ومما يلاحظ مثلاً في النص الأول أنه صدر بنداء المسلمين باسم الإيمان: ﴿ ياأيُّها الَّذين آمَنوا ﴾ والثاني بنداء الرسول باسم النبوة. ولعل من المفيد والمناسب الإشارة إلى ما لمثل هذا النداء من أثر نفسي يمهد النفوس لتقبل ما يطلب منها بعده والمسارعة إلى تنفيذه ، لما في هذا النداء من معاني التحبب والتشريف ، حتى ورد القول مثلاً : « إذا سمعت

---

(١) تفسير القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ٨/٤٤.

الله تعالى يقول: يا أيها الذين آمنوا ، فأرعها سمعك ، فإنه إما خير يأمر به أو شر ينهى عنه »[1].

فقد ورد هذا النداء في القرآن الكريم مالا يقل عن ٩٨ مرة ، يعقبها جميعاً الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر ، إما صراحة وإما ضمناً ، كأن يكون الطلب بصيغة الأمر أو النهي فعلاً ، أو بصيغة الإخبار عن واقع الأمر بما فيه تشويق إليه أو تحذير منه - والصريح من ذلك أكثر ، بل غيره نادر الوقوع :

ومن ذلك الآيات التالية : قال تعالى :

١ - ﴿ ياأيُّها الَّذين آمَنوا ، اصبِروا وَصابروا ورابِطوا ، واتَّقوا الله لعلَّكم تُفلِحون ﴾ [آل عمران : ٢٠٠].

٢ - ﴿ يـاأيُّهـا الَّـذين آمَنـوا لاتُلْهِكم أمْوالُكم ولا أوْلادُكم عَنْ ذِكْـرِ الله . . ﴾ [المنافقون : ٩].

٣ - ﴿ ياأيُّها الَّذين آمَنوا ، كُتِبَ عَلَيكُم الصِّيامُ كَما كُتبَ علىٰ الَّذينَ مِنْ قَبْلكُم لعلَّكم تتَّقون ﴾ [البقرة : ١٨٣].

٤ - ﴿ ياأيُّها الَّذين آمَنوا ، إنْ تُطيعوا الَّـذينَ كَفَروا يَـرُدُّوكُم علىٰ أعْقـابِكم فتَنْقلِبوا خاسِرين ﴾ [آل عمران : ١٤٩].

بل النداء بلفظة : « ياأيها » نفسه يشير إلى التشريف ، بدليل نداء الرسل والأنبياء بها. كما يؤيد ذلك أن النداء بها ورد في القرآن الكريم ١٥٣ مرة ولم يُناد بها أهل الكفر مقترناً بحرف النداء « يا » إلا مرتين :

- فالأولى لإعلان البراءة من دين الشرك بالله ، في قوله تعالى :

١- ﴿ قُلْ ياأيُّها الكٰفِرون ، لاأعبُدُ ما تَعبُدون . . . إلى . . لكم دينُكُم وليَ دين ﴾ [سورة الكافرون].

وأما الثانية فتقع بعد الموت إعلاناً لفوات وقت الاعتذار ، قال تعالى :

٢- ﴿ يـاأيُّها الَّـذين كَفَـروا لا تَعْتَـذِروا اليَـوْم ، إنَّمـا تجزَون مـا كُنتُم تَعمَلون ﴾ [التحريم : ٧]. وقد خوطبوا بلفظة « أيها » مجردة ثلاث مرات باسم الجهل والضلال والإجرام : اثنتان في الدنيا ، وواحدة في الموقف بعد الموت.

- أما الأولى فمثل سابقتها فى إعلان البراءة مما يعبدون من دون الله ، قال تعالى :

١- ﴿ أفَغَيرَ الله تأمرونّي أعبُد أيُّها الجاهِلون ﴾ [الزمر : ٦٤]. وقال تعالى في الثانية

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٢/٢. والتفسير - أحكام القرآن: عتر، د. نورالدين ص١٥٦.

ردّاً على منكري البعث بحجة جهلهم بمصير الآباء السابقين:

٢- ﴿ قل إنَّ الأوَّلين والآخِرين*لمجموعونَ إلى ميقاتِ يوم ٍ مَعْلوم * ثم إنَّكم أيُّها الضَّالّون المُكذِّبون * لآكِلونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زقّوم ﴾ [الواقعة: ٤٩-٥٢]. وأما الأخيرة فلإعلان نتائج الحساب في الموقف، قال تعالى مشيراً إلى السبب:

٣- ﴿ وامْتازوا اليَومَ أيُّها المجرمون * ألَم أعْهَدْ إلَيْكم يا بَني آدَمَ ألا تَعبدوا الشَّيْطانَ إنَّه لَكُم عدوٌ مُبين * وأن اعبُدوني هٰذا صِراطٌ مُستَقيم.. ﴾ [يس: ٥٩-٦١].

ولعل السبب في نداء أهل الكفر بذلك في المواضع الخمسة، مع أن الأصل فيه هو التحبب والتشريف، إنما هو من باب التبشير بالعذاب، كقوله تعالى: ﴿ وَيَقتلون الَّذين يَأمُرون بالقِسط من الناس فَبَشِّرهم بِعذابٍ أليم ﴾[آل عمران: ٢١] إذ التبشير في الأصل هو بالخير لا بالشر. ومثله ما يقع في مجالس الحكم مثلاً من نداء المتهم - مهما عظمت جريمته - باسم « سيد فلان » احتراماً للكرامة الإنسانية، وإن كان المجرم قد ضيعها في حقه، فكأنه ينادى بذلك تذكيراً له بما كان يلزمه الحفاظ عليه.

والحاصل أن النداء بهذا اللفظ « يـاأيها الـذين آمنوا » ومثله « يـاعبادي » و « ياأيها الرسول- ياأيها النبي ».. إنما هو يشير إلى التحبب والتشريف، ويشوق إلى ما يذكر بعده(١).

هذا وثمة آيات كثيرة تؤكد قاعدة الجزاء على العمل في القرآن الكريم إيجاباً وسلباً، وبصورة أوضح، كقوله تعالى:

١ - ﴿ هَلْ جَزاءُ الإحْسانِ إلا الإحْسان ﴾ [الرحمن: ٦٠].

٢ - ﴿ وجَـزاءُ سيئـةٍ سيئـةٌ مثلهـا، فـمن عـفـا وَأصْلحَ فـأجـرُهُ عـلى الله ﴾ [الشورى: ٤٠].

٣ - ﴿ مَنْ جاءَ بالحَسنةِ فَلهُ خَيرٌ منها، ومَنْ جاءَ بـالسيئةِ فلا يُجزىٰ الَّـذينَ عَمِلوا السيِّئاتِ إلا ما كانوا يَعْمَلون ﴾ [القصص: ٨٤].

٤ - ﴿ مَنْ جاءَ بالحَسنةِ فله عَشرُ أمْثالِها، ومَن جاءَ بالسيئةِ فلا يُجزىٰ إلا مِثلَها ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

فهذه الآيات صريحة واضحة في إرساء هذه القاعدة. ومثلها قوله تعالى في الحث على التزام المبادئ الإسلامية والأخلاقية:

٥ - ﴿ وَسارِعوا إلى مَغفِرة مِنْ رَبِّكم وجنَّة عَرضُها السمٰوات والأرضُ أُعِدَّت

---

(١) انظر: التفسير - أحكام القرآن: عتر، د.نورالدين ص١٥٦. وأصول التربية الإسلامية: النحلاوي، ص٢١١.

للمتَّقين . الَّذين يُنفقونَ في السّراءِ والضَّراءِ ، والكاظِمينَ الغَيظَ والعافينَ عَنِ النّاس ، والله يُحبُّ المحسِنين ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

يقول القرطبي: « هذا من صفة المتقين الذين أعدت لهم الجنة. وظاهر الآية أنها مدح بفعل المندوب إليه. . »[١]. مشيراً بذلك إلى ما فيها من التعزيز.

ففي الآية الأولى من النص السابق طلب المسارعة إلى ما يرضي الله تعالى مما ينتج عنه المغفرة والفوز بالجنة التي وصفت بالاتساع شبه غير المحدود.

كما أن الآية الثانية من النص ذاته بيان لصفات المتقين المعدة لهم تلك الجنة ، ثم تعزيز لمن تحققت لديه تلك الصفات التي جرت مجرى المدح بأن الله يحب أهلها. إلا أن ذلك جاء على سبيل إرساء قاعدة عامة تفيد بأن الله يحب كل محسن - تشويقاً إلى البذل والإحسان ، الذي عبر عنه القرطبي آنفاً بالمندوب إليه.

وقد أورد قصة تطبيقية للآية ، وفي خصوص العفو الذي اعتبره « أجل ضروب فعل الخير ». وملخص القصة هو أنه:

« روي عن ميمون بن مهران أن جارية جاءت بصحفة فيها مرقة حارة ، وعنده أضياف ، فعثرت الجارية ، فصبت المرقة عليه ، فأراد أن يضربها ، فقالت: يامولاي استعمل قول الله ﴿ والكاظمين الغيظ ﴾ قال لها قد فعلت ، فقالت: اعمل بما بعده ، فقال: قد عفوت عنك ، فقالت: ﴿ والله يُحبُّ المحسِنين ﴾ قال: فأنتِ حرة لوجه الله تعالى »[٢]. فهذه القصة تشير عملياً إلى فعالية الترغيب والترهيب في القرآن الكريم ، ومما يلاحظ في معظم ما سبق من الأمثلة اقتران الترغيب بالترهيب فيها.

والحقيقة أن هذا يكاد يطرد في القرآن الكريم ، كما أشار إليه بعض ما سبق عن العلماء في أول هذا المبحث ، بل القرآن الكريم نفسه يشير إلى ذلك ، ومن هذا القبيل قوله تعالى عقب ذكره عدداً من الأنبياء يبين بعض مااستحقوا به مقامهم: ﴿ إنّهم كانوا يُسارِعونَ في الخَيرات ، ويَدْعوننا رَغَباً وَرَهَباً ، وكانوا لنا خاشِعين ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. فهم جمعوا إلى العمل الصالح بين الرجاء والخوف « رغباً ورهباً ».

وفي موضع آخر يبين القرآن الكريم صفات المؤمنين وما لهم من الأجر ، ثم ما لأهل الانحراف من عذاب ، مع الإشارة إلى علة العقاب في الدنيا. قال تعالى:

- ﴿ إنّما يُؤمِنُ بآياتِنا الّذينَ إذا ذُكِروا بها خرّوا سُجَّداً وسبَّحوا بحَمدِ ربِّهم وهُم لايَستَكبِرون * تَتَجافى جُنوبُهم عَنِ المَضاجِعِ يَدعونَ ربَّهم خوفاً وَطَمعاً ومّما رَزَقناهم يُنْفقون *

(١) تفسير القرطبي ٢٠٦/٤.

(٢) المرجع السابق ص٢٠٧.

فلا تَعلمُ نَفْسٌ ما أُخفِيَ لهم مِن قُرَّة أعْيُنٍ جزاءً بما كانوا يعملون * أفَمَن كانَ مُؤمناً كمن كان فاسقاً؟ لايستوون * أما الذين آمَنوا وَعَملوا الصّالِحات فَلَهم جَنّاتُ المَأوىٰ نُزُلاً بِما كانوا يَعْمَلون * وأمّا الَّذين فَسَقوا فَمأواهُم النّار ، كُلَّما أَرادوا أَنْ يَخرُجوا مِنها أُعيدوا فيها وَقيلَ لَهم ذوقوا عَذابَ النّارِ الَّذي كُنْتم به تُكذِّبون * وَلَنُذيقَنّهم مِنَ العَذاب الأدْنىٰ دونَ العذابِ الأكْبر لعلَّهم يَرْجِعون ﴾ [السجدة: ١٥-٢١]. حيث قرر النص أن المؤمنين جمعوا بين « الخوف والطمع » في عبادتهم لله تعالى ، وأن لهم مقابل أعمالهم الصالحة من قرة العين مالايخطر ببال أحد/وأن لأهل الفسق والتكذيب من العذاب مالاينقطع ، وأن العقاب في الدنيا « العذاب الأدنى » إنما هو ليرجع المنحرف بالتوبة إلى الله قبل فوات الأوان.

فهذه أدلة نظرية لتوافر الترغيب والترهيب في القرآن الكريم مع الإشارة إلى اقترانهما فيه في أغلب المواقع على الأقل - وسيأتي مزيد من التدقيق في الموضوع.

وفيما يلي أمثلة تطبيقية من القرآن الكريم تدعم استخدامه فعلا لهذه الأساليب.

أمثلة تطبيقية للتشويق والتعزيز والعقاب في القرآن الكريم:

وفي القرآن الكريم الكثير من تطبيقات قاعدة « الجزاء » أو « الثواب والعقاب » من مدح وثناء ، وذم وتأنيب ، أو وعد ووعيد ، ونصر وتأييد ، وإمداد وتشجيع ، بحيث يصعب استقصاء ذلك كله بالدراسة والتحليل ، ولا سيما في مجال المبايعة والجهاد ، وفي الحث على الأخلاق الفاضلة والإشادة بأهلها. فقد أعلن القرآن الكريم رضا الله عن الذين بايعوا الرسول ﷺ عام الحديبية[1]. كما صور البيعة بأن يد الله تعالى كانت فوق أيديهم ، مشيراً إلى مطابقة عملهم الصالح لما في قلوبهم ، وفي ذلك من التعزيز ما فيه ، ومن نوع التعزيز الفوري ، قال تعالى مثنياً عليهم ، ومحذراً من النكوث ، ومرغباً في الوفاء:

١ - ﴿ إنَّ الَّذين يُبايِعونَك إنّما يُبايعون الله ، يَدُ الله فَوقَ أيْديهم ، فَمنْ نَكَث فإنّما يَنكُثُ على نفسه ، وَمَن أوْفى بما عاهَدَ عَليهُ اللهَ فسيؤتيه أجْراً عَظيماً ﴾ [الفتح: ١٠].

ثم قال تعالى يؤكد هذا التعزيز:

٢ - ﴿ لَقد رَضِي الله عَنِ المُؤمنينَ إذْ يُبايِعونك تَحتَ الشَّجرة ، فَعَلِم ما في قُلوبهم ، فأنزَل السَّكينةَ عَليهم ، وأثابهم فَتْحاً قَريباً * ومَغانِمَ كَثيرةً يأخُذونَها ، وكان الله عَزيزاً حَكيماً * وَعَدَكم الله مَغانم كَثيرةً تأْخُذونها ، فعجّلَ لكم هذه ، وكفَّ أيْديَ النّاسِ عنْكم ، ولِتَكونَ آيةً للمُؤمنين ، ويَهديكم صِراطاً مُستقيماً * وأخرى لَم تَقدِروا عَليها قد أَحاطَ الله بِها

---

(١) المرجع السابق ١٦/٢٦٧ و٢٧٤.

وكانَ الله على كلِّ شيَءٍ قَديراً ﴾ [الفتح: ١٨-٢١].

ففي هذا النص تعزيز إيجابي وفوري بإعلان الرضا عنهم عقب المبايعة، وتعجيل الثواب لهم بالفتح والغنائم، ثم تعزيز إيجابي مؤجل بالوعد بغنائم أخرى، كما أن فيه تعزيزاً سلبي الإجراء، وهو كف أيدي الأعداء عنهم، وهو أيضاً فوري.

ومن ذلك تصريح القرآن الكريم في بعض المعارك التي أمد الله فيها المسلمين بالملائكة بأنه جعل ذلك بشرى لهم، وطمأنة لقلوبهم، قال تعالى يعرض عليهم الإمداد تشويقاً إلى المصابرة:

٣ - ﴿ ألَنْ يَكفيَكُم أن يُمدَّكم ربُّكم بثلاثةِ آلافٍ من الملائكةِ مُنزَلين * بلى إنْ تَصبِروا وتتَّقوا ويأتوكم مِنْ فَوْرِهم هذا يُمددكُم ربُّكم بِخَمسةِ آلافٍ مِنَ الملائِكَة مُسوِّمين * وما جَعله الله إلا بشرىٰ لكم ولِتَطمئنَّ قُلوبُكم بِه، وما النَّصرُ إلا مِنْ عنْدِ الله العَزيزِ الحَكيم ﴾ [آل عمران: ١٢٤-١٢٦][1].

قال ابن العربي تعليقاً على الآية:

« ما جعل الله الإمداد، إلا لتستبشروا به، فتزداد قوة قلوبكم وشجاعتكم ونشاطكم »[2]

وذلك أن الآية الثانية من النص صريحة في أن الإمداد إنما هو لتعزيزهم، بل يعد هذا من أحسن أنواع التعزيز، لأنه فوري جاء في ظرف هم في أشد الحاجة إلى التأييد فيه: عند مواجهة العدو مع قلة العدد والعدة - كما صرحت به الآية التي قبل النص السابق، في قوله تعالى:

٤ - ﴿ وَلَقَد نَصَركم الله بِبَدْرٍ وأنتُم أذِلَّة، فاتَّقوا الله لعلَّكم تَشْكُرون ﴾ [آل عمران: ١٢٣]. ولاسيما أن معركة بدر كانت أول تجربة ميدانية لهم في ظل الإسلام.

هذا ومن مشاهد التعزيز في القرآن الكريم، إشادته بموقف المؤمنين الذين ارتفعوا عن مستوى المحنة والأحداث[3] حيث قال تعالى:

٥ - ﴿ ولَما رأى المُؤمِنون الأحزابَ قالوا هٰذا ما وَعَدَنا الله ورسولُه، وصدقَ الله ورسولُه، وَما زادَهُم إلا إيماناً وتَسليماً ﴾ [الأحزاب: ٢٢]. وهذا كذلك تعزيز إيجابي وفوري، لأنه كان تعليقاً على غزوة الأحزاب، كما صرحت به الآية، وتسمى أيضاً

(١) ومثله في سورة الأنفال ٨/ ١٠.

(٢) تفسير القرآن: ابن العربي ١/ ٢١٧.

(٣) منهج القرآن في التربية: شديد، محمد ص٩٢.

« غـزوة الخندق[1] وقـال تعالى في ذلـك زيادة في تعـزيـز المسلمـين وفي حق من صـدق في القتال كما وعد:

٦ - ﴿ مِنَ الْمؤمنينَ رِجالٌ صَدَقوا ما عاهَدوا اللهَ عَليه ، فَمِنهُم مَنْ قَضَىٰ نَحبهُ ومِنهُم مَنْ يَنتظِر ، وما بدَّلوا تَبْديلاً ❁ لِيَجزيَ اللهُ الصَّادِقينَ بصِدْقِهِم ، ويُعذِّبَ الْمنافِقينَ إنْ شاءَ أَوْ يَتوبَ علَيهِم ، إنَّ اللهَ كانَ غَفوراً رَحيماً ﴾ [الأحزاب: ٢٣-٢٤]. ففي هذا النص تعـزيز إيجابي وفوري بالثناء على من صدق القتـال ووفى بما وعـد ، مع الإشـارة إلى أن لهم ثوابـاً يتناسب مع صدقهم ، أي تعزيز إيجابي مؤجل. كما أن فيه وعيداً لمن نافق ، وذلك نوع من العقاب ، أو التعزيز السلبي المؤجل. ثم ختم النص بترغيب في التوبة ، أي تشويق إليها بأن الله غفـور رحيم. فـاجتمـع في النص كـل من التعـزيـز الفـوري والمؤجـل ، والعقــاب ، والتشويق ، وهذا كله كاف لإثبات توافر الترغيب والترهيب في القرآن الكريم - وبكثرة كما يبـدو- ومع ذلـك يمكن إعطاء أمثلة لمفـاهيم الثواب والعقـاب الواردة في القـرآن الكـريم -زيادة في التوضيح.

أمثلة لمفاهيم الثواب والعقاب الواردة في القرآن الكريم:

ومما يقرر اهتمام القرآن الكريم بالثـواب والعقاب كـثرة ورود كلمات تفيد معنى كـل من المفهـومين ، مثـل الجنة والنـار وما في معنـاهما ، والـرحمة والعـذاب كذلـك ، والجـزاء والعطاء..

ولعل من المستحسن توضيح ذلك كله بجداول:

(١) تفسير القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ١٤/١٥٧

الجدول رقم (٤)

مفاهيم الجنة ١٧٤	ك	٪	مفاهيم النار ٢٧٦	ك	٪
جنة-جنات«صريحة»	١٤٧	٨٤,٤٨	نار، ناراً«صريحة»	١٤٥	٥٢,٥٣
عَدْن مضافاًإليها جنات	١١	٦,٣٢	جهنم وجحيم (٧٧+ ٢٥)	١٠٢	٣٦,٩٥
دار السلام والمقامة والقرار	٤	٢و٢٩	سعير وسقر (١٦+٤)	٢٠	٧,٢٤
دار المتقين والعاقبة مراداً بها الجنة	٥	٢,٨٧	حطمة وهاوية ولظى	٤	١,٤٤
عاقبة الدار وعقبى	٥	٢,٨٧	دار السوء والبوار	٣	١,٠٨
عليون- عليين	٢	١,١٤	سجين	٢	٠,٧٢
المجموع	١٧٤	٩٩,٩٧	المجموع	٢٧٦	٩٩,٩٦

يبدو جلياً أن نسبة مفاهيم الجنة أقل بكثير من نسبة مفاهيم النار، لأن مجموع الطائفتين هو: ١٧٤+٢٧٦=٤٥٠، ٣٨,٦٦٪ منها فقط لمفاهيم الجنة، بينما تبلغ مفاهيم النار: ٦١,٣٣٪ من المجموع.

إلا أن أول ما تجدر الإشارة إليه هنا هو وجود تعادل تام بين نسبة ورود لفظة الجنة صريحة ولفظة النار كذلك: (١٤٧، ١٤٥)، أي بفارق بسيط، وهو سيختفي كلياً بالنظر إلى أن ٢٦ مرة من لفظة الجنة وردت مما لايراد به الجنة المعروفة، وإنما يراد به الجنة بمعنى البستان أو الحديقة في الدنيا. بينما وردت لفظة النار ٢٤ مرة مما يراد به نار الدنيا، أي بفارق مماثل للفارق الأول، وهو ٢ في كل منهما. فالتوازن حاصل بين نسبتي الصريح لكل من الجنة والنار، وإنما يبقى الفرق قائماً بين نسبتي أسماء كل منهما إلى الأخرى.

ولعل السبب يعود إلى عوامل منها على سبيل المثال:

آ- أنه قد يقابل ذكر اسم النار بعبارات أخرى مُرضية أكثر - على ما يبدو - مما يحدث العكس بالنسبة لذكر الجنة، كقوله تعالى: ﴿ فأمّا مَن ثَقُلت مَوازينُه * فَهوَ في عيشَةٍ راضِيةٍ * وأمّا مَن خَفَّت مَوازينُه * فأُمُّه هاويَة * وما أدْراكَ ما هِيَه * نارٌ حامِيةٌ ﴾ [القارعة: ٦-١١]. فذكرت النار باسم لها « هاوية » وبلفظها « نار »، مقابل « عيشة راضية » كناية عن الجنة. ومثله قوله تعالى: ﴿ فأمّا مَنْ أوتِيَ كِتابَه بيَمينه * فَسوف يُحاسَب حِساباً يَسيراً * ويَنْقَلِبُ إلى أهْله مَسروراً * وأمّا مَن أوتِيَ كِتابَه وَراءَ ظَهرِه * فَسوفَ يَدعو ثُبوراً * ويَصْلى سَعيراً ﴾ [الانشقاق: ٧-١٢]. فذكرت النار باسم لها « سعيراً »، مقابل « حساباً يسيراً .. مسروراً » كناية عن الفوز بالجنة.

ب- والعامل الثاني هو أن العهد المكي يتسم بالتحذير من النار أكثر من العهد المدني، والقرآن المكي أكثر، فيكون ذكر النار أكثر، أي ذكرها بمعنى العذاب - لا مطلقاً.

وذلك أن ٧٢,١٠٪ من ذكر النار الإجمالي إنما هو في المكي من القرآن الكريم (١٩٩/٢٧٦) مرة. وما ورد منه أي المكي من غير مكان العذاب لايتجاوز ٨,٠٤٪ منه: (١٦/١٩٩) بينما ذكرها في المدني هو ٢٧,٨٩٪ من المجموع الكلي: (٧٧/٢٧٦). وما

ورد منه من غير مكان العذاب يبلغ ١٠,٣٨٪ من المدني: (٨/٧٧). مع ملاحظة وجود تقارب بين نسبتي المكي والمدني فيما ورد صريحاً أي بلفظة النار، الذي هو ١٤٥ مرة: وبيان ذلك كما يلي:

إن ٦١,٣٧٪ من ذلك مكي: (١٤٥/٨٩) مقابل ٣٨,٦٢٪ (١٤٥/٥٦) وهذا ليس بعيداً جداً عما بين نسبتي حجم المدني من القرآن الكريم وحجم المكي منه: (٦٠,٨٢/٣٩,١٦).

إلا أن نسبة ما ورد صريحاً بلفظة «النار» مما لايراد به مكان العذاب، تنخفض في المدني إلى ١٤,٢٨٪ (٥٦/٨) مقابل ١٧,٩٧ في المكي (٨٩/١٦). أي ٣٣,٣٣٪ من مجموع مالا يراد به نار العذاب مدني، مقابل ٦٦,٦٦٪ من المجموع مكي.

ج - العامل الثالث: أن الاستعاذة من النار أكثر من طلب الجنة، كقوله تعالى:

١ - ﴿ومنْهُم مَن يَقولُ ربَّنا آتِنا في الدُّنيا حَسنةً وفي الآخِرة حَسنةً وقِنا عَذابَ النّار﴾ [البقرة: ٢٠١]

٢ - ﴿الَّذين يَقولونَ ربَّنا إنَّنا آمنّا فاغفِر لنا ذُنوبَنا وقِنا عَذابَ النّار﴾ [آل عمران: ١٦]

٣ - ﴿ويَتَفَكَّرون في خَلقِ السَّمٰواتِ والأرض، رَبَّنا ما خَلقتَ هٰذا باطِلاً، سُبْحانك فَقِنا عَذابَ النّار﴾ [آل عمران: ١٩١]

د - ومن العوامل أيضاً أن الامتنان على العباد بالإنقاذ من النار أكثر من الوعيد بالحرمان من الجنة، مما يؤدي إلى ذكر النار أكثر، ثم إنه لايسأل الفوز بالجنة غيرُ المؤمن، ويؤيد هذا العامل أنه وردت لفظة «النار» أكثر من ٣٠ مرة مما لايعني الوعيد بها، وهي ٢٤ مرة المشار إليها بأن المراد بها نار الدنيا - بالإضافة إلى مواضع أخرى، ومن ذلك قوله تعالى:

- ﴿فَلَمّا قَضى موسىٰ الأجَل وَسارَ بِأهْله آنَسَ مِن جانِب الطُّور ناراً، قال لأهله امكُثوا إنّي آنَسْتُ ناراً لَعلّي آتيكُم منْها بِخَبرٍ أو جَذوةٍ مِنَ النّار لعلَّكم تَصْطلون﴾

[القصص: ٢٩][1]. فتكررت لفظة « النار » ثلاث مرات. وقال تعالى يمنُّ على المؤمنين هدايتهم:

- ﴿ وَكُنتم علىٰ شَفا حُفرةٍ من النّار فأَنْقذَكم منها ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. بينما لم ترد لفظة « الجنة » للنفي أو الحرمان منها إلا ثلاث مرات:

- الأولى من قول أهل الكتاب إن الجنة لهم دون غيرهم، قال تعالى:

- ﴿ وَقالوا لَنْ يَدخُل الجنَّة إلا مَنْ كانَ هوداً أو نَصارىٰ، تِلكَ أمانيُّهم.. ﴾ [البقرة: ١١١]. والثانية تفيد تحريم الجنة على المشرك بالله، قال تعالى:

- ﴿ إنَّهُ منْ يُشرِك بالله فَقَد حرَّم الله عليه الجنَّة، ومأواهُ النّار.. ﴾ [المائدة: ٧٢]

وأما المرة الثالثة فتؤكد معنى الثانية، قال تعالى:

- ﴿إنَّ الَّذين كذَّبوا بآياتِنا واستَكبروا عَنها لاتُفتَّح لهم أبوابُ السَّماء، ولا يَدخُلون الجنَّة حتّىٰ يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِياط، وكذٰلِك نَجْزي الُمجرِمين﴾ [الأعراف: ٤٠]

ومما يؤيد هذه العوامل أيضاً أن نسبة ورود مفاهيم الرحمة في القرآن الكريم أعلى من نسبة ورود مفاهيم العذاب فيه، بصورة يمكن أن تعيد التوازن بسد الخلل القائم بتفاوت نسبتي مفاهيم الجنة والنار لصالح الأخير.

---

(١) ومثله في طه ٢٠/١٠.

الجدول رقم (٥)

نسبة ورود مفاهيم كل من الرحمة والعذاب في القرآن الكريم:

مفاهيم الرحمة ٧٧٢	ك	٪	مفاهيم العذاب ٥٠٩	ك	٪
الرحمة ومشتقاتها	٣٢٦	٤٢,٢٢	العذاب ومشتقاته	٣٧٠	٧٢,٦٩
المغفرة ومشتقاتها	٢٢٦	٢٩,٢٧	العقاب كذلك	٢٠	٣,٩٢
النعمة ومنها المدح«نعم»	١٠٧	١٣,٨٦	البأس ومنه الذم«بئس»	٧٤	١٤,٥٣
الرضا ومشتقاته	٧٧	٧,٩٧	النقمة ومشتقاتها	١٧	٢,٣٣
العفو ومشتقاته	٣٦	٤,٦٦	الغضب والسخط	٢٨	٥,٥٠
المجموع	٧٧٢	٩٩,٩٨	المجموع	٥٠٩	٩٩,٩٧

فنسبة مفاهيم الرحمة أعلى بصورة تقارب العكس بالنسبة لارتفاع معدل مفاهيم النار على مفاهيم الجنة ، لأن مجموع مفاهيم الرحمة والعذاب هو ٧٧٢+٥٠٩=١٢٨١. ٦٠,٢٦ ٪ منها لمفاهيم الرحمة ، مقابل ٣٩,٧٣٪ منها لمفاهيم العذاب ، في حين كان العكس هناك ٣٨,٦٦٪ لمفاهيم الجنة ، مقابل ٦١,٣٣ ٪ لمفاهيم النار .

فتم بذلك شيء من التوازن بين الإيجابية والسلبية . بل إن نسبة الإيجابية ترتفع زيادة في مفاهيم الجزاء في القرآن الكريم كما يوضحه الجدول التالي:

الجدول رقم (٦)

نسبة ورود مفاهيم الجزاء والعطاء وما في معناهما في القرآن الكريم:

المفاهيم ٥٥٠	ك	٪	الإيجابي	٪	السلبي	٪
الجزاء ومشتقاته	١١٦	٢١,٠٩	٥٠	٤٣,١٠	٦٦	٥٦,٨٩
الإيتاء ومشتقاته	٢٢٥	٤٠,٩٠	٢١٢	٩٤,٢٢	١٣	٥,٧٧
الأجر ومشتقاته	١٠٨	١٩,٦٣	٩٤	٨٧,٠٣	١٤	١٢,٩٦
الفلاح ومشتقاته	٤٠	٧,٢٧	٢٩	٧٢,٥٠	١١	٢٧,٥٠
الفوز ومشتقاته	٢٩	٥,٢٧	٢٨	٩٦,٥٥	١	٣,٤٤
الثواب ومشتقاته	١٨	٣,٢٧	١٥	٨٣,٣٣	٣	١٦,٦٦
العطاء ومشتقاته	١٤	٢,٥٤	١٣	٩٢,٨٥	١	٧,١٤
المجموع	٥٥٠	٩٩,٩٧	٤٤١	٨٠,١٨	١٠٩	١٩,٨١

فنسبة الإيجابية في هذه المفاهيم عالية جداً: (٨٠,١٨) مقابل السلبيـة: (١٩,٨١).

والمـراد بالسلبيـة هنا هـو ما جـاء من هذه المفـاهيم حرمـاناً، أو عقـاباً، ونسبتـه في مادة « الجزاء » أعلى هنا على الإطلاق، حيث بلغت: (٥٦,٨٩).

ومع ذلك فإن نسبة الإيجابية الإجمالية ارتفعت بمـا يشير إلى أن ذلـك هو الأصـل في مجال ضبط السلوك.

وهـذا لايعني حكماً نهائيـاً، لأن ذلك وإن صـح في معدل الآيـات أو المواضـع التي وردت فيها كل من الطائفتين، أي الإيجابية والسلبية (التشويق والتعزيز/التنفير والعقاب) فإنه لا يقتضي بالضرورة صحته في معدل العبارات والمفاهيم التفصيلية التي ترد لكل منهما في القرآن الكريم، مما يجعل الحكم الأدق يتوقف على المعالجات الإحصائية في القسم الأخير من البحث.

والمهم هنا هو أن التشويق والتعزيـز والعقاب أو الـترغيب والترهيب، قـد ثبت فعلاً ورودهـا في القرآن الكـريم (وبنسبة عـالية)، وأمـا مسوغـات ذلك فيـه مع مـا في هـذه الأساليب من احتمال السلبية، فيتناوله البحث قريباً.

ومما هو جدير بالاهتمام قبل ذلك لفت النظر إلى أن القرآن الكـريم كله يعد تعـزيزاً بالنسبة للنبي ﷺ، ويشير إليه قوله تعالى رداً على من عاب نزول القـرآن منجماً، وطمـأنة للنبي ﷺ بالتأييد المستمر:

- ﴿ وَقَالَ الَّذين كَفروا لَوْلا نُزِّل عليه القرآنُ جُملةً واحِدةً، كذٰلك لِنُثبِّت بـه فُؤادَك ورتَّلناه تَرتيلًا * ولا يَأتونَك بِمثلٍ إلا جِئناك بالحَقِّ وأحسَنَ تَفسيـراً ﴾ [الفرقـان: ٣٢-٣٣].

فهو ﷺ بناءً عـلى هذا مـطمئن، لايعجزه سؤال، ولاتستعصي عليـه مشكلة، لأن القرآن الكريم - في معظمه - إما جواب عن سؤال أو رد على اعتراض، أو تأييد لمحق.. وإما أمر بمعروف أو نهي عن منكر، مع ترتيب الجزاء المناسب عـلى ذلك.. وإمـا تقريـر بالحجج والبراهين لتسليحه بها.. وإما تسلية له بذكـر سيرة الأنبيـاء والرسـل وما جـرى بينهم وبين معارضيهم..

وقد صرح القرآن الكريم بهذا الأخير أيضاً، قال تعالى:

- ﴿ وكُلًّا نَقُص عَليكَ من أَنْبـاءِ الرُّسُـل ما نُثَبِّتُ بـه فُؤادَك وجاءَكَ في هـذِه الحقُّ ومَوعِظةٌ وذِكرى للمُؤمِنين ﴾ [هود: ١٢٠]

ومن ظواهر كـون القرآن الكـريم تعزيـزاً له ﷺ كـثرة ورود كلمة « قـل » المشيرة إلى التأييد بالجواب أو الرد أو التوجيه . . حيث وردت فيه (٣٣٢) مرة.

وأما القرآن الكريم بالنسبة لغير النبي ﷺ ، فهو على حسب مكان الفرد منه ، وموقفه من الإسلام ، إيجاباً أو سلباً: فمن كان خارج الإسلام كان كل ما في القرآن الكريم دعوة له إلى الإسلام ، وبالتالي يكون ما فيه من الترغيب والترهيب تشويقاً له إيجابياً أو سلبياً. وأما المسلم فبمقـدار مقامـه من الإيمان والعمـل بالقـرآن الكريم ، فـما ترتب عليـه الترغيب أو الترهيب مما يكون الفرد قد حققه امتثالاً أو اجتناباً ، فهو له تعزيز ، وما لم يحققه بعد كان له تشويقاً إيجابياً أو سلبياً.

ولعل من أبرز ما يجمع بين التعزيز الفوري والتشويق بهذا المعنى قوله تعالى:

- ﴿ والسّابِقونَ الأوَّلونَ مِن المُهاجِرينَ والأنْصار ، والَّـذينَ اتَّبَعوهم بِإحْسان ، رَضيَ الله عَنهم ورَضوا عَنه ، وأعدَّ لَهم جنّاتٍ تجري تحتَها الأنْهار ، خالدين فيها أبَداً ، ذلكَ الفَوْزُ العَظيم ﴾ [التوبة: ١٠٠]. ففي هذا تعزيـز صريح للدفعـات الأولى من المسلمين ، وتعزيز لمن فعل ذلك قبل نزول الآية. كما أن في الآية تشويقاً لمن بعدهم على مر العصور ، وينقلب إلى تعزيز لكل من حقق الإحسان في اتباع السابقين في أعمالهم الحميدة.

هذا وينتقل البحث إلى إعطاء فكرة عن أهم مسوغات الترغيب والترهيب في القـرآن الكريم ، والتي يمكن أن تدعم توافر هذه الأساليب فيـه على الـرغم مما سبق من اختـلاف وجهات نظر العلماء في استخدامها في ضبط السلوك ، مشيراً إلى أهم ما تـرتكز عليـه هذه الأساليب في القرآن الكـريم ، مما يمنـع وقوع كثير من السلبيات التي أشـار إليها العلماء ، وكانت سبباً لاختلافهم.

الفصل الثالث

مسوغات توافر الثواب والعقاب في القرآن الكريم

التمهيـــد:

ولإبراز مسوغات الثواب والعقاب في القرآن الكريم يمكن العودة إلى ما سبق بيانه ومناقشته في أواخر الفصل الثالث من الباب الأول لهذا البحث، مع تأمل ماعلل به المربون وعلماء النفس لكراهتهم هذه الأساليب في ضبط السلوك، ثم النظر في القرآن الكريم لمعرفة ما إذا كانت الشروط المطلوبة لاستخدام الثواب والعقاب متوافرة فيه أم لا.

ولعل من المناسب هنا التنويه عن أن مما يعنى به القرآن الكريم في تربيته للإنسان، العمل على كسب ثقته به قبل تشريع الأحكام وإصدار الأوامر والالتزامات التي لم يفرضها أيضاً جافة، وإنما رطبها بالوعد وأكدها بالتحذير، أو الوعيد عند اللزوم، مع كثير من المرونة تقاوم خروج الوعيد إلى حيز التنفيذ.

فقد جعل القرآن الكريم الفكر أو العقل رائداً وقائداً إلى الإيمان بالله. وكان القلب محل ذلك الإيمان، وكل من العقل والقلب سر لايطلع عليه بعد الله إلا صاحبه.

وهذا منطلق احترام القرآن الكريم لحرية الإنسان وكرامته في آن واحد. إذ يؤمن بالله بعد عملية فكرية حث القرآن عليها ولفت النظر إلى أصولها، تنمية للعقل، فيلتزم بناءً على حكم ذلك العقل ووحي البصيرة، ثم يطبق مبادئ الإيمان بحرية، مصون العرض، محفوظ السر فيما بينه وبين ربه الذي يعلم السر وأخفى. وهو الذي لم يجعل لأحد سلطاناً على قلب آخر - مهما عظم ما في هذا القلب من الخير أو الشر - وإنما يدعوه في حال الانحراف بحكم العقل ووخز الضمير إلى التوبة والاستقامة، أي يدعوه في جملة المنحرفين دون تعيين، فيعرف وحده أنه مقصود بالتوجيه، فيحكم نفسه بنفسه، فيقبل الحق عملياً أوْ يسوف، وفي كلتا الحالتين يكون على بصيرة من أمره وإن تظاهر بالجهل. قال تعالى:

- ﴿ بَلِ الإنْسانُ عَلىٰ نَفْسِه بَصيرةٌ . ولَو أَلْقى مَعاذيرَه ﴾ [القيامة: ١٤-١٥].

ومن هنا يظهر أن ثمة جملة من مسوغات الثواب والعقاب في القرآن الكريم وأن من أهمها ثلاثة: عدم مساسه للحرية والكرامة - اهتمامه بتربية الضمير أو الوازع الديني - اعتماده على الفطرة في التربية. وفيما يلي إيضاح لذلك.

أولاً - حرية الإنسان وكرامته في القرآن الكريم:

إن الإنسان في القرآن الكريم ببساطة عبد، خلق لعبادة الله تعالى خالقه، وهذا المعنى صريح في مثل قوله تعالى: ﴿ وَما خَلقتُ الجنَّ والإنْسَ إلا لِيَعبُدون ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وقوله تعالى: ﴿ وَما أُمِروا إلا لِيَعبُدوا الله مخلصينَ له الدِّين حُنَفاء ﴾ [البينة: ٥]. فهو مستخلف في الأرض لتحقيق هذا الهدف، وكل نشاط يقوم به ينبغي أن لاينسيه ذلك، وأن لايعارضه فضلاً عن أن يناقضه. قال تعالى: ﴿ ياأيُّها الَّذين آمَنوا لاتُلهِكم أمْوالُكم ولا أوْلادُكم عن ذِكْر الله، ومن يَفْعل ذلكَ فأولئكَ هم الخاسِرون ﴾ [المنافقون: ٩].

فعبودية الإنسان حقيقة قرآنية واضحة، ولكنها عبودية هي قمة ما يعتز به، وسبق قول القرطبي في قصة الإسراء: «لوكان للنبي اسم أشرف مما سماه الله به لسماه بذلك في تلك الحالة العلية»[1]. أي في قوله تعالى: ﴿ سُبحانَ الَّذي أَسْرىٰ بِعَبده ﴾ [الإسراء: ١] فسماه عبداً، لكنه أضافه إليه تعالى تشريفاً وإشارة إلى أن هذا الاسم من أحب أسماء الإنسان إلى الله تعالى. لأنها عبودية تتضمن كل مبادئ الحرية الصادقة على أسمى معانيها، وأرقى مراميها. وأعلى ما يمكن تحقيقه من وراء الحرية: أن لايذل الإنسان لمن هو دونه أو مثله، ولا لمن هو من نوعه وطينته.. وإنما هي عبودية لإله واحد مطلق الكمال، له الخلق والأمر من قبل ومن بعد، غني عما سواه، كريم يجب أن يعرفه الإنسان ويعبده ليسعد بالقرب منه تعالى، عبادة لاتتعارض مع الحرية، لأنها تنبعث من القلب وتظهر في السلوك محبة ورضاً.

فالقرآن الكريم قد احترم الإنسان وكرمه وأعطاه من الحرية ما يصلح له، ولم يقيد هذه الحرية إلا بما في إطلاقه ضرر وأذى أو هلاك..

فلو كان مثلاً بيد الإنسان أن يوقف نبضات قلبه أو الحركة الدموية لكان من المحتمل أن يفعل ذلك بمجرد غضبة عارمة تطرأ له فيهلك، ولكثر بذلك الانتحار بنسبة أعلى مما هي عليه الآن. لأن تعقد إجراءات الانتحار قد يجعل الفرد يحجم عن عزمه أحياناً والقرآن الكريم يدعو الإنسان إلى ما يحول دون مثل هذا العزم، وهو الإيمان بالله تعالى مما يجعل الإيمان وقاية لاتقييداً للحرية.

فحرية الإنسان وكرامته محفوظتان في القرآن الكريم الذي أعلن تسخير الكون

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٠/٢٠٥.

له بما فيه ، وخصه بالخلافة في الأرض بعد تشريفه بالعقل والعلم والمعرفة والعمارة ، فجمع بين احترام الحرية والكرامة وبين مراعاة العاطفة والفطرة البشرية: أما احترام الحرية والكرامة فباحترام العقل الإنساني ، حيث انبثقت أساليب المحاكمات الفكرية والإقناع العقلي التي تتمثل في آيات لاتكاد تحصى في القرآن الكريم. وأما مراعاة العاطفة والفطرة فبالاهتمام بإشباع الحاجات النفسية والجسدية من الإنسان ، حيث انبثقت جميع أساليب الترغيب والترهيب التي هي موضوع هذا البحث.

فلو حذفت هذه وتلك من القرآن الكريم لم يبق منه إلا ما هو عبارة عن عدة صحائف لاتمثل إلا نسبة ضئيلة من حجمه الحالي ، ولما كان القرآن الكريم إلا ما هو عبارة عن تقرير لحقائق ، وإصدار لأوامر ونواه ، دون أي سعي للإقناع العقلي ، ولا للإرضاء العاطفي ، على أساس أن القرآن الكريم صادر من الخالق ، ولدى الإنسان من الفكر والعقل ما يجعله قادراً على الوصول إلى التحقق من وجود ذلك الخالق ومعرفة عظمته..

فيكون الأمر كالمريض أمام الوصفة الطبية ، لا حق له في المناقشة ، حتى ولو عجز عن قراءتها ، إذ من المفروض أن يعرف بعقله أن الطبيب أهل بالعلم والخبرة. أو لكان القرآن الكريم كالقانون: بنوداً لأوامر ونواه ، وإلى جانبها جزاء سلبي لمن يخالف النظام.

ومما يشير إلى أنه كان يمكن عقلاً أن يكون القرآن الكريم على هذا النمط ما ورد من اعتبار بعض السور والآيات كافية فيما لولم ينزل غيرها - واعتبار بعضها الآخر ثلث القرآن الكريم ، أو سيدة الآيات ، أو جامعة لأصول الإسلام ومبادئه.

ومن ذلك ما ورد من أن سورة «الإخلاص» ثلث القرآن الكريم لأنها تمثل قمة التوحيد حتى سميت الإخلاص ، والعقيدة ثلث مواضيع القرآن الكريم الأساسية(١).

وكذلك ما ورد من أن آية «الكرسي» سيدة آي القرآن الكريم لاشتمالها على معاني التوحيد ما لم تشتمل على مثله آية أخرى مفردة(٢). وغير ذلك من الأمثلة.

ولكن القرآن الكريم يقرر جل الحقائق ثم يتبعها بالأدلة العقلية ، مثيراً الفكر للبحث والمناقشة ، سعياً للإقناع ، مع ترغيب النفس في الطاعة بالثواب ، وترهيبها من العصيان بالوعيد.. وذلك كله بأساليب متنوعة وشائقة ، وبلفت النظر مثلاً إلى وسائل متوافرة لدى كل فرد ، كقوله تعالى في مجال الإقناع بالوحدانية مشيراً إلى آيات الكون:

---

(١) تفسير الرازي: محمد محيي الدين بن عبد الحميد - الفخر الرازي - ٣٢/١٧٤.
(٢) المرجع السابق ٧/٣ وكشف الخفاء: العجلوني ١/٢٠.

- ﴿ وإلهكم إلهٌ واحدٌ ،لا إلهَ إلا هُوَ الرَّحمنُ الرَّحيم * إنَّ في خَلقِ السَّمواتِ والأرض ، واختِلافِ اللَّيلِ والنَّهارِ ، والفُلكِ التي تَجري في البَحرِ بِما يَنْفَعُ الناس ، وما أنْزَل الله مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فأحْيا بِهِ الأرضَ بَعْدَ مَوْتِها ، وبَثَّ فيها مِنْ كلِّ دابَّةٍ ، وتَصريفِ الرِّياحِ ، والسَّحابِ المُسخَّرِ بَينَ السماءِ والأرض ، لآياتٍ لقومٍ يَعقِلون ﴾ [البقرة: ١٦٣-١٦٤].

وقال تعالى في مجال الطاعة والتشويق إليها ، مشيراً إلى أعز ما يتشبث به الإنسان ، وهو الحياة: ﴿ استَجيبوا لله وللرَّسولِ إذا دَعاكُم لما يحييكُم ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وكان يكفي الإخبار بوحدانية الإله ، وطلب الاستجابة لله وللرسول ، دون ما جاء بعد ذلك ، ولكن القرآن الكريم يقدِّر ما للإنسان من قدرات عقلية ، وما له من مكانة وكرامة تأهل بها للمشاركة حتى في تقرير الحقائق بالبحث عن براهينها ، علماً بأن القرآن الكريم لم ينس جانب الإنسان الآخر من الضعف النسبي ، ولكنه راعاه تحقيقاً للاعتدال والتوازن ، فلم يكلفه مالا يطيق ولا ما يشق عليه ، قال تعالى:

- ﴿ لايُكلِّفُ الله نفساً إلا وُسْعَها ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. فالإنسان حر في عقيدته قبل الاقتناع بها ، بحيث لايكره عليها ، وهو حر بعدها ، يمارس شعائره الدينية بمحض اختياره ، بل لاجدوى للإكراه عليها ، إذ يشترط في صحتها النية الخالصة ، ولايمكن حمل الإنسان عليها إلا بمقدار ما يتحقق به النظام الذي التزمه بمحض الحرية ، وتحمل مسؤوليته باختياره.

وعلى فرض إمكان حمل الإنسان على أداء بعض الشعائر الظاهرة ، كحضور الجمع والجماعات في الصلاة ، فإنه من المستحيل حمله على الصوم مثلاً إلا باختياره الكامل. ولذلك ورد في حديث قدسي أن الله تعالى قال : « الصوم لي وأنا أجزي به »[1] وذلك لتكامل الإخلاص لله في الصوم.

ولعل حرية الإنسان بهذا المعنى هي المرادة بقوله تعالى:

- ﴿ لاإكْراهَ في الدِّين ، قد تَبيَّنَ الرُّشدُ من الغيِّ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] بدليل تعديه الإكراه بحرف « في » لابحرف « على» ، وأن الإكراه على الدين يدخل في معنى الآية من باب أولى. فكأن الآية تقول: لاإكراه في الدين ، فضلاً عن الإكراه عليه ، من باب قوله تعالى في معرض الحث على بر الوالدين ولاسيما عند كبرهما:

---

(١) رواه البخاري، صوم٢، وتوحيد٣٥ و٥٠. ومسلم، صيام١٦٤ و١٦٥.

- ﴿ فلا تَقل لَهُما أُفٍ ولا تَنْهَرهما ، وقُل لَهُما قَولاً كريماً . . ﴾ [الإسراء: ٢٣] .

« فالنهي عن التأفف والنهر يقتضي تحريم ضربهما من باب أولى ، لأنه أشد أذى »(١) .

هذا وقد أعطى القرآن الكريم الإنسان حرية التملك ، وبنى العقود على التراضي ، مع التوفيق بين حق الفرد وحق الجماعة ، دون أن يطغى أحدهما على الآخر ، مقرراً في ذلك مبادئ ، مثل قوله تعالى: ﴿ ولايُضارَّ كاتبٌ ولاشَهيدٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] .

كما صان القرآن الكريم كرامة الإنسان بمنعه عن كل ما يعرضه للذل أو الذم ، فنهاه عن الإيذاء وكنزالمال شحاً ، ورغبه في الإنفاق وبذل الإحسان ، مع الإشارة إلى الاعتدال في ذلك ، كقوله تعالى:

- ﴿ وآتِ ذا القربىٰ حَقَّهُ والمسكين وابنَ السَّبيل ، ولا تُبذِّر تَبذيراً ﴾ [الإسراء: ٢٦] .

- ﴿ ولا تجعل يَدَكَ مَغلولةً إلىٰ عُنُقِك ولا تَبْسُطها كلَّ البَسطِ فتَقعدَ مَلوماً محسوراً ﴾ [الإسراء: ٢٩] .

والحاصل أن القرآن الكريم إنما جاء كبير الحجم لاحترامه لواقع الإنسان من حيث هو إنسان ، بل أعطاه أسمى مكانة ممكنة ، إذ اعتبره محلاً للأمانة ، وأهلاً للخلافة ، ومستودعاً لمعرفة الله ومحبته ، وخليقاً بجواره تعالى ، بشرط الإيمان الذي يجرره من أنواع العبودية المتشعبة ، وبشرط العمل الصالح الذي يربطه بالمجتمع البشري ويحقق تعاونه معهم على الخير.

هذا ويعطي القرآن الكريم أهمية كبيرة للترغيب والترهيب أو الثواب والعقاب ، لاتصالها بعواطف الإنسان وحاجاته البشرية التي تمثل جانباً من كيانه. ولكن بشرط أن لا تصطدم هذه الأساليب بحرية الإنسان وكرامته ، مما جعل القرآن الكريم يولي أهمية أكبر بأن يكون الحافز الأساسي والأقوى للإنسان هو ضميره وإنسانيته ومعرفته بربه ، أي رقابته الذاتية ، بحيث يكون الثواب والعقاب من المؤيدات الخارجية التي تدعم ذلك الحافز العميق. والاهتمام بالإنسان على هذا النحو يحقق التكامل في تربيته وتوجيهه بصورة أكثر إيجابية. إذ نرى أن الدول والحكومات والهيئات والمؤسسات. . تصدر عدداً من القرارات والأنظمة القانونية ، للمحافظة على الأمن والسلام وسير العمل والاستقرار في المجتمع ،

---

(١) تفسير القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ٢٤٢/١٠ .

يصرحوا بذلك لأقوامهم ، وكذلك كل داع إلى الله تعالى.
وقد وردت كلمة «الإيمان باليوم الآخر أو الآخرة » صراحة مالا يقل عن ١٤١ مرة: ١٩,١٤٪ منها اقتصر على ذكر الإيمان بالله مقروناً بالإيمان باليوم الآخر أو الآخرة (٢٧) مرة. و٢٢,٦٩٪ منها اقتصر على كلمة« الآخرة » (٣٢) مرة ، وأما الباقي (٥٨,١٥٪) فقد تعرض لبعض أركان الإيمان الأخرى (٨٢)مرة.
هذا ومن أهم مظاهر اهتمام القرآن الكريم باليوم الآخر تصويره لعدد من المواقف المختلفة عن أحوال كل من أهل الجنة والنار ، مع تشخيص وصفي لمضمون كل من الدارين ، بحيث يشعر الفرد القارئ أو السامع بأنه يحيا هذه المواقف عياناً.
وفيما يلي عدد من هذه الآيات - دون تعرض للتعليق عليها ، وذلك لوضوحها وليتسنى إيراد أكبر عدد ممكن من الأمثلة ، قال تعالى:
١ - ﴿ ويومَ نُسَيِّر الجبالَ وترى الأرضَ بارِزَةً وحَشَرناهم فَلَم نُغادِر مِنْهم أحَداً * وعُرِضوا على ربِّكَ صَفّاً ، لَقَد جِئْتُمونا كما خَلَقناكُم أوّل مرَّةٍ ، بَل زَعَمتم أن لَنْ نجعلَ لَكم مَوعداً * وَوُضِع الكتابُ فَترى المجرمينَ مُشفِقينَ مما فيه ويَقولونَ يا وَيْلَتنا مالِ هٰذا الكِتابِ لايُغادِر صَغيرةً ولا كَبيرةً إلا أحْصاها ووَجَدوا ما عَمِلوا حاضِراً ولايَظْلِمُ ربُّكَ أحَداً ﴾ [الكهف: ٤٧-٤٩]
٢ - ﴿ وكلَّ إنْسانٍ ألزمناهُ طائِرَهُ في عُنُقه ونُخرِجُ له يَومَ القِيامَة كِتاباً يَلقاهُ مَنشوراً * اقرأ كِتابَكَ كفى بِنَفسك اليَومَ عليك حَسيباً ﴾ [الإسراء: ١٣-١٤]
٣ - ﴿ إذ تَبرَّأ الَّذين اتُّبِعوا مِن الَّذين اتَّبَعوا ورأَوْا العَذابَ وتَقطَّعت بِهِمُ الأسْباب * وقالَ الَّذين اتَّبعوا لو أَنَّ لنا كَرَّةً فنتبرَّأَ منهم كما تبرَّؤوا منا، كذٰلكَ يُريهم الله أعْمالَهم حَسَراتٍ عَليهم وَما هُم بِخارِجينَ مِنَ النّار ﴾ [البقرة: ١٦٦-١٦٧]
٤ - ﴿ قالوا وَهُم فيها يختَصِمون ، تالله إنْ كنّا لَفي ضَلالٍ مبينٍ * إذْ نُسَوِّيكم بِرَبِّ العالَمين * وما أضلَّنا إلا المُجرِمون * فَما لَنا مِن شافِعين * ولا صَديقٍ حَميمٍ * فَلَوْ أنَّ لنا كَرَّةً فَنكونَ مِن المُؤمِنين. ﴾ [الشعراء: ٩٦-١٠٢]
٥ - ﴿ يَومَ تَشهدُ عَليهم ألْسِنَتُهم وأيْديهم وأرْجُلُهم بما كانوا يَعمَلون * يَومئذٍ يُوَفّيهم الله دينَهم الحَقَّ ويَعلَمونَ أنَّ الله هو الحَقُّ المُبين ﴾ [النور: ٢٤-٢٥]
٦ - ﴿ يَومَ يَفِرُّ المرءُ مِن أخيه * وأُمِّه وأبيه * وصاحِبَته وبَنيه * لِكُلِّ امرِئٍ مِنهم يَومئذٍ شأنٌ يُغنيه * وُجوهٌ يَومئذٍ مُسفرة * ضاحكةٌ مُستبشرة * وَوُجوهٌ يومئذٍ عليها غَبَرة * تَرهَقُها قَترة * أولٰئك هُمُ الكفَرَة الفَجرة ﴾ [عبس: ٣٤-٤٢]

وتجري سلسلة من الإجراءات الإدارية لتنفيذ هذه القرارات.. ولكنها تضطر بعد ذلك إلى تعيين أجهزة وعناصر كثيرة لمراقبة مدى التقيد بهذه الأنظمة، ويكلفها ذلك الكثير من النفقات، دون أن يمتنع حدوث مشاكل في المجتمع. وذلك أن عدداً من الناس - وقد يكثر هذا العدد - لايتقيد بالنظام إلا ما دام على مرأى من أجهزة المراقبة.. ناسياً بذلك أن تطبيق النظام يخدمه هو أولاً قبل غيره. وكثيراً ما نسمع - على سبيل المثال - سائقاً يقول لمن تعلقوا بباب السيارة - باللغة الدارجة - ما معناه: اسمحوا لي أغلق الباب، ألا ترون الشرطي؟.. معللاً ذلك بخشيته من الغرامة على المخالفة، ومشيراً به لاشعورياً، إلى قصور فهمه لمعنى التزام النظام أولاً، وإلى جدوى الترغيب والترهيب ثانياً، وإلى أهمية المراقبة أخيراً. إذ لولم يخف من الغرامة لما اكترث بالنظام ولو بهذا القدر، ولو تأمنت المراقبة المستمرة لما وقع منه مخالفة.

ولهذا يظهر أن من الأهمية بمكان البحث في مفهوم مصطلح «الوازع الديني» الذي عني به القرآن الكريم كثيراً، ودعمه بالترغيب والترهيب - بأساليبهما المتنوعة. حتى إنه يمكن القول: إن هذا يمثل مركز الثقل لموضوع هذا البحث من حيث الأهمية، لأنه في قمة مميزات التربية القرآنية على الخصوص، والتربية الإسلامية بصورة عامة.

ثانياً- تربية الضمير والوازع الديني في القرآن الكريم:

يعتمد أصحاب النظرية السلوكية عدداً من المعززات الخارجية لتشكيل السلوك أو تغييره وضبطه، ويقصدون من وراء هذه المعززات أن تتحول تدريجياً إلى معززات ذاتية، يصبح الفرد بعدها غير عابئ إلى حد ما لا بالثواب ولا بالعقاب.

وذلك أن المعزز الحقيقي الذي له مفعوله القوي وأثره الفعال في تغيير السلوك إنما هو المعزز الذاتي، الذي هو نقطة الارتكاز للمذهب الإنساني أو المذهب الذاتي. ولكن المخاوف والاحتمالات التي أبداها المربون تشير إلى أن السلوكيين ليسوا دائماً ينجحون في تحقيق ذلك المعزز الذاتي بتلك المعززات الخارجية، مما يفقد العملية التربوية ثمارها السلوكية في الواقع الميداني أو في بعض الجوانب.

هذا «ولمعرفة مدى نجاح العملية التربوية عدة محكات أو معايير، منها: النتاج التعليمي، والعملية التعليمية... ويعتقد الباحثون أن النتاج التعليمي هو أفضل وسيلة لاختبار فعالية المعلم ونجاح التعليم.. وهو - أي النتاج التعليمي - ما يتعلمه الطالب ويكتسبه من خبرات، نتيجة للنشاطات التعليمية.. ويمكن الوقوف عليه من خلال مقارنة

أداء المتعلم قبل التعلم بالتغيرات التي تطرأ على سلوكه ، والتي تتبدى في اكتساب القدرات المعرفية والميول والاتجاهات والقيم وتكامل الشخصية »[1].

ومن هنا يحسن تصور ما وصل إليه المسلمون من حياة القلب والضمير ورسوخ الإيمان بالله عز وجل ، والمحبة والرضا بأوامره تعالى ، بالمقارنة مع ما كانوا عليه قبل التربية القرآنية أو الإسلامية التي لم يكن لها في صدر الإسلام وثيقة كتابية غير القرآن الكريم. حيث تغير بسرعة عجيبة مجرى حياتهم النفسية والسلوكية أيما تغير. فقد وصلوا بفضل تلك التربية درجة لا يحتاجون فيها إلى رقيب خارجي ، وإنما قلوبهم بإيمانهم الذي كان رقيباً يدفع من غلبته نفسه إلى الاعتراف بما وقع فيه من مخالفة حتى ولوكان في طيات هذا الاعتراف موته الذي لايراه عقبة دون رضا الله ، وتجنب سخطه.. سواء كان ذلك في صفوف الرجال أو في صفوف النساء (كما حصل من ماعز والغامدية اللذين اعترفا بما يوجب عليهما الحد ، رغبة في الطهارة من الإثم ، وتوبة إلى الله وابتغاءً لمرضاته)[2].

ومن الأمثلة التطبيقية لسمو الضمير بالتربية القرآنية: مسارعة المسلمين إلى نبذ الخمر بمجرد نزول آية التحريم ، ودون أي توان ، ولا أدنى تردد أو مقاومة ، مع ما كانوا عليه قبل الإسلام من الإدمان على الخمر والتغني بأشكالها. علماً بأن التربية الحديثة قد أخفقت في تطهير المجتمع من المخدرات وأنواع الكحول الضارة.. « فلجأت بعض الدول إلى التشريع الصارم والعقوبة ، فعجزت عجزاً كاملاً. وذلك أن تطهير المجتمعات لا يتم بالتشريع والعقوبة وحدهما دون التربية المناسبة (التي تجمع بين العقل والنفس بعمق).

ويمكن الموازنة بين مجتمع حديث -كمجتمع أمريكا- وبين مجتمع المدينة المنورة ، فيما يخص تحريم الخمر ، حتى يمكن أن نلمس الفارق الضخم بين المجتمعين ، وحتى يمكن تصور القمة العالية التي وصل إليها مجتمع المدينة بتربية القرآن الكريم »[3].

فقد « منعت حكومة أمريكا الخمر ، وطاردتها في بلادها ، واستعملت جميع وسائل المدنية الحاضرة ، كالمجلات والجرائد والمحاضرات والصور والسينما.. لتهجين شربها وبيان مضارها ومفاسدها.. وأنفقت الدولة في الدعاية ضد الخمر ما يزيد على ستين مليون دولار.. وما تحملته في سبيل تنفيذ قانون التحريم في مدة أربعة عشر عاما لايقل عن مئتين

---

(١) علم النفس التربوي: النشواتي ص٢٣١.
(٢) منهج القرآن في التربية: شديد، محمد ص١٧.
(٣) المرجع السابق ص١٢.

وخمسين مليون جنيه (لعله دولار). وقد أعدم فيه ثلاثمئة نفس ، وسجن أكثر من نصف مليون شخص (٥٣٢٣٢٥نفساً) وبلغت الغرامات ستة عشر مليون جنيه ، وصادرت من الأملاك ما يبلغ أربعمئة مليون جنيه ، ولكن ذلك كله لم يزد الأمة الأمريكية إلا غراماً بالخمر ، وعناداً في تعاطيها. حتى اضطرت الحكومة سنة ١٩٣٣ إلى سحب هذا القانون ، وإباحة الخمر إباحة مطلقة »(١)

هذا « ولم يكن غرام العربي بالخمر يقل عن غرام الأمريكي في العصر الحديث. فقد كان - أي العربي - يهيم بها ويتعشقها ويتغزل فيها. . ولكن ما إن سمع المسلمون بأمر تحريمها حتى أراقوا ما في بيوتهم من خمر. . وما تكونت عصابات للتهريب ، ولالجأت الدولة إلى أحكام الإعدام والسجن ومصادرة الأموال والأملاك ، ولكنها المبادرة إلى التنفيذ في يسر وطاعة امتثالاً لأمر القرآن الكريم »(٢).

وذلك أنه لايمنع المخالفة بالتخفي والتهريب مثلاً إلا الإيمان بمن لاتخفى عليه خافية ، وكان الأمير فيهم قدوة حسنة لغيره في تطبيق أوامر الشرع ، والبعد عن الشبهات. فقد قال الخليفة الصديق رضي الله عنه لأسرته قبيل وفاته - عليه رحمة الله ورضوانه -: «أما إننا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم ديناراً ولا درهماً ولكنا قد أكلنا من جريش طعامهم. . ولبسنا من خشن ثيابهم. . فانظروا ما زاد في مالي منذ دخلت الإمارة فابعثوا به إلى الخليفة من بعدي - قالت أم المؤمنين عائشة -: فلما مات نظرنا فيما خلفه فوجدنا عبداً وبعيراً وجرد قطيفة. . فبعثنا بهن إلى عمر فلما رآها فاضت عيناه وقال: « لقد أتعبت من بعدك يا أبا بكر »(٣).

فقد أوصلتهم التربية القرآنية إلى حد التعاون ، وسمت بهم إلى جو الإيثار على النفس: الإيثار بالمال والنفس. . حيث قاسم الأنصار المهاجرين أموالهم وديارهم ، وآثروهم بما هم في أشد الحاجة إليه (٤) كما يشهد لهم بذلك القرآن الكريم نفسه ، قال تعالى بعد أن ذكر المهاجرين ، مشيداً بالأنصار:

- ﴿ والَّذين تَبوَّؤوا الدّارَ والإيمانَ مِنْ قَبلِهم يحبّون مَن هاجَر إلَيهم ولا يَجدون في صُدورِهم حاجةً مما أوتوا ، ويُؤثِرون على أنْفُسهم ولَو كانَ بِهم خَصاصةٌ ، ومَن يُوقَ شُحَّ

(١) المرجع السابق ص١٢-١٣.
(٢) المرجع السابق ص١٤.
(٣) المرجع السابق ص٣١.
(٤) تفسير القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٣.

نَفسه فأولئك هم المُفلحون ﴾ [الحشر: ٩].

ومن أمثلة الإيثار بالنفس « ما ورد من أن عدداً من المجاهدين سقطوا في معركة اليرموك فأشرفوا على الموت في أشد ظمأ ، فدعا أحدهم - وهو هشام بن العاص - ساقياً ، فلما جاءه بالماء نظر إلى من بجانبه فقال للساقي: أعطه فإنه أحوج مني. . ولم يكد يصل إلى الثاني حتى أحاله إلى ثالث. . وهكذا حتى وصل إلى الأخير فوجده قد مات ، فانعطف إلى من يليه فوجده قدمات ، حتى وصل إلى الأول فلم يدركه كذلك حياً »(١).

ويبدو أن من أهم الوسائل التي استخدمها القرآن الكريم حتى وصل بهم إلى مثل هذه النتائج أساليب التشويق والتعزيز. . ولكنها بمفهومها المعاصر غير كافية لتحقيق ما هو على مثل هذه الخطورة من النتائج الإيجابية.

بل لابد أن يكون ثمة حافز آخر ينسب إليه الفضل الأكبر في ذلك.

ويغلب في الظن أن يتمثل هذا الحافز في الوازع الديني المنبثق عن كمال الإيمان بالله وباليوم الآخر. لأن ذلك هو الضمان الحي الفعال للتطبيق.

وذلك أن الوازع الديني هو الرقيب الذاتي الملازم الذي ينبع من الأعماق - حيث يملأ القلب شعوراً بالمسؤولية أينما حل الفرد وفي كل الظروف - باستثناء ما قد يقع من غفلة أو غلبة - وحتى إذا حدث شيء من هذا فسرعان ما يستيقظ ضمير الإيمان بالندم والتوبة والاستغفار ، قال تعالى:

- ﴿ إنَّ الَّذين اتَّقوْا إذا مَسَّهم طائفٌ مِنَ الشَّيطانِ تَذَكَّروا فإذا هم مُبْصِرون ﴾ [الأعراف: ٢٠١] فالقرآن الكريم قد ربى في المسلم ضميره بالإيمان بالله ودوام مراقبته واطلاعه على السر والعلن. فأرسى هذا المبدأ العميق الأثر في النفوس ، وضمن به الالتزام أو التطبيق التلقائي.

قال رسول الله ﷺ: « من لم يكن له ورع يصده عن محارم الله إذا خلا لم يعبأ الله بشيء من عمله(٢).

فشرطي المسلم إذن قلبه وإيمانه قبل كل شيء ، أو على الأقل ينبغي أن يكون الأمر كذلك.

وبهذا تفادت التربية القرآنية كثيراً من سلبيات الثواب والعقاب ، أي بتركيزها على تحقيق مصدر فعال للتعزيز الذاتي ، حتى إذا نجحت في ذلك عمدت إلى المعززات

---

(١) المرجع السابق ١٨/ ٢٨.
(٢) رواه البخاري: رقاق ٢٠ ومسلم فضائل ٧٩

الخارجية لدعم المصدر وتغذيته ، مؤكدة أن الجزاء المناسب أمر حتمي للسلوك ثواباً وعقاباً ، لامجرد ترغيب في سلوك معين أو ترهيب من سلوك آخر ، بل السلوك في ظل التربية القرآنية الحقة لا يتأثر سلبياً بتأجيل الثواب ولا بتأخير العقاب ، لأنه ينبعث من ذلك المصدر الحيوي وبمحض اختيار الفرد ، بناءً على معرفته للحقيقة الجزائية في القرآن الكريم ، فلا خوف من انمحاء السلوك ولا من رد الفعل المعاكس ، لثقة المؤمن بثبوت الثواب له على العمل الصالح بمجرد قيامه به ، إما عاجلاً أو آجلاً ، ولإيمانه بالعدالة الجزائية القرآنية التي يشير إليها قوله تعالى:

- ﴿مايَفعل الله بِعذابكم إنْ شَكَرتم وآمَنْتُم وكان الله شاكِراً عَليماً﴾ [النساء:١٤٧]. كما يذكره القرآن الكريم بدقة الحساب حتى لايغتر بإكثاره من العمل الصالح. ولكي يسعى جهده للمزيد من ذلك والإخلاص فيه.

ورقابة الضمير هذه كما يعيشها من كمل إيمانه ، كذلك يعترف بها وبفعاليتها بعض البارزين من غير المسلمين ، فقد حذر منها اثنان من الجنرالات الفرنسيين قائلين: « لاينبغي أن نستهين بالإسلام - إذا استهنا بالمسلمين - لأن الإسلام عقيدة عجيبة ، بقيت إلى الآن في الأرض(١٩٤٦) . . إننا حاولنا - أو مارسنا - كل النظم الاقتصادية ، وحاولنا النظم الرأسمالية ، وحاولنا النظم الإدارية ، وفشلنا ، ومن أهم ما فشلنا فيه عدالة التوزيع والرقابة. . إن الرقابة في الإسلام لاتأتي من شخص على شخص ، ولامن هيئة على هيئة ، وإنما هي رقابة الإنسان لربه ، ونضج الضمير الديني ، وهذا هو وحده قوة كافية في الإسلام ، وإن من حسن الحظ أن المسلمين لايفهمون هذا ، ولا يقدرون دينهم ، مع أنه حفظهم وأبقاهم إلى الآن. . وما علينا إلا أن نطمس معالم هذا الدين بتجويعهم وإفقارهم وإبادتهم ، وبحرمانهم من العلم والثروة »[1].

فقد اعترفا بهذه الظاهرة الفذة ، مع الإشارة إلى أهميتها ، وإلى غبطتهما بعدم معرفة المسلمين لهذه الأهمية - في رأيهما - كما نصحا أمتهما بمحاربة الظاهرة بشتى الوسائل المتاحة لهم ، لما يرون فيها من الآثار النفسية والسلوكية القوية للعقيدة الإسلامية التي تخالف اتجاههم ، مما جعلهم يرونها خطيرة على نظمهم.

والواقع أن للعقيدة الإسلامية سلطاناً لايستهان به: فالتربية القرآنية التي أخرجت مجتمعاً تسوده هذه الحرية والمساواة التامة ، والضمانات القوية ، ومبدأ محاسبة الحكام

(١) تجربة التربية الإسلامية في ميزان البحث: البوطي ص٤٥-٤٦.

والأمراء.. لأكبر دليل على سلطان العقيدة في النفوس [1].

إلا أن ذلك لايستدعي محاربتها من قبل من يخالفونها، لأنها لاتكره أحداً على اعتناقها، وإنما تكره من يتعرض لها بالأذى على أن يكف يده عنها وعن أهلها حتى تأخذ سبيلها في تبصرة البشر بحقيقة الحياة.

هذا وأثر تبصرة القرآن الكريم هذه ملموس وبارز يبرهن عليه واقع التاريخ: «وبوسعك أن تلاحظ أثر هذه التبصرة القرآنية في الصياغة الجديدة التي صيغت بها نفوس أصحاب رسول الله ﷺ وعقولهم، عندما تقارن بين نظرة أحدهم إلى الحياة وتعلقه بها، إذ كان يعيش أيام جاهليته، ونظرته الجديدة إليها وتقويمه لها بعد أن دخل في رحاب الإسلام، وأصغى إلى بيانات القرآن وهديه»[2].

«ودونك فانظر إلى حياة كل فرد من أصحابه عليه الصلاة والسلام لتجد فيها المثل الذي يجسد هذه الحقيقة: تأمل عمر في جاهليته، ثم الانقلاب الذي داهمه بعد إسلامه.. وانظر إلى مصعب بن عمير - فتى الحياة المترفة ومثال تعلق النفس بأهوائها في جاهليته، وفتى التحرر من كل مغرياتها من بعد إسلامه.

ثم انظر إلى أولئك النساء اللائي كاد أن يهلكهن الجزع على الحياة في جاهليتهن، ثم أهلكهن حب التضحية بها والترفع عنها بعد إسلامهن.. أمثال الخنساء رضي الله عنها، التي مات أخوها صخر في الجاهلية، فأخذ منها الجزع كل مأخذ، وملأت الدنيا بكاءً وعويلاً.. فلما شرفها الله بالإسلام وأقبلت إلى القرآن الكريم تصغي إليه، بذلت نفسها وكل ما تملك في سبيل الله، حتى قالت صابرة شاكرة - لما استشهد أبناؤها الأربعة في القادسية: «الحمد لله الذي شرفني بقتلهم جميعاً، وأرجو أن يجمعني الله بهم في مستقر رحمته»[3].

هذا وللرقابة الذاتية فوائد قضائية كبيرة الأثر بالإضافة إلى الفوائد النفسية والسلوكية التي تنتج عن هذه الرقابة المتبصرة - أي «الوازع الديني الصادق الذي يحدث صاحبه دائماً أن الدين خلق ومعاملة، وأن الخلق المستقيم يجلب لصاحبه السعادة في الدنيا، والنعيم في الآخرة..»[4].

(١) منهج القرآن في التربية: شديد، محمد ص٦٤.
(٢) منهج الحضارة الإنسانية في القرآن: البوطي ص٨٠.
(٣) المرجع السابق ص٨٠-٨٤.
(٤) طرق تدريس التربية الإسلامية: الزحيلي، د. محمد ص٣٩٨.

فلولا رقابة الضمير هذه لأمكن التهرب من السلطة والإفلات من العدالة في أغلب الجرائم والمخالفات ، بل « إن الحق -الذي يسلم به العقل- هو أن العاصم الوحيد الذي يمكنه أن يحجز الإنسان من الانحراف إلى الطغيان الخلقي إنما هو أن تقوم محكمة تامة - برئيسها وأعضائها وشرطتها - في داخل الفؤاد ، ولن تجد هذه المحكمة متمثلة - مهما حاولت - إلا في العقيدة الإسلامية ، إذ تغرس بعناية في فؤاد الإنسان منذ نشأته ، فهي التي تغالب الدوافع النفسية حتى تغلبها ثم تستحل مكانها من النفس ، وتتولى هي القيادة والتسيير »[1].

وظاهر هذا الكلام يتسم بالمثالية المحلقة ، ولكنها مثالية واقعية لدى من تحقق فيه الإيمان بمعناه الكامل ، كما سيتأكد ذلك ببعض الأمثلة التي ترد في هذا البحث نفسه ، فقد أمكن بفضل هذا العامل العميق المصدر تحقيق أكبر عون للحكم والقضاء ، على إحقاق الحق وإبطال الباطل ، في حال شذوذ بعض الأفراد بالاعتداء على المجتمع أو على أحد أفراده ، أو بإنكار حق من الحقوق ، فلولا ذلك لكان يفلت من العدالة من استطاع أن يدلي بشهادة في غاية القوة من حيث الظاهر على خصمه الذي عجز عن إثبات حقه وإبطال شهادة خصمه الباغي ، إذ لايسع القاضي إلا أن يحكم بما ثبت عنده - بعد استنفاد ما يملكه من وسائل الإثبات. ففي مثل هذه الحالة تظهر عظمة الإيمان وسلطان الوازع الديني ، الذي يقدر أن يُذكِّر المبطل بهول الموقف أمام ربه الذي يراه ، وبعظيم ثوابه إذا عدل عن الزور والظلم بعد المقدرة.. فيسارع إلى إظهار الحق وإنقاذ المظلوم.

وذلك أن ما أمكن أن يجري عليه الإثبات من الأعمال الظاهرة من غير تجسس ولاتكشف للأسرار المستورة بستر الله سبحانه وتعالى - يعاقب عليه الشرع في الدنيا. وما لايمكن أن تجري فيه البينات وليس ظاهراً مكشوفاً ولابيناً معروفاً ، يكون العقاب عليه أمام الله سبحانه وتعالى يوم القيامة.

ومن هذا الجانب اتصلت القوانين بالضمير الإنساني ، وكانت أحكامها متجاوبة مع الوجدان القوي.. وإن اتصال القوانين بالضمير له مزايا جليلة ، فهو يجعل الفرد في وقاية نفسية من الجرائم ، فيمنع وقوع ذلك منه لخشيته من الله سبحانه وتعالى ، ولإحساسه بأن الله مطلع على ما يفعل ، وأن عليه أن يخشى الله تعالى أكثر من خشيته للناس »[2]. إشارة

(١) تجربة التربية الإسلامية: البوطي، ص٢١٩.
(٢) فلسفة العقوبة في الفقه الإسلامي: الأستاذ أبوزهرة، ص٢١-٢٢.

إلى مثل قوله تعالى: ﴿ ألا تُقاتِلون قوماً نَكَثوا أيْمانَهم وهموا بِإخراجِ الرَّسول ، وهم بَدَؤوكُم أوَّل مرَّةٍ ، أتخشَونَهم؟ فالله أحقُّ أنْ تخشوه إنْ كُنتُم مُؤمِنين ﴾ [التوبة: ١٣].

وثمة فوائد نفسية واجتماعية للوازع الديني: « فإن الضمير الديني يجعل المسلم مطمئناً راضياً بقضاء الله وقدره ، يستقبل الأمور برضا واطمئنان وإن لم يكن فيها كل ما يشتهيه ويهوى ، وبذلك لا يكون منه حقد على أحد.. »[١] إشارة إلى أن الحقد من أهم أسباب الجرائم من سرقة ونهب.. وأنه إذا تربى الضمير على الإيمان وتحقق فيه الوازع الديني قويت الألفة ، وذهب الحقد والحسد.. وأنه إن حدثت جريمة من فرد مسلم فإن ضميره لايدعه مصراً على الباطل. وقد وردت قصة عملية مثيرة في هذا الموضوع ، خلاصتها هي:

« أن رجلاً في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب اغتال شخصاً ، فطفق يهرب ، فإذا برجل يقبل نحوه ، فاختبأ حتى مر نحو القتيل ، فتابع القاتل سبيله حتى توارى. ولم يكد ذلك الرجل يصل إلى الضحية التي فوجئ بها وهي تتخبط بدمها العبيط ، حتى جاءه آخرون ، فقبضوا عليه على أنه القاتل - حيث كان معه سلاح ملطخ بدم - مما زاد من قوة الشبهة ، فلم يحاول الدفاع عن نفسه ، بل استسلم للأمر مفوضاً مصيره إلى الله تعالى دون أن يبدي جزعاً أو قلقاً لعلمه ببراءته ولقوة إيمانه - وإن كان ذلك لا يمنع الدفاع عن النفس - فحكم عليه بالقصاص ، فلما تجهز الجلاد لاقتياده ، تحرك في نفس القاتل ضميره ، وهاجه وازعه الديني ، فرأى أنه سيكون بقتل ذلك الرجل قاتلاً لأكثر من نفس ، فتقدم أمام القضاء ليدلي بالحقيقة التي فوجئ بها الحاضرون ، فقص القصة كما هي ، فأطلقوا سراح المتهم الأول ، ثم سألوه: لم سكت على الظلم؟ أجاب بأنه لم يجد مدفعاً للشبهة إلا أن يكلها إلى من يعلم حقيقتها سبحانه وتعالى. فاستشار أمير المؤمنين الإمامَ علياً رضي الله عنهما في أمر القاتل ، فقال الإمام علي: -إن كان قد قتل نفساً فقد أحيا نفساً. فعفا عنه أمير المؤمنين »[٢].

وبذلك نجا كلاهما ، أي بفضل الوازع الديني الذي عمل في كل الأطراف ، حيث قوى الإيمان معنويات المتهم المظلوم ، فلم يجزع علماً بأنه أمام أحد أمرين: إما النجاة ، لعلم الله بحقيقة الأمر. وإما الشهادة لبراءته ، كما عمل الوازع الديني في القاتل بإثارة دوافع الندم والتوبة النصوح التي قدرها كل من الأمير ومستشاره بموجب إيمانهما بأن الله يقبل التوبة عن عباده ، ولعلمهما بحكمة تشريع العقاب في شرع الله تعالى.

---

(١) المرجع السابق ص٢٣.
(٢) المرجع نفسه.

وكل واحد يعرف ماتتحمله الدول الآن من تكاليف لإثبات ما هو دون مثل هذه الشبهة التي يتعذر كشفها إلا بواسطة الإقرار، الذي لم يكن ثمة دافع إليه لولا الإيمان وسلطان الوازع الديني.

بل إن الدول تنفق ما لايكاد يحصى لتطوير وسائل الإثبات، مما يبرز خطورة ترك الضمائر معتمة بالميول والاتجاهات السلبية بحجة الحرية والكرامة الإنسانية.

هذا وأما كيف يربي القرآن الكريم الضمير والوازع الديني ففيما يلي إلقاء الضوء على ذلك بشيء من الإيجاز:

كيف يربي القرآن الكريم الضمير لتحقيق الوازع الديني؟

سلك القرآن الكريم لتحقيق ذلك عدة أساليب منها التعليم والتوجيه بالآيات القرآنية نفسها، وهي كثيرة، ومنها أيضاً ما هو عملي يتمثل في العبادات، ثم ماهو اجتماعي ناتج عن الأمرين السابقين، ويتمثل في العرف العام الذي يسوده الخير والاستقامة، وغير ذلك مما يتضافر على منع الجريمة، حتى إذا شذت عن القاعدة فلتة من فرد، فظهرت منه جريمة بينة، أمر القرآن الكريم بإيقاع العقاب عندئذ، على أن يكون ذلك متناسباً مع حجم الجريمة وأثرها من حيث الخطورة.

ومن هنا يمكن القول: «تعمل الشريعة على منع الجريمة بثلاث طرق، كلها يؤدي إلى ذلك:

١ - التهذيب النفسي، فإن تربية الضمير هو الأساس الأول في منع وقوع الجريمة، وإن العبادات الإسلامية كلها لتربية الضمير وتهذيب النفس وتربية روح الائتلاف في قلب المؤمن.

٢ - تكوين رأي عام فاضل لا يظهر فيه الشر، ويكون فيه الخير بيناً واضحاً معلناً، ولذلك دعت الشريعة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واعتبر الإسلام البريءَ مسؤولاً عن المنحرف.. يدعوه بالتي هي أحسن»[1] قال تعالى:

- ﴿ ولْتَكُن مِنْكم أمَّةٌ يَدعونَ إلى الخَيرِ ويَأمُرونَ بالمعروفِ ويَنْهَوْن عنِ المُنكر، وأولٰئك همُ المُفلِحون ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

- ﴿ ادْعُ إلى سَبيلِ ربِّك بالحِكمَة والمَوعِظَة الحَسَنة وجادِلْهم بالَّتي هِيَ أحسَن ﴾ [النحل: ١٢٥].

---

(١) المرجع السابق ص٢٩ و٣١.

٣ - فإذا لم يجد هذا ولا ذاك (لا الضمير ولا الرأي العام الفاضل) أتى العلاج الأخير وهو العقاب . . »[1] فقد « اتخذ الإسلام ضمير الإنسان وقواه النفسية والعقلية القاعدة الأولى في بناء كيانه التربوي ، فأرصد لها الطاقات الكثيرة من الإصلاح : إصلاح للغرائز ، وتنمية للملكات الشريفة ، وتحذير من النزعات الشريرة ، حتى يكون الإنسان بحكم مكتسباته التربوية خليفة الله في أرضه ، مقيماً للحق ، آمراً بالعدل ، منطلقاً وراء الخير. فركز الإسلام اهتمامه بالإطار النفسي ليجعله بمنجاة من الانحلال والانهيار والضعف ، ومشبعاً بروح الإيمان وقوة الإرادة والعزم والتصميم - والإيمان أعظم وازع من الوقوع في حمأة الرذائل والحرام . . »[2].

هذا من حيث تربية القرآن الكريم للضمير عن طريق التعليمات الإسلامية والعبادات بصورة عامة. وأما تربيته للوازع الديني عن طريق آياته المباشرة فيمكن بيان ذلك من خلال ضرب أمثلة لأسلوبه التربوي في هذا الخصوص مع ذكر عدد من الآيات القرآنية فيه.

وتبرز هنا أربعة مظاهر قرآنية لتحقيق هذا الهدف :

١ - الاهتمام بتحقيق الإيمان قبل التشريع.

٢ - الاهتمام باليوم الآخر بصورة خاصة.

٣ - آيات كثيرة تدل على استواء السر والعلن عند الله وإحاطته بكل شيء علماً.

٤ - صبغ جميع مواضيع القرآن الكريم بروح الإيمان.

آ - تربية الوازع الديني عن طريق تحقيق الإيمان قبل التشريع :

ومما يبرهن على عناية القرآن الكريم بتربية الوازع الديني أساساً يبنى عليه غيره مدعوماً بالترغيب والترهيب أن القسم المكي الذي يمثل نسبة ثلاثة أخماس القرآن الكريم - على الأقل - يكاد يخلو من التشريع ، لأنه كان ينصب أساساً على التعريف بالله تعالى والدعوة إلى الإيمان به وإخلاص العبودية له دون غيره ، مع البرهنة على حقية البعث بعد الموت بشتى وسائل الإيضاح.

وأما التشريع فهو من سمات العهد المدني من القرآن الكريم ، إذ التشريع بمعنى تنظيم العبادات والمعاملات الاجتماعية بحاجة إلى رقابة لايمكن أن يؤديها الشرطة ورجال الأمن وحدهم ، بل لابد أن يكون الفرد نفسه مؤهلاً لذلك.

---

(١) المرجع السابق ص٣٢.

(٢) النظام التربوي في الإسلام : القرشي ص٢٠٥ و٢٠٩.

والسؤال المفترض هو أن تكوين هذا الضمير أو تحقيق الوازع الديني نفسه يحتاج إلى تشويق وتعزيز ما دامت التربية هي الوسيلة إليه.

فكيف يتحقق ذلك سلفاً حتى يمكن أن يرتكز عليه التشويق والتعزيز؟

وهذا قد يرد، ولكن الواقع هو أن الوازع الديني في القرآن الكريم إنما هو نوع من الترغيب والترهيب وإن اختلف ذلك عن معنى الثواب والعقاب بالمفهوم المعاصر - إلى حد ما - حيث يمكن تحقيقه عن طريق العقل والمنطق، بل لاسبيل إليه حقيقة من دون هذا، لأنه ليس بعمل تطبيقي، وإنما هو اقتناع عقلي، إلا أنه اقتناع حي وعميق، وحافز قوي على الاستقامة والعمل الصالح، أو التطبيق الذي يرتب عليه القرآن الكريم الثواب والعقاب، دعماً لذلك الحافز. فشأن الوازع الديني شأن الإيمان - الذي هو أصله وأساسه - لايمكن الإكراه عليه، ولا يتحقق بالاستيالة العاطفية التي لاتقدر على مقاومة تيارات التشكيك أو الشبهات المختلفة. لأن عقيدة بُنيت على العاطفة لهي على شفا جرف هار. فلا بد من إقناع لتحقيقه - إقناع يصل إلى أعماق النفس ليعين في محلٍ منها مُشرف على كل زواياها رقيباً لاينام ولايغفل، كما قال تعالى:

- ﴿ ما يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إلا لَدَيهِ رَقيبٌ عَتيد ﴾ [ق: ١٨].

هذا من جهة، وأما من جهة أخرى، فليس المراد باهتمام القرآن الكريم بتربية الوازع الديني في أول عهده أنه لايتعرض للترغيب والترهيب حتى يرد السؤال السابق والمفترض، لأن القرآن الكريم بأسلوبه العجيب قادر على سوق كل من وسائل الإقناع العقلي والإرضاء العاطفي في آن واحد، بل هذا هو دأب القرآن الكريم. ومن ذلك قوله تعالى:

- ﴿ يـاأيُّها النّـاس اعبُدوا ربَّكم الَّـذي خَلقَكم والَّذينَ مِن قَبلِكم لعلَّكم تتَّقـون ﴾ [البقرة: ٢١]. حيث أقام الدليل على استحقاقه العبادة: بأنه هو الرب الخالق، ثم ختم الآية بالترغيب ببيان أن عبادته هي الوسيلة للوصول إلى مقام التقوى الذي عرفوا مكانة من تبوأه عند الله وما له من أجر وثواب.

وقد يجتمع الترغيب والترهيب والإقناع مع تغذية الوازع الديني في نص واحد، كقوله تعالى:

- ﴿ إنَّ الَّـذين يخشَوْن ربَّهم بـالغَيبِ لَهم مَغفـرَةٌ وأجـرٌ كَبـيرٌ * وأسِّـروا قَـوْلَكم أو اجْهَـروا بـه إنَّـه عَليمٌ بِـذاتِ الصُّـدور * ألا يَعلمُ مَن خَلق وهـو اللَّطيفُ الخَبـير﴾ [الملك: ١٢-١٤]. فقد رغب النص في خشية الله « في السر » بأن جزاءها المغفرة والأجر الكبير. وقوله « بالغيب » يشير إلى استواء السر والعلن عند الله، وهو الذي أكده بما جاء

بعده ، ودعمه ببيان مطلق علمه بحقائق ما في الصدور ، ثم ختم ذلك على سبيل الإقناع العقلي بسؤال يجيب عنه الأمي والعالم ، وإن اختلفت مستويات فهمهما لمضمون الآية.

وبهذا جمع النص بين الترغيب والإقناع مع إشارة لطيفة إلى الترهيب ، وذلك في وسط النص ، لأن قوله: ﴿ وأسِرّوا قَولَكم أو اجْهَروا به إنَّه عَليمٌ بذاتِ الصُّدور ﴾ فيه شيء من التحذير أو التهديد إلا أنه في غاية اللطف.

ومثل هذا نفسه من عوامل تقوية الوازع الديني - وستأتي أمثلة لهذا النوع قريباً.

ب - تربية الوازع الديني عن طريق الاهتمام باليوم الآخر:

وذلك أن الثقة باليوم الآخر - بعد الإيمان بالله تعالى - هو أهم مصدر للاستقامة والتزام المبادئ وكسب العمل الصالح ، واجتناب العمل السيىء أو الضار.. وغير ذلك من مطالب الشرع.

ومن آثار الإيمان باليوم الآخر النفسية والسلوكية فوائد كثيرة ، منها:

« تربية الشعور الحقيقي بالمسؤولية الجدية ، وتحقيق الأخلاق الفاضلة المطلقة سلوكاً فعلياً ثابتاً مستمراً غير متقلب ، وانضباط الدوافع والغرائز ، والصبر على الشدائد ، وإيثار الآخرة على الدنيا ، وتربية العقل على الفطرة السليمة ، وتربية العزم ، والقضاء على التردد ، وإحلال التفاؤل والرضا محل التشاؤم والضجر ، وتربية المؤمن على التعقل وعدم تعليل الأمور حسب الهوى والمصلحة الذاتية.. »[1].

فلولا وجود اليوم الآخر الذي يلقى فيه الإنسان ربه ، ويثاب على إحسانه ويعاقب على إساءته لقل من يستقيم أو يلتزم المبادئ والمطالب التشريعية.. لأن الإنسان إذا كان تصوره هو أن الموت نهايته أو آخر أمره فإنه يدركه اليأس والقنوط بعد كذا من مراحل عمره ، ولا يفارقه القلق لاحتمال موته في كل لحظة. ويعظم بذلك إحباطه عند كل فشل أو إخفاق في مساعيه اليومية.

ومن هنا يمكن تصور خطورة الإلحاد ، لأن اليأس يجعل الإنسان شرساً بصورة وحشية قد لايشوبها أحياناً مزحة رحمة أو إنسانية ، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى:

- ﴿ إنَّ شرَّ الدَوابِّ عِندَ الله الَّذين كفروا فَهُم لايُؤمِنون ﴾ [الأنفال: ٥٥] ، وكذلك قوله تعالى:

- ﴿ إنَّ الَّذين كفروا.. إلى.. أولئكَ هم شرُّ البَريَّة ﴾ [البينة: ٦] ، حيث أشار في

---

(١) أصول التربية الإسلامية: النحلاوي ص٩٨.

الآيتين إلى أن الكفر ينتج عنه الشر المطلق ، إذ لاشيء يكبح من جماحه . وذلك إما أن يكون كفراً بإنكاره الآخرة أو كفراً بالعناد ، وفي كلتا الحالتين يستولي على الكافر القنوط من خير الآخرة كما يصوره قوله تعالى مشيراً إلى استحكام اليأس فيهم :

- ﴿ قَد يَئِسوا مِنَ الآخِرَة كما يَئِسَ الكفّارُ مِن أصْحابِ القُبور ﴾ [الممتحنة : ١٣] .

ولهذا يكاد يتعذر أن يسعى مثل هذا الشخص إلا في محض المصلحة الذاتية ، أي ولو على حساب الآخرين .

ولأهمية الإيمان باليوم الآخر في ضمان الالتزام يلاحظ أنه تعالى كثيراً ما يقتصر على ذكر الإيمان بالله مقروناً بالإيمان باليوم الآخر ، لأن الأول هو الأساس ، وأن الثاني هو منبع العمل الصالح الذي من دونه لايستحق المرء الثواب بالجنة ، وذلك أن العمل الصالح هو رديف الإيمان .

وقد يكون المغزى التربوي من ذكر اليوم الآخر على هذا النحو الإكثار من عوامل رسوخ الإيمان به ، لأنهم كانوا عنه أبعد منهم عن سائر أركان الإيمان - ولا ينافي ذلك قصد الحث على الاستقامة .

وقد وردت آيات كثيرة تؤكد أن الإيمان باليوم الآخر أهم مصدر للاستقامة والعمل الصالح ، منها الآيات التالية ، قال تعالى :

١ - ﴿ فَقالَ ياقَوْمِ اعبُدوالله وارجوا اليَومَ الآخِر ، ولا تَعثَوْا في الأرض مُفسِدين ﴾ [العنكبوت : ٣٦]

٢ - ﴿ ذٰلِكم يوعَظُ به مَن كان يُؤمِن بالله واليَومِ الآخِر ، ومَن يتَّقِ الله يَجعلْ لَهُ مخرَجاً ﴾ [الطلاق : ٢](١)

٣ - ﴿ إنَّ في ذٰلكَ لآيةً لِمن خافَ عَذابَ الآخِرة ، ذٰلكَ يومٌ مَجموعٌ له النّاس ، وذٰلكَ يومٌ مَشهودٌ ﴾ [هود : ١٠٣]

٤ - ﴿ قُل إنِي أخافُ إنْ عَصَيتُ رَبّي عذابَ يوم عظيمٍ ﴾ [الأنعام : ١٥](٢) .

٥ - ﴿ ألا يَظُنُّ أولٰئكَ أنَّهم مَبعوثون.لِيَومٍ عَظيمٍ ﴾ [المطففين : ٤-٥] ، يعني المطففين : الذين يبخسون الناس حقوقهم .

٦ - ﴿ وإنَّ الَّذين لايُؤمِنون بالآخِرَة عنِ الصِّراطِ لَناكِبون ﴾ [المؤمنون : ٧٤] .

فهذه الآيات صريحة في الموضوع حتى أمر النبي ﷺ - كما أمر الرسل من قبله - أن

---

(١) ومثله في سورة البقرة ٢/ ٢٣٢ .

(٢) ويونس ١٠/ ١٥، والزمر ٣٩/ ١٣ .

٧ - ﴿ يومئذٍ تُعرَضونَ لاتَخفىٰ مِنْكُم خافية * فأمّا مَن أوتِيَ كتابَهُ بِيمينه فَيقولُ هاؤُمُ اقرؤوا كِتابِيَه * إنّي ظَنَنتُ أنّي ملاقٍ حِسابِيَه * فَهُو في عيشَةٍ راضية * في جنَّةٍ عالِية * قُطوفُها دانِية * كُلوا واشْربوا هَنيئاً بما أسْلَفتم في الأيّام الخالِيَة * وأمّا مَن أوتيَ كِتابَه بِشِمالِه فَيقولُ يالَيتَني لم أوتَ كِتابِيَه * وَلَم أدْرِ ما حِسابِيَه * يالَيتها كانَتِ القاضِية * ما أغْنىٰ عنّي مالِيَه * هَلَك عنّي سُلطانِيَه * خُذوه فغلُّوه * ثمَّ الجَحيمَ صلُّوه * ثمَّ في سِلسِلَةٍ ذَرْعُها سَبعونَ ذِراعاً فاسْلُكوه * إنَّه كانَ لايُؤمِنُ باللهِ العَظيم * ولا يحضُّ علىٰ طَعامِ المِسكين * فَلَيْس له اليَومَ هٰهُنا حَميم * ولا طَعامٌ إلا مِن غِسلين * لايأكُلُه إلا الخاطِئون ﴾ [الحاقة: ١٨-٣٧]

فهذه الآيات تصـور مواقف مختلفـة - وبشكل حي ومثير- تقوي في الإنسـان رقيبه الـذاتي. وسيأتي مـزيد من الأمثلة عنـد الحديث عن أنـواع الـترغيب والـترهيب في القـرآن الكريم.

ومن الجدير بلفت النظر إليه حول الآيات السابقة أنها مقتطفة من سور متعددة ، ومع ذلك يظهر فيما بينها التناسب كأنها من سورة واحدة. وهذه ظاهرة مشوقة في القرآن الكريم حيث يمكن الانتقـال من آيـة إلى أخـرى ، دون أن يحـدث ذلـك خللاً في المعنى في أغلب الحالات.

والأمر الطريف الآخر في الآيات هو أنها مع ما فيها من التحـذير والتخـويف فإنها لم تكتف بتصـوير المشـاهد ، وإنمـا أشارت إلى الأسبـاب المؤدية إلى ذلـك ، ولاسيما الآيـات الأخيرة التي أجملت هذه الأسباب: ﴿ إنَّه كان لايُؤمن بالله العظيم ، ولا يحض على طعـام المسكين ﴾ مشيرة بذلك إلى وجوب الجمع بين تحسين علاقة الإنسان بربه وبين تحسين علاقته بأخيه الإنسان.

كما أنها أشارت بذلك إلى ما ينبغي القيام به لتفادي تلك المواقف السلبية ، علماً بأن سكنر يستنكر العقاب الذي لايتضمن التوجيه إلى ماهو جيد من السلوك فيقول: « والشيء المزعج أننا حينما نعاقب شخصاً لسلوكه السيىء، فإننا نترك لـه أمر اكتشـاف السلوك الجيد وممـارستـه . . »[1] مـع الأخـذ بعـين الاعتبـار أن سكنـر لا يحبـذ العقـاب أصـلاً ، وأنـه ينادي بإلغائه.

هذا والآيات السابقة تركز على الجانب العاطفي من الإنسان ترغيباً أو ترهيباً وبصورة واضحة. ولتحقيق التكامل بين العقل والعاطفة وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة كذلك

---

(١) تكنولوجيا السلوك الإنساني: سكنر، ب.ف. ص٦٩

تركز على الجانب العقلي ، كالتي تعنى بالتعريف بالله تعالى عن طريق الحوار والمناقشة.. من أجل الإقناع بضرورة الإيمان بالله تعالى.

ويتفرع عن هذا القبيل عدد آخر من الآيات تعنى بإقناع الإنسان باستواء السر والعلن عند الله تعالى ، وبأنه بكل شيء عليم.

وهذه الطائفة من أهم ما يغذي الوازع الديني أو المراقبة الذاتية لدى الإنسان ، حيث تبوئه مقام الإحسان: « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »[1]. وفيما يلي أمثلة من هذه الآيات:

ج - آيات تدل على استواء السر والعلن في حق الله تعالى:

وهذه الآيات تمثل عاملاً قوياً في تحقيق الوازع الديني لدى الفرد ، وهي في الواقع تهتم بالإقناع العقلي وتطرق الجانب العاطفي من الإنسان.. لما فيها أو في معظمها من الإشارة بلطف إلى التحذير أو الوعيد أحياناً - حسب موقعها من الكلام - وهي كثيرة ، منها قوله تعالى:

١ - ﴿ إنَّما إلهُكم الله الَّذي لا إله إلا هو ، وَسِعَ كلَّ شيءٍ عِلماً ﴾ [طه: ٩٨]

٢ - ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض يَعلمُ سِركم وجَهركم ويَعلمُ ما تَكسِبون ﴾ [الأنعام: ٣]

٣ - ﴿ يَعلمُ ما يَلِجُ في الأرض وما يَخرج منها وما يَنزلُ مِن السَّماء وما يَعرُج فيها ، وهُو مَعَكم أيْنَما كُنتم ، والله بما تَعمَلون بَصير ﴾ [الحديد: ٣]

٤ - ﴿ يَعلمُ مافي السَّمٰوات والأرض ويَعلمُ ما تُسِّرون وما تُعلِنون ، والله عَليمٌ بِذاتِ الصُّدور ﴾ [التغابن: ٤]

٥ - ﴿ لَهُ ما في السَّمٰواتِ وما في الأرض وما بَيْنَهما وما تَحتَ الثَّرىٰ * وإنْ تَجهرْ بالقَولِ فإنَّه يَعلمُ السِّر وأخْفىٰ ﴾ [طه: ٦-٧]

٦ - ﴿ وإنْ تُبدوا مافي أنْفُسكم أو تُخفوهُ يُحاسِبكم بِه الله.. ﴾ [البقرة: ٢٨٤]

٧ - ﴿ وما تَكونُ في شَأنٍ وما تَتْلو مِنْه مِن قُرآنٍ ، ولاتَعمَلون من عَملٍ إلا كنّا عَليكم شُهوداً إذ تُفيضونَ فيه وما يَعزُبُ عن ربِّك مِن مِثقالِ ذَرَّةٍ في الأرض ولا في السَّماءِ ، ولا أصغَرَ مِن ذلك ولا أكبَرَ إلا في كِتابٍ مُبين ﴾ [يونس: ٦١]

---

(١) وهو حديث متفق عليه، وقد سبق تخريجه ص ٤٩ .

٨ - ﴿ ألم تَرَ أنَّ الله يَعلمُ مافي السَّمٰواتِ وما في الأرضِ ما يَكونُ من نَجوىٰ ثلاثةٍ إلا هُوَ رابِعُهم ولا خَمسةٍ إلا هـو سادِسُهم ، ولاأدنىٰ مِن ذٰلِكَ ولاأكثرَ إلا هُوَ مَعَهم أيْنَما كانوا ، ثُمَّ يُنَبِّئُهم بما عَمِلوا يومَ القِيامَة ﴾ [المجادلة: ٧]

٩ - ﴿ وَلَقد خَلَقنا الإنْسانَ ونَعلمُ ما تُوَسْوِسُ به نَفسه ونَحنُ أقْربُ إلَيهِ مِن حَبْلِ الوَريد * إذْ يَتَلقَّىٰ المُتَلقِّيان عن اليَمينِ وعَن الشِّمالِ قَعيد * ما يَلفِظُ من قَولٍ إلا لَديه رَقيبٌ عَتيد ﴾ [ق: ١٦-١٨]

١٠ - ﴿ إنَّ السَّمعَ والبَصر والفُؤادَ كلُّ أولٰئكَ كانَ عَنهُ مَسؤولاً ﴾ [الإسراء: ٣٦]

١١ - ﴿ إنَّها إنْ تَكُ مِثقالَ حَبَّةٍ مِن خَردلٍ فَتكنْ في صَخْرةٍ أوْ في السَّمٰوات أو في الأرض يَأْتِ بها الله ﴾ [لقمان: ١٦]

١٢ - ﴿ وقُل اعْمَلوا فَسيرىٰ الله عَمَلَكم وَرسولُه والمؤمنون ، وستردون إلىٰ عالِم الغَيْب والشَّهادة فَيُنبئُكم بما كنتُم تَعملون ﴾ [التوبة: ١٠٥]

فهذه الآيات تتضافر في تكوين رقيب ذاتي في نفس المسلم من خلال تعريفه بربه تعالى. ومثل هذه الآيات يتخلل مواضيع القرآن الكريم كلها ، لتنبه الإنسان في كل مناسبة. وهذا هو المراد بصبغ المواضيع بروح الإيمان.

د - إحياء الوازع الديني عن طريق صبغ مواضيع القرآن الكريم بروح الإيمان:

وبعد إعداد النفس الإنسانية بتحقيق الإيمان الذي ينبثق عنه الوازع الديني والضمير الحي في النفس ، حيث تصبح مرهفة الحساسية ، سريعة التفطن والفهم ، تكفيها الإشارة الخاطفة في كثير من الأحيان.. يعمد القرآن الكريم إلى صبغ جميع ما يعالجه من مواضيع بروح الإيمان ، تذكيراً للنفس عند كل موقف ، وتحريكاً لضميرها ، وإثارة لحماستها لتنفيذ الأوامر واجتناب النواهي ، والتطوع لبذل الإحسان.

فقد « صبغ كل المواضيع التي طرقها وعالجها بصبغة الهدى والموعظة والإرشاد. فلم يسق هذه المواضيع والأبحاث على أساس وحدات منفصلة ومستقلة بعضها عن بعض ، وإنما بث في جميعها شرايين التوجيه والنصح والهداية ، فصيرها بذلك وحدة كاملة

متضامة ، تعمل عملاً واحداً ، وتسير بالإنسان نحو غاية لا تختلف. . »[1].

وقد يكون تخلل مبادئ الإيمان لمواضيع القرآن الكريم الأخرى عن طريق ختم الآيات باسم أو أكثر من أسماء الله تعالى ، كالعليم والخبير ، والقوي والقدير ، والرؤوف والرحيم ، وغير ذلك حسب المناسبة.

كما يكون عن طريق تعقيب كل حكم من الأحكام أمراً أو نهياً- بالأمر مثلاً بتقوى الله ، أو بالتحذير من سخطه ، أو بتأثيم من يخالف ، أو بالتنبيه إلى اطلاعه تعالى على مافي القلوب. . (مثل بعض الآيات الواردة في الفقرة السابقة)

ويمكن الاكتفاء هنا بمثال واحد في مجال التشريع المدني ، المتعلق بالقرض والبيع والرهن ، وإثبات هذه العقود. . فقد نظمها القرآن الكريم في آيتين ، دون أن يترك احتمالا لضياع حق لأحد الأطراف. . وهي قوله تعالى:

- ﴿ ياأيُّها الَّذين آمَنوا إذا تَدايَنتم بِدَيْنٍ إلى أجَلٍ مُسمىً فاكتُبوه ، وَلْيكتب بَينَكم كاتبٌ بالعَدل ، ولا يَأْبَ كاتبٌ أنْ يكتبَ كما علَّمه الله ، فَلْيَكتب وَلْيُملل الَّذي عَليه الحقّ ، وَلْيتّق الله ربَّه ، ولايَبْخس منه شَيئاً ، فإن كان الَّذي عَليه الحقُّ سَفيهاً أو ضَعيفاً أو لايَستَطيع أن يُمِلَّ هو ، فَلْيملل وَليُّه بالعَدل. واسْتَشهدوا شَهيدَين من رِجالكُم ، فإن لم يَكونا رَجُلين فَرَجُلٌ وامرَأتانِ ممن تَرضَوْن مِن الشُّهداء ، أنْ تَضِلَّ إحْداهُما فَتُذكِّرَ إحْداهُما الأخرىٰ. ولايَأْبَ الشُّهداءُ إذا ما دُعوا. ولا تَسْأموا أنْ تَكتُبوه صَغيراً أو كَبيراً إلى أجَله ، ذٰلِكم أقْسَطُ عِنْدَ الله وأقوَمُ للشَّهادة ، وأدْنىٰ ألا تَرتابوا. إلا أن تَكونَ تِجارةً حاضرةً تُديرونَها بَينَكم ، فَليسَ عَليكُم جُناحٌ ألا تَكتُبوها. وأَشْهِدوا إذا تَبايَعتم ، ولا يضارَّ كاتبٌ ولاشَهيدٌ ، وإن تَفعَلوا فإنَّه فسوقٌ بِكُم. واتّقوا الله ، ويُعَلِّمكم الله ، والله بكل شيءٍ عَليم * وإنْ كُنتم على سفَرٍ ولم تَجدوا كاتباً فَرِهانٌ مَقبوضَةٌ ، فإنْ أَمِنَ بَعضُكم بعضاً ، فَلْيُؤَدِّ الَّذي اؤْتُمِنَ أمانته وَلْيَتّق الله ربَّه ، ولاتَكتُموا الشَّهادة ، ومَن يَكتُمها فإنَّهُ آثِمٌ قَلبُه ، والله بِما تَعملون عَليم ﴾ [البقرة: ٢٨٢-٢٨٣]

آيتان في حدود نصف صفحة ، لم تتركا ثغرة إلا سدتاها ، ولااحتمالاً إلا احتاطتا له ، فحفظتا بذلك حق الدائن والمدين ، والبائع والمشتري ، والراهن والمرتهن ، والشاهد والكاتب. مع رفع الحرج عندما تتعسر إجراءات التوثيق - بشرط التزام المبادئ الأخلاقية ، وأداء الأمانة كاملة. . وذلك بأسلوب في غاية السمو والوضوح على الرغم مما فيه من الإيجاز

---

(١) من روائع القرآن: البوطي ص٢١١.

« حيث تتجلى الدقة العجيبة في الصيغة. . دون أن تطغى هذه الدقة في تأدية الأغراض التشريعية على طلاوة التعبير وعذوبته. وحيث يربط التشريع بالوجدان الديني ربطاً لطيف المدخل، دون الإخلال بترابط النص من ناحية الدلالة القانونية، وحيث يلحظ كل المؤثرات المحتملة في موقف أي من الطرفين، فينفي هذه المؤثرات كلها احتفاظاً بسلامة التعاقد. . ويستجيش الشارع ضمائر المؤمنين للأمانة والوفاء بدافع من تقوى الله (ليستمد التكليف من داخل النفس لا من ضغط النص)، فذلك هو الضمان الأخير لتنفيذ التشريع كله، ولرد الأموال والرهائن إلى أصحابها والمحافظة التامة عليها، ويتكىء التعبير على القلب فينسب إليه الإثم، ثم يهدد بلطف »[1] ﴿ والله بما تعملونَ عَليم ﴾.

فقد « اشتملت آية الدَّيْن على أحكام حكيمة وقواعد عظيمة في ضبط مصالح الناس، وتوثيق الحقوق، حتى كانت بذلك أصل علم طرق الإثبات. وإن استيفاء أحكامها وفوائدها ليشغل تأليفاً خاصاً. . »[2].

هذا والقرآن الكريم يعتمد الفطرة الإنسانية الراسخة في أعماقه، لتحقيق أهدافه التربوية، مراعياً لمتطلبات هذه الفطرة النفسية والجسدية، مما جعله يعمد إلى الترغيب والترهيب عند الحاجة إليهما.

ثالثاً - اعتماد الفطرة الإنسانية في التربية والتوجيه في القرآن الكريم:

هذا ثالث ما يظهر أنه من مسوغات الثواب والعقاب في القرآن الكريم، وذلك أن معنى « الفطرة » قد يشمل الحاجات العقلية والنفسية والجسدية، وقد ترد هذه الكلمة « الفطرة » مقابل كلمة « الغريزة » لأن كلاً منهما شيء ثابت في النفس الإنسانية، دون كسب من قبل الفرد، إلا أن الفطرة تختلف عن الغرائز التي هي أمر مشترك فيه بين الكائنات الحية إنساناً وحيواناً، بينما الفطرة - كما يشير إليه القرآن الكريم - ميزة خاصة في نفس الإنسان، تنزع إلى إخلاص العبادة لله تعالى، وإلى الصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة.

فهي عبارة عن ميل ثابت إلى الكمال، حث القرآن الكريم على السير على هديها، وتلبية إيحاءاتها، قال تعالى مشيراً إلى ثباتها وعدم تبدلها:

- ﴿ فَأَقِم وَجهَك للدّينِ حَنيفاً، فِطْرَة الله الّتي فَطر النَّاسَ عَليها، لاتَبديلَ

---

(١) في ظلال القرآن: قطب، سيد ٣/ ٣٩ ومابعدها.
(٢) التفسير - أحكام القرآن: عتر، د. نورالدين ص٤٨٢.

لِخلق الله ، ذٰلِك الدّينُ القَيِّم ، ولكنَّ أكثَرَ الناسِ لايَعلَمون ﴾ [الروم: ٣٠]. فلو كانت الفطرة بمعنى « الغرائز » ما حث القرآن الكريم عليها ، لأن نداءات الغرائز تحدث توتراً عضوياً ، يتطلب التخفيف بإشباع الحاجة - سبب التوتر - فهي تلبى بالضرورة وإن اختلفت أشكال تلبيتها ، بينما نداء الفطرة يبدو لطيفاً يتجه إلى العقل ، فيعرض عليه الفضيلة ، ويطالب بها ، فيلبي العقل النداء ، وينفذه الفرد باختياره. ويشير إلى هذا حث القرآن الكريم على التزام مبادئ الفطرة هذه ، مصرحاً بأن ذلك هو الدين القيم.. علماً بأن الدين كله قائم على الاختيار ، إذ لايكلف به إلا بالغ عاقل.

وأما الغرائز فإنها تنادي النفس ، وتثير الشهوات ، بل إن القرآن الكريم - كما يبدو - يعبر عن الغرائز بالهوى والشهوات ، ويحذر من مجاراتها والانصياع لإيحاءاتها ، ويعد على ذلك إيجاباً وسلباً ، كقوله تعالى:

- ﴿ فأمّا مَن طَغى ‌* وآثَرَ الحَياةَ الدُّنيا ‌* فإنَّ الجَحيم هِيَ المأوىٰ ‌* وأمّا مَن خافَ مَقامَ ربِّه ونَهىٰ النَّفسَ عن الهَوىٰ ‌* فإنَّ الجنَّة هي المأوىٰ ﴾ [النازعات: ٣٧-٤١].

وقال تعالى مشيراً إلى بعض الغرائز بالشهوة:

- ﴿ أئِنَّكم لَتَأتون الرِّجال شَهوةً مِن دون النِّساء ﴾ [النمل: ٥٥].

فالفطرة إذن ميل مقصود لذاته ، لنزعته الكمالية. وأما الغرائز فيبدو أنها وسائل لتأمين حاجات الحياة الضرورية للبقاء ، فلا يصح جعل إشباعها هدفاً للحياة. لأنها حاصلة بالضرورة ، مما جعل التربية القرآنية تسعى للتوفيق بين هذه الفطرة وتلك الغرائز باعتدال ، حيث أمر بتلبية نداءات الأولى ، لتوقف هذه التلبية على الإرادة والاختيار ، ولم يأمر على هذا المستوى بتلبية نداءات الثانية ، لأن مثل هذا الأمر تحصيل حاصل ، وإنما اقتصر في ذلك على الإباحة ، مرتباً عليها النهي عن الإسراف كقوله تعالى:

- ﴿ وَكُلوا واشْربوا ولا تُسرفوا ، إنَّه لايُحِبُّ المُسرفين ﴾ [الأعراف: ٣١].

ولعل مما يمكن أنْ يقابل بكلمة « الفطرة » مايسمى الآن باسم « الضمير » الذي له وخزات لوم وعتاب على كل تقصير وعثرة ، مع أي كان مهما ظهرت منه من مظاهر الانحراف أو سوء التصرف ، صغيراً أو كبيراً ، فالناس جميعاً يحبون العدل والإنصاف ، والصدق والأمانة والوفاء.. حتى الذين يخالفون هذه المبادئ ، بل حتى عصابات السطو والعدوان ، لايجمع شملهم إلا الإنصاف ، ولايحافظ على سرهم إلا العدل. فأي محاولة من أحدهم لإيثار النفس على الآخر يثير ثائرهم ويفرق بينهم. فلا بد من إنصاف في بذل طاقاتهم لنشاطهم العدواني ، ولابد من عدل في اقتسام ما يستولون عليه ، وإلا شبت بينهم

نار النزاع والشجار ، وفضح بعضهم بعضا- لحسن حظ الأبرياء.

فالفطرة لاتموت ، ولكنها قد تضعف من حيث الفعالية ، إذا تغلبت الغرائز على صاحبها ، ليصبح شبيهاً بالحيوان ، ينجرف مع الشهوات دونما شبع ، قال تعالى:

- ﴿ والَّذين كَفروا يَتمتَّعون ويَأكُلون كما تَأكُلُ الأنعام ، والنارُ مثوىً لهم ﴾ [محمد: ١٢]

وقد أشار القرآن الكريم في موضع آخر إلى أن مجاراة الغرائز بالعمل بمقتضاها المنحرف هو ما يحول دون تلبية الحق الذي تدعو إليه الفطرة. قال تعالى:

- ﴿ وإنْ جادَلوك فقُل الله أعلَمُ بِما تَعمَلون ﴾ [الحج: ٦٨]

فأشار إلى أنهم يجادلون للتوصل إلى ما يسوغ أعمالهم التي يوجهها الهوى والغرائز ، لاطلباً للحق.

ولهذا عني القرآن الكريم بتعريف الإنسان بنفسه وبربه ، حفاظاً على سلامة الفطرة ، مع الاعتدال في تلبية الغرائز - دون أن تكون إحداهما على حساب الأخرى.

وذلك أن القرآن الكريم كما يشير إلى أن النفس بفطرتها ترغب في الخير والاستقامة وأن المطلوب هو تحقيق هذه النزعة الفطرية - فإنه لاينسى جانب النفس السلبي في بعض اتجاهاتها ، وهو جانب الغرائز منها ، التي تنزع إلى « الشح والأنانية » مثلاً. قال تعالى: ﴿ وأحضِرت الأنْفُس الشُّح ﴾ [النساء: ١٢٨].

ورغب القرآن الكريم في مجاهدة ما يظهر من سلبيات هذا الجانب ، ووعد على ذلك بمثل قوله تعالى: ﴿ ومَن يوقَ شُحَّ نَفسه فأولئك همُ المُفلحون ﴾ [الحشر: ٩][(١)].

وحذر من الانصياع للغرائز ، فقال تعالى: ﴿ ذَرْهم يَأكلوا ويَتَمتَّعوا ويُلهِهِمُ الأمَل ، فَسَوف يَعلمون ﴾ [الحجر: ٣].

وأما البرهان على أن النفس فُطرت على حب الخير والاستقامة والأخلاق الحميدة - زيادة على ماسبق - فمنه قول النبي ﷺ: « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه »[(٢)]. ومما يؤيد ذلك في الواقع الملاحظ أن شخصاً ما قد يعترض على مطالبته بالعدل في تعامله مع الآخرين ، ولكن ذلك قد لا يعني إنكاراً منه لوجوب العدل والإنصاف وأن ذلك فضيلة ، وإنما يعترض دفاعاً عن النفس وعما يراه من مصلحته التي

---

(١) والتغابن: ١٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، جنائز ٨٠ و٩٢. ومسلم، قدر ٢٢. والترمذي، قدر ٥.

يُغلِّب جانبها لقصور نظره. كما يمكن أن يكون اعتراضه رد فعل معاكس لنسبة الظلم إليه أوالانحراف عن مبادئ الفضيلة.

كما يلاحظ أن كل فرد عادي ينكر على من يخرق النظام أو يخالف مبادئ الإنسانية وقواعد العدالة - بغض النظر عن كون هذا المنكر ملتزماً بذلك عملياً أم لا.

وكذلك كل الدول على تنوع أنظمتها واختلاف مبادئها العقائدية والفلسفية تنادي بالعدالة الاجتماعية، ولها قصر العدل لملاحقة من يشذ حيناً عن مبادئها أو يخرق نظامها أو ينتهك حرماتها.. بغض النظر عن كون بعض هذه الدول عادلة وإنسانية أم لا: كونها تسعى لخير الإنسانية أو لدمارها لتبني ذاتها على أنقاض ضحاياها.

فهذه النزعة النظرية - على أقل تقدير - إنما تشير إلى أن الإنسان لايحب إلا الخير، غير أنه لقصور نظره قد يرى الشر خيراً والخير شراً..

ولهذا لاسبيل للرشد والتوفيق إلى تحقيق مقتضى الفطرة مع مراعاة الحاجات الغرائزية إلا الرجوع إلى بارىء الفطرة والغرائز، لتحديد ميزان للخير والشر، حتى يكون للعقل بعد ذلك عملية المقارنة والوزن والحساب، لاوظيفة اختراع الميزان الذي إن بني على الخطأ كان كل ما وزن عليه خطأ كذلك، أو يكون للعقل وظيفة البحث عن أفضل الأساليب العملية.

وقد اعتمد القرآن الكريم هذه الفطرة في التربية، وطالب بالتزام مبادئها الكامنة في أعماق الإنسان مشيراً إلى أن مبادىء الفطرة هي التي ترضي الضمير ومشاعر الآخرين، وتحثهم على المعاملة الحسنة مثلاً بمثل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وقولوا للنّاس حُسناً ﴾ [البقرة:٨٣]. ويقول النبي ﷺ: «لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(١). وهذا أدنى درجات ما تدعو إليه الفطرة: أن يسوي الإنسان غيره بنفسه، ويعاملهم كما يحب أن يعاملوه به، فيقابل الإحسان بالإحسان، متسامحاً معهم عند عثراتهم، وثمة درجات أسمى وأعلى، يؤثر الفرد فيها على نفسه، قال تعالى:

- ﴿ ويُؤثِرونَ علىٰ أنْفُسِهم ولَو كانَ بِهم خَصاصَةٌ، ومن يُوقَ شُحَّ نَفْسه فأولٰئك هم المُفلِحون ﴾ [الحشر: ٩]. وهذه مرتبة من الإنسانية والشهامة لاتكاد تتحقق إلا لمن حسن إسلامه وكمل إيمانه. ومثله الذي لايقول لغيره إلا أحسن ما عنده، حيث يقابل الإساءة بالإحسان أوبما هو أحسن، ليقلب بذلك العدو ولياً، والمحارب نصيراً

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، إيمان٧ و١٢. ومسلم، إيمان٧١ و٧٢. والترمذي، قيامة٥٩.

ليس فقط مسالماً.

قال تعالى آمراً بذلك ومشيراً إلى أهمية الصبر في تحقيق مثل هذه الأخلاق:

١ - ﴿ وَقُل لِعبادي يَقولوا الَّتي هِيَ أحْسَن ، إنَّ الشَّيطان يَنزَغ بَينهم ﴾ [الإسراء: ٥٣]

٢ - ﴿ ادْفَع بالَّتي هِيَ أحسَنُ السَّيئة ، نحنُ أعلمُ بما يَصِفون ﴾ [المؤمنون: ٩٦].

٣ - ﴿ ولا تَستَوي الحسنةُ ولا السيِّئة ، ادفَع بالَّتي هيَ أحسَن ، فإذا الَّذي بَينك وبَينهُ عداوةٌ كأنَّه وليٌّ حميم . وما يُلَقّاها إلا الّذين صَبروا وما يُلقاها إلا ذو حَظٍ عَظيم ﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥].

وهذا مبني على خبرة القرآن الكريم المطلقة بذات الصدور ، وبما في أعماق النفوس وما تتطلبه قوانينها السلوكية ، مما يؤكد حاجة النفس إلى الثواب لتقويم سلوكها وعوجها ، حيث يقلب الإحسان إليها عداوتها ولاءً ونصرة. ومن هذا قول النبي ﷺ: « جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها »[1].

وهذا يقرر بوضوح رغبة النفس في الثواب أو الإحسان ، ونفورها من العقاب أو الإساءة إليها بفطرتها ، مما يثير سؤالاً هو: فَلِمَ الحاجة إلى العقاب إذن في ضبط السلوك؟

يبدو أنه لما كانت النفس بفطرتها تحب الخير الذي منه العدلُ والإنصاف كان من اللازم أن تقبل مقتضى العدل: بأن لا يحوز الثواب إلا محسن ، ولايُعاقَب إلا مسيء ، والعقل يقبل ذلك ، إلا أنه لما كان الإنسان قاصر النظر عن رؤية كل وجوه الخير كان من المقبول تقرير العقاب على من قد يصر على رأي خاطىء أو عمل ضار. . لكن مع تأكيد التقيد بقواعد العدل في العقاب نفسه ، بحيث لا يتجاوز قدر الضرورة ، ومع الترغيب في الإحسان بالعفو والصفح. . وذلك ليبقى العقاب وقائياً في معظمه ، لايقع إلا نادراً. ومن ذلك فتح أبواب للرجوع عن الخطأ والعمل الضار للسلامة من العقاب عليه. . مراعاة لكراهة النفس هذا الأسلوب السلبي.

وقد قرره القرآن الكريم ، حيث قرن الأمر بالعدل مع الأمر بالإحسان الذي يتضمن العفو والإغضاء. . كما يتضمن بذل الخير بصورة مطلقة لا لمجرد الإثابة على الحسنات. أمر بهما جميعاً تخفيفاً من قسوة العدل المحتملة أحياناً ، وتوسيعاً لدائرة بذل الخير.

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية، وابن حبان في روضة العقلاء، والخطيب وآخرون عن الأعمش، ورواه البيهقي في شعبه عن ابن مسعود موقوفاً - ذكر ذلك كله العجلوني في كشف الخفاء ١/ ٣٣٠

قال تعالى مشيراً إلى أضداد مفاهيم العدل:
- ﴿ إنّ الله يَأمُر بالعَدل والإحْسان وإيتاءِ ذي القُربى ويَنهىٰ عن الفَحشاءِ والمُنكرِ والبَغي ، يَعِظُكم لعلّكم تَذَكّرون ﴾ [النحل: ٩٠] .
كما أجاز رد السيئة بمثلها مرغباً في الصبر والإحسان بالعفو ، قال تعالى:
- ﴿ وإنْ عاقَبْتم فعاقِبوا بِمِثْلِ ما عوقِبْتم بِه ، ولَئِن صَبرتُم لهو خير للصابِرين ﴾ [النحل: ١٢٦] .
ويلاحظ أن تحقيق المثلية في ذلك ليس بأمر هين ، كما يشير إليه ترجيح الآية جانب العفو ، ولأن العفو بعد ثبات الحق والقدرة على استرداده ، يجعل المسيء يفكر ويعيد النظر في علاقته مع خصمه عادة.
ولعل من أروع ما يجيز العقاب في مثل هذه الحالة مع مراعاة مشاعر طرفي النزاع قوله تعالى: ﴿ ومَنْ عاقَبَ بِمِثل ما عوقِبَ به ، ثمَّ بُغِيَ عليه ، لَيَنْصُرَنه الله ، إنَّ الله لَعفوٌ غَفور ﴾ [الحج: ٦٠] ، حيث اشترط المثلية مشيراً إلى ضرورة كون العدوان بغياً ، فيه الإصرار على قصد الإيذاء - وهذا لصالح المعتدي - ولكن الآية قوّت جانبَ المعتدىٰ عليه بأن الله ينصره ، ثم أشارت الآية بعد ذلك إلى أن العفو أفضل ، حيث ذكرت صاحبَ الحق بأنه تعالى ﴿ عَفوٌ غَفور ﴾ ترغيباً في العفو الذي يثاب عليه الفرد بالمغفرة - دون تصريح بشيء من ذلك ، وإنما من باب التوجيه غير المباشر.
وهذا كله لكراهة النفس للعقاب ، وإشارة إلى أن الحكمة من تقريره في القرآن الكريم ، إنما هو من باب الاحتياط لصيانة الحقوق والحرمات ، لا لأنه يساوي الثواب في الفعالية وتقويم السلوك ، الأمر الذي يتفق مع وجهة نظر علماء التربية.
والظاهر أن كراهة النفس للعقاب ليس أمراً سلبياً ، لأنها لاتكرهه لما فيه من ألم مباشر ، وإنما لكونه جزاء على سيئة ، والإساءة من الظلم الذي يناقض العدل ، كما أنها تكره ذلك لأنه يؤكد نسبة الظلم إلى المعاقب ، ويشهره. وفي ذلك ألم نفسي غير مباشر ، ولكنه قد يكون أشد وقعاً من الألم المباشر.
ولهذا تميل النفس إلى أن يحسن إليها في حال اقترافها بعض الصغائر من السيئات ، وأن لا تضخم السيئة الصغيرة بالعقاب - وإنما يتلطف بها في ذلك ، بحيث يكتفى بأدنى ما يمكن أن يحقق الغاية دونما زيادة.
وفي مثل هذه الحالة قد يجدي التعريض أو التوجيه السري أكثر من التصريح أو التوجيه العلني. . بينما التعريض قد لايجدي في الكبائر الظاهرة ، بل قد يزيد النفس تعقيداً ، إذ التعريض ينبغي أن لايتجاوز الفرد الموجه إليه ، وذلك عندما تكون السيئة

صغيرة أو خفية على الأقل.

ومن هنا يمكن القول: إن ألم العقاب يخف كلما كانت السيئة كبيرة في نظر الفرد المعاقَب نفسه، لأن ألم النفس الناتج عن تأنيب الضمير ووخزات لومه على الكبيرة يكون شديداً يحتاج إلى ما يستره - ما دامت الفطرة سليمة.

ويدل على ذلك أن بعض المقترفين لهذه الكبائر يقدمون أنفسهم للعدالة، ولاسيما عند تشبُّع الفطرة بالوازع الديني.

وبالمقابل تكون رغبة النفس في الثواب ناتجة - على ما يظهر - عن اقتران الثواب بنسبة العدل والخير إلى الفرد المثاب أكثر من كونها ناتجة عن حيازته المنفعة المتمثلة في الثواب نفسه، بدليل فرح الإنسان بالمعززات الرمزية التي ليس لها أي منفعة مادية مباشرة.

والخلاصة أن الفطرة الإنسانية تعرف الخير وتميل إليه، وتعرف الشر وتنكره، وإنما المهم هو إخراج هذه الحقيقة النظرية إلى الواقع العملي عن طريق التربية والتوجيه.

وكثيراً ما يقتصر القرآن الكريم على كلمتي «المعروف والمنكر» في التوجيه، لما فيهما من شمول أو إشارة إلى ما هو «معروف أو منكر» فطرة وشرعاً. فقد وردت كلمة «المعروف» في القرآن الكريم ٣٩ مرة، وكلمة «المنكر» ١٦ مرة[١]. ومن المواضع التي وردتا فيها معاً قوله تعالى: ﴿كُنتُم خَيرَ أمَّة أُخرِجَت للنّاس، تَأمُرون بالَمعروفِ وتَنْهونَ عن الُمنكر، وتُؤمنون بالله..﴾ [آل عمران: ١١٠]

كما أن من اللازم الرجوع إلى الشارع لتحديد ميزان للخير والشر، ثم الاستعانة بالعقل في التمييز بين نداءات الهوى وإيحاءات الفطرة، توقياً من الالتباس بينهما، لأن معرفة الفطرة للخير والشر قد يطغى عليها الهوى وشهوات النفس. وأن اعتماد التربية القرآنية على الفطرة أمر ظاهر وفعال، بما في ذلك استخدام الثواب والعقاب في توجيهها وتقويم سلوك الإنسان.

ولعل في هذا ما يكفي مسوغاً للقرآن الكريم في توافر الترغيب والترهيب فيه - لينتقل البحث بعده إلى بيان أنواع هذه الأساليب التربوية في القرآن الكريم ومنهجه فيها، مع الإشارة إلى ميزات هذا المنهج التربوي القرآني في ضوء أساليب ضبط السلوك المعاصرة.

* * * * *

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن: عبد الباقي ص٤٥٨ و٧١٩.

الباب الثالث

أنواع أساليب ضبط السلوك وأسسها في القرآن الكريم

وتحته ثلاثة فصول

- تصنيف أساليب ضبط السلوك القرآنية في ضوء الأساليب المعاصرة .

- أسس أساليب ضبط السلوك في القرآن الكريم .

- المعالجات الإحصائية والنتائج .

الفصل الأول

تصنيف أساليب ضبط السلوك القرآنية في ضوء الأساليب المعاصرة

التمهيـد

يحتوي القرآن الكريم - بسمته الشمولية والعالمية - على عدد من أساليب ضبط السلوك، يختص ببعضها ويتفق ببعضها الآخر مع مفهوم أساليب التشويق والتعزيز بالمعنى المعاصر، أو في معظم جوانبها.

ويمكن تصنيف هذه الأساليب القرآنية إلى أربعة أنواع رئيسية، هي:

النوع الأول: - حث وتعليقات (ترغيب في صفات أو أعمال معينة وتعقيب على ما تم القيام به منها).

النوع الثاني: - قواعد أو مبادئ موضوعية (إيجابية وسلبية تفيد حتمية الجزاء على العمل).

النوع الثالث: - تصوير لمشاهد مثيرة (أحوال ما بعدُ الموت، ترغيباً أو تحذيراً).

النوع الرابع: - قواعد جزائية محددة (وتمثل القانون الجزائي في القرآن الكريم).

هذا ونسبة النوع الأخير أقل من غيره، كما أن نسبة النوعين: الثاني والثالث عالية جداً في القرآن الكريم، بل يشغلان معظم حيز الترغيب والترهيب فيه.

ولعل ذلك هو ما دعا علماء الإسلام إلى تسمية ما في القرآن الكريم من أساليب لضبط السلوك باسم « الترغيب والترهيب » كما سبق ذلك مثلاً في التعريفات.

بينما يسمي المعاصرون أساليبهم في ذلك بمصطلح « التشويق والتعزيز » لغلبة الفورية فيها، بل فوريتها هي الأصل، لتقيدها بفترة التعلم، بحيث لايتجاوزها إلا الأهداف التعلمية باعتبارها حوافز - أو على الأقل ينبغي أن تكون هي الحافز الحقيقي على التعلم، وذلك أن « الأهداف والنوايا حوافز قوية، لاسيما إذا كانت على صلة وثيقة بحاجات الفرد، وكانت نتائجها ذات قيمة بالنسبة إليه »[١].

وفيما يلي معالجة لكل نوع من هذه الأنواع الأربعة مع التركيز على ضرب الأمثلة.

النوع الأول: الترغيب والترهيب عن طريق الحث والتعليق:

« بمعنى التشويق والتعزيز في نظريات التعلم المعاصرة ».

---

(١) التعلم ونظرياته: عاقل، د. فاخر ص٢١-٢٢.

وهذا النوع أقرب إلى المفهوم المعاصر للتشويق والتعزيز، لما يشمله من الحث على صفات خلقية أو أعمال تطبيقية.. ولما فيه من التعليقات الإيجابية أو السلبية على ما تم القيام به من ذلك، مثل الثناء على من صدق في القتال، وذم من تخلف بلا عذر. وقد لايكون التطابق كاملاً بينه وبين المفهوم الحديث، ولكنه معقول إلى حد كبير، بحيث يمكن تفسير ما يظهر بينهما من فروق في بعض الجوانب.

١ - التشويق/التحذير أو التنفير.

بالإضافة إلى ما في نظم القرآن الكريم وأسلوبه من تشويق، وإلى استعماله النداء التحببي.. فإنه قد سلك جملة من أساليب التشويق الأخرى، ومن أبرزها: تعليق الثواب على شرط يطلب القيام به، وختم الطلب ببعض أسماء الله تعالى على صورة قانون ثابت، وتعليل الطلب بما يهم الفرد، وترتيب الطلب على قصة مثيرة وجذابة من حيث العاقبة، أو تعقيبها بقاعدة جزائية، والإيحاء بالطلب بذكر مزايا موضوعه، أو تمهيده بعرض الثواب بصورة استفهام.. وضرب الأمثلة لمضاعفة الأجر والثواب، والتذكير بالنعم المجردة على الإنسان (وهي التي يتنعم بها دون أن يكون له كسب في توفيرها).. وغير ذلك مما يحفز على التعلم والعمل.

آ - تعليق الثواب على شرط:

قد يعد هذا من نوع التعزيز المؤجل. ولكن سبقت الإشارة إلى وجود فرق ما بين تأجيل المعزز وبين تعليقه على شرط، حيث يعني تأجيله أن السلوك حدث وتم الوعد عليه بالثواب، وحصل بذلك تعزيز السلوك، لشعور الفرد بالسرور الناتج عن اطمئنانه إلى ثبوت ثوابه، بينما يعني تعليقه على شرط: إثارة طمع الفرد وتشويقه إلى القيام بسلوك معين، وليس في هذا تأجيل للمعزز، إذ لم يثبت للفرد بعد، إلا أنه يمكنه تحقيق ذلك في أقرب وقت ممكن، مما يشوقه إلى المبادرة، في حين أن الأول يشوقه إلى التكرار للحصول على ثواب آخر.

ومن أمثلة تعليق الثواب على شرط قوله تعالى:

١ - ﴿ وإنْ تُؤمنوا وتتَّقوا فَلَكم أجرٌ عَظيم ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

٢ - ﴿ وما تُقَدِّموا لأنفُسكم مِن خَيرٍ تَجدوه عِندَ الله هُوَ خَيراً وأعظَمَ أجراً ﴾ [المزمل: ٢٠]. وكثيراً ما يأتي مقترناً بالتحذير أو التنفير من النقيض، مثل قوله تعالى:

٣ - ﴿ لَئِن شَكرتُم لَأزيدنَّكم/ ولَئِن كَفَرتم إنَّ عَذابي لَشديد ﴾ [إبراهيم: ٧]

٤ - ﴿ إنْ أحْسنتُم أحْسنتُم لأنفُسكم/ وإنْ أسَأتم فَلَها ﴾ [الإسراء: ٧].

ب - **ختم الطلب ببعض أسماء الله تعالى بصورة قانون ثابت**: كقوله تعالى:

١ - ﴿ فَسبِّح بِحَمد ربِّك واستَغفِره إنَّه كان توّاباً ﴾ [النصر: ٣]

٢ - ﴿ ثُمَّ أفيضوا مِن حَيثُ أفاضَ النّاس واستَغفروا الله إنَّ الله غفورٌ رَحيم ﴾ [البقرة: ١٩٩]

وبالمقابل قد يختم الطلب بما يحذر من النقيض، مثل قوله تعالى:

٣ - ﴿ واتَّقوا الله واعلَموا أنَّ الله شَديدُ العِقاب ﴾ [البقرة: ١٩٦]. وقد يجتمعان، كقوله تعالى:

٤ - ﴿ اعلَموا أنَّ الله شَديدُ العقاب وأنَّ الله غَفورٌ رحيم ﴾ [المائدة: ٩٨].

ج - **تعليل الطلب أو موضوعه بما يهم الفرد**، مثل قوله تعالى:

١ - ﴿ يـاأيُّها الَّذين آمَنوا استَجيبوا لله وللرَّسول إذا دَعاكُم لما يُحييكُم ﴾ [الأنفال: ٢٤]. حيث اجتمع فيه التشويق بالنداء التحببي، مع بيان أن المدعو إليه سبب للحياة.

ومن ذلك التشويق ببيان علل الأحكام وغايات العبادات، كقوله تعالى:

٢ - ﴿ وَأقِم الصَّلاة إنَّ الصلاةَ تَنْهىٰ عن الفَحشاءِ والمُنْكر ولَذِكْرُ الله أكْبر ﴾ [العنكبوت: ٤٥]

٣ - ﴿ خُذْ مِن أموالِهم صَدَقةً تُطهرُهم وتُزَكّيهم بِها وصَلِّ عَليهم إنَّ صلاتَك سَكَنٌ لهم ﴾ [التوبة: ١٠٣]. ومثله قوله تعالى في تحريم الخمر، مشيراً إلى علته:

٤ - ﴿ يـاأيُّها الَّذين آمَنوا إنَّما الخَمرُ والمَيسِر والأنْصابُ والأزْلامُ رِجْسٌ مِن عَمَلِ الشَّيطان فَاجْتَنِبوه لعلَّكم تُفلِحون * إنَّما يُريدُ الشَّيطانُ أنْ يُوقِعَ بَينَكم العَداوةَ والبَغضاءَ في الخَمرِ والمَيْسر ويَصُدَّكم عَن ذِكْرِ الله وعَن الصَّلاة فَهَل أنْتُم مُنتَهون ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١]، حيث قرن الخمر والمقامرة بالأوثان، ووصف الجميع بأنه رجس.. وعلل ذلك التحريم بما يقع في هذه الأمور من النزاعات والحقد، وما فيها من الالتهاء عن الواجب.

وقد سبق بيان مسارعة الصحابة إلى امتثال هذا الطلب بإراقة الخمر.

د - **ترتيب الطلب على قصة مثيرة** أو تعقيبها بقاعدة جزائية ثابتة:

وهذا من قبيل التوجيه غير المباشر، « الذي يدعو إليه بعض الاتجاهات في التربية

الحديثة »[1] ، لأنه نوع من الإيحاء ذي الأثر الفعال في النفس. حيث يذكر القرآن الكريم شخصيات بارزة في التاريخ البشري تتمثل في الرسل والأنبياء والمصلحين ، ثم يبين ما كانوا عليه من الاستقامة والصلاح ، ثم ما أوصلتهم إليه صفاتهم الحميدة من النتائج الإيجابية ، حثّاً على الاقتداء بهم ، ووعداً للمقتدي بمثل ما وصلوا إليه ، بطريق غير مباشر. بل قد يصرح بذلك ، كما يفعل في طلب الاقتداء بهم ، مثل قوله تعالى بعد سرد عدد منهم:

١ - ﴿ أولئِكَ الَّذين هَدىٰ الله فَبِهُداهم اقْتَدِه ﴾ [الأنعام: ٩٠]

ومن ذلك ثناء الله على نبيه إبراهيم عليه السلام بالطاعة والإخلاص وشكر النعمة ، ثم تعقيب ذلك بالأمر باتباع ملته ، قال تعالى:

٢ - ﴿ اجْتَباهُ وهَداه إلى صِراطٍ مُستقيم * وآتَيناه في الدُّنيا حَسَنةً وإنَّه في الآخِرَة لَمنَ الصّالحين * ثُمَّ أوْحَينا إلَيكَ أن اتبِعْ ملَّة إبْراهيم حَنيفاً وَما كانَ مِن المُشركين ﴾ [النحل: ١٢١-١٢٣]

وأما ما ورد في هذا تلميحاً فكثير ، مثل التعقيب بذكر أهل الحق والصلاح ببيان خاتمتهم والثناء عليهم ، وما لهم من مقام عند الله كقوله تعالى:

٣ - ﴿ واذْكُر عَبْدنا داوُد ذا الأيْد إنَّه أوّاب. .إلى. . وإنَّ لَه عِنْدَنا لـزُلفىٰ وحُسنَ مآب ﴾ [ص: ١٧-٢٥].

٤ - ﴿ واذْكُر عِبادَنا إبْراهيمَ وإسْحاقَ ويَعقوبَ أولي الأيْدي والأبْصار. .إلى. . وإنَّهم عِندَنا لَمنَ المُصطَفيْن الأخْيار ﴾ [ص: ٤٥-٤٧].

وقد يختم هذا الثناء بقاعدة ثابتة ، حثّاً على الاقتداء ، مثل قوله تعالى:

٥ - ﴿ سَلامٌ علىٰ نوحٍ في العالَمين.إنّا كذلِكَ نَجزي المُحسنين ﴾ [الصافات: ٧٩-٨٠] ، وتكرر مثله مع عدد من الرسل. وقد يكون التعقيب بعد قصة منفرة ، حثّاً على اجتناب سيرة شخصيتها ، كقوله تعالى عقب قصص لمن عارضوا الرسل فهلكوا:

٦ - ﴿ وكذلكَ أخْذُ رَبِّك إذا أخَذَ القُرىٰ وهي ظالِمة إنَّ أخْذَهُ أليمٌ شَديد ﴾ [هود: ١٠٢].

هـ - الإيحاء بالطلب بذكر مزايا موضوعه:

ويكون ذلك تشويقاً إلى الطاعة والالتزام ، كقوله تعالى في حق الرسول ﷺ ثم في حق

---

(١) التوجيه والإرشاد النفسي: زهران ص٣١٣-٣١٩.

القرآن الكريم ، على الترتيب:
١ - ﴿ لَقد جاءَكم رَسولٌ مِن أنْفُسكم عَزيزٌ عَليه ما عَنِتُّم حريصٌ عَليكم بـالْمؤمِنينَ رؤوفٌ رَحيم ﴾ [التوبة: ١٢٨]
٢ - ﴿ قَد جاءَكم مِن الله نورٌ وكتابٌ مُبينٌ.يَهدي به الله مَن اتَّبع رِضوانَه سُبُلَ السَّلام ويُخرِجُهم مِن الظُّلماتِ إلى النُّور بإذْنِه ويَهديهم إلى صِراطٍ مُستَقيم ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].
٣ - ومن هـذا الأخير قـوله تعـالى: ﴿ ذٰلكَ الكتـابُ لاريْبَ فيـه هُـدىً للمُتَّقيـن ﴾ [البقرة: ٢]

و - تمهيد الطلب أو تعقيبه بعرض الثواب:

كأن يكون ذلك على صورة استفهام مراداً به الترغيب ، مثل قوله تعالى:
١ - ﴿ يـاأيُّها الَّـذين آمَنوا هَـل أدُلُّكم على تِجـارةٍ تُنجيكُم مِن عَذابٍ أليم.تُؤمِنـون بالله ورسولِه وَتُجاهِدون في سَبيلِ الله بِأَموالِكُم وأنْفُسكم ذٰلكم خَيرٌ لَكم إنْ كُنْتُم تَعلَمون ﴾ [الصف: ١٠]. ومن ذلك قوله تعالى بعد النهي عن إمساك الفضل من المال عن المحتاجين حتى في حال إساءتهم إلى صاحب الفضل:
٢ - ﴿ ولْيَعفـوا ولْيَصفَحـوا ألا تُحبّـون أنْ يَغفـرَ الله لَكُم والله غـفــورٌ رَحيـم ﴾ [النور: ٢٢] ، فاجتمع فيه مشوقان: عرض المغفرة ، وتأكيد ذلك بأن الله غفور رحيم.

ز - ضرب الأمثلة لمضاعفة الأجر والثواب:

وذلك أن «من أغراض التمثيل في القرآن الكريم إثارة محور الطمع والرغبة ، أو محور الخـوف والحذر لـدى المخاطب. .»[١] ، كـما هي الحال في آيـات الإنفاق ، أو تمثيـل عمل الكافر بالسراب. قال تعالى:
١ - ﴿ مَثَل الَّذين يُنفِقون أمْوالَهم في سَبيلِ الله كَمَثَل حبَّةٍ أنْبَتت سَبعَ سَنابِلَ في كلِّ سُنبُلةٍ مِئة حبَّةٍ والله يُضاعِفُ لِمن يَشاء والله واسعٌ عَليم ﴾ [البقرة: ٢٦١].
٢ - ﴿ والَّذين كفَروا أعْمالُهم كَسَرابٍ بِقيعَةٍ يَحسَبُه الظَّمآنُ ماءً حتىٰ إذا جاءَه لَمْ يَجدْه شَيئاً وَوَجد الله عِنده فَوفّاه حِسابَه والله سَريعُ الحِساب ﴾ [النور: ٣٩].

ح - التذكير بالنعم المجردة « تشويقاً إلى الطاعة »:

وهي كما سبق ما يتمتع به الإنسان مما لاعلاقة له بالجزاء ، كتسخير الكون: السمٰوات والأرض وما فيها مما لايحصى. وذلك مثل قوله تعالى:

---

(١) الأمثال القرآنية: الميداني ص٦١-٦٣.

١ - ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهرةً وباطنة . . ﴾ [لقمان : ٢٠] .

٢ - ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يس : ٧١-٧٣] . وآخر الآية الأخيرة تشير بوضوح إلى أن التذكير بهذه النعم إنما هو تشويق إلى شكر المنعم بها. وقد استنكر القرآن الكريم الكفران مع توافر موجب الشكر ، قال تعالى :

٣ - ﴿ قُتِلَ الإنسانُ ما أَكْفَره * مِن أيِّ شيءٍ خَلَقه * مِن نُطفةٍ خلقه فَقَدَّره * ثمَّ السَّبيل يَسَّره ﴾ [عبس : ١٧-٢٠] .

وأكثر منه تفصيلاً وشمولاً قوله تعالى مع إثارة الفكر والعقل عدة مرات .

٤ - ﴿ خلقَ الإنسان من نُطفةٍ فإذا هوَ خَصيمٌ مبين * والأنعامَ خَلقها لكم فيها دفءٌ ومنافِعُ ومنها تأكُلون * ولكم فيها جَمالٌ حينَ تُريحونَ وحينَ تسرحون * وتَحملُ أثْقالَكم إلى بَلدٍ لَم تَكونوا بالِغيهِ إلا بِشِقِّ الأنْفُس إنَّ ربَّكم لَرؤوفٌ رحيم * والخَيلَ والبِغالَ والحَمير لِتَركَبوها وزينةً ويَخلُقُ مالاتَعلَمون * وعلى الله قَصدُ السَّبيل ومِنها جائِرٌ ولَو شاءَ لَهَداكم أجْمعين * هو الَّذي أنْزَل مِن السَّماء ماءً لَكمْ مِنهُ شَرابٌ ومِنهُ شَجرٌ فيه تُسيمون* يُنبت لَكم بِه الزَّرعَ والزَّيتون والنَّخيلَ والأعْناب ومِن كلِّ الثَّمرات إنَّ في ذٰلِك لآيةً لِقومٍ يَتفكَّرون * وسخَّر لَكم اللَّيل والنَّهارَ والشَّمسَ والقَمرَ والنُّجومُ مسخراتٌ بأمْرِه إنَّ في ذٰلِك لآياتٍ لقومٍ يعقلون * وما ذَرأَ لَكم في الأرضِ مختلفاً ألْوانُه إنَّ في ذٰلِك لآيةً لقومٍ يَذَّكَّرون * وهو الَّذي سخَّر البَحرَ لِتأكلوا مِنه لَحماً طَرِيّاً وتَستَخرِجوا مِنهُ حِليةً تلبَسونها وتَرى الفُلكَ مَواخرَ فيه ولِتَبتَغوا مِن فَضْلِه ولعلَّكم تَشكُرون * وَألقىٰ في الأرضِ رَواسيَ أنْ تَميدَ بِكمْ وأنْهاراً وسُبُلاً لعلَّكُم تَهتَدون * وعَلاماتٍ وبالنَّجمِ هم يَهتَدون * أفَمَن يَخلُق كَمَن لايَخلُق أفلا تَذَكَّرون * وإنْ تَعُدّوا نِعمةَ الله لاتُحصوها إنَّ الله غَفورٌ رَحيم ﴾ [النحل : ٤-١٨] .

فهذا النص من أجمع الآيات التي تتحدث عن نعم الله التي يتمتع بها الإنسان دون كسب منه أصلاً ، أو بكسب بسيط منه في بعضها ، مما يقتضي دوام الشكر لمن سخرها له. والترغيب واضح عقب كل آية منها.

هذا في الترغيب بمعنى «التشويق» أما الترغيب بمعنى «التعزيز» ففيما يلي أمثلة له :

٢ - التعزيز/العقاب:

والتعزيز بمعناه المعاصر متوافر كذلك في القرآن الكريم، سواء ما كان منه إيجابياً أو سلبي الإجراء، فورياً أو مؤجلاً، كما يقابله العقاب أو التعزيز السلبي.

١ - التعزيز الفوري:

ويأتي على صور متنوعة منها: الإقرار، والثناء، والتذكير بالنعم المرتبطة بالجزاء، ورفع الروح المعنوية بالإشعار بالقوة وبولاء الله مثلاً، وبيان ما في الأمر المباشر من عظيم الأجر والثواب..

آ - الإقرار والثناء/الإبطال والعتاب:

ويأتي التعزيز بالإقرار والثناء مثلاً بالإعلان والتأكيد على أن الفرد محق، وأنه على صواب، أو أنه على صفات حميدة.. مثل قوله تعالى:

١ - ﴿ يسٓ * والقُرآن الحكيم * إنَّك لَمن المُرسَلين * على صِراطٍ مُستقيم ﴾ [يسٓ: ١-٤]

٢ - ﴿ فَتوكَّل على الله إنَّك على الحقِّ المُبين ﴾ [النمل: ٧٩]

٣ - ﴿ كُنتم خَير أمةٍ أُخرِجَت للنّاس تَأمُرون بالَمعروف وتَنْهوْن عَن المُنْكر وَتُؤمِنونَ بالله ﴾ [آل عمران: ١١٠]

٤ - ﴿ وإنَّك لَتهدي إلى صِراطٍ مُستَقيم ﴾ [الشورى: ٥٢]

٥ - ﴿ وإنَّ لكَ لأجْراً غَير ممنون * وإنَّكَ لعلى خُلُقٍ عظيم ﴾ [ن: ٣-٤]

ويقابل التعزيزَ بالإقرار العتابُ بالإبطال، كقوله تعالى في حق من عبدوا الملائكة وغيرهم من دون الله زعماً بأن الله أمرهم بذلك:

١ - ﴿ ولا يَأمُركم أنْ تتَّخذوا المَلائكة والنَّبيِّين أرْباباً أيَأمُركم بالكُفر بعدَ إذْ أنْتُم مُسلمون ﴾ [آل عمران: ٨٠]. ومثله قوله تعالى في حق من حرم ما لم يحرم الله عز وجل:

٢ - ﴿ قُل أرَأيتُم ما أنْزل الله لَكم مِن رِزْقٍ فَجَعلتم مِنه حَراماً وحَلالاً، قُل آلله أذِنَ لكم أم على الله تَفتَرون ﴾ [يونس: ٥٩].

كما يقابل الثناءَ العتابُ، مثل ما حدث «لما ترك بعض رماة المسلمين مواقعهم يوم أحد، ظنّاً منهم أن انتصارهم قد تحقق بانهزام المشركين في أول الأمر. فلما رأى جناح المشركين الاحتياطي أن الرماة قد أخلوا المواقع الخلفية هاجموا المسلمين من ظهورهم، فانعطف المنهزمون محيطين بالمسلمين، مما أدى إلى استشهاد عدد منهم.. فطفق بعضهم

يستغرب هذه الواقعة: كيف أصابهم مثل ذلك»[1]، فقال تعالى مشيراً إلى ما تم لهم من نصر يوم بدر، وإلى سبب هذه الإصابة:

٣ - ﴿ أولما أصابَتكم مُصيبةٌ قَدْ أصَبتُم مِثليها قُلتُم أنّىٰ هذا قُل هُوَ مِن عِند أنْفُسكم ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وقد بين لهم سبب ما أصابهم في موضع آخر بالتفصيل، مشيراً إلى أن النصر كان لهم لولا مخالفتهم الأمر بالثبات على مواقعهم الخلفية ليحموا ظهور المسلمين من خطر كان النبي ﷺ يتوقعه.. قال تعالى يصور ذلك معاتباً مع إعلان العفو عنهم:

٤ - ﴿ وَلقد صَدَقكم الله وَعده إذْ تَحسونَهم بإذْنِه حتىٰ إذا فَشِلتم وتَنازَعتُم في الأمْرِ وَعَصيتُم مِن بَعْدِ ما أراكُم ما تُحبُّون، مِنْكم مَن يُريدُ الدنيا ومِنكُم مَن يُريد الآخرَة ثمَّ صَرفَكم عَنهُم لِيَبتَلِيَكم ولَقد عفا عَنْكم والله ذو فَضْلٍ علىٰ المُؤمنين * إذْ تُصعِدون ولا تَلوونَ علىٰ أحَدٍ والرَّسولُ يَدعوكُم في أُخراكُم فأثابَكم غَمّاً بِغَمٍ لِكيلا تَحزَنوا على ما فاتَكم ولا ماأصابَكم والله خَبيرٌ بما تَعمَلون.. إلى.. قوله تعالى: إنَّ الَّذينَ تَوَلَّوْا مِنكُم يَومَ التقىٰ الجَمعان إنَّما استَزَلَّهم الشَّيطانُ بِبَعض ماكَسَبوا ولقدْ عفا الله عَنْهم إنَّ الله غفورٌ حليم ﴾ [آل عمران: ١٥٢-١٥٥].

وهذه الواقعة تؤكد أن النزاع والخلاف سبب للهزيمة، قال تعالى:

٥ - ﴿ ولاتَنازَعوا فَتفشَلوا وتَذهبَ ريحكم، واصْبِروا إنَّ الله مع الصّابِرين ﴾ [الأنفال: ٤٦]

ب - التذكير بالنعم الجزائية:

والنعم الجزائية هي التي تتم للإنسان بمناسبة عمل أو سلوك يقوم به، بكسبه، كتأليف القلوب بالإسلام، والتأييد والنصر في الجهاد. وذلك «أن ذكرى النصر تثير النشوة والفخار..»[2] مثل قوله تعالى في خصوص بدر:

١ - ﴿ ولقدْ نَصَركُم الله بِبَدرٍ وأنْتُم أذِلَّةٌ فاتَّقوا الله لعلَّكم تَشكُرون ﴾ [آل عمران: ١٢٣]. وقد ذكر الله تعالى بعد هذه الآية إمدادهم بالملائكة معللاً ذلك بطمأنتهم أي المسلمين بهزيمة أهل الشرك، التي عبر عنها تعالى قائلاً:

٢ - ﴿ لِيَقطعَ طَرَفاً مِن الَّذين كَفَروا أو يَكبِتَهُم فَينقَلِبوا خائِبين ﴾

---

(١) السيرة النبوية: ابن هشام ٣/١٠٧-١٠٨، والقرطبي ٤/٢٦٤-٢٦٥.

(٢) في ظلال القرآن: قطب، سيد ٤/٢٦.

[آل عمران: ١٢٧]. ويلاحظ أن التعزيز في الآيتين من نوع التعزيز الفوري سلبي الإجراء، إلا أن الآية الثانية صريحة في العقاب الإيجابي بالنسبة لطرف العدو.

هذا ومن قبيل التعزيز سلبي الإجراء أيضاً قوله تعالى يَمُنُّ على المؤمنين بالتأليف والإنقاذ من النار بعد التباغض والإشراف على الهلاك:

٣ - ﴿ واذْكروا نِعمَة الله عَليكم إذْ كُنتُم أعْداءً فألَّفَ بَين قُلوبِكم فَأصبَحتُم بِنعمَته إخْواناً وَكُنتم عَلى شَفا حُفرةٍ مِن النّار فأنقَذَكُم مِنها كذٰلك يُبيِنُ الله لَكُم آياتِه لعلَّكم تَهتدون ﴾ [آل عمران: ١٠٣]

ج - رفع الروح المعنوية:

ويتمثل ذلك بإشعار المسلمين بقوة الركن، وبولاء الله بالنصر والتأييد، مما يجعل هذا قريباً مما قبله، مثل قوله تعالى يشجع المؤمنين على المصابرة:

١ - ﴿ فلا تَهِنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعْلَون والله معكم ولن يَتِرَكم أعمالكم ﴾ [محمد: ٣٥]

٢ - ﴿ إنّما وَليُّكم الله ورَسولُه والَّذين آمَنوا. إلى.. ومَن يَتولَّ الله ورَسولَه والَّذين آمَنوا فإنَّ حِزْبَ الله هم الغالِبون ﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦].

وقد يقابَل مثل هذا التعزيز بعقاب سلبي مثلاً للعدو كقوله تعالى:

٣ - ﴿ ذٰلك بأنَّ الله مولى الَّذين آمَنوا وأنَّ الكافِرين لامَوْلى لهم ﴾ [محمد: ١١].

والجدير بالذكر هنا أن معظم أنواع التعزيز الفوري إنما هو في خصوص الجهاد. ولعل السبب هو أن ذلك كان أبرز الأنشطة الميدانية في صدر الإسلام، أو على الأقل كان من أبرزها.

د - بيان ما في الأمر المباشر من أجر وثواب (وأمثلته كثيرة)

ويعد هذا من التعزيز غير المؤجل لشروع الفرد فيه، حيث يأتي بيان فضل ما شرع فيه تشجيعاً على الاستمرار، مثل ما وقع في غزوة تبوك[1]، حيث عزز الله المسلمين الذين شاركوا فيها، وعاتب من تخلف منهم، ثم أعلن فيها بعد عفوه عنهم وتوبته عليهم [التوبة: ١١٧-١١٨] ورتب على ذلك بيان فضل الجهاد والإنفاق فيه، فقال تعالى:

١ - ﴿ .. ذلك بأنَّهم لايُصيبُهم ظمأٌ ولا نَصَبٌ ولا مَخمَصةٌ في سبيلِ الله، ولايطؤونَ مَوْطِئاً يَغيظُ الكفّار، ولا يَنالون مِن عَدوٍ نَيْلاً إلا كُتِب لهم بِه عَملٌ صالحٌ

---

(١) حياة الصحابة: الكاندهلوي ٦١٨/١.

إنَّ اللهَ لايُضيعُ أجرَ المُحسنين * ولايُنفِقون نَفقةً صَغيرةً ولاكَبيرةً ولايَقْطَعون وادِياً إلا كُتِب لهم لِيَجزِيَهم اللهُ أحسنَ ما كانوا يَعمَلون ﴾ [التوبة: ١٢٠-١٢١]

«وقد ورد أنهم استجابوا لهذا الأمر، فهبوا جميعاً في الغزوة التي تلت هذا البيان، فردهم الله إلى الاعتدال»[1] حيث قال تعالى مشيراً إلى أهمية التفقه في الدين:

٢ - ﴿ وما كانَ المُؤمنونَ لِيَنفروا كافَّةً، فَلولا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرقةٍ مِنهم طائفَةٌ لِيَتفقَّهوا في الدِّينِ ولِيُنذِروا قَومَهم إذا رَجعوا إلَيهِم لعلَّهم يَحذَرون ﴾ [التوبة: ١٢٢].

ومن قبيل التعزيز ببيان فضل ما هو مشروع فيه، قوله تعالى:

٣ - ﴿ وَلَئِن قُتِلتُم في سَبيلِ اللهِ أو مُتُّم لَمغفِرةٌ مِن اللهِ ورَحمةٌ خيرٌ مِّما يجمَعون ﴾ [آل عمران: ١٥٧]

٤ - ﴿ ولاتَحسَبنَّ الَّذين قُتِلوا في سَبيلِ اللهِ أمْواتاً بَل أحياءٌ عندَ ربِّهم يُرزَقون * فَرِحين بِما آتاهُم اللهُ مِن فَضْله ويَستبشِرون بالَّذين لم يَلحَقوا بهم مِن خَلفهم ألَّا خَوفٌ عَليهم ولاهُم يَحزنون * يَستبشِرون بِنعمةٍ من اللهِ وفَضلٍ وأنَّ اللهَ لايُضيعُ أجْرَ المُؤمنين ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١]

ومن ذلك أيضاً بيان استواء الطرفين في الشعور بالألم مع رجاء أهل الإيمان إحدى الحسنيين: النصر مع الغنيمة، أو الفوز بالشهادة، قال تعالى:

٥ - ﴿ قُل هل تَرَبَّصون بِنا إلَّا إحْدىٰ الحُسنَيَيْنْ ونَحن نَتربصُ بِكم أنْ يُصيبَكم اللهُ بِعذابٍ مِنْ عنْده أو بِأيدينا فَترَبَّصوا إنَّا مَعكُم مُترَبِّصون ﴾ [التوبة: ٥٢]

٦ - ﴿ ولاتَهنوا في ابْتِغاءِ القَوْمِ إنْ تكونوا تَألمون فإنَّهم يَألمون كَما تَألمون وتَرْجون مِن اللهِ مالا يَرجون وكان اللهُ عَليماً حَكيماً ﴾ [النساء: ١٠٤]، وكانت الآية الأخيرة لإظهار تجلدهم أمام العدو على الرغم مما أصابهم من القرح في أُحُد، وقد امتثلوا الأمر فوراً، فلاحقوا العدو الذي كان يساوره أن يعود عقب الغزوة للقضاء عليهم، فلما أحس بملاحقتهم له قرر الرحيل إلى مكة، إذ ذعر بعزم المسلمين على المواجهة عقب تلك الواقعة.. فعزز القرآن الكريم تلك الاستجابة منهم، فقال تعالى:

٧ - ﴿ الَّذين استجابوا للهِ والرَّسول مِن بَعد ما أصابَهم القَرح، لِلَّذين أحْسَنوا مِنهم واتَّقوا أجرٌ عَظيم ﴾ [آل عمران: ١٧٢]. وهذا يجمع بين الفورية والتأجيل، لأنه تعليق على استجابة حديثة الوقوع، مع الوعد بالأجر العظيم.

---

(١) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ٢/ ٤٠٠.

٢ - التعزيز المؤجل:

ويأتي هذا كذلك على صور مختلفة ، منها: الوعد بالحفظ والرعاية أو بالنصر والاستخلاف ، والوعد بالرضا المطلق. ومن ذلك أيضاً ما يتصل بالآخرة إلا أن ضمير الخطاب بارز فيه..

آ - الوعد بالحفظ والرعاية:

وهذا يظهر من أهم مايرفع الروح المعنوية لدى الفرد ، إلا أنه يأتي غالباً وعداً أو على الأقل مستمراً إلى المستقبل ، مثل قوله تعالى للنبي ﷺ:

١-٢ - ﴿ والله يَعصِمكَ مِن النّاس﴾ [المائدة: ٦٧] ومثله قوله تعالى: ﴿ فَسَيَكفيكَهُم الله وهو السَّميع العَليم ﴾ [البقرة: ١٣٧]

ومن مواقفه التي تبرهن على ثقته بهذا الوعد بالحفظ موقفه مع قريش لما لحقت به في بدء هجرته ، حيث وصلوا إلى باب الغار الذي كان فيه هو وصاحبه الصديق الذي خاف عليه ، فطمأنه بأن لايخاف فإن الله معهما ، قال تعالى يصور ذلك:

٣ - ﴿ إلا تَنصرُوه فقَد نَصرَه الله إذْ أخرجَه الَّذين كَفروا ثانيَ اثنَين إذْ هما في الغار إذْ يَقولُ لصاحِبِه لاتَحزَن إنَّ الله مَعنا فَأنْزَل الله سَكينَتَه عليه.. ﴾ [التوبة: ٤٠] ، وكذلك وعد الله له بإتمام دينه ، مهما كره المعارضون ، قال تعالى:

٤ - ﴿ يُريدونَ لِيُطفِئوا نورَ الله بأفواهِهم والله مُتِمُّ نورِه ولَو كَرِهَ الكافِرون * هُوَ الَّذي أرْسلَ رَسولَه بالهُدَى ودينِ الحَقِّ لِيُظهِرَه علَى الدّينِ كلِّه ولَو كَرِهَ المُشركون ﴾ [الصف: ٨-٩]

ولعل من أبرز المواقف التي وقفها النبي ﷺ ثقة منه بهذا الوعد ، موقفه مرة أخرى مع قريش ، لما عرضوا عليه المال والملك والجاه على أن يدعهم وشأنهم ولا يتعرض لأصنامهم ، متوسلين إليه بعمه أبي طالب ، فردهم قائلاً: «والله ياعم ، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ، ماتركته حتى يُظهره الله أو أهلك دونه..»[1]. موقف حاسم لم يسع أبا طالب إلا موافقته عليه واستمراره في حمايته ، إنه موقف يذكر بموقف نبي الله موسى عليه السلام لما لحق به فرعون وجنوده على شاطىء البحر ، حيث خاف قومه ، فطمأنهم ثقة منه بوعد الله له ، عندما قال تعالى له ولأخيه

---

(١) السيرة النبوية: ابن هشام ١/ ٢٨٥

هارون: ﴿ لاتَخافا إنَّني مَعَكُما أسْمَعُ وأرى ﴾ [طه: ٤٦]. وقال تعالى لهما كذلك:

٥ - ﴿ فلا يَصِلون إلَيكُما بآياتِنا أنْتُما ومَن اتَّبعكُما الغالِبون ﴾ [القصص: ٣٥].

قال تعالى يصور تمسك نبيه موسى بهذا الوعد وثقته المطلقة به:

٦ - ﴿ فلمّا تَراءى الجَمْعان قالَ أصحابُ موسىٰ إنّا لمدْرَكون * قال كلاّ إنَّ مَعي ربّي سَيَهدين ﴾ [الشعراء: ٦١-٦٢]

ومما يتصل بهذا النوع وعد الله المؤمنين بالنصر والاستخلاف في الأرض.

ب - الوعد بالنصر والاستخلاف:

وقد فعل القرآن الكريم ذلك مشيراً بين الحين والآخر إلى الشروط الواجب توافرها فيهم، وإلى أن توافرها فيهم سبب لولاء الله لهم وإرعاب عدوهم، مؤكداً أن نصر الله للمؤمنين ثابت لايتبدل.. قال تعالى:

١ - ﴿ وَعَدَ الله الَّذين آمَنوا مِنكم وعَملوا الصّالحاتِ لَيستَخْلفنَّهم في الأرض كما استَخْلَفَ الَّذين مِن قَبلِهم ولَيُمكننَّ لهم دينَهم الَّذي ارتَضىٰ لهم ولَيُبَدِّلنَّهم مِن بَعد خَوفِهم أمْناً يَعبُدونَني لايُشركون بي شَيئاً.. ﴾ [النور: ٥٥]

٢ - ﴿ بَل الله مولاكُم وهو خَيرُ النّاصِرين * سَنُلقي في قُلوبِ الَّذين كَفروا الرُّعبَ بما أشركوا بالله ما لم يُنزِّل به سلطاناً ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين ﴾ [آل عمران: ١٥٠-١٥١].

٣ - ﴿ إنْ يَنصُركم الله فلا غالبَ لكم وإنْ يخذلكم فَمن ذا الَّذي يَنصُركم مِن بَعدِه ﴾ [آل عمران: ١٦٠]

٤ - ﴿ وكانَ حَقاً عَلينا نَصرُ المُؤمنين ﴾ [الروم: ٤٧]

وبالمقابل يتوعد القرآن الكريم المعرضين بالهزيمة، كما هي الحال في الآية رقم /٢/ من هذه الطائفة. ومن ذلك أيضاً قوله تعالى بعد أن ذكر شيئاً مما أصاب أمماً سابقة:

٥ - ﴿ قُل للَّذينَ كَفروا ستُغلَبون وتُحشَرون إلى جَهنَّم وبِئسَ المِهاد ﴾ [آل عمران: ١٢]

ج-الوعد بالرضا المطلق:

ومن ذلك قوله تعالى للنبي ﷺ ولغيره ممن أخلص لله تعالى:

١ - ﴿ ولَسوفَ يُعطيكَ ربُّك فَترضىٰ ﴾ [الضحى: ٥]

٢ - ﴿ الَّذي يُؤتي مالَه يَتزكّىٰ * ومالِأحدٍ عِنده مِن نِعمةٍ تُجزىٰ * إلا ابْتِغاءَ وَجهِ ربِّه الأعلىٰ * وَلَسوف يَرضى ﴾ [الليل: ١٨-٢١]

وثمة أمثلة أخرى للتشويق والتعزيز مع تأجيل المعززات، يمكن اعتبارها من هذا النوع الأول، وإن اختلفت عما تم عرضه حتى الآن لشمولها لما بعد الموت بوضوح، إلا أن ضمير الخطاب ظاهر فيها، مما يفيد أنها كانت موجهة بالدرجة الأولى إلى الصدر الأول من الإسلام. وهي مع ذلك صالحة لتشويق أي مخاطب أو تعزيزه.

د- أمثلة أخرى للتشويق والتعزيز مع تأجيل المعزز:

ومن ذلك قوله تعالى في التشويق:

١ - ﴿ ياأيُّها الَّذين آمَنوا اتَّقوا الله وقولوا قَولاً سَديداً . يُصلِح لَكُم أعمالَكم ويَغفِر لكم ذُنوبَكم ومَن يُطع الله ورَسولَه فقد فازَ فَوزاً عَظيماً ﴾ [الأحزاب: ٧٠]

٢ - ﴿ ياأيُّها الَّذين آمَنوا توبوا إلى الله تَوبةً نَصوحاً عَسىٰ ربُّكم أنْ يُكفِّر عَنكم سَيِّئاتِكم ويُدخِلكم جَناتٍ تَجري مِن تَحتِها الأنهارُ يَومَ لايُخزي الله النَّبيَّ والَّذين آمَنوا مَعه ﴾ [التحريم: ٨]

٣ - ﴿ وَسارِعوا إلىٰ مَغفرةٍ مِن رَبِّكم وجَنَّةٍ عَرضُها السَّمٰواتُ والأرض أُعِدَّت للمُتَّقين ﴾ [آل عمران: ١٣٣]

ومنه قوله تعالى في التعزيز:

١ - ﴿ وبَشِّر المُؤمنينَ بأنَّ لهم مِن الله فضلاً كبيراً ﴾ [الأحزاب: ٤٧]

٢ - ﴿ وبشِّر الَّذين آمَنوا وعَمِلوا الصّالِحات أنَّ لهم جَناتٍ تَجري مِن تَحتِها الأنهار ﴾ [البقرة: ٢٥]

٣ - ﴿ إنَّ الله اشْتَرىٰ مِن المُؤمنين أنْفُسَهم وأموالَهم بأنَّ لهم الجنَّة.. ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فاسْتَبشِروا بِبَيعِكم الَّذي بايَعتم بِه وذٰلكَ هُو الفَوزُ العَظيم ﴾ [التوبة: ١١١].

وثمة تصريح من بعض الآيات بشمول تعزيزها للأولين والآخرين ممن تبعهم بإحسان، حيث جمعت بذلك بين الفورية في التعزيز والتأجيل فيه. قال تعالى:

٤ - ﴿ والسّابِقونَ الأوَّلون من المُهاجِرين والأنْصارِ والَّذين اتَّبَعوهم بِإحْسانٍ رَضِيَ الله

عَنهُم وَرَضوا عَنه وأَعَـدَّ لهم جناتٍ تجري تحتَها الأنهار خـالِدينَ فيهـا أبداً ذٰلـك الفَوزُ العَظيم ﴾ [التوبة: ١٠٠]

وبالمقابل من أمثلة التحذير والعقاب من هذا القبيل قوله تعالى:

١ - ﴿ ياأيُّها الَّـذين آمَنوا قُـوا أنْفُسَكم وأهْليكُم ناراً وَقـودُها النّـاسُ والحِجارة. . ﴾ [التحريم: ٦]

٢ - ﴿ فَـأنْذَرتُكم نـاراً تَلَظّى * لايَصلاهـا إلا الأشْقىٰ * الَّذي كـذَّب وتَـوَلّى. . ﴾ [الليل: ١٤-١٦]

٣ - ﴿ ولاتَركَنوا إلىٰ الَّذين ظَلَموا فَتَمَسَّكم النّار ومالَكُم مِن دونِ الله مِن أوْلِيـاء ثُمَّ لاتُنْصَرون ﴾ [هود: ١١٣]

فهذه الأمثلة من تأجيل المعزز ولكنها تختلف عن مفهوم التعـزيز المعـاصر لصلتها بما بعد الموت، وإنما تتفق معه من حيث الخطاب، إذ ليست مصوغة بصورة مـوضوعيـة كما هي الحال في النوع التالي الذي لايشاركه إلا في شموله للفورية والتأجيل.

النوع الثاني: الترغيب والترهيب عن طريق مبادئ موضوعية:

« التشويق أو التعزيز الموضوعي »

صاغ القرآن الكريم صيغاً موضوعية للتشويق والتعـزيز، بحيث لايـظهر فيهـا ضمير للمخاطب لا إفراداً ولا جمعاً، لتنطبق على أي فرد أو جماعة، وعلى أي جيل أو بيئة، كما تصلح هذه الصيغ لكل من التشويق والتعزيز على حد سواء.

ولعل هذا هوالسبب في ارتفاع نسبة هذا النوع السابق الذي كان موجهاً بالدرجة الأولى إلى الجيـل الأول من صدر الإسـلام بصورة واضحـة أو معروفـة، وتحديـداً كـان مـوجهـاً إلى النبي ﷺ وأصحـابه رضي الله عنهم، ومعـارضي الدعـوة، لأنه عبـارة عن تعليقـات عـلى أنشطة إيجابية أو سلبية قاموا بهـا. وكان الجهـاد وشؤونه من أبـرز هذه الأنشـطة، كما هـو واضح في الأمثلة السابقة. حتى إنه يمكن القول: إن ذلك النوع لايعدو كونه بـالنسبة لمن بعدهم أمثلة تاريخية لأخذ العبرة.

أما هذا النوع فمرن لموضوعيته، فكما أدى مفعوله من التشويق والتعزيـز مع أولئـك فإنه يتمتع بصلاحيته لأداء ذلك المفعول مع الزمن.

وينقسم هذا النوع إلى قسمين:

١ - قواعد ومبادئ موضوعية، أي غير معينة لامن حيث الأفراد ولا الزمن. .

٢ - قـواعـد ومبادئ مـوضـوعيـة كـذلـك، إلا أنها تصرح أو تشـير إلى عـلاقتهـا

بما بعد الموت.

وكل من القسمين إما أن يصاغ بجمل إنشائية(ويغلب فيها الشرط) أو يصاغ بجمل خبرية (اسمية على الغالب) وكثيراً ما يقترن الثواب والعقاب في ذلك كله ، بل هو الغالب.

١ - التشويق والتعزيز عن طريق مبادىء موضوعية مطلقة:

- ومن أمثلة ذلك بجمل إنشائية قوله تعالى:

١ - ﴿ ومَن يُؤمن بالله يهدِ قَلبَه والله بكلِّ شيءٍ عَليم ﴾ [التغابن: ١١]

٢ - ﴿ مَن عَمِل صالحاً مِن ذَكرٍ أو أُنْثى وهُو مُؤمنٌ فَلَنُحيينَّه حياةً طيبةً ، ولَنَجزِينَّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يَعملون ﴾ [النحل: ٩٧]

٣ - ﴿ ومَن يتَّقِ الله يَجعلْ له مَخرَجاً.ويَرزقْهُ مِن حَيث لا يَحتَسب ﴾ [الطلاق: ٢-٣]

٤ - ﴿ هَل جَزاءُ الإحْسانِ إلا الإحْسان ﴾ [الرحمن: ٦٠]

- ومن أمثلته بجمل إنشائية سلبية الإجراء قوله تعالى:

١ - ﴿ فَمَن تابَ مِن بَعدِ ظُلمه وأصْلَح فإنَّ الله يَتوبُ عَليه إنَّ الله غَفورٌ رَحيم ﴾ [المائدة: ٣٩]

٢ - ﴿ ومَن يَعمل مِنَ الصَّالحاتِ وهُو مُؤمنٌ فلا يَخافُ ظُلماً ولا هَضماً ﴾ [طه: ١١٢]

٣ - ﴿ ومَن يُؤمن بالله ويَعمل صالحاً يُكفِّر عَنهُ سيِّئاتِه ﴾ [التغابن: ٩]

- ومن أمثلته بجمل تحذيرية وعقابية قوله تعالى:

١ - ﴿ من يعمل سوءاً يُجْزَ به ولا يَجدْ له من دون الله ولياً ولا نصيراً ﴾ [النساء: ١٢٣]

٢ - ﴿ ومَنْ يَتعدَّ حُدودَ الله فَقَد ظَلَم نَفسه ﴾ [الطلاق: ١]

٣ - ﴿ ومَن يَكفُر بالإيمانِ فَقَد حَبِطَ عَملُه ﴾ [المائدة: ٥]

٤ - ﴿ ومَن يَعصِ الله ورَسولَه فَقَد ضَلَّ ضَلالاً مُبيناً ﴾ [الأحزاب: ٣٦]

- ومن أمثلته بجمل إنشائية تجمع بين الإيجابية والسلبية ، قوله تعالى:

١ - ﴿ فمَن يَعملْ مِثقالَ ذَرَّةٍ خيراً يَره . ومَن يَعملْ مِثقالَ ذَرَّةٍ شَراً يَره ﴾

[الزلزلة: ٧-٨]
٢ - ﴿ مَن جاءَ بالحَسنةِ فَله عَشر أمْثالِها ومَن جاءَ بالسيِّئةِ فلا يُجزىٰ إلا مِثلَها ﴾
[الأنعام: ١٦٠]
٣ - ﴿ مَنْ كَفر فَعليه كُفْرُه ومَن عَمِل صالِحاً فَلأنفُسهم يَمْهَدون ﴾ [الروم: ٤٤]
هذا ومن أمثلة هذه المبادئ الموضوعية المطلقة بجمل خبرية، قوله تعالى:
- في التعزيز الإيجابي:
١ - ﴿ والَّذين آمنوا وعَملوا الصّالِحاتِ لَنُدْخِلنّهم في الصّالِحين.. ﴾
[العنكبوت: ٩]
٢ - ﴿ والَّذين جاهَدوا فينا لنَهْدِيَنَّهم سُبُلَنا وإنَّ الله لَمعَ المُحْسِنين ﴾
[العنكبوت: ٦٩]
٣ - ﴿ إنَّ الله مَع الَّذين اتَّقوْا والَّذين هم مُحسنون ﴾ [النحل: ١٢٨]
٤ - ﴿ للَّذين أحسَنوا الحُسْنى وزِيادة ﴾ [يونس: ٢٦]
- وفي التعزيز سلبي الإجراء:
١ - ﴿ ويُنَجّي الله الَّذين اتقوا بِمفازَتِهم لايَمَسُّهم السوءُ ولاهم يَحزَنون ﴾
[الزمر: ٦١]
٢ - ﴿ والَّذين آمَنوا وعَمِلوا الصّالِحات لَنُكَفّرن عَنهم سَيِّئاتهم ﴾ [العنكبوت: ٧]
- ومن أمثلته بجمل خبرية في العقاب الإيجابي والسلبي قوله تعالى:
١ - ﴿ ولايَحيقُ المَكرُ السيىء إلا بأهله ﴾ [فاطر: ٤٣]
٢ - ﴿ وجَزاءُ سيِّئةٍ سيِّئةٌ مِثلُها.. ﴾ [الشورى: ٤٠]
٣ - ﴿ والله لايهدي القَوْمَ الفاسِقين ﴾ [الصف: ٥]
٤ - ﴿ والله لايُحبُّ الظّالمين ﴾ [آل عمران: ٥٧]
- وفي التعزيز والعقاب معاً:
١ - ﴿ إن الله يُدافِع عن الَّذين آمَنوا إنَّ الله لايُحبُّ كلَّ خَوّانٍ كَفور ﴾ [الحج: ٣٨]
٢ - ﴿ الله وَلِيُّ الَّذين آمَنوا يُخرِجُهم مِن الظُّلمات إلىٰ النّور والَّذينَ كفروا أولياؤهُم الطّاغوتُ يُخرِجونَهم مِن النّور إلىٰ الظُّلمات ﴾ [البقرة: ٢٥٧]
ويلاحظ أن الجمل الإنشائية من هذا القسم يغلب فيها التشويق وبالمقابل يغلب في الجمل الخبرية التعزيز - إيجاباً أو سلباً فيهما معاً.
وهذا هو الذي سيظهر كذلك فيما يلي:

٢ - التشويق والتعزيز عن طريق مبادىء موضوعية لها علاقة واضحة بالآخرة:

ومن أمثلته بجمل إنشائية قوله تعالى:

- في التشويق أو التعزيز الإيجابي وسلبي الإجراء:

١ - ﴿ ومَن يُطع الله ورَسولَه يُدخِله جنّاتٍ تَجري من تَحتها الأنهارُ خالِدين فيها وذٰلك الفَوزُ العَظيم ﴾ [النساء: ١٣]

٢ - ﴿ ومَن يُؤمِن بالله ويَعمل صالحاً يُدخله جَناتٍ تَجري مِن تَحتِها الأنهار خالِدينَ فيها أبداً قَدْ أحسنَ الله له رزقاً ﴾ [الطلاق: ١١]

٣ - ﴿ ومَن عَمِل صالحاً مِن ذَكرٍ أو أُنثى وهو مُؤمنٌ فأولٰئك يَدخُلونَ الجنَّة يُرزَقون فيها بِغَير حِساب ﴾ [غافر: ٤٠]

٤ - ﴿ بَلى مَن أسْلم وجهَهُ لله وهو مُحسنٌ فَلهُ أجرُه عَنْد ربِّه ﴾ [البقرة: ١١٢]

٥ - ﴿ فمَن اتَّقىٰ وأصْلَح فلا خَوفٌ عَليهم ولاهُم يَحزَنون ﴾ [الأعراف: ٣٥]

٦ - ﴿ فمَن يَعملْ مِنَ الصّالحات وهو مُؤمنٌ فلا كُفرانَ لِسَعيه وإنّا لَهُ كاتِبون ﴾ [الأنبياء: ٩٤]

- ومن أمثلته في التحذير أو العقاب الإيجابي وسلبي الإجراء، قوله تعالى:

١ - ﴿ ومَن يَقْتُل مُؤمناً مُتعمِّداً فَجزاؤه جَهنمُ خالِداً فيها وغَضِبَ الله عليه ولَعَنَه وأعدَّ له عَذاباً عَظيماً ﴾ [النساء: ٩٣]

٢ - ﴿ ومَن يَعص الله ورَسوله ويَتعدَّ حُدودَه يُدخله ناراً خالداً فيها ولَهُ عذابٌ مُهين ﴾ [النساء: ١٤]

٣ - ﴿ من يشرك بالله فَقَد حرَّم الله عليه الجنَّة ومأواهُ النّار وما للظّالمين مِن أنْصار ﴾ [المائدة: ٧٢]

٤ - ﴿ إنَّه مَن يَأتِ ربَّه مجرِماً فإنَّ لـه جهنم لايَموتُ فيها ولايَحيىٰ ﴾ [طه: ٧٤]

هذا ومن أمثلة ماله علاقة بثواب الآخرة من تلك المبادئ الموضوعية بجمل خبرية قوله تعالى:

- في التعزيز الإيجابي وسلبي الإجراء:

١ - ﴿ إنَّ الَّذين آمَنوا وعَمِلوا الصّالِحات كانَتْ لَهم جنّات الفِردَوس نُزلاً. خالدينَ فيها لايَبغونَ عنها حِوَلاً ﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨]

٢ - ﴿ الَّذين آمَنوا وعَملوا الصّالِحات طوبىٰ لَهم وحُسن مآب ﴾ [الرعد: ٢٩]

٣ - ﴿ إنَّ المتَّقـين في جنّـات ونَهـر . في مَقعَـد صِـدقٍ عنـد مَليـكٍ مُـقتـدر ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥]

٤ - ﴿ ألا إنَّ أولياءَ الله لاخَوفٌ عَليهم ولاهم يَحزَنون ﴾ [يونس: ٦٢]

- وفي العقاب الإيجابي وسلبي الإجراء:

١ - ﴿ وإنَّ للطّاغينَ لشرَّ مآب جَهنَّم يَصلونَها فَبئسَ المِهاد ﴾ [ص: ٥٥-٥٦]

٢ - ﴿ إنَّ الَّذين كفروا بآياتِ الله لهم عذابٌ شَديد ﴾ [آل عمران: ٤]

٣ - ﴿ إنَّ الَّذين يَشترون بِعَهد الله وأيْمانِهم ثَمَناً قَليلاً أولئك لا خَلاق لَهم في الآخرة ولا يُكلِّمُهم الله ولا يَنـظُر إليـهم يَـومَ الـقيـامَـة ولا يُـزَكّيـهم ولَهـم عـذابٌ أليـم ﴾ [آل عمران: ٧٧]

وثمة أمثلة كثيرة تجمع بين الإيجابية والسلبية - التعزيز والعقاب - مثل:

٤ - ﴿ إنَّ الأبْرارَ لَفي نعيمٍ . وإنَّ الفُجارَ لفي جَحيم ﴾ [الانفطار: ١٣-١٤]

ولعل ما ورد من الأمثلة كاف لتوضيح هذا النوع في قسميه الأول والأخير - للانتقال إلى توضيح النوع الثالث من أنواع ضبط السلوك القرآنية - وله علاقة وثيقة بهذا القسم الأخير، لأنه يقوم بتصوير مشاهد لما بعد الموت.

النوع الثالث: الترغيب والترهيب عن طريق تصوير مشاهد مثيرة «لما بعد الموت: إيجابية وسلبية مع وصف الجنة والنار وأحوال أهلها».

وهذا النوع مما يختص به القرآن الكريم بالدرجة الأولى من بين الأنواع الأربعة ويتميز به، كما يختص بالنوع السابق في معظمه عن أساليب ضبط السلوك في التربية المعاصرة.

ويقوم هذا النوع على تصوير حي لمواقف كلا الفريقين بعد الموت، مع وصف كل من الجنة والنار قدر الإمكان، بما يفتح مجالاً واسعاً لخيال الفرد وتصوره لخطورة شأنها، وأهمية الإعداد للمصير، تشويقاً له إلى السعي لحيازة نعيم الجنة والانتظام في سلك أهل الصلاح، وتنفيراً له مما يؤدي إلى عذاب النار، ومن مجاراة أهل الفساد.

وعنصر الترغيب فيه أوضح منه في سابقه، مما يجعله أقرب إلى التشويق منه إلى التعزيز المؤجل. وبالمقابل إن جانبه السلبي أقرب إلى التحذير منه إلى الوعيد.

وقد استنكر سكنر أساليب ضبط السلوك التي تتمثل في نتائج تحدث في وقت لايمكن فيه للفرد لاالفرار ولاالهجوم»[1] مشيراً إلى صعوبة التعامل مع مثل هذه النتائج بفعالية،

---

(١) تكنولوجيا السلوك الإنساني: سكنر، ب. ف. ص٣٨.

في رأيه.

وهذا صحيح إلى حد كبير، لأن التعزيز والعقاب إنما هما للتعلم وضبط سلوك المتعلم أثناء العملية التعليمية، لتأمين أكبر قدر ممكن من تشويق المتعلم إلى مواصلة التعلم بفعالية، ولتنظيم مسيرة العملية التعليمية لتؤتي ثمارها بكفاية.. فهما، أي التعزيز والعقاب، إذن يسعيان إلى الجمع بين «التشويق والنظام» ولهدف قريب نسبياً، ولكنه مهم على كل حال، ويعد تحقيقه إنجازاً تربوياً هاماً، بل إن التوفيق بين «التشويق والنظام» من أصعب ما يواجه المربي، ومن أهم ما يلقى على عاتقه.

والقرآن الكريم لم ينس هذا الجانب المهم، بل لقد ضمنه بتوفير عنصر التشويق بدقة نظمه وروعة أو سمو أسلوبه الذي عبر عنه البيومي مثلاً «بالروح الآسر»[1] مشيراً إلى شمول ذلك لكل سور القرآن الكريم وآياته ومواضيعه المتنوعة والمتلائمة - الأمر الذي تسعى إليه تقنيات برمجة الدروس حديثاً - على ما يبدو.

هذا بالإضافة إلى توافر الوازع الديني الذي يستند إليه التعزيز والعقاب في القرآن الكريم. فإن المعززات الخارجية تصبح ثانوية إذا توافر المعزز الذاتي - إلا في ظروف خاصة.

فالتعزيز القرآني إذن في معظمه ليس للحفز على التعلم - بعد توفير التشويق إليه، وإنما هو للحفز على العمل بما تم تعلمه - كما يشير إلى ذلك قول النبي ﷺ: «تعلموا تعلموا. فإذا علمتم فاعملوا»[2].

وحتى في هذا المجال لايجعل القرآن الكريم هدفه الثواب العاجل، ولا العقاب مطلقاً: لاعاجلاً ولا آجلاً، حيث حدد عقوبات في الدنيا للردع، ولكنه جعل لإيقاعها على الفرد شروطاً يكاد يتعذر توافرها، لما فيها من المرونة..

ثم صور مشاهد ومواقف للعقاب الآجل أدق تصوير، يجعل الفرد كأنه يحياها وهي لم تقع بعد، حتى إذا صحا من مشهد هذا التصوير رأى أن عليه أن يتدارك أمره ويتلافى تقصيره، لئلا يقع ضحية لموقف سلبي لامفر منه، مثل الموقف الذي قال تعالى عنه:

- ﴿ يَقولُ الإنسانُ يَومَئِذٍ أينَ المَفرُّ * كلا لاوَزَر * إلى ربِّك يَومَئذٍ المُستَقَرُّ. ﴾ [القيامة: ١٠-١٢].

كما صور القرآن الكريم بالمقابل مواقف ومشاهد للفوز والفرح والسرور أدق تصوير، ووصف الجنة وأحوال أهلها أبلغ وصف، ترغيباً فيها، وتشويقاً إلى السعي

(١) البيان القرآني: البيومي ص١٧٦-١٧٧.

(٢) رواه الدارمي، مقدمة٣٤.

لتحقيق موجباتها، بمثل قوله تعالى موجزاً وصف نعيم الجنة:
- ﴿ وإذا رأيتَ ثَمَّ رأيتَ نعيماً ومُلكاً كبيراً ﴾ [الإنسان: ٢٠]. وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن الكريم، قد سبق شيء منها عند البحث عن تربية الوازع الديني. ومع ذلك لعل من المفيد هنا إيراد نماذج أخرى لكل من هذه الصور الحية بإيجاز:

١ - صور من صفات الجنة:

وصف القرآن الكريم الجنة بشيء من التفصيل بعد وصفها بالإجمال، مشيراً إلى عدم إمكان الإحاطة بما فيها عن طريق الوصف أو التصور البشري المحدود. ومن أمثلة النوعين من الوصف قوله تعالى:

١ - ﴿ مَثَلُ الجنَّة التي وُعِدَ المُتَّقون تَجري مِن تَحتِها الأنهار، أُكُلها دائمٌ وظِلُّها.. ﴾ [الرعد: ٣٥].

٢ - ﴿ وفيها ما تَشتَهيهِ الأنْفس وتَلَذُّ الأعيُنُ ﴾ [الزخرف: ٧١]

٣ - ﴿ فلا تَعلمُ نَفسٌ ما أُخفيَ لهم مِن قُرَّة أعيُنٍ جزاءً بما كانوا يَعملون ﴾ [السجدة: ١٧]

٤ - ﴿ مَثَلُ الجنَّة التي وُعِدَ المُتَّقون فيها أنهارٌ من ماءٍ غيرِ آسنٍ وأنهارٌ مِن لَبَنٍ لم يَتَغيَّر طَعمُه وأنهارٌ مِن خَمرٍ لذَّةٍ للشَّاربين وأنهارٌ مِن عَسَلٍ مُصَفّىً ولهم فيها مِن كلِّ الثَّمرات ومَغفِرةٌ مِن ربِّهم ﴾ [محمد: ١٥]

٥ - ﴿ وُجوهٌ يَومئذٍ ناعمة * لِسَعيِها راضِيَة * في جنَّةٍ عالية * لاتَسمَعُ فيها لاغية * فيها عَينٌ جارية * فيها سُررٌ مَرفوعَة * وأكْوابٌ مَوضوعة * ونَمارِقُ مَصفوفة * وزَرابيُّ مَبثوثة ﴾ [الغاشية: ٨-١٦]

٢ - صور من صفات النار:

قد صور القرآن الكريم النار كذلك، مروعة للنفس، ومنفرة لها، بمثل قوله تعالى:

١ - ﴿ نارُ الله الموقَدَة * التي تَطَّلِعُ على الأفئدة * إنَّها عليهم مُؤْصَدة * في عَمَدٍ مُمدَّدة ﴾ [الهمزة: ٦-٩]

٢ - ﴿ إذا أُلقوا فيها سَمِعوا لها شَهيقاً وهي تَفور * تَكادُ تَميَّزُ مِن الغيظ.. ﴾ [الملك: ٧-٨]

٣ - ﴿ وما أدْراكَ ما سَقَر * لاتُبْقي ولاتَذَر * لوَّاحَةٌ للبَشَر ﴾ [المدثر: ٢٧-٢٩]

٤ - ﴿ كلا إنَّها لظىٰ * نَزَّاعةً للشَّوىٰ * تدعو مَن أدبَر وتَولَّى * وجَمع فأوْعىٰ ﴾ [المعارج: ١٥-١٨]

٥ - ﴿ عليها ملائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لايَعصونَ الله ما أَمَرَهم ويَفعَلونَ ما يُؤمَرون ﴾ [التحريم: ٦]

٣-صور من أحوال أهل الجنة/وأهوال أهل النار:

والواقع أن تصوير أحوال الفريقين غير مستقلٍ بعضه عن بعض غالباً ، إلا أن هذا لايحول دون اختيار ما لايختل المعنى بفصل بعضه عن بعض - ولامانع بعد ذلك من إيراد محاورة بين الفريقين.

آ - **ومن صور أحوال أهل الجنة ومواقفهم** ، قوله تعالى:

١ - ﴿ إنَّ الَّذينَ قالوا ربُّنا الله ثُمَّ استَقاموا تَتنزَّلُ عَليهم المَلائِكة ألا تَخافوا ولاتَحزَنوا وأَبْشِروا بالجَنَّة التي كُنتُم توعَدون * نحنُ أَوْلياؤكُم في الحَياةِ الدُّنيا وفي الآخرة ولَكم فيها ما تَشْتَهي أنْفسكم ولكم فيها ما تدَّعون * نُزُلاً مِن غفورٍ رحيم ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢]

٢ - ﴿ إنَّ أصحابَ الجَنَّة اليَومَ في شُغُلٍ فاكهون * هم وأزْواجُهم في ظِلالٍ على الأرائِكِ مُتَّكِئون * لهم فيها فاكِهةٌ ولهم ما يَدَّعون * سلامٌ قولاً مِن رَبٍّ رَحيم ﴾ [يس: ٥٥-٥٨]

٣ - ﴿ وجَزاهُم بما صَبروا جَنَّةً وحريراً * مُتَّكِئين فيها على الأرائِك لايَرَون فيها شَمساً ولا زَمهَريراً * ودانية عليهم ظِلالُها وذُلِّلتْ قُطوفُها تَذليلاً * ويُطاف عَليهم بآنيةٍ مِن فضَّةٍ وأكوابٍ كانَت قَواريراْ * قَواريرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّروها تَقديراً * ويُسقَوْن فيها كأساً كان مِزاجها زَنْجَبيلاً * عَيناً فيها تُسمّى سَلسَبيلاً * ويَطوفُ عليهم وِلدانٌ مُخلَّدون إذا رَأيتَهم حَسِبتَهم لؤلُؤاً مَنْثوراً * وإذا رَأيتَ ثَمَّ رَأيتَ نَعيماً ومُلكاً كَبيراً * عالِيَهم ثِيابُ سُندُسٍ خُضرٌ وإسْتَبْرق وحُلّوا أَساوِرَ مِن فِضَّةٍ وسَقاهُم ربهم شَراباً طَهوراً * إنَّ هٰذا كانَ لكم جَزاءً وكانَ سَعيُكم مَشكوراً ﴾ [الإنسان: ١٢-٢٢].

٤ - ﴿ ..وقال لَهم خَزَنَتها سَلامٌ عَليكم طِبتُم فادْخُلوها خالِدين * وقالوا الحَمدُ لله الَّذي صَدَقَنا وَعْده وأورَثَنا الأرضَ نَتَبوَّأُ مِن الجَنَّة حَيث نَشاءُ فَنِعم أجرُ العامِلين ﴾ [الزمر: ٧٣-٧٤]

٥ - ﴿ يا عِباد لاخَوفٌ عليكم اليوم ولاأَنْتم تَحزَنون. .إلى. . ادخُلوا الجَنَّة أنتُم وأزواجُكم تُحبَرون. يُطاف عليهم بِصِحافٍ مِن ذَهَبٍ وأكوابٍ وفيها ما تَشْتَهيه الأنْفُس وتَلَذُّ الأعيُن وأنتُم فيها خالدون ﴾ [الزخرف: ٦٨-٧١]

الواقع أنها صور جذابة ، ولاسيا أنها تأتي بعد أن مهد لها القرآن الكريم بطلب

المسارعة والمسابقة إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين[1] ، وبعد أن حذرهم من نار وقودها الناس والحجارة ، أعدت للكافرين . .

هذا ويدعو القرآن الكريم إلى التوبة قبل فوات الأوان مصوراً لهم مواقف ومشاهد لهذا الفوات ، وما ينتج عنه من الندم والحسرة الدائمة . .

ب - **ومن صور أهوال أهل النار** قوله تعالى يحث على التلافي :

١ - ﴿ فاتَّقوا النَّار التي وَقودُها النّاس والحِجارة أُعِدَّت للكافرين ﴾ [البقرة : ٢٤]

٢ - ﴿ وأنيبوا إلى ربِّكم وأسْلِموا له مِن قَبلِ أنْ يأتِيَكم العذابُ ثُمَّ لاتنصرون * واتَّبِعوا أحسَن ما أُنْزلَ إليكم مِن رَبِّكم مِن قَبل أنْ يَأتِيَكم العذابُ بَغتة وأنتم لاتَشعُرون * أنْ تَقولَ نفسٌ يا حَسْرتىٰ على ما فرَّطتُ في جَنبِ الله وإنْ كُنت لَمن السّاخِرين * أو تَقولَ لَوْ أنَّ الله هداني لَكنتُ مِن المتَّقين * أو تَقولَ حينَ تَرىٰ العَذابَ لَوْ أنَّ لي كَرَّةً فأكونَ مِن المُحسنين * بَلىٰ قَد جاءَتكَ آياتِي فكذَّبتَ بها واستَكبرتَ . . . ﴾ [الزمر : ٥٤-٥٩]

٣ - ﴿ حتىٰ إذا جاءَ أحَدَهم المَوتُ قالَ رَبِّ ارجِعونِ . لعَلّي أعملُ صالحاً فيما تَركت . كلا إنَّها كلمةٌ هو قائِلُها ومِن وَرائِهم بَرزخٌ إلىٰ يَوم يبعثون ﴾ [المؤمنون : ٩٩-١٠٠]

٤ - ﴿ ولَوْ تَرىٰ إذِ الظّالِمون في غَمراتِ المَوت والمَلائكةُ باسِطو أيْديهم أخْرِجوا أنْفُسكم اليَومَ تُجزونَ عَذابَ الهونِ بِما كنتم تَقولونَ على الله غَير الحَقِّ وكنتم عَن آياتِهِ تَسْتَكبِرون ﴾ [الأنعام : ٩٣]

٥ - ﴿ يومَ يَنظُرُ المرءُ ما قَدَّمت يداهُ ويَقولُ الكافِرُ ياليتَني كُنتُ تُراباً ﴾ [النبأ : ٤٠]

٦ - ﴿ . . يَوَدُّ المُجرمُ لو يَفتَدي مِن عَذابِ يَومئذٍ بِبَنيه * وصاحِبَته وأخيه * وفَصيلَته التي تُؤويه * ومَن في الأرضِ جَميعاً ثُمَّ يُنْجيه * كلا إنَّها لَظىٰ * نَزّاعة للشَّوىٰ . . ﴾ [المعارج : ١١-١٦]

إنها حقاً مواقف مثيرة ، تحرك الأعماق وتشد النفس شداً . . حتى إنها لو لم يرافقها المنطق العقلي الذي عني به القرآن الكريم كذلك لكان يمكن أن تهلك النفس بقوة تدفقها إلى مكامن العواطف ، إلا أن القرآن الكريم يسير بتوجيهه جنباً إلى جنب مع العقل والعاطفة ، كما سيتضح أكثر عند الحديث عن منهجه التربوي .

هذا وزيادة في التوضيح قد يكون من المناسب عرض موقفين على الأقل ، لحوار يقع بين أهل النار فيما بينهم من جهة وبينهم وبين أهل الجنة من جهة أخرى .

---

(١) من سورة آل عمران ١٣٣/٢ ، والحديد ٢١/٥٧ .

٤-حوار بين أهل الجنة والنار:

آ - بين أهل النار والشيطان:

يصور القرآن الكريم حِواراً بعد صدور نتائج الحساب ، حيث يتلاوم أهل النار فيما بينهم ومع الشيطان ، الذي يتبرأ منهم ، قال تعالى يصور ذلك الموقف الرهيب:

١ - ﴿ وبَرَزوا لله جَميعاً فقالَ الضُّعفاءُ للَّذين اسْتكبَروا إنّا كنّا لكم تَبَعاً فهلْ أنْتم مُغْنونَ عنّا مِن عَذابِ الله مِن شيْءٍ قالوا لَوْ هَدانا الله لَهَدَيناكُم سَواءٌ عَلينا أجَزِعنا أمْ صَبرنا ما لَنا مِن مَحيص * وَقال الشَّيطانُ لما قُضِي الأمرُ إنَّ الله وَعَدكم وَعْدَ الحقِّ وَوَعَدتكم فأخْلَفْتُكم وما كانَ لِي عَليكُم مِن سُلْطانٍ إلا أنْ دَعَوتُكم فاسْتَجَبتُم لي فَلا تَلوموني ولوموا أنفُسَكم ما أنا بِمُصْرِخِكُم وما أنتم بِمُصْرخيَّ إنّي كَفرتُ بِما أشْركتُمونِ مِن قَبلُ إنَّ الظّالمينَ لهم عذابٌ أليم ﴾ [إبراهيم: ٢١-٢٢]

ب - حوار بين أهل الجنة والنار معاً:

ويصور القرآن الكريم في مواضع منه متعددة حال الفرح والسرور بالفوز بالجنة ، وإلى جانب ذلك يصور حال الحزن والندم والحسرة لأهل النار ، وهم يتبادلون النداء والحوار فيما بينهم بعد أن أخذ كل فريق نتائج عمله ، كقوله تعالى:

٢ - ﴿ ونادىٰ أصحابُ الجنَّة أصحابَ النّار أنْ قَد وَجدنا ما وَعدنا ربُّنا حَقّاً فهَلْ وَجَدْتم ما وَعَدَ ربُّكم حَقّاً قالوا نَعَم فأذَّن مُؤذنٌ بينَهم أنْ لعنةُ الله علىٰ الظّالِمين. . إلى. . ونادىٰ أصحابُ النّار أصحابَ الجنَّة أنْ أفيضوا عَلينا مِن الماءِ أو مما رَزَقكم الله قالوا إنَّ الله حَرَّمَهما علىٰ الكافرين.الَّذين اتَّخذوا دينَهم لَهواً ولَعِباً وغرَّتهم الحَياة الدُّنيا فاليومَ نَنْساهم كما نَسوا لِقاءَ يَومِهم هذا وما كانوا بآياتِنا يجحَدون ﴾ [الأعراف: ٤٤-٥١]

فهذه صور تتعاون مع العقل في شدِّ اهتمام الفرد بمصيره. وأما إذا شذ أحد مع توافر كل من هذه الأساليب التربوية التي تتضمنها الأنواع الثلاثة من الترغيب والترهيب ، فيأتي العقاب الجسدي أو المالي لحماية الدين والمجتمع من الاعتداء عليهما. وهو ما يعالجه النوع الرابع.

النوع الرابع : ضبط السلوك عن طريق قواعد جزائية محددة في القرآن الكريم :

« القانون الجزائي »

وهدف هذا النوع ، إما حماية نظام المجتمع وصيانة حقوقه أفراداً وجماعة ، وإما صيانة العبادات والحرمات من النقص والانتهاك ، وإما إعادة الاعتبار الاجتماعي أو الدياني إلى الفرد .. بحيث يمكن أن يطلق على هذه القواعد بمجموعها بالمفهوم المعاصر اسم : « القانون الجزائي ، أو قانون العقوبات » ، لما تضمنه من عقوبات محددة بالنص سلفاً ، وتتمثل هنا في « الحدود والقصاص ، الديات ، الكفارات وأنواع الفدية » .

وقد بحث الفقه الإسلامي في هذا النوع بصورة تفصيلية ومستفيضة ، كما فعلت الأنظمة القانونية بالنسبة للجانب الأول منه ، أي المتعلق بحماية المجتمع .. ولذلك يكفي هنا إلقاء الضوء على ما ينوه عن الحكمة فيه ، لأنه يمثل الجانب السلبي من أساليب ضبط السلوك بصورة تجعل بعض الباحثين يرونه قاسياً إلى حد ما من الناحية الإنسانية .

وأول ما يحسن أخذه بعين الاعتبار هو أن هذا الجانب من أساليب ضبط السلوك القرآنية لم يأت إلا في العهد المدني ، وبعد رسوخ الإيمان في القلوب وقيام الدولة الإسلامية ، أي بعد حاجة المسلمين أنفسهم إلى مثل هذه القواعد لصيانة المجتمع من العدوان الداخلي من قبل من يشذ من أفراده - كما تكون صيانته من العدوان الخارجي عن طريق الدفاع بالجهاد ..

فقد نص القرآن الكريم على عقوبات محددة - وموضوعية كذلك - تطبق على أي فرد توافرت فيه شروطها ، ومن هذه العقوبات : الجلد في الزنى والقذف ، وقطع يد السارق ، وقتل القاتل عمداً وقصداً . كما وضع قاعدة للقصاص فيما دون النفس ، مشيراً إلى ضرورة التقيد بالمثل في ذلك . وفرض الدية فيما لايمكن تحقيق المماثلة فيه من الجروح ، وفي القتل الخطأ .

ثم فرض كفارات على بعض الجنايات الاجتماعية - كالقتل الخطأ- وعلى بعض ما يقع من انتهاك أو تقصير في بعض الحرمات والعبادات ، كالفطر في رمضان من غير عذر مبيح . وكذلك شرع القرآن الكريم التزامات أخرى تتمثل في الفدية لمن وقع في شيء من محظورات الإحرام بالحج أو العمرة .. وغير ذلك مما فصله الفقه الإسلامي[1] .

ومن الآيات الواردة فيما سبق قوله تعالى :

---

(١) الفقه الإسلامي: الزحيلي، د.وهبة ٣/٢٥٦ وما بعدها، ثم ٦/٢٩٥-٢٩٨ و٣٠٢ و٣٢٧.

١ - ﴿ الزَّانِيةُ والزَّاني فاجْلِدوا كُلَّ واحدٍ منهُما مِئَة جَلدةٍ ولا تَأخُذْكم بِهما رَأْفةٌ في دِينِ الله إنْ كنتُم تُؤمِنونَ بالله واليَومِ الآخِر وَلْيَشهَدْ عَذابَهما طائِفةٌ من المُؤمنين ﴾ [النور : ٢] .

٢ - ﴿ والسّارِقُ والسارِقَةُ فاقْطَعوا أيْديهما جَزاءً بما كَسَبا نَكالاً مِن الله والله عزيزٌ حكيم * فَمَنْ تاب من بعدِ ظُلمِه وأصلحَ فإنَّ الله يَتوبُ عليه إنَّ الله غفورٌ رَحيم ﴾ [المائدة : ٣٨-٣٩]

٣ - ﴿ وكَتبنا عَليهم فيها أنَّ النَّفسَ بالنَّفس والعَينَ بالعَينِ والأنفَ بالأنْفِ والأذُنَ بالأذُنِ والسِّن بالسِّن والجُروحَ قِصاصٌ فَمنْ تَصدَّق به فهو كفّارةٌ له ومَن لم يَحكم بِما أنْزَلَ الله فأولئكَ هُم الظّالمون ﴾ [المائدة : ٤٥]

٤ - ﴿ وما كانَ لِمؤْمنٍ أنْ يَقتُلَ مُؤمِناً إلا خَطَأً ومَن قَتل مُؤمناً خطأً فَتحريرُ رَقَبةٍ مُؤمنةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمةٌ إلى أهْله إلا أنْ يَصَّدَّقوا فإنْ كانَ مِن قَومٍ عَدوٍ لكم وهو مُؤمنٌ فَتَحريرُ رَقَبةٍ مُؤمنةٍ وإنْ كانَ مِن قَومٍ بَينكم وبَينهم ميثاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمةٌ إلى أهله وتَحريرُ رَقَبةٍ مُؤمِنةٍ فَمن لم يَجدْ فَصيامُ شَهرينِ مُتَتابِعينِ تَوبةً مِن الله وكانَ الله عَليماً حَكيماً ﴾ [النساء : ٩٢]

٥ - ﴿ ياأيُّها الَّذين آمَنوا لاتَقْتُلوا الصَّيْد وأنتُم حُرُمٌ وَمَن قَتَله مِنكُم مُتعمِّداً فَجَزاءٌ مِثلُ ما قَتَل مِن النَّعَم يَحكُم به ذَوا عَدلٍ مِنكُم هَدْياً بالغَ الكَعْبة أو كفّارةٌ طَعامُ مَساكينَ أو عَدْلُ ذلك صِياماً لِيَذوقَ وَبالَ أمرِه عفا الله عمّا سَلَف ومَن عادَ فَيَنتَقم الله مِنه والله عزيزٌ ذو انْتِقام ﴾ [المائدة : ٩٥]

إلى غير ذلك من الآيات التي تنص على عقوبات محددة ، جسدية أو روحية ، وعلى التزامات مالية يؤديها الفرد لوقوعه فيما يشعره بالإثم أو التقصير ، أو بالخجل وقلة الإنسانية . . فيما بينه وبين ربه من جهة ، ثم فيما بينه وبين أخيه الإنسان من جهة أخرى . وذلك لتعود إليه ثقته بنفسه بأدائه الالتزام المتعين عليه ، لأن الإنسان بفطرته إذا أساء إلى عزيز عليه - ولو خطأ - فإنه يتضايق نفسياً ما لم يلق جزاءه . ويدل على هذا تقديم بعض الجناة أنفسهم إلى العدالة ، إذ ليس في كل الظروف يكون اليأس من الإفلات سبباً لمثل هذا التصرف ، بل قد يكون الجاني أحياناً قادراً على ذلك ، وإنما يقدم نفسه تنفيساً عما يشعر به نحو نفسه من السلبية .

فإذا جوزي فقد يخفف ذلك من هذا الشعور السلبي ، وأما إذا عفا عنه العزيز صاحب الحق ، فإنه يشعر بالخجل أمامه ما لم يقدم إليه خدمة تستر عنه جنايته .

هذا وقد جرى العرف القانوني أن يحكم على الجاني بما يتناسب مع جنايته من العقاب حسب الأصول ، ثم يحكم عليه - في بعض الجنايات - بمدة يبقى الفرد فيها مرفوض الشهادة ، أو ساقط الاعتبار قضائياً أو اجتماعياً أو مدنياً ، وقد تطول هذه المدة أو تقصر[1] حتى إن كثيراً من المعاملات تطالب الفرد في الوقت المعاصر بما يثبت نزاهته ، كأن لايكون محكوماً عليه جنائياً ، شرطاً لقبول التعامل معه .

والقرآن الكريم لايرغب في تطويل هذه المدة لإعادة الاعتبار ، لأن بقاء حياة الجاني - ومثله أي إنسان - غير مضمونة إلى آخر المدة المحددة .

ولذلك فتح باب التوبة أولاً ليتمكن الجاني من العودة إلى الجادة في أي لحظة أراد ، ثم عين له ما يقوم به لطرد شعوره بالخجل أمام ربه (وهو الكفارة أو الدية) .

وعليه فيمكن اعتبار الدية في القتل من هذا القبيل ، أي لطرد شعور القاتل بالخجل أمام أولياء القتيل ، ليستعيد بذلك مكانته الاجتماعية والأخلاقية بينهم ، ثم تأتي الكفارة لإزاحة شعوره بالإثم والخذلان ، ليستعيد بذلك ثقته بنفسه بإرضاء الله تعالى ، وإرضاء الآخرين ممن اعتدى عليهم .

فالعقاب في القرآن الكريم إنما هو مقرر لتحذير الفرد من الجناية على نفسه أولاً وقبل كل شيء كما يشير إلى ذلك قوله تعالى :

١ - ﴿ ومَن يَتَعدَّ حُدودَ الله فَقد ظَلَم نَفسه ﴾ [الطلاق : ١]

٢ - ﴿ ياأيُّها النّاسُ إنّما بَغيُكم علىٰ أنفُسِكم ﴾ [يونس : ٢٣]

بل إن العقوبة في الإسلام تتجه إلى العدالة وحماية الفضيلة والأخلاق ، وإنها في اتجاهها إلى العدالة تتجه إلى أن تكون متناسبة أو متساوية مع الجريمة وآثارها[2] بحيث تتحقق المصلحة بذلك وتختفي المفسدة لاالعكس .

« والسبب في اختفاء وجه المصلحة في العقوبة بهذا المعنى (كما يقرر الأستاذ محمد أبو زهرة) أحد أمور ثلاثة[3] .

- أن ينظر المفكر إلى حالة وقتية قد سيطرت عليها نظرية مالية أو اجتماعية معينة ، ولايكون التخلص منها سهلاً ، لأنه قد يحدث اضطرابات في نظرهم ، فيكون التفكير من وراء ذلك التأثير الزمني .

---

(١) المبادئ العامة في قانون العقوبات : الفاضل ص٥٥٦ و٥٥٨.

(٢) فلسفة العقوبة في الفقه الإسلامي : أبوزهرة ص١٨.

(٣) المرجع السابق ص٣٤.

- وثاني الأمور الثلاثة : التقليد (غير المتبصر) لأمم تبيح بعض المنكرات التي أنكرها الإسلام ، حيث يعتقد المقلدون أن ما تبيحه هذه الأمم هو المصلحة . . في حين أن المصلحة التي يحميها الإسلام بالعقاب إنما هي المصلحة الحقيقية ، والتي تتمثل في حماية الضروريات الخمس : النفس - الدين - العقل - النسل أو العرض - المال .

- وثالثها : تحكم الهوى في نفوس بعض الأشخاص ، تحكماً يحول دون التفرقة بين ما هو هوى أو مصلحة .

هذا وإقرار القرآن الكريم للعقاب تدبير وقائي ترافقه احتياطات كثيرة تقلل من إيقاعه ، كفتح باب التوبة للنجاة ، وفرض شروط شديدة لإثبات ما يوجب الحكم بالعقاب .

فحد الزنى مثلاً لايثبت إلا بإقرار أو شهادة أربعة شهداء عدول ، شهادة كاملة ، حتى إن تردد أحد الشهود أو قصور شهادته عن حد المشاهدة عيناً يلزم الثلاثة الآخرين حد القذف - منعاً لإفشاء الفساد بالتحدث به[1].

وهذا شرط في غاية الصعوبة ، فلولا وجود الوازع الديني عند المسلم بما يدفعه إلى الاعتراف الثابت ، ماكان يمكن إثبات هذا الحد إلا في أندر الحالات . قال تعالى في مشروعية الشهود ، وجلد القاذف وإسقاط اعتباره :

- ﴿ والَّذين يَرْمونَ المُحْصَنات ثُمَّ لم يَأتوا بِأرْبَعة شُهَداء فَاجلِدوهم ثَمانينَ جَلدَةً ولا تَقْبلوا لهم شَهادةً أبداً وأولئكَ هم الفاسِقون ۞ إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفورٌ رحيم ﴾ [النور : ٤-٥]

حيث اشترط أربعة شهداء لإثبات الجناية ، وإلا فثمانون جلدة على المفتري ، مع رد شهادته لفسقه ، أي إسقاط اعتباره القضائي إلا بتوبة إلى الله تعالى .

ويلاحظ في هذا كله أن القرآن الكريم يرغب في التوبة عقب كل وعيد بالعقاب . وهذه قاعدة مطردة فيه ، حتى إنه اشترط لإيقاع العقاب على قاطع الطريق القبض عليه قبل أن يتوب ، فإن تاب قبل ذلك نجا من العقاب ، مع بشاعة جريمته ، إذ يكون قد قتل أو نهب أو روع أو جمع ذلك كله .

ولما كان الهدف من العقاب في القرآن الكريم هو الإصلاح أسقطه صراحة بالتوبة إن ثبتت ، قال تعالى : ﴿ إنَّما جَزاءُ الَّذين يُحارِبون الله ورَسولَه ويَسعَوْن في الأرضِ فَساداً أنْ يُقتَّلوا أو يُصلَّبوا أو تُقطَّع أيْديهم وأرْجُلهم مِن خِلافٍ أوْ يُنْفوْا من الأرض ذلك لهم خِزيٌ

---

(١) الفقه الإسلامي : الزحيلي، د. وهبة ٦/ ٣٠ و٣٦ و٧٨ .

في الدنيا ولهم في الآخِرَة عذابٌ عظيم * إلا الَّذين تابوا مِن قَبْلِ أنْ تَقْدِروا عَليهم فاعلموا أنَّ الله غَفورٌ رَحيم ﴾ [المائدة : ٣٣-٣٤]

إنها عقوبات شديدة لكن الحكمة من ذلك واضحة إلى حد كبير ، لأن آثار هذه الجناية كبيرة وواسعة ، يمكن أن تقع على أي فرد ، وأن تفسد مصلحة الجماعة .

كما قد يكون من الحكمة من إسقاط العقاب بالتوبة أن الجاني فيها لايقصد فرداً بعينه أو جماعة محددة ، حتى يكون لهم حق شخصي فيه ، كما يشير إليه التعبير : ﴿ يُحاربون الله ورَسولَه ﴾ الذي يومىء إلى الحقوق العامة .

ويؤيد هذا أن ما أخذه قطاع الطريق من أموال يرد إلى أصحابها ، ويضمنون مااستهلكوا منها . . [1]وذلك لتعين الحق في هذه الحالة ، إلا أنه يغلب الحق العام لأنه هو المقصود بالدرجة الأولى بقطع الطريق على ما يظهر .

هذا ومن أمثلة الترغيب في التوبة حتى مع أبشع الجرائم أن القرآن الكريم لما نعى على قوم آذوا أهل الإيمان بظلم ، وتوعدهم بالعذاب ، أشار إلى أن ذلك مشترط بعدم توبتهم بعد الإيذاء ، قال تعالى :

- ﴿ إنَّ الَّذين فَتَنوا المؤمنين والمؤمناتِ ثُمَّ لم يَتوبوا فَلهم عَذابُ جَهنَّم ولهم عَذابُ الحَريق ﴾ [البروج : ١٠]

قال الحسن البصري في هذه الآية مشيراً إلى عبارة : ﴿ ثُمَّ لم يَتوبوا ﴾ « انظروا إلى هذا الكرم والجود ، قتلوا أولياءه ، وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة »[2].

ولعل من أروع ما ورد في القرآن الكريم من هذا القبيل أنه دعا أهل الإسراف الذين وصل بهم الفساد إلى حد اليأس من أن يقبلوا بالتوبة ، دعاهم إليها بأسلوب في غاية اللطف والتحبب ، قال تعالى :

- ﴿ قُل ياعبادِيَ الَّذين أَسْرفوا على أنْفُسِهم لاتَقْنَطوا مِن رَحمةِ الله إنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنوبَ جَميعاً إنَّه هُوَ الغَفورُ الرَّحيم * وأَنيبوا إلى ربِّكم وأَسْلِموا له مِن قَبل أنْ يأتِيَكم العَذابُ ثم لاتُنْصَرون ﴾ [الزمر : ٥٣-٥٤] .

« وهذه الآية دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة ، وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب ورجع عنها ، مهما كانت »[3] .

---

(١) المرجع السابق ٦/١٤١ .
(٢) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ٤/٣٩٦ .
(٣) المرجع السابق ٤/٥٧-٥٨ .

وذلك أنه تعالى فتح باب الأمل وأرشد إلى العمل لمن أسرف على نفسه بالفساد ليتلافى أمره ويتدارك مافاته . . وهذا أسلوب مشوق فعلاً ، يمثل جانباً من مزايا أساليب الترغيب والترهيب القرآنية ، فهي « إلى جانب التخويف والردع ، لم تترك جانب الجاني نفسه ، بل وضعت إصلاحه وهدايته وتوبته في المحل الأول »[1] .

بينما في الأنظمة البشرية إذا حكم على فرد بالسجن مثلاً أو الإعدام - غيابياً - كانت شروط نجاته من ذلك صعبة إلى حد كبير ، مثل التقادم ، والعفو العام الذي قد يشمله ، أو العفو الخاص الذي يقوده إليه القدر في حالات استثنائية .

فالتقادم مثلاً ليس سهلاً على من له محبته وولاؤه لوطنه ومواطنيه عامة ، ولأقاربه خاصة ، ولاسيما إذا كانت المدة طويلة(٥-١٠ سنوات) ناهيك عما قد يقاسيه في الغربة من الوحشة والمتاعب المحتملة . .

ومثل هذا طبعاً يقتضيه النظام ، إلا أنه قاس بالنسبة لمن عزم فعلاً على ترك الفساد بقلب مخلص وإرادة صادقة .

وعذر النظام هنا هو عدم الاطلاع على ما في القلب ، وزجراً للآخرين . ومن هنا تبرز أهمية التربية القرآنية التي جعلت الرقابة الأمنية عميقة ودائمة ، كما جعلت أحكام القضاء واضحة يحكم الفرد نفسه بنفسه قبل أن يحكم عليه غيره . فيقرر أنه مذنب ، عليه التوبة فيما بينه وبين ربه . وعليه الإقرار بحقوق الآخرين ، والاعتراف بما لايناط تنفيذه بالأفراد ، مثل الحدود والقصاص .

والسؤال هو : أيحصل مثل هذه الآثار التربوية دائماً أم لا؟

من الجدير بالذكر أن ما سبق لايعني أن التربية القرآنية تؤثر إيجاباً في أي فرد وبصورة مطلقة ، وإنما يعني أن الشروط كاملة في الرسالة كلها في مصدر الإرسال ، فاذا توافرت شروط الاستقبال أدت الرسالة مفعولها الإيجابي ، حيث ﴿ تُؤتي أُكُلَها كلَّ حينٍ بإذنِ ربِّها ﴾ [إبراهيم : ٢٥]

وقد نبه القرآن الكريم نفسه إلى ضرورة توافر الشروط في المستقبل ، قال تعالى :

١ - ﴿ . . . قُل هُو للَّذين آمَنوا هُدى وشفاءٌ والَّذين لايُؤمنون في آذانِهم وَقْرٌ وهُو عَليهم عَمى أولٰئك يُنادَوْن مِن مَكانٍ بَعيد ﴾ [فصلت : ٤٤] . وقال تعالى :

٢ - ﴿ إنَّ في ذٰلكَ لَذِكرىٰ لِمن كانَ لهُ قَلبٌ أو ألقىٰ السَّمعَ وهُو شَهيد ﴾ [ق : ٣٧] ، كأنه تعالى يشير إلى ما يجب توافره في المستقبل ، أي في الآية الثانية :

---

(١) التعزيز في الشريعة الإسلامية : عامر ، د.عبد العزيز ص٢٤٦ .

١ - التهيؤ والاستعداد والطموح ، المعبر عنها بلفظة ﴿ له قلب ﴾ .
٢ - الاهتمام والتشوق ، أي المعبر عنهما بعبارة ﴿ ألقى السمع ﴾ .
٣ - اجتماع الذهن أو حضور القلب أي عدم الشرود ، المعبر عنه بالحال : ﴿ وهو شهيد ﴾ .

وقد أفاد الدكتور فاخر عاقل في معنى التشويق ، ثم طرح سؤالاً عن عوامله ، فقال بعد تشريح له ، أي التشويق : « والسؤال الآن هو عن العوامل التي تدفع الناس للتشوق إلى التعلم ، أو إلى الانصراف عنه ، أو عدم الاهتمام به »(١) ذكر الدكتور ما لايتعارض مع ما أشار إليه القرآن الكريم في الآية السابقة ، إلا أنه أكثر تفريعاً ، حيث اندرج تحته ثمانية بنود ، منها مايلي :(٢)

١ - العزم والتهيؤ ، مشيراً إلى أن الحاجات والدوافع تسبب العزم والرغبة ، وتركز العزم وتوجهه ، وأن التوقع والتوتر يكونان التهيؤ للتعلم . .
٢ - الاستعداد ، وبين أنه يتم حين تكون قابليات المتعلم وكفاءاته مناسبة للفاعلية المرغوب فيها .
٣ - مستوى الطموح ، وأفاد بأنه يحدد الأهداف الخاصة التي يحددها المتعلم نفسه . وأنه أي مستوى الطموح ، يحدد بالكفاءة والقابلية . .
٤ - المواقف ، حيث تؤثر مواقف الناس من الأوضاع التعليمية في التعلم كثيراً ، لأنها مكونات للتشويق ، فإذا كانت سلبية قل تشوق الفرد .
٥ - القلق المعتدل ، فإنه يؤثر إيجابياً في المتعلم ، فهو مرادف للاهتمام الشديد بالتعلم .
٦ - ربط العمل بحاجات المتعلم ودوافعه - قدر الإمكان - فإنه يزيد التشوق .
٧ - التغذية الراجعة أو معرفة النتائج ، مشيراً إلى أنه كلما كانت المعرفة أدق كان التعلم أحسن .
٨ - التنافس أو التعاون ، مفضلاً الثاني ، حيث قال : وتميل الاتجاهات الحديثة إلى الأخيرة .

وهذه العوامل لاتتعارض مع تعليمات القرآن الكريم لأن حفاظه على التوازن في استخدام الترغيب والترهيب يؤدي إلى القلق المعتدل لدى الفرد ، كما أن إرساءه قواعد الثواب والعقاب مع ضرب أمثلة تاريخية وواقعية يقوم مقام الاطلاع على النتائج . واغتنامه

---

(١) علم النفس التربوي : عاقل، د. فاخر ص١٧٥.
(٢) المرجع السابق ص١٧٦-١٨٤ ملخصاً.

الفرص والمناسبات عند نزوله نوع من ربط العمل بحاجات المتعلم . ثم إن حرص القرآن الكريم على أن يسود الخير في المجتمع ، وسعيه لتكوين رأي عام فاضل يتحقق به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إن ذلك يمثل موقفاً اجتماعياً إيجابياً يدفع إلى التشوق والاهتمام .

هذا بالإضافة إلى ما أشارت إليه الآية الآنفة الذكر من أهمية التهيؤ والاستعداد وعدم الشرود . . ثم إنه يدعو إلى التعاون على الخير ويفتح مجال التنافس فيه[1].

والمهم هو أن القرآن الكريم يؤثر بتربيته إيجابياً متى أصاب فطرة فيها حية فضلاً عما إذا كانت الفطرة سليمة . وأما إذا لم يكن الأمر كذلك فلا يبدو أن تأثيره التربوي سهل على الرغم من كمال الشروط التربوية في الرسالة .

وقد ضرب القرآن الكريم نفسه مثلاً لذلك ، قال تعالى :

- ﴿ والبَلَدُ الطيِّبُ يَخرج نَباتُه بإذن ربِّه والَّذي خَبُث لايَخرج إلا نَكِداً . ﴾ [الأعراف : ٥٨]

فينبغي أن يكون محل التربية صالحاً ، أو على الأقل قابلاً للإصلاح .

وقد جسد النبي ﷺ معنى هذا المثل في الآية قائلاً :

« مثل مابعثني الله من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير ، أصاب أرضاً ، فكان منها نقية قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس ، فشربوا وسقوا وزرعوا . وأصاب طائفة أخرى إنما هي قيعان ، لاتمسك ماءً ولاتنبت كلأ . فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به ، فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به »[2] .

إنه تصوير واضح لأحوال الناس في تفاوتهم في الاستفادة من التربية القرآنية . فأقل ما يمكن فهمه من هذا الحديث هو أن شروط الرسالة كاملة لتحقيق الإنجاز التربوي المنشود ، وإنما احتمال النقص يكون في محل التربية مع الأخذ بعين الاعتبار ضرورة توافر الشروط في المنفذ وهو المعلم أو المربي بالقرآن الكريم .

---

(١) كما في سورة المائدة ٢/٥ . وسورة المطففين ٢٦/٨٣ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه، رقاق٣٦، اعتصام٢ - وفي رواية «فكانت منها طائفة طيبة» الحديث . . (أي بدل نقية).

ومن هذه الشروط : الأمانة والخبرة والمهارة ودقة الأداء والقدرة على ربط النصوص والموضوعات بالواقع الحي وما إلى ذلك .

هذا وقد سبق التنويه عن مزايا التربية القرآنية في مناسبات متعددة ، ولعل من المفيد تلخيص هذه المزايا في فقرة مستقلة ، مع التركيز على أبرز ما تتميز به أساليب الترغيب والترهيب الواردة في القرآن الكريم مقارنة بعض الشيء مع أساليب السلوك في التربية المعاصرة ، وذلك في الفصل التالي .

* * * * *

الفصل الثاني

أسس أساليب ضبط السلوك في القرآن الكريم

أولاً : مميزات أساليب ضبط السلوك المعاصرة .

لأساليب ضبط السلوك في التربية المعاصرة مزايا عديدة منها :

١ - الفورية والحيوية : فهي في الأصل تقدم إلى المتعلم فور قيامه بالسلوك إيجابياًأو سلباً ، كما أنها تقع بين طرفين وجهاً لوجه : المعلم والمتعلم ، بحيث يمكن الأخذ والعطاء بينهما .

٢ - العلمية والواقعية : لأنها في معظمها تستند إلى تجارب ميدانية ، قام بها علماء التربية وعلم النفس ، وقد نتج عن إيجابية ما توصلوا إليه من النتائج أنشطة تطبيقية أخرى ، لها أثر واضح في التربية الحديثة ، وتتمثل هذه الأنشطة في التقنيات التعليمية ، بأجهزتها المختلفة ، ومخابرها التربوية ، التي توفر عنصر التشويق إلى حد كبير ، لحداثتها وتنوع ما فيها من المعلومات ، وتعدد أشكال عرضها ، مع تحقيق التدرج ومراعاة الفروق الفردية . كما توفر عنصر التعزيز المستمر عن طريق التغذية الراجعة ، مما يمكن هذه التقنيات من مسايرة أوضاع التطور الحضاري والمدني .

٣ - ونتيجة لذلك يمكن تشكيل سلوك معين بواسطة الإشراط الإجرائي أو جداول التعزيز[١] ، التي تحقق تدريجياً التعزيز الذاتي لدى الفرد - موضوع الإشراط حتى يمكن الاستغناء عنها بذلك - في بعض الحالات على الأقل .

بل من واقعية هذه الأساليب أنه يمكن استخدامها في التدريب حتى مع الصم والبكم ، ومع الحيوان في بعض الأحيان - كما تشهد بذلك تجارب بافلوف وسكنر مثلاً[٢] .

ولعل من أدلة نجاح التربية الحديثة ما تشهده الحضارة من أوجه التقدم في ميادين مختلفة ، وقد لايسوغ لأحد أن يعزل أساليب التشويق والتعزيز عن العوامل التي كانت وراء هذا النجاح التربوي الذي نتج عنه ذلك التقدم الحضاري والمدني المشار إليه - مع الإشارة إلى قصور هذا التقدم من الناحية الروحية .

---

(١) نظريات التعلم -دراسة مقارنة: حجاج، د.علي حسين ص١٧٩ .
(٢) التعلم ونظرياته: عاقل، د.فاخر، ص١٧٢ و٢٧٧ .

وعلى ذلك لاتخلو هذه الأساليب من معايب أشار إليها أقطاب التربية ، وسبق عرض بعض منها - مما لاحاجة إلى إعادته هنا - لكن تجدر الإشارة في هذه المناسبة إلى أن معظم أساليب ضبط السلوك الحديثة منبثقة عن تجارب محدودة نسبياً قد تخضع لتأثيرات البيئة والآراء أو الاتجاهات الفردية . كما أن بعضها أُجري على الحيوان وقيس عليه الإنسان .

ولا يخفى أن انطباق ذلك على الإنسان أمر نسبي ، حيث يمكن أن تنجح مثل هذه الأساليب في ضبط السلوك الإنساني في بعض المجالات ، وتحت بعض الظروف دون بعض . فمثلاً : « إذا كانت التقنيات السلوكية قد نجحت إلى حد بعيد في المخبر فإن أسئلة مشروعة يمكن أن تثار حول إمكان تطبيقها على الإنسان وعلى المجتمع ، حيث تتدخل متغيرات عديدة جداً وغير معروفة : ففي المخبر يمكن تحقيق ضبط دقيق ، ولكن في صخب الحياة الخارجية فإن الضبط بالغ الصعوبة . وإن السلوكيين يقفون على الأغلب على أرض صلبة حين يؤكدون على اعتمادهم طريقة خطوة خطوة للتعلم»[1] حتى إن بعض السلوكيين أيد هذه الفكرة فيما بعد : « فقد ألح بافلوف أخيراً بأن مكتشفاته لايمكن تطبيقها آلياً على البشر »[2] . وهذا يشير إلى رجوع بافلوف عما كان يعتقده من إمكان تطبيقها على الإنسان دون عراقيل ، مما أثار النقاد الذين لم يألوا جهداً في متابعة مدى فعالية هذه الأساليب في تقويم سلوك الإنسان ، حتى طرحوا على السلوكيين مثل السؤال التالي : « من يحكم الحكام؟ فزعم سكنر أن المحكوم يؤثر في الحاكم كما يؤثر سلوك التلاميذ على سلوك المعلم - الجواب الذي لم يقنع النقاد ، لأن المبادرة بيد الحكام »[3]

وطبعاً مثل هذا الجواب معقول نوعاً ما ، ولكنه غير كاف لتقويم سلوك الحاكم . .

وأما التربية القرآنية فتجيب عن مثل هذا السؤال بأن الحاكم خليفة ، وليس بسلطة عليا فيشرع ، وإنما أمامه شرع واضح يعرفه الحاكم والمحكوم ، إلا أن تنفيذه منوط بالحاكم نيابة عن صاحب الشرع . وهو بالإضافة إلى ذلك لديه من الرقابة الذاتية أو الوازع الديني ما لدى غيره من أفراد المجتمع .

---

(١) فلسفة التربية : الجيوشي ١٧٤/٢ .
(٢) التعلم ونظرياته : عاقل ، د. فاخر ص١٩٣ .
(٣) فلسفة التربية : الجيوشي ١٧٦/٢ .

ولعل ماسبق من أن الخليفة أبا بكر الصديق رضي الله عنه وصى برد مازاد في ماله خلال فترة الخلافة[1] ، أكبر شاهد على هذا . كما أن أول خطبة ألقاها تضمنت قولـه : « لقـد وليت عليكم ولست بخيركم ، فـإن أحسنت فـأعينـوني ، وإن أسـأت فقـومـوني ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم »[2] .

صحيح أن الإنسان قابل للإشراط الإيجابي والسلبي من حيث المبدأ ، ولا أدل عليه من الواقع ، الذي يمكن بالمناسبة رواية حادثة وقعت لابنة عم مفـادها : « أن ثـلاثة من الأقارب جاؤوها بخبر ينعي عليها عزيزاً مقرباً يوماً من الأيام ، وبعد فترة من الزمن جاءها ثلاثة بمثل ذلك الخبر . ولما جاءها عدد آخر مماثل من الأقارب بعد فترة زمنية أخرى لم تكد تشاهدهم مقبلين على بيتها حتى بادرت بالبكاء . فسمت عزيـزاً عليها - وكـان ذلك العزيز فعلاً هو المتوفى الذي جاؤوا بنعيه .

والطريف في الأمر أنه لم يكن لديها علم بمرضه سابقاً ، وكان ما بين الفترات يصل إلى أكثر من سنتين . ومع ذلـك سالت الـدموع في المـرة الثالثـة بمجرد تـوقع نتج عن مشـاهدتهـا لعدد من الأقـارب يقصدون بيتهـا - مع أنهم كـانوا يـزورونهـا في غيـر هـذه المناسبات ، إلا أنها يمكن أن تكون قد استشفت الخبر من سيما وجوههم أو حالة مشيهم أو غير ذلك . . . »

والمهم أن الإشراط قد تحقق مفعوله فيها - بصورة آلية وغير مقصودة - ومع ذلـك فإن هذه الشواهد لاتعني انطباق الإشراط على الإنسان انطباقه على الحيوان ، لأن الأخير ليس لـديه غيـر الحاجـات البيولـوجية ، ولا يهمـه إلا إشبـاعهـا ، ولا يـرضى بمـا دون الإشباع ، ولا يطمح إلى ما زاد على ذلك . عكس الإنسان ، فإنه تهمه هذه الحاجات ، ولكن بصورة مختلفة إلى حد كبير ، كما يهمه فوق ذلك إشباع حاجات نفسية وعقليـة ، وتحقيق أهـداف إنسـانيـة واجتمـاعيـة ، كـالسعـادة والـطمـأنينـة ، والعلم والتقـديـرات الاجتماعية ، مثل : الثناء والمنصب والجاه ، وكذلك التقديرات الرمزية ، مثل : التيجان والأوسمـة ، بحيث يمكن تعزيـز الإنسان بـأي من هذه الأمـور التي لايفهمها الحيـوان . وللإنسان في ذلك كله مبادئ أخلاقية تؤثرفي سلوكه تأثيراً كبيراً ، وله أهداف تختلف في مدى أهميتها ، وهو يسعى جاهداً لتحقيقها .

---

(١) منهج القرآن في التربية: شديد، محمد ص٣١.

(٢) المرجع السابق ص٢٧ . والفقه الإسلامي : الزحيلي ، د.وهبة ٧١٢/٦.

ومن هنا ربط القرآن الكريم كل الأهداف - مهما عظمت - بهدف واحد أعظم هو الفوز برضا الله والنجاة من سخطه .

وذلك أن ضبط السلوك دون مرغب ولا مرهب لا يبدو أن من السهل تحقيقه ، إلا أن التربية القرآنية تجعل الرغبة والرهبة من نوع أسمى وأضمن للثواب ، وهما الرغبة في رضا الله والرهبة من سخطه ، ليرتفع بذلك أهل هذه التربية بنفوسهم عن مجرد الرغبة في الثواب والرهبة من العقاب عاجلاً إلى رغبة ورهبة تنبعثان من نفوسهم ، واضعين نصب أعينهم ذلك الهدف الأسمى ، بغض النظر عما يتحقق لهم من وراء ذلك من أهداف مرحلية أو نتائج سارة ، ليكونوا كأمثال من قال تعالى عنه مشيراً إلى صفة التجرد من الأغراض القريبة عند الإحسان :

- ﴿ الَّذي يُؤتي مالَه يَتزكّىٰ * وما لِأحدٍ عنده مِن نِعمةٍ تُجزىٰ * إلا ابْتِغاء وَجه ربِّه الأعلىٰ * وَلَسوف يَرضىٰ ﴾ [الليل :١٨-٢١] .

فهو لايحسن إلى الناس ليقابلوا ذلك بالإحسان إليه ، وإنما ليرضي ربه الذي وعده بالمقابل بالرضا المطلق .

ومن تحققت فيه مثل هذه الصفات فلا يؤثر في سلوكه توقف الجوائز أو قلة أهميتهاعلى النحو الذي يحدث لمن يجعل هذه الجوائز هدفاً أساسياً لسلوكه .

والإنسان الذي له مثل هذا المقام وهذه الخصائص يصعب أن يطبق عليه ما يطبق على الحيوان في مجال ضبط السلوك إلا في ظروف خاصة ، ولإشباع حاجات محدودة - مع كثير من التحفظ - ولاسيما أن من أهم أساليب ضبط السلوك الثناء والمدح ، واللوم والعتاب والوعد والوعيد . . وهذه كلها مما لا يفهمه الحيوان ولا يعقله ، علماً بأن الترغيب والترهيب في القرآن الكريم قائمان في معظمهما على ذلك مع دعمهما بالعقل .

وعلى هذا فإن التجارب التي أجريت على الحيوان لايمكن الاستناد إليها إلا في حدود ضيقة نسبياً من مجالات التعزيز وضبط السلوك الإنساني .

هذا وما ورد في القرآن الكريم من أساليب ضبط السلوك يتوافق بعضه مع أكثر أساليب ضبط السلوك المعاصرة ، مع الأخذ بعين الاعتبار أن التربية القرآنية تتميز بخصائص حتى في حال ظهور التوافق بينها وبين التربية البشرية .

فمثلاً : القيام بالسلوك المرغوب فيه يترتب عليه الثواب عادة ، وقد لا يحدث هذا في التربية البشرية ، في حين يؤكد القرآن الكريم ثبوت ذلك على الذرات ، قال تعالى :

﴿ فَمن يعمل مِثقالَ ذرَّةٍ خيراً يَرَه * وَمَن يَعمل مِثقال ذرَّة شَراً يَره ﴾ [الزلزلة :٧-٨] .

والامتناع عن السلوك المرغوب فيه أو القيام بسلوك غير مرغوب فيه يترتب عليه

عقاب غالباً ، إلا أن احتمال النجاة في القرآن الكريم أكبر . هـذا من جهة ، ومن جهـة أخرى فإن الامتناع عن السلوك السيىء يترتب عليه نجاة من العقاب ، إلا أن القرآن الكريم يرتب عليه فوق ذلك ثواباً : قال تعالى : ﴿ إنْ تَجتنبوا كَبائِـرَ ما تُنْهـونَ عنه نُكَفِّـر عَنكم سَيئاتِكم ونُدخِلكم مُدخَلاً كَريماً ﴾ [النساء : ٣١] . كما أنه يتجاوز عن الخطـأ والنسيان والجهل ، في حين لاتفعل التربية البشرية مثل ذلك إلا أحياناً . فالذي يقدم الامتحان مثلاً يجب أن تخلو ورقته من الأخطاء بغض النظر عن كون السبب جهلاً أو نسياناً .

هذا بالإضافة إلى ما تختص به التربية القرآنية من أنواع الترغيب والترهيب السابق ذكرها قبل هذا الفصل مباشرة ، وما تعتمد عليه هذه الأساليب فيه . بحيث يمكن القول : إن للتربية القرآنية مزايا عديدة ، منها ماسبق ذكره كالاعتماد على الفطرة الإنسانية ، وتربية الضمير والوازع الديني ، والموضوعية . ومنهـا مايتبين أكثـر في منهج القـرآن التربـوي ، كالمرونة والاعتدال والتوازن في معالجة المواضيع واستخدام الترغيب والترهيب مع اغتنام الفرص والمناسبات والاستفادة من الماضي والمستقبل ، وغير ذلك .

ثانياً - أبرز الأسس التربوية التي يعتمدها منهج القرآن الكريم :

إذا لم يسغ أن يطلق على القرآن الكريم اسم : « المنهاج » بالمعنى المتعارف عليه لمفهوم « المناهج التربوية المعاصرة » فإن ذلك لايعني أنـه خال من منهـج تربـوي يسير عليه ، بل إنه في الواقع يتمتع بمنهج دقيق ومتميز ، شأنه شأن سائر ما يحويه من بـديع النظم ورفيع الأسلوب البياني وسمو التشـريع ، إلا أن « هـذا المنهج القـرآني أقرب إلى مفهوم المنهج المحوري ، على أن يكون تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى هو المحـور الأساسي الذي يدور عليه ما سواه »[١] .

ويـرى الدكتـور البوطي « أن الأسس التـربـويـة التي يقـوم عليهـا المنهـج القـرآني لاتتجاوزالأسس الثلاثة التالية : المحاكمة العقلية ، العبرة والتاريخ ، الإثارة الـوجدانيـة . وأن جميع ما في القرآن الكريم من الأسـاليب التربـوية ، إنمـا ينبثق عن واحد من هـذه الأسس الثـلاثة ، ويـدور على محوره ، ويسيـر وفق مقتضياتـه . . »[٢] . مشيـراً إلى أن

---

(١) أصول التربية الإسلامية: النحلاوي ص٢٠٢.

(٢) منهج تربوي فريد في القرآن: البوطي ص١٩-٢٠.

العلة من ذلك هي أن العقل وحده لايكتسب ثقة النفس ما لم يدعمه شاهد من الواقع الذي يصدقه ، وذلك هو التاريخ بأحداثه ، وأن العقل - حتى بعد أن ينال من النفس هذه الثقة - لايستحوذ عليها بالقيادة والتوجيه ما لم يجند له جيش من العواطف والأشواق ، وتلك هي الإثارة الوجدانية - ويعني بها الترغيب والترهيب . كما أكد المؤلف أن هذه العوامل إذا تضافرت في ذات الإنسان واتجهت به إلى سبيل ما لم يقم أمامها عائق ، ولم يحجزها عن الوصول إلى الغاية حاجز(١) .

هذا وقد حقق القرآن الكريم في هذه الأسس كثيراً من المرونة والتوازن والموضوعية ، وراعى فيها الفروق الفردية وعالمية الدعوة الإسلامية ، وصبغ مواضيعه بصبغة الإيمان والتوجيه مع التدرج وتقديم الأولى في ذلك .

ومن مظاهر تقديمه الأولى بدؤه بموضوع الإيمان الذي به يتحقق في النفس وازع أو رقيب ذاتي يُحيي الضمير ، حتى لايأتي التشريع في فراغ نفسي ينفر من أوامره أو يعارض نواهيه

ومن فوائد بدء القرآن الكريم بالأولى أن أهدافه الأساسية صارت فيما بعد وسائل للتشويق والتعزيز - كالصدق والعلم والإيمان والتقوى والصلاح . وذلك بعد أن تبينت قيمة هذه الأهداف في نفوس الأفراد .

ومن الأمثلة على استخدام هذه الأهداف للتشويق والتعزيز قوله تعالى :

١ - ﴿ ياأيُّها الَّذين آمَنوا كُتب عَليكم الصِّيام كما كُتب علىٰ الَّذين من قَبْلِكم لعلَّكم تتَّقون ﴾ [البقرة : ١٨٣]

٢ - ﴿ يا عِبادِيَ الَّذين آمَنوا إنَّ أرْضي واسِعةٌ فإيّايَ فاعْبُدون ﴾ [العنكبوت : ٥٦] ، حيث ناداهم باسم الإيمان في الآية الأولى ، وعلل ما طلب إليهم بتحقيق التقوى ، وناداهم في الآية الثانية باسم « العباد » مضافاً إليه تعالى ، مع وصفهم بالإيمان قبل أمرهم بالعبادة - وواضح أن مثل هذا نوع من التشويق .

وأما أمثلة ذلك في خصوص التعزيز فمنه قوله تعالى :

٣ - ﴿ أولٰئك الَّذين صَدقوا وأولٰئك هُم المُتَّقون ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، يثني عليهم بما جمعوا من خصال البر

٤ - ﴿ . . . لَنُدخِلنَّهم في الصّالِحين ﴾ [العنكبوت : ٩] ، يشجعهم على العمل

---

(١) المرجع السابق ص٢٠ .

الصالح بعد الإيمان .

وبالمقابل صارت نقائض هذه الأهداف وسائل للتنفير والعقاب ، كالكذب والفسق ، والفجور ، والكفر . . مثل قوله تعالى :

٥ - ﴿ وأولئكَ هُم الفاسِقون ﴾ [النور : ٤]

٦ - ﴿ أولئكَ هُم الكَفَرة الفَجَرة ﴾ [عبس : ٤٢]

هذا وفيما يلي خلاصة عن تلك الأسس الثلاثة لمنهج القرآن الكريم - مع شيء من التعليق عليها عند الحاجة .

الأساس الأول لمنهج القرآن الكريم : المحاكمة العقلية :

« ويتألف هذا الأساس من ثلاثة جوانب ، هي : تعريف الإنسان بذاته ، واختيار أسلوب صالح لمدارك جميع الناس ، والاعتماد على المناقشة والحوار »(١) .

والواقع أن الجانب الأول قد سبق التعرض له عند الحديث عن نظرة القرآن الكريم إلى الإنسان ، إلا أن من المهم هنا الإشارة إلى أهمية البدء في مجال التربية بتعريف الإنسان بذاته .

« وتتمثل هذه الأهمية في أن جميع المعارف التي يكتسبها الإنسان إنما هي فرع لمعرفة سابقة هي معرفته لذاته ، ودون توافر هذه المعرفة الأولى لايمكن أن يحرز أي ميزان سليم للمعارف الفرعية الأخرى .

ومن هنا بدأ القرآن الكريم في أول عهده بالنزول بتعريف الإنسان بحقيقته من حيث النشأة - وبدأ في أول سورة له حسب الترتيب الحالي للمصحف بتعريف الإنسان بفئاته العقائدية - وذلك أن هذا التعريف هو السبيل التربوي الذي لابديل عنه لإقناع عقله بالحقيقة التي ترتكز عليها نشأة هذا الوجود من حيث هو »(٢) .

وأما الجانب الثاني الذي هو « اختيار أسلوب صالح لجميع مدارك الناس »(٣) فالحكمة منه أنه من المعلوم أن المربين عموماً والمدرسين خصوصاً يواجهون مشكلات متنوعة أثناء أداء واجبهم ، ومن أهم هذه المشكلات تباين الفروق الفردية لدى الطلاب

---

(١) المرجع السابق ص١٩.
(٢) المرجع السابق ص٢٠.
(٣) المرجع نفسه.

أو المتعلمين تبايناً كبيراً - مما أدى إلى تبني حلول عديدة[1] . منها تصنيف الطلاب على حسب تباين استعداداتهم وقدراتهم العقلية والانفعالية - وهو أمر لم يسلم من النقد لتوافر الثغرات فيه .

وأما القرآن الكريم فقد نجح في اختيار أسلوب جامع وشامل يتسع لجميع القدرات والمستويات ، ليسقي كل نبتة حسب حاجاتها ، حيث يفهمه البسيط ، ولايشبع منه المتفوق العبقري . . »[2] .

والظاهر أن مثل هذا التوفيق في الأسلوب من أصعب ما يمارسه المربي أو المفكر ، بل هو متعذر أن يتفق له في موضوع واحد فضلاً عن كتاب بكامله ، ودون أن يحدث أي تضارب ولا خلل .

والواقع أن الشمول والموضوعية في القرآن الكريم سمة بارزة ، تكاد تطّرد فيه ، ومن مظاهر ذلك كثرة استخدامه لألفاظ العموم ، وقلة تعرضه لذكر أسماء الأشخاص بأعيانهم ، إذ لم يسم ممن عاصروه - باستثناء النبي محمد ﷺ - إلا اثنين هما : زيد[3] ابن حارثة رضي الله عنه ، وأبولهب[4] بن عبد المطلب .

ولم يُسم النبي نفسه باسمه إلا خمس مرات : (أحمد مرة ، ومحمد أربع مرات)[5] - الأولى على لسان النبي عيسى عليه السلام - وإنما يناديه غالباً باسم « النبي - الرسول » .

كما أنه لم يسم من شخصيات التاريخ إلا ٣٨ شخصاً :

٨١,٥٧٪ منهم من الرسل والأنبياء والصالحين :(٣١) باعتبارهم القمة في

---

(١) التوجيه والإرشاد النفسي : زهران ص٣٧٨ .
(٢) عِلم النفس التربوي : النشواتي ص٢٦٦ .
(٣) من سورة الأحزاب ٣٣/٣٧ (أي مرة واحدة).
(٤) من سورة المسد ١١١/١ (أي مرة واحدة).
(٥) من السور التالية: الصف٦١/٦، وآل عمران٣/١٤٤، والأحزاب٣٣/٤٠، ومحمد٤٧/٢، والفتح٤٨/٢٩ (أي خمس مرات).

القدوة الحسنة[1] .

و٤٢ ,١٨٪ منهم من أهل الكفر : (٧) تحذيراً من صنيعهم واتباع سيرتهم[2] ، وأما غير هؤلاء فلم يذكرهم القرآن الكريم إلا كناية أو تعريضاً أو وصفاً ، مثل : رجل ، عبد ، مؤمن . . أو ضمن ألفاظ العموم وأسماء القبائل : الناس ، القوم ، عاد ، ثمود ، قريش ، بني آدم ، أو بني إسرائيل . . أو ضمن الأسماء الموصولة ، مثل (الذي ، الذين ، من) وغير ذلك من أساليب الخطاب العام . مع ملاحظة أن عبارة النداء « ياقوم » وردت في القرآن الكريم ٤٧ مرة ، ولكن لايظهر أن النبي ﷺ أُمر بندائهم بها إلا مرتين ، وذلك بعد أن برهن لهم بالأدلة الكونية التي أقروا بها ، ثم بالمنطق الذي يوضح لهم أو يحملهم على الاعتراف بعدم جدوى عبادة غير الله ، قال تعالى بعد ذلك : ﴿ قُل ياقومِ اعمَلوا علىٰ مَكانَتِكم إنّي عاملٌ فَسوفَ تَعلَمون ﴾ [الزمر : ٣٩][3] وذلك أن دعوته ليست خاصة بقومه ، فلابد من شمول وموضوعية فيها . ويمكن تمثيل هذه النزعة الإنسانية[4] في القرآن الكريم بجدول يوضحها :

---

(١) وهم : آدم، إدريس، نوح، هود، صالح، شعيب، إبراهيم، لوط، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، يونس، إلياس، موسى، هارون، أيوب، داود، سليمان، اليسع، ذوالكفل، زكريا، يحيى، عيسى، عمران، لقمان، ذوالقرنين، تبع، عزير، طالوت، مريم - أم المسيح عيسى عليهم السلام.

(٢) وهم : إبليس، آزر، فرعون، هامان، قارون، سامري، جالوت.

(٣) والأنعام : ١٣٥ .

(٤) كما سماها بذلك الدكتور البوطي في كتابه: من روائع القرآن ص٢١٦ .

الجدول رقم (٧)

نسبة ورود بعض ألفاظ العموم في القرآن الكريم

ألفاظ العموم المختارة			بيانات أخرى
الذي(مفرداً ومثنى وجمعاً)	٥٥٤	٣٩,٧٤	- على الأقل ، لأن صاحب المعجم المفهرس لم يخص الاسم الموصول بفقرة ، وإنما تم الحصول على تكراراته بالتتبع الشخصي.
القوم	٣٨٣	٢٧,٤٧	
الناس	٢٤٥	١٧,٥٧	
رجل ، امرأة ، ذكر ، أنثى	٩٨	٧,٠٣	- وينحصر المراد بالاسم الموصول ههنا فيما يرجع إلى العاقل وما ادعي أنه عاقل كالشركاء أي الآلهة المزعومة.
الإنسان ، بني آدم	٧٢	٥,١٦	
بني إسرائيل	٤٢	٣,٠١	
المجموع	١٣٩٤		

هذا و٦٢,٠٩٪من الاسم الموصول مقترن بمفاهيم الإيمان (٣٤٤) مرة مقابل ٣٧,٩٠٪ منه مقترن بمفاهيم الكفر (٢١٠) مرات .

ولعل السبب في تفاوت نسبتي اقتران الاسم الموصول بمفهومي الإيمان والكفر لصالح الأول - يعود إلى عوامل من أبرزها: أن الكافر يوصف بعدم الإيمان بالله ، ويوصف كذلك بالإيمان بغير الله ، مثل:

١ - ﴿ وإنَّ الَّذين لايُؤمنون بالآخِرة عَن الصِّراط لَناكِبون ﴾ [المؤمنون: ٧٤] .

٢ - ﴿ ألم تَرَ إلى الَّذين أوتوا نَصيباً مِن الكِتابِ يُؤمِنون بالجِبتِ والطّاغوت ويَقولونَ للَّذين كَفروا هٰؤلاء أهْدىٰ مِن الَّذين آمَنوا سَبيلاً ﴾ [النساء: ٥١] . ويندر مثل قوله تعالى بالمقابل:

٣ - ﴿ فَمَن يَكفر بالطّاغوت ويُؤمِن بالله فقد استَمسَك بالعُروَة الوُثقىٰ لاانْفِصامَ لها ﴾ [البقرة: ٢٥٦] « ولايحضرني غير هذه » ، ممايرجح جانب الإيمان ، ويرفع نسبة اقترانه بالاسم الموصول على نقيضه - الكفر - والمراد بهما هنا - أي الإيمان والكفر - هو ما يشمل غير مادتيهما مما يرجع إليهما من المفاهيم . والمهم أكثر هو أن ما سبق قد يرمز إلى الصبغة الموضوعية التي يتسم بها أسلوب القرآن الكريم عموماً ، وفي صياغة مباني التشويق

والتعزيز على الأخص .

فهو أي « القرآن الكريم إذ يحاكم العقول إلى حقائق الكون ووقائع الأمور فإنما يختار أسلوباً وصياغة وألفاظاً تتفق مع قدرات هذه العقول وإمكاناتها في الإحاطة والفهم ، دون أن ينشأ عن ذلك أي تضارب في الفهوم أو في المعاني المختلفة ، متخذاً هذا الكون وما فيه وسائل إيضاح ، لأن من أعظم الأخطاء التربوية أن يكون أمام التلميذ سبيل طبيعي مباشر إلى لمس الحقيقة العلمية بجهده الحسي ، ثم يثنيه عنها المعلم بما يفرضه عليه من الفهم من مركز السيطرة والإجبار »(١) .

فالقرآن الكريم إذن كما راعى الفروق الفردية بأسلوبه هذا فإنه راعاها كذلك في مجال التعزيز ، لأنه يطمئن كل فرد بوضع مستوى مشترك للجميع لتحقيق النجاح وتأمين الفوز بالثواب . ثم يفتح المجال فيما بعد للتنافس .

ويتمثل الحد الأدنى للنجاح في الفرائض والأصول ، وهي لاعسر فيها على أحد ، حتى إذا تعسرت لظرف طارىء رخص القرآن الكريم فيها ، لتبقى دائماً مما يتيسر على الفرد ، قال الله تعالى في ذلك:

١ - ﴿ لايُكلِّف الله نَفساً إلا وُسعها ﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

٢ - ﴿ ما يُريدُ الله لِيَجْعلَ عليكم من حرج ﴾ [المائدة: ٦]

٣ - ﴿ يُريد الله بِكُم اليُسر ولايُريد بِكُم العُسر ﴾ [البقرة: ١٨٥] .

فالإيمان والعمل الصالح قدر الوسع كافيان لاستحقاق الثواب بالجنة ، والنجاة من النار ، بل وفي معظم العهد المكي « كان الرجل إذا شهد أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم مات على ذلك وجبت له الجنة »(٢) .

وبعد تحديد الحد الأدنى للفوز يفتح القرآن الكريم باب التنافس النزيه على مصراعيه ، لتحقيق مقتضى الفروق الفردية ، كما يتمثل في النوافل من العبادات ، وسائر وجوه التطوع الخيرية ، قال تعالى:

١ - ﴿ فَمن تَطوَّع خَيراً فَهوَ خَير له ﴾ [البقرة: ١٨٤]

٢ - ﴿ وَلِكل وِجْهةٌ هو مُوَلّيها فاستَبِقوا الخَيرات ﴾ [البقرة:١٤٨] .

٣ - ﴿ وفي ذلكَ فَلْيَتَنافس المُتَنافسون ﴾ [المطففين: ٢٦] .

---

(١) منهج تربوي فريد في القرآن: البوطي ص٣٧.

(٢) تفسير القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٢٣٧ .

وفي الحديث القدسي أنه تعالى يقول: « ماتقرب إلَّي عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي عليها ، وإن سألني أعطيته ، ولئن استعاذني لأعيذنه »[١] .

« وهي تربية واقعية تجعل من الفرائض قدراً مشتركاً للجميع ، ثم تترك الباب مفتوحاً للتسامي والتحليق بالنوافل لمن يشاء حتى يصبح العابد ربانياً مسدَّداً »[٢] .

وأما الجانب الثالث من المحاكمة العقلية (الاعتماد على المناقشة) . « فكأن يناقش القرآن الكريم ويحاور مع إثارة النظر بالأسئلة المنبهة للعقل والمحركة للفكر ، دون أي جواب صريح عنها ، وإنما بدلاً من ذلك يلفت النظر إلى أساس المشكلة في الأمر بكلمة « بل » « الإضرابية »[٣]مثلاً .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى بعد ذكر عدد من الأنبياء مع معارضيهم:

- ﴿ . . قُل الحَمدُ لله وسَلامٌ علىٰ عِبادِهِ الَّذينَ اصْطَفىٰ آللهُ خَيرٌ أمّا يُشْرِكون * أم مَن خَلق السَّمٰوات والأرضَ وأنْزَل لَكم مِن السَّماءِ ماءً فأنْبَتنا به حَدائقَ ذاتَ بَهجَةٍ ما كانَ لَكم أنْ تُنْبِتوا شَجَرها أَإلٰهٌ مَعَ الله بَل هُم قومٌ يَعدلون * أم من جَعل الأرضَ قَراراً وجَعل خِلالَها أنْهاراً وجَعل لها رَواسيَ وجَعلَ بَين البَحرَينِ حاجِزاً أَإلٰهٌ مع الله بَل أكثَرُهم لايَعلمون * أم مَن يُجيبُ المضطَّرَّ إذا دَعاه ويَكشِفُ السّوءَ ويَجعلُكم خُلفاءَ الأرض أَإلٰهٌ مَع الله قَليلاً ماتَذَكَّرون.أم مَن يَهديكُم في ظُلُماتِ البَر والبَحر ومَن يُرسل الرِّياح بُشراً بَين يَدَيْ رَحْمته أَإلٰهٌ مَع الله تَعالَى الله عَمّا يُشركون * أم مَن يَبدَأُ الخَلقَ ثُمَّ يُعيدُه ومَن يَرزُقكم مِن السَّماءِ والأرضِ أَإلٰهٌ مَع الله قُل هاتوا بُرهانَكم إنْ كُنتُم صادِقين ﴾ [النمل: ٥٩-٦٤] .

ففي النص السابق عدد من الأسئلة غير المصرح بالإجابة عنها ، اكتفاءً بالإشارة إليها لعلم المخاطبين بها وإن تظاهروا بالجهل . . كما أن في النص الإشارة إلى تعدد نعم الله على الإنسان تشويقاً إلى قبول الحق ، فاجتمع بذلك النقاش الفكري وإثارة العاطفة .

هذا ومما يعنى به منهج القرآن الكريم التربوي اغتنام كل فرصة سانحة لتوجيه الإنسان وإخضاع النفس للسير على مبادئ الحق والفضيلة . ومن هنا كان التاريخ وحوادثه من أهم

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، رقاق٣٨.

(٢) منهج القرآن في التربية: شديد، محمد ص٢١٦.

(٣) منهج تربوي فريد في القرآن: البوطي ص٤١.

الأسس التي يعتمدها هذا المنهج .

الأساس الثاني لمنهج القرآن الكريم : القصص والعبر التاريخية :

وهذا الأساس يقابل إلى حد ما الاستفادة من المستقبل المصيري بتصوير مواقف مثيرة لما بعد الموت عن الجنة والنار وأحوال أهلها ، فكما يفعل القرآن الكريم ذلك فإنه يصور الماضي السحيق الذي يتمثل في الأمم السابقة مع أنبيائهم ورسلهم من الإيجابية والسلبية ، ليقف الفرد على نتائج واقعية من هذا الماضي - فيقيس عليه حاضره ، ويعد لمستقبله المنظور الذي ازداد ثقة به وبما فيه في ضوء نتائج الماضي . « والإنسان يميل إلى القصة بفطرته ، ولها أثر نفسي فيه ، مصدره : الإسقاط والتنفيس والخيال الذي يحول حوادث القصة إلى واقع حسي مشاهد . . وإن من فوائد القصة إثارة الشوق إلى المتابعة ، لما فيها من المفاجآت وتركيز الانتباه ، وإشباع الخيال ، والتوجيه غير المباشر ، وإعطاء المعلومات بسهولة ، وتعويد الفرد على الأعمال الفكرية كالاستنتاج والقياس . . ثم إن القصة في القرآن الكريم تبين ترابط الشرائع السماوية ووحدة الدين »[1] .

« وللقرآن الكريم منهج دقيق في القصص ، يتلخص في أنه :

١ - لايسوق من القصة إلا مايتعلق بالغرض الذي سيقت له . . لتظل الصلة متينة بينها وبين المناسبة الداعية إلى ذكرها ، بحيث تبعث القصة فيها (المناسبة) الأهمية وتمدها بالحركة والحياة . ولذلك لايلتزم القرآن الكريم سرد حوادث القصة حسب تسلسلها التاريخي ، حتى لايبتعد بالسامع أو القارىء عن المناسبة أو الغرض الأصلي لذكر القصة »[2] .

٢ - يقحم النصائح والعظات في ثنايا القصة :

« وذلك لئلا يندمج القارىء أو السامع مع القصة وينصرف إليها بكل تفكيره وينسى المساق الأصلي لها ، وتلك هي آفة الاستعانة بالقصة في التربية والتهذيب ، بسبب انشغال الفكر بأحداثها ومفاجآتها ، وبما فيها من مشاهد مثيرة غالباً . .[3] .

وهذه الفقرة مهمة في الموضوع باعتبارها من أساليب اغتنام الفرص والمناسبات بشكل مثير ، فيه مراعاة التناسب وتوفير الوقت والجهد مع أداء اللازم .

---

(١) الإعداد النفسي والتربوي : الهاشمي ص٢٤٦ ومابعدها.

(٢) منهج تربوي فريد في القرآن: البوطي ص٥١-٥٢.

(٣) المرجع السابق ص٥٤.

ويبدو أن هذه الظاهرة من العوامل التي جعلت القرآن الكريم موجزاً وواضحاً في آن واحد ، حيث تفسر فيه الحقيقة بحقيقة أخرى أو أكثر .

فعندما يقص القرآن الكريم قصة شخصية طيبة ضربت الرقم القياسي في الصلاح ، ويبين ما قاسته هذه الشخصية في سبيل ذلك من الصبر على الأذى والمتاعب ، ثم يبين نتيجة ذلك ، ويعقبه بمثل قوله تعالى: ﴿ إنّا كذلك نَجْزي المُحسِنين ﴾[1] ، أو ﴿ والله مع الصّابرين ﴾ أو ﴿ والله يُحبُّ المُتَّقين ﴾ . . فإن هذا أقوى أثراً وأوضح بياناً من أن يأتي على سبيل إرساء قواعد أو تقرير حقائق مجردة ، دون أن يوضحها بواقع عملي يلمسه الفرد ، أو يشاهد أثره .

وبالمقابل قد يعقب القرآن الكريم قصة قوم عاثوا في الأرض فساداً - وكان مصيرهم إلى الهلاك - بحقيقة كقوله تعالى:

- ﴿ وكذلكَ أخْذُ ربِّك إذا أخَذَ القُرىٰ وهِيَ ظالِمةٌ إنَّ أخْذَه أليمٌ شَديد ﴾ [هود: ١٠٢] .

- ﴿ إنَّ بَطشَ ربِّك لشَديد ﴾ [البروج: ١٢] ومثله ﴿ إنَّ ربَّك لَبِالمِرصاد ﴾ [الفجر: ١٤]

ففي ذلك من الوضوح والإيجاز ما يحول دون الملل من المتابعة ، مع إيصال الحقيقة إلى أعماق النفس بصورة غير مباشرة .

ولعل من المفيد إيراد مثال أكثر تفصيلاً لإقحام النصائح في القصة:

« يقص علينا ربنا خبر موسى وفرعون ، حتى إذا تشعبت أحداث القصة ، وكاد السامع أن يغفل عن مساقها والغرض منها بالتأمل في واقعها وغريب أحداثها فوجىء بحديث آخر يتوجه إليه بالموعظة والإرشاد ، ويشده إلى الغرض الكلي للقصة . . حتى إذا حقق هذا الحديث الطارىء أثره المطلوب في نفس الفرد عاد السياق إلى القصة وأحداثها »[2].

قال تعالى: ﴿ إنّا قد أوحِيَ إلَيْنا أنَّ العَذابَ على مَن كذَّب وتَوَلّى * قالَ فَمن ربُّكما ياموسىٰ قال ربُّنا الَّذي أعطىٰ كلَّ شيءٍ خَلقَه ثُمَّ هَدىٰ * قال فما بالُ القُرونِ الأولىٰ.قال عِلمُها عِندَ رَبّي في كِتابٍ لايَضِلُّ ربّي ولايَنْسىٰ ۔ الَّذي جَعل لكُم الأرضَ مَهْداً وسَلَك لكم فيها سُبُلاً وأنْزَل مِنَ السَّماء ماءً فأَخرجْنا به أزْواجاً مِن نَباتٍ شتّىٰ * كُلوا وارعَوْا أنْعامَكم إنَّ في ذٰلك

(١) تكرر في سورة الصافات ٣٧/ ٨٠ و١٠٥ و١١٠ و١٢١ و١٣١ ويوسف١٢/ ٢٢ .

(٢) منهج تربوي فريد في القرآن: البوطي ص٥٥

لآيات لأولي النُّهى* منها خَلقناكُم وفيها نُعيدُكم ومنها نُخرِجكم تارةً أخرى* ولَقدْ أريناه آياتِنا كلها فَكذَّب وأبى*قال أجئتَنا لِتُخرجنا من أرْضِنا بِسحرِكَ يا موسى*فَلنأتينَّك بسحرٍ مثله فاجعلْ بَيننا وبينَكَ موعِداً لا نُخلفه نحن ولا أنْتَ مكاناً سوى﴾[طه:٤٨-٥٨].

« فقد توقف سير القصة ليظهر من ورائها حديث آخر يتحول فيه الخطاب مما بين موسى وفرعون إلى مابين الله وعباده[1] ، متضمناً الامتنان بالنعم ، والتحذير من النقم ، والتنبيه إلى بالغ سيطرة الله وعظيم قدرته . . حتى إذا اصطبغت القصة بهذا الجو الإرشادي واستعاد الفرد بذلك انتباهه إلى الغرض الكلي من نزول القرآن الكريم ، عادت القصة إلى مسارها »[2] .

وإقحام النصائح والعظات في موضوع القصة إنما هو مظهر من مظاهر أسلوب القرآن الكريم في صبغ جميع مواضيعه بروح الإيمان بالله والتذكير به . بالإضافة إلى أنه من مظاهر اغتنام الفرص ، فلا يدع القرآن الكريم الفرد يستغرق في أي موضوع من مواضيعه وأبحاثه المختلفة ، بل يصبغها جميعاً بصبغة التوجيه والإرشاد بما يبرزالمحور الأساسي الذي يدور عليه القرآن الكريم ، فلا يتشتت الذهن عنه مهما تشعبت المواضيع . وهو في ذلك كله يقرع أوتار العقل ومكامن العواطف في آن واحد ، أي يثير الفكر مع إثارة الوجدان .

وهذا مما جعل للتربية القرآنية مرونة كبيرة ، بل « إن سبب نجاح تربية القرآن الكريم وعمق أثرها في النفوس هو مرونته . . كما كانَ بناؤه مظهراً رائعاً للخلود ، جعله صالحاً للسير مع كل نفس ، موجهاً لكل جيل ، بانياً لكل أمة ، لتماثل النفوس وتشابه الأحداث . . »[3] .

وقد لا يقصد المؤلف بتشابه الأحداث وتماثل النفوس التطابق من كل وجه ، إذ لكل حادثة تفصيلات خاصة بها ، ولكل إنسان سمات خاصة به تميزه عن غيره . ولعل المراد بهذا القول أن النفس الإنسانية من حيث أصل الفطرة لاتختلف بين فرد وآخر في نزعتها الإنسانية العميقة ، بغض النظر عن تأثيرات البيئة المحيطة ، التي لها دور كبير في تحديد أشكال التكيف الفردي والاجتماعي . .

كما أن الحوادث الاجتماعية يفسر بعضها بعضاً وتعيد نفسها من هذا الوجه على مر التاريخ البشري ، وإن اختلفت في نوعياتها التفصيلية تأثراً بما يحيط بها من ظروف

---

(١) أي بالآيات ٥٣-٥٥ من سورة طه.
(٢) منهج تربوي فريد في القرآن: البوطي ص٥٦.
(٣) منهج القرآن في التربية: شديد، محمد ص٢٧٧.

وملابسات نفسية واجتماعية ، اقتصادية أو سياسية أو غيرها .

هذا وأما إثارة الوجدان فهي أهم الأسس الثلاثة التي يقوم عليها منهج القرآن الكريم التربوي بالنسبة لهذا البحث .

الأساس الثالث لمنهج القرآن الكريم : الإثارة الوجدانية .

وهذا الأساس يمثل وسيلة تربوية حساسة وخطيرة إذا فقدت الحكمة في استعمالها . إلا أن القرآن الكريم قد راعى فيها كل الشروط الواجب توافرها ليكون الأداء التربوي فيها إيجابياً ، حيث لم يتخذ هذه الوسيلة هدفاً مستقلاً أو أداة منفصلة عن العقل ، كما أنه راعى في استعمالها الاعتدال والتوازن بما يضمن للفرد الاتزان النفسي والسلوكي إلى أقصى ما يمكن تحقيقه من ذلك .

وقد عني الدكتور البوطي بهذه الوسيلة موضحاً ما يجب مراعاته في استعمالها ، ومشيراً إلى خطورة ما فيها عند إساءة الاستعمال .

وفيما يلي خلاصة عن ذلك :

« من المعلوم أن الإثارة الوجدانية لاتكون عملاً تربوياً سليماً إلا إذا أريد منها إخضاع النفس لحقائق علمية صحيحة أو لمبادئ خلقية سليمة . فإثارة الوجدان إذن طريق تربوي إلى غاية تربوية أو علمية ، وليست هدفاً تربوياً مستقلاً بذاته ، ولهذه الوسيلة أخطارها الجسيمة إذا أسيء استعمالها ، كما أن لها فوائدها العظيمة إذا أحسن استعمالها .

ويتلخص منهج القرآن التربوي في استخدام هذه الوسيلة في مراعاة ما يلي :

١ - أن تكون عوناً لحركة العقل ونشاطه ، لإخضاع النفس لحكمه . .

٢ - أن تعتمد قدر الإمكان على التصوير والتخيل ، لا على المحاكمة العقلية الجافة . . فإن فاعلية الوجدان تضمحل في غمار التأمل الفكري . .

٣ - أن يعتمد المربي على مزيج متكافىء من العناصر الوجدانية المؤثرة .

وهذه الأمور الثلاثة التي يقيم عليها القرآن الكريم فن الإثارة الوجدانية هي الضمانة الكبرى لأن يبقى السبيل التربوي الخطير في مأمن من العواقب الضارة التي كثيراً ما تكون سبباً لها . . »[1] أي السلبيات ، التي تكون الإثارة الوجدانية نفسها هي السبب المباشر لحدوثها .

---

(١) منهج تربوي فريد في القرآن : البوطي ص٦٤ .

آ - الإثارة الوجدانية في معاونة العقل:

« إن الإثارة الوجدانية في القرآن الكريم ليست غرضاً مقصوداً لذاته ، وإنما هي عون للعقل على أن يسيطر على النفس ويلزمها بأحكامه ، لأن دعوة القرآن الكريم أساساً إنما تتجه إلى العقل والفكر ، لتعلقها بمبادئ وحقائق لا سبيل إليها وإلى التمسك بهاإلا بواسطة العقل والفكر ، كالإيمان بالله ووحدانيته ، وأن هذه الحياة الدنيا لايعقل أن تكون عبثاً . . فبعد أن يرسي القرآن الكريم هذا الأمر بالأدلة يعمد إلى إثارة كوامن الوجدان في النفس للقضاء على معوقاتها التي قد تقطع سبيل العقل إليها ، فيثير فيها دواعي الرهبة والرغبة وأسباب المحبة ، طبق ميزان دقيق الاتساق . . فإذا النفس بعد ذلك خاضعة لتلك المبادئ التي سبق وصفها مكشوفة واضحة أمام العقل »[1] .

ومثالاً على ذلك يمكن تأمل نص أثار فيه القرآن الكريم العقل ونبهه إلى الحقيقة بالوسائل العلمية والفكرية المجردة ، ثم أثار كوامن الخوف والتحذير في النفس كي لاتتمرد على حكم العقل وقراره . . قال تعالى:

١ - ﴿ فَلْيَنْظُرِ الإنسانُ إلى طَعامِه.أنّا صَببنا الماءَ صَبّاً.ثُمَّ شَقَقنا الأرضَ شَقّاً.فأنبَتنا فيها حَباً.وعِنَباً وقَضْباً.وزَيتوناً ونَخلاً.وحَدائق غُلباً.وفاكِهةً وأبّاً.مَتاعاً لكم ولأنعامِكم * فإذا جاءَت الصّاخَّة.يوم يَفرُّ المَرءُ مِن أخيه.وأُمِّه وأبيه.وصاحِبَتِه وبَنيه.لكلِّ امرِئٍ مِنْهُم يَومَئذٍ شَأنٌ يُغنيه * وُجوهٌ يَومئذٍ مُسفِرة.ضاحكةٌ مُستبشِرة * وَوُجوهٌ يَومئذٍ عَليها غَبَرة.تَرهَقُها قَتَرة.أولئك هُم الكَفَرة الفَجَرة ﴾ [عبس: ٢٤-٤٢] .

« فالشطر الأول من النص (إلى ولأنعامكم) تنبيه للعقل إلى دلائل وجود الخالق وقدرته وعظيم فضله على الإنسان ، ودفع له إلى الإيمان به وشكر نعمه ، وأما الشطر الأخير منه فإثارة للنفس عن طريق كوامن الرهبة والرغبة لتتفاعل مع حكم العقل وتؤيده »[2] .

ومثله قوله تعالى يمهد للحكم الفقهي بإثارة العاطفة الإنسانية:

---

(١) المرجع السابق ص٦٦.
(٢) المرجع السابق ص٦٨.

٢ - ﴿ يأيُّها النّاس اتَّقوا ربَّكم الَّـذي خَلقكم مِن نَفسٍ واحدةٍ وخَلقَ مِنها زَوْجَها وبَثَّ مِنهُما رِجالاً كَثيراً ونِساءً واتَّقوا الله الَّذي تَساءَلونَ بـه والأرحام إنَّ الله كـانَ عَليكُم رَقيباً * وآتوا اليَتامىٰ أمْوالهم ولا تَتَبدَّلوا الخَبيث بالطَّيب ، ولاتأكلوا أموالَهم إلىٰ أموالِكُم إنَّه كانَ حُوباً كبيراً ﴾ [النساء: ١-٢] . « حيث بدأ فحرك العاطفة الإنسانية عند السامع أو القارىء تجاه سائر إخوانه وأخواته من بني جنسه ، وحرك فيه نحوهم كوامن الرحمة والرأفة ، ونبهه إلى الرحم الموصولة بين جميع البشر ، وأثار فيه دوافع حفظها وتقديسها ، ولفت النظر إلى ضرورة الحذر من عقاب الله تعالى إن هو ضيعها أو تهاون في أمرها ، حتى إذا اهتاجت هذه العواطف في النفس وغدت متهيئة لتقبل ما يأتيها من أوامر وتوصيات بصدد رعاية الناس بعضهم بعضاً وتقديرهم لوشيجة الرحم والقربى ، بدأ فقال تعالى: ﴿ وآتوا اليَتامى أموالَهم . . الآية ﴾ .

ونظام القرآن الكريم كله جار على هذا النسق : يقدم بين يدي المحاكمة العقلية تمهيداً وجدانياً مثيراً ومنبهاً ، أو يعقب البحث العلمي والعقلي بخاتمة وجدانية تحذر النفس من عواقب عدم انقيادها للعقل . . »[(١)] ، روماً لتحقيق التوازن والاعتدال .

وبهذا يمكن تفادي سلبيات التجريد العقلي والانفعالات الجامحة .

« ومن هنا يظهر مدى خطورة تلك التربية التي تعتمد على العاطفة والوجدان غاية برأسها ، لاوسيلة إلى غيرها ، أي دون أن يكون ثمة مضمون عقلي يركن إليه الفكر ، ويؤمن به ويطمئن إليه ، فإن النفس بذلك لا تجد أمامها سوى أن تجتر وتتفاعل مع مثيراتها العاطفية الفارغة ، وهي بذلك لاتجد ما تأكله أو تسحقه - إلا فاعلية العقل وحركته - فلا يمضي وقت ما إلا وتنشل فاعلية العقل وقوته تحت سلطان الهياج العاطفي الذي لاسند له . . »[(٢)] . بل إن إثارة الوجدان تحتاج في كثير من الأحيان إلى شيء من التصوير والتشخيص بالإضافة إلى ضرورة جعلها عوناً للعقل .

---

(١) المرجع السابق ص٦٨-٦٩.
(٢) المرجع السابق ص٦٩.

ب - الاستعانة بالتصوير والتخيل في الإثارة الوجدانية

ومن مميزات التربية القرآنية أنها تجعل السامع أو القارىء لا يرى نفسه مجرد راوٍ لما يقرأ أو يستمع إليه ، وإنما يرى نفسه كأنه إحدى شخصيات حواره ، لما فيه من الحركة والحيوية ، وقوة التصوير للمعاني ، ودقة تشخيصه للحوادث ، وفنية تمثيله لشخصياتها .

ويقوم القرآن الكريم بمثل هذا التصوير غالباً بعد أن يعطي الإقناع العقلي حقه ، ليجمع بذلك بين العقل والعاطفة بصورة منسقة وحكيمة .

« وذلك أن إثارة الوجدان بالعقل ممكنة نظرياً ، ولكن هذه الطريقة ليس لها مفعول تطبيقي يذكر - إلا نادراً - لأن العواطف النفسية لاتتهيج بواسطة العقل كما تتهيج بواسطة نوافذ الحس إلى النفس ، إن منظراً مؤلماً لحالة فقير تزيغ عيناه فيما حوله من شدة الجوع والبؤس يفعل في النفس من التهيج ما لاتفعله أفكار المصلحين ومنطق الفلاسفة . والاستعانة بأداة التصوير والوصف ووضع الصورة أمام الخيال - إن لم يتيسر وضعها أمام العين الباصرة - تلك هي الطريقة المجدية كلما احتاج المربي إلى الاستعانة بالعنصر العاطفي للوصول إلى غاية تربوية ، وتلك هي الطريقة التي يسير عليها القرآن الكريم ، إنه لايخاطب العقل إلا عندما يريد أن ينبه إلى حقيقة علمية أو فكرية مجردة ، فإذا أراد إثارة شيء من كوامن الوجدان في النفس اتخذ إلى ذلك سبيلاً هي الوصف والتصوير ، ووضع ذلك أمام خيال القارىء أو السامع أدق مرآة تبرز فيه الصورة المطلوبة بجلاء ووضوح . . »[1] .

وقد تكون أداة التصوير والإثارة كلمة أو جملة . ومن ذلك قوله تعالى يحث على العدل والإنصاف في رعاية شؤون اليتامى ، وفي خصوص تقسيم الميراث :

- ﴿ وإذا حَضرَ القِسْمة أولو القُربى واليَتامىٰ والَمساكين فارزُقوهم منه وقولوا لهم قولاً مَعروفاً. ولْيَخشَ الَّذين لَو تَركوا مِن خَلفهم ذُرِّيَّةً ضِعافاً خافوا عَليهم فَلْيَتَّقوا الله ولِيَقولوا قولاً سَديداً . إنَّ الَّذين يَأكُلون أموالَ اليَتامى ظُلماً إنَّما يَأكلون في بُطونِهم ناراً وسَيَصلونَ سَعيراً ﴾ [النساء : ٨-١٠]

« . . إن الحديث يتعلق باليتامى وحقوقهم ووجوب المحافظة عليها . وفي هذه الآيات وما قبلها تحذير شديد للأوصياء على مال اليتامى من أن يُضيعوا شيئاً منه أو أن

---

(١) المرجع السابق ص٧١-٧٢.

يفرطوا في شيء من حقوقهم ، وفيها أمر عام للناس برعاية حال هؤلاء الضعفاء الذين فقدوا راعيهم ومعيلهم .

وسيراً على القاعدة المتبعة في كتاب الله تعالى . . لابد من إتباع هذا الحكم الفقهي القائم على الأمر والنهي بإثارة عاطفية تعين على تقبله والاهتمام به عن طواعية وحب . . إنها جاءت هنا في تضاعيف هذه الآية : ﴿ ولْيَخشَ الَّذين لو تَركوا مِن خَلفهم ذُرِّية ضِعافاً خافوا عليهم . . ﴾

فأول الآية أمر مؤكِّد للأوامر السابقة ، ولكن البيان الإلهي ربط هذا الأمر بصورة وجدانية أثارها في أعماق نفوس المخاطَبين بهذا الأمر مباشرة ، وهي صورتهم وقد أوشكوا على مفارقة الدنيا وإن لهم فيها ذرية ضعيفة ليس لها من بعدهم أي راع ولا معين . أثار هذه الصورة المؤثرة في نفوس المخاطَبين ، حتى إذا انتبهوا لها ، وتخيلوا تلبسهم بها ، وجاشت في صدورهم من ذلك عوامل الرحمة والشفقة لصغارهم الذين يرونهم من حولهم . . أصدر البيان الإلهي أمره إليهم في غمار تلك الحالة العاطفية برعاية من قد يكون تحت سلطانهم من اليتامى ، والنظر في حقوقهم بعين الرحمة الإنسانية . وكان من الممكن أن يقول تعالى « افعلوا باليتامى ما تحبون أن يفعل بأولادكم » غير أن هذا كان يأتي خطاباً للعقل وحده ، ولايبعث بأي تأثير وجداني في طوايا النفس - إلا أن تكون نفس السامع مهيأة بطبيعتها للانصياع إلى هذا المبدأ الإنساني »[1] .

بل إن فاتحة سورة النساء مرتبطة ارتباطاً قوياً بهذا الموضوع ، لأنها : « افتتاح موحٍ مثير لشتى العواطف وشتى الانفعالات ، يستجيش أعماق المشاعر الدينية والإنسانية والعائلية جميعاً . . »[2] .

وبعد أن حثت فاتحة السورة على التقوى وصلة الرحم ، وحذرت من أكل أموال اليتامى تتجه إلى تحديد نصيب كل وارث من الميراث ، إلا أن البيان القرآني يعود قبل ذلك مرة أخرى « ليحذر من أكل أموال اليتامى ليلمس الوجدان لمسَتين قويتين : أولاهما : تمس مكمن الرحمة الأبوية والإشفاق الفطري على الذرية الضعاف . واللمسة الثانية : تمس مكان الرهبة من النار والخوف من السعير في مشهد مفزع .

وهكذا تمس اللمسة الأولى شغاف القلوب ، قلوب الآباء المرهفة الحساسية بتصور

---

(١) المرجع السابق ص٧٦-٧٨.
(٢) في ظلال القرآن: قطب، سيد ٤/ ٧٩.

ذريتهم الضعاف مكسوري الجناح ، لاراحم لهم ولاعاصم ،كي يعطفهم هذا على اليتامى الذين وكلت إليهم أقدارهم بعد أن فقدوا الآباء . فهم يدرون أنه تكون ذريتهم غداً موكولة إلى غيرهم من الأحياء .

وأما اللمسة الثانية فهي صورة حسية مفزعة ، صورة النار في البطون ، وصورة السعير في النهاية . إن هذا المال - مال اليتيم - لهو نار ، وإنهم ليأكلون هذه النار ، وإن مصيرهم لإلى السعير ، فهي النار إذن تشوي البطون والجلود - من باطن وظاهر - هي النار مجسمة في هذا المشهد الذي تكاد تحسها البطون ، وتكاد تراها الأبصار . . »[1] .

ومن هذا التصوير كذلك تمثيل الإنفاق في سبيل الله بزرع في أرض خصبة مكتملة الصلاحية . . وبالمقابل تمثيل المن والأذى بزرع على صخرة خادعة ، أو بإعصار ناري يجتاح زرعاً فيحرقه . والتمثيل وسيلة مجدية في مثل هذا . لأن « من أغراض التمثيل إثارة محور الطمع والرحمة ، أو محور الخوف والحذر لدى المخاطَب »[2] . مثل قوله تعالى يحث على الإخلاص في فعل الخير :

١ ٠ ٠ ﴿ ومَثَل الَّذين يُنفقون أموالَهم ابْتغاءَ مَرضاة الله وتَثْبيتاً مِن أنْفُسِهم كَمَثل جَنَّةٍ بِرَبوَةٍ أصابَها وابِلٌ فآتَت أُكُلَها ضِعفين فإنْ لَم يُصِبْها وابِلٌ فَطَلٌّ والله بِما تَعمَلونَ بَصير ﴾ [البقرة : ٢٦٥]

« ففي الآية إثارة لمحور الطمع في الإنسان للتحريض على الإخلاص لله تعالى بابتغاء مرضاته ، والبذل في سبيله ، حتى يكون الباعث ذاتياً من أنفسهم ، بدافع من الإيمان بالله وباليوم الآخر ، ودافع من الرحمة وخُلُق الجود . . »[3] .

ومقابل ذلك قال تعالى يحذر من أسباب الخسارة :

٢ - ﴿ ياأيُّها الَّذين آمَنوا لاتُبْطِلوا صَدَقاتِكم بالمَنِّ والأذىٰ كالَّذي يُنفقُ مالَه رِئاءَ النّاس ولا يُؤمِن بالله واليَوم الآخِر فَمَثَلُه كمَثَل صَفوانٍ عليه تُرابٌ فأَصابَه وابِلٌ فتَركَهُ صَلداً لا يَقْدِرون علىٰ شيءٍ مّما كَسَبوا والله لايَهدي القَومَ الكافِرين ﴾ [البقرة : ٢٦٤] .

« في هذا النص ، إثارة لمحور الخوف من الخسارة للتحريض على البعد عن إبطال أثر الصدقة برذيلة المن والأذى . . والتحذير من مراءاة الناس وابتغاء الثناء والثواب منهم في بذل الصدقات ، حيث شبه المنفق رياءً بزارع على صخرة ملساء مغطاة بطبقة رقيقة من

---

(١) المرجع السابق ٨٦-٨٧.
(٢) الأمثال القرآنية: الميداني ص٦٢.
(٣) المرجع نفسه.

التراب ، فينزل عليها المطر الغزير ليجرف بسهولة كل ما عليها من تراب »[1] .
ويوضح القرآن الكريم هذه الفكرة بأسلوب آخر ، فيقول تعالى :
٣ - ﴿ أيَوَدُّ أحَدُكم أنْ تكونَ له جَنَّةٌ مِن نَخيلٍ وأعنابٍ تَجري مِن تَحتِها الأنْهارُ له فيها مِن كلِّ الثَمَرات وأصابَهُ الكِبَر وله ذُرِّيةٌ ضُعفاءُ فأصابَها إعْصارٌ فيه نارٌ فاحتَرقت ﴾ [البقرة:٢٦٦] ، « فهو مثل الذين يبطلون صدقاتهم بالمن والأذى ، وقد استثار الله به في الذين آمنوا رغبة المحافظة على ما غنموه من أجر عظيم . . أي لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى حتى لا يكون مثلكم كمن عنده هذه الجنة - بما فيها - وقد كبرت سنه ، وله ذرية ضعفاء - بحيث يكون في أشد الحاجة إلى جنته ، وقد توافرت فيها دواعي الرغبة في بقائها سالمة - فاجأه إعصار فيه نار فأحرقها .
والإنسان يحتاج في آخرته إلى كل عمل صالح قدمه في دنياه ، فلا يأت أعماله الصالحة بما يبطلها ويلغيها ، لأن المن والأذى مثل الإعصار الناري بالنسبة إلى جنة فيها أفضل الشجر وأوفر الثمر . . »[2] .
هذا « ودعم الأدلة والبراهين بالترغيب والترهيب قاعدة ثابتة في القرآن الكريم مع رسم مثل هذه الصور الحية ، دون أن يكون في ذلك أي إجحاف بقيمة العقل والفكر ، بل فيه التنسيق والتمييز اللذان لابد منهما بين عمل كل من الفكر والوجدان . لأن الحاجة داعية إلى كل منهما للنهوض بأي عمل أو سلوك إصلاحي . فالعقل يرسم ويخطط ، والوجدان يدفع إلى التطبيق والتنفيذ - ولا يقوم أحدهما بشيء من عمل الآخر »[3] .
وقيام الترغيب والترهيب على الوعد والوعيد أساساً هو من أهم مميزات التربية القرآنية ، فهما فيه مدعومان بالعقل ، بحيث يقتنع بهما الفرد فلا يستعجل بالثواب ولايستبطىء العقاب ، لأنه يشعر بالرضا كلما قام بشيء من موجبات الثواب ، ويمنعه إيمانه ووازعه الذاتي من الوقوع في موجبات العقاب ، فيحصل المقصود بصورة إيجابية ، أي دون إيقاع للعقاب على الفرد ، إلا في حالات نادرة . لأنه إن غلبته نفسه فوقع في شيء يقتضي العقاب فإنه لايصر على الذنب ، وإنما يغتنم فرصة تأجيل العقاب ، فيتوب إلى الله دون توان . قال تعالى : ﴿ إنَّ الَّذين اتَّقوْا إذا مَسَّهم طائِفٌ مِن الشَّيطان تَذَكَّروا فإذا هُم مُبْصِرون ﴾ [الأعراف: ٢٠١] .

---

(١) المرجع السابق ص٦٣.
(٢) المرجع السابق ص٦٤-٦٥ مختصراً.
(٣) منهج تربوي فريد في القرآن: البوطي ص٧٨.

ويمثل هذا الدعم والتنسيق إذن تفادى القرآن الكريم كثيراً من سلبيات الترغيب والترهيب أو الثواب والعقاب .

والحاصل أن تأجيل الثواب في القرآن الكريم لايضر ، ليقين الفرد به . وتأجيل العقاب فيه هو عين المصلحة ، لأنه سبب لنجاة الفرد منه إما باجتناب موجباته ، أو بعدم الإصرار عليها . فالثواب مقصود لذاته ، وأما العقاب فوسيلة أخرى لحمل الإنسان على السعي لموجبات الثواب ، ولاسيما أن اجتناب النواهي في القرآن الكريم ينجي من العقاب ويستوجب الثواب .

ولعل مما يشير إلى هذا افتتاح السور كلها بشعار الرحمة ﴿ بِسْمِ الله الرَّحمن الرَّحيم ﴾ فهي كلها صادرة عن مصدر الرحمة ، كما يؤكده القرآن الكريم بآيات منها قوله تعالى : ﴿ وما أرْسلناكَ إلا رَحمةً للعالَمين ﴾ [الأنبياء : ١٠٧]

هذا والقرآن الكريم في استعماله الثواب والعقاب يحافظ على توازن العناصر فيه .

ج- الاعتماد على مزيج متكافىء من العناصر الوجدانية المؤثرة :

يراد بهذا المزيج المتكافىء تحقيق التوازن في استخدام الترغيب والترهيب ، وذلك « أن منابع العواطف في الإنسان تنحصر في الأصول الثلاثة التالية : عواطف دافعة : كالفرح والأمل والرغبة . وعواطف رادعة : كالخوف والرهبة والإشفاق . وعواطف مجدة : كالإعجاب والحب والتقديس .

وبالتأمل في مختلف المشاعر الوجدانية في حياة الإنسان يتبين أنه ما من معنى عاطفي إلا ويعود نسبه إلى واحد من هذه الأصول الثلاثة ، وهي وحدها عمدة المربي عندما يعتمد في عمله التربوي على الإثارة الوجدانية .

وليس في اعتماده على العنصر العاطفي من حيث هو كبير أهمية ، وإنما تكمن الأهمية كلها في القدرة على تكوين مزيج متكافىء معتدل من هذه الأصول . . ذلك لأنه إذا استقل بالتأثير أحدها أو كانت له الغلبة على ما سواه أصبح مصدر سوء وسبب هلاك ، ولم يبق فيه للأهداف التربوية أي جدوى . فسوق المربي لتلميذه بعصا الرهبة وحدها سبب واضح لهلاكه . ودفعه بعامل الفرح أو الرغبة وحده سبب خطير لإفساده . كما أن ملء إحساسه بمشاعر التقديس والإعجاب وحدها دون أن يستغل ذلك بتوجيه يعتمد على شيء من الترغيب والترهيب لايحرك ساكناً ولا يغير اعوجاجاً . وإنما يصلح سبيل التربية إذا نهض على مزيج معتدل من هذه المشاعر الثلاثة كلها وما فسدت المعالجات التربوية ، ولا تخلفت عن إعطاء ثمارها المرجوة على الأغلب إلا لفقدها هذا المزيج المعتدل .

وكتاب الله تعالى يجذب أفئدة الناس بقوة وجدانية - بعد المحاكمة العقلية والعرض المنطقي - مكونة من هذه الأصول ، في اعتدال وتكافؤ دائمين . فليس فيه آية تسلم الإنسان إلى رهبة مجردة ، أو تُمنيه ببشارة صافية عن شائبة الخوف ، بل إن من القواعد الكلية فيه أنه لا يذكر الإنسان بشيء من صفات السطوة والانتقام إلا ويذكره إلى جانبها بصفات الرحمة والغفران . ولايحدثه عن شيء من صفات الجنة وما فيها من نعيم إلا ويحدثه إلى جانبها عن جهنم وما فيها من مظاهر التعذيب . . وليس فيه أي شذوذ لهذه القاعدة »[1] .

ومن ذلك قوله تعالى :

١ - ﴿ نَبِّىءْ عِبادي أَنّي أنا الغَفورُ الرَّحيم.وأنَّ عَذابي هُو العَذابُ الأليم ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠] .

٢ - ﴿ إنَّ جهنَّم كانَت مِرصاداً * للطّاغِينَ مَآباً * لابِثِينَ فيها أَحْقاباً * لايَذوقونَ فيها بَرداً ولا شَراباً * إلا حَميماً وغَسّاقاً * جَزاءً وِفاقاً * إنهم كانوا لايَرجونَ حِساباً * وكذَّبوا بآياتِنا كِذّاباً * وكلَّ شيءٍ أحصَيناهُ كِتاباً * فَذوقوا فلَنْ نَزيدَكُم إلا عَذاباً * إنَّ للمُتَّقين مَفازاً * حَدائقَ وأعْناباً * وكَواعِبَ أتْراباً * وكأساً دِهاقاً * لايَسمَعون فيها لَغواً ولا كِذّاباً * جَزاءً مِن ربِّك عَطاءً حِساباً ﴾ [النبأ: ٢١-٣٦]

وفائدة الالتزام بهذه القاعدة أن الإنسان يبقى بين طرفي الرغبة والرهبة ، دون أن يطغى أحدهما على الآخر ، لايشتد في نفسه الأمل لرحمة الله عز وجل إلى درجة تقعده عن أداء الواجبات ، ولايشتد فيها عامل الخوف والرهبة إلى درجة تصرفه عما يلزم القيام به - يأساً منه ويقيناً بأنه سعي غير ذي جدوى . حتى إن القرآن الكريم نبه من كان هذا شأنه إلى ضرورة العودة إلى الصواب بالتوبة إلى الله ، قال تعالى :

- ﴿ قُل ياعِبادِيَ الَّذين أسْرفوا علَى أنفُسهم لاتَقنَطوا مِن رَحْمة الله إنَّ الله يَغفرُ الذُّنوبَ جَميعاً إنَّه هُو الغَفورُ الرَّحيم * وأنيبوا إلَى ربِّكم وأسْلِموا له مِن قَبلِ أنْ يَأتيَكم العَذابُ ثُمَّ لاتُنصَرون ﴾ [الزمر: ٥٣-٥٤] ، حيث فتح باب الرجاء بصورة لطيفة وحذر من الإصرار عقبه . ومما يتصل باقتران الترغيب والترهيب في القرآن الكريم أنهما يأتيان على صور متعددة ، لعل من أهمها ثلاثاً هي :

١ - أن يتعاقبا في آية واحدة ، بغض النظر عن المتقدم منهما .

٢ - أن يتعاقبا في آيتين كذلك .

---

(١) المرجع السابق ص٨٠ ومابعدها.

٣ - أن يتعاقبا في مجموعتين - أو أكثر - من الآيات . وقد يكون الموضوع واحداً في ذلك ، أو تمثل كل مجموعة موضوعاً كاملاً ومستقلاً - مع الحفاظ على التناسب بين المواضيع التي تعالجها الآيات .

ومن أمثلة الصورة الأولى ، قوله تعالى :

١ - ﴿ مَن جاءَ بالحَسنة فله عَشرُ أمثالها ومَن جاءَ بالسيِّئة فلا يُجزىٰ إلا مثلها وهُم لايُظلمون ﴾ [الأنعام : ١٦٠] .

٢ - ﴿ وإنَّ الظالمين بَعضُهم أولِياءُ بَعض والله وليُّ المُتَّقين ﴾ [الجاثية : ١٩] .

٣ - ﴿ ذٰلك بِأنَّ الله مَوْلَى الَّذين آمَنوا وأنَّ الكافِرينَ لامَولىٰ لهم ﴾ [محمد: ١١] .

ومن أمثلة الصورة الثانية ، قوله تعالى :

١ - ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضـل أعمـالهم . والـذين آمنـوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نُزِّل على محمد وهو الحق من ربهم كفَّر عنهم سيئاتهم وأصلح بـالهم ﴾ [محمد : ١-٢] .

٢ - ﴿ سَيذَّكرُ مَن يَخشىٰ.ويَتَجنَّبُها الأشقىٰ ﴾ [الأعلى : ١٠-١١] .

٣ - ﴿ إنَّ الأبرارَ لَفي نَعيم * وإنَّ الفُجارَ لفي جَحيم ﴾ [الانفطار:١٣-١٤] .

ومن أمثلة الصورة الثالثة - في الحالة الأولى منها - قوله تعالى :

١ - ﴿ فأمّا مَن طَغىٰ.وآثَرَ الحياةَ الدُّنيا.فإنَّ الجحيمَ هِيَ المَأوىٰ * وأمّا مَن خافَ مَقام ربِّه ونَهىٰ النَّفس عَن الهَوىٰ * فإنَّ الجنَّة هي المَأوىٰ ﴾ [النازعات: ٣٧-٤١] .

وقوله تعالى في الحالة الثانية من الصورة الثالثة حيث يعالج عدة مواضيع مع الترغيب ثم الترهيب فيها :

٢ - ﴿ ذٰلكَ الكِتابُ لاريبَ فيه هُدىً للمُتَّقين . . إلى . . وأولٰئك هم المفلحـون * إنَّ الَّذين كَفروا . . إلى . . ولهم عذابٌ عَظيم * ومن النَّاس مَن يَقولُ آمَنّـا بالله وبـاليَوم الآخِر وماهُم بمؤمِنين . . إلى . . والله مُحيطٌ بالكافِرين ﴾ [البقرة : ٢-١٩] ، فقد عالج في ذلك موضوع أهل الإيمان مرغِّباً ، ثم موضوع أهل الكفر مرهِّباً ، ثم موضوع أهل الـتردد أو النفاق مرهِّباً كذلك .

ومن المظاهر البارزة لتحقيق هذا المنهج ذاته ما يلاحظ أن القرآن الكريم كلما وصف أهل الجنة وصفهم بأرقى أعمالهم وأجـل صفاتهم ، وكلما وصف أهـل النار وصفهم بـأسوأ أعمالهم وأشدها إثارة لغضب الله تعالى .

والحكمة من ذلك أن الإنسان إذا تأمل صفات المؤمنين وعرضها على حاله رأى نفسه دون ذلك المستوى . . فيتقاصر به الأمل في أن يكون واحداً منهم . ولكنه إذا تأمل صفات أهل النار وعرضها على نفسه رأى أنه بعيد عنها . . فيراوده الأمل أن لايكون منهم . ويبقى في تقديره على حالة وسطى بين هؤلاء وأولئك ، تشده رغبة وتخيفه رهبة ، فيجتهد أن يعلو بسعيه وسلوكه عن حال أهل النار ، ويسعى للحاق بحال المؤمنين ، أهل الجنة .

ومن ذلك قوله تعالى في المتقين :

- ﴿ إنَّ المُتَّقين في جَنّاتٍ وعُيون * آخِذين ماآتاهُم ربُّهم إنَّهم كانوا قَبل ذٰلك مُحسِنِين * كانوا قَليلاً مِن اللّيل ما يَهجعون * وبالأسْحار هُم يَستَغفرون * وفي أموالِهم حَقٌ للسائِل والمَحروم ﴾ [الذاريات: ١٥-١٩]

« فإذا تأمل الإنسان في صفات هؤلاء الذين استحقوا الفوز بجنات الله ورضوانه لم يكد يراها تنطبق عليه ، وإنما على الربانيين والصديقين دون غيرهم . . وهو إذا رجع إلى نفسه يقارن بينها وبين أصحاب هذه الصفات قد لايرى بينه وبينهم شبهاً يذكر ، فكيف يحظى بما وعد الله به هؤلاء المؤمنين؟ ولكنه يلتفت بعد ذلك إلى ما ذكر الله بالمقابل من صفات أهل النار ، فيجد أن صفاتهم لاتنطبق إلا على حال من كان واقفاً في أقصى طرف الجحود والكفر بالله تعالى ، ولم يشك في أنه أحسن منهم حالاً ، وطاف به أمل كبير في أن لايكون منهم ، وأن لايناله شيء من عذابهم . . »[1] .

ومن الأمثلة على وصف أهل النار قوله تعالى :

١ - ﴿ . . يَتَساءَلون عَن المُجرمين.ما سَلَككم في سَقَر * قالوا لَم نَكُ مِن المُصَلّين.ولَم نَكُ نُطعِمُ المِسكين.وكُنّا نَخوضُ مع الخائِضين * وكُنّا نُكذِّب بيَوم الدين * حتىٰ أتانا اليَقين ﴾ [المدثر: ٤٠-٤٧]

٢ - ﴿ وأصحابُ الشِّمال ما أصحابُ الشِّمال * في سَموم وحَميم * وظِل من يَحموم * لابارِدٍ ولا كَريم * إنَّهم كانوا قَبلَ ذٰلك مُترفين * وكانوا يُصِرون علىٰ الحِنْث العَظيم * وكانوا يَقولون أئِذا مِتنا وكُنّا تُراباً وعِظاماً أئِنّا لَمبْعوثون ﴾ [الواقعة: ٤١-٤٧] .

فهذه الصفات في غاية البعد عن المسلم العادي . ولذلك يقف الإنسان في حالة وسطى بين اليقين برحمة الله به وغفرانه له ، وبين اليقين بعذابه . . فيشده إلى كل منهما أمل وخوف ، ورغبة ورهبة . .

---

(١) المرجع السابق ص٨٩-٩٠.

وتلك هي الحالة التي تحمله على السعي حثيثاً للاقتراب إلى حال الصالحين ، والابتعاد عن حال الهالكين .

وقد طلب القرآن الكريم بصريح العبارات من العباد أن يكونوا على هذه الحالة من الخوف والرجاء ، ووصف حال الصالحين بهذه الصفة ، وحذر من الانسياق في الأمن من عذاب الله ، أو الاسترسال في اليأس من رحمته . . قال تعالى :

١ - ﴿ وادعوهُ خوفاً وطَمعاً إنَّ رَحمة الله قَريبٌ مِن المُحسِنين ﴾ [الأعراف: ٥٦] .

٢ - ﴿ إنَّهم كانوا يُسارِعون في الخَيرات ويَدعونَنا رَغَباً ورَهَباً وكانوا لَنا خاشِعين ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

٣ - ﴿ أفَأَمِن أهلُ القُرى أنْ يَأتِيَهم بَأسُنا بَياتاً وهُم نائِمون * أوَأَمِنَ أهلُ القُرى أنْ يَأتِيَهم بَأْسُنا ضُحىً وهم يَلعَبون ﴾ [الأعراف: ٩٧-٩٨] .

٤ - ﴿ إنَّهُ لايَيْأس مِن رَوْح الله إلا القَومُ الكافِرون ﴾ [يوسف: ٨٨] .

فهذه الآيات وغيرها تتضافر في تأكيد هذه القاعدة ، فقد أمرت الأولى صراحة بالجمع بين الخوف والطمع ، وأثنت الثانية على ذلك . وأنكرت الثالثة على من يرجح كفة الرجاء والأمن ، وقررت الأخيرة أن اليأس ليس من صفة أهل الإيمان وإنما ينحصر ذلك في أهل الكفر .

ومما يشير إلى هذه الظاهرة أن عدداً من الآيات القرآنية قد صرحت بالجزاء على الأحسن والمجازاة على الأسوأ ، قال تعالى :

١ - ﴿ ولا يُنفِقون نَفَقةً صَغيرةً ولا كَبيرةً ولا يَقطَعون وادِياً إلا كُتِبَ لهم لِيَجزيَهم الله أحْسَن ما كانوا يَعملون ﴾ [التوبة: ١٢١] .

٢ - ﴿ ولَنَجزِينَّ الَّذين صَبروا أجْرَهم بأحسن ما كانوا يَعملون ﴾ [النحل: ٩٦] .

٣ - ﴿ لِيَجزيَهم الله أحْسَنَ ما عَملوا ويَزيدهُم مِن فَضْله ﴾ [النور: ٣٨] .

وقال تعالى يجمع بين التعزيز الإيجابي وسلبي الإجراء بالوعد بالأجر على الأحسن ، ومحو السيىء أو الأسوأ بالتوبة أو بالعمل الصالح :

٤ - ﴿ والَّذين آمَنوا وعَمِلوا الصّالحات لَنُكفِّرنَّ عنهم سَيِّئاتهم ولَنجزِينَّهم أحسَن الَّذي كانوا يَعملون ﴾ [العنكبوت: ٧] .

٥ - ﴿ ليُكفِّر الله عنهم أسْوأَ الَّذي عَملوا ويَجزيهم أجرَهم بأحسنِ الَّذي كانوا يَعملون ﴾ [الزمر: ٣٥] .

٦ - ﴿ أولئك الَّذين نَتقبَّلُ عنهم أحسنَ ما عَملوا ونَتَجاوز عَن سَيِّئاتِهم

في أصحاب الجنَّة ﴾ [الأحقاف: ١٦] .
وقال تعالى في حق أهل الكفر والصد عن سبيل الله تعالى :
٧ - ﴿ فَلَنُذيقنَّ الَّذين كَفروا عَذاباً شَديداً ولَنَجزينَّهم أسوأَ الَّذي كانوا يَعملون ﴾ [فصلت: ٢٧] .

فهذه الآيات واضحة في أن الله يثيب على ما هو أحسن ، ويُكفِّر بالتوبة ما هو أسوأ ، أو يعاقب على الإصرار على ذلك . فالنص على الأحسن والأسوأ يجعل الإنسان في حالة وسطى .

وقد أدرك علماء السلف الصالح السر من هذه الظاهرة القرآنية ، كما يجسدها الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه في وصيته لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، حيث قال له :

« . . ألم تر ياعمر أنما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة ، ونزلت آية الشدة مع آية الرخاء ، ليكون المؤمن راغباً راهباً ، لايرغب رغبة يتمنى فيها على الله ما ليس له ، ولا يرهب رهبة يلقي فيها بيديه (أي يأساً من رحمة الله) . ألم تر ياعمر أنما ذكر الله أهل النار بأسوأ أعمالهم ، فإذا ذكرتهم قلت : إني لأرجو أن لا أكون منهم ، وأنما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم ، فإذا ذكرتهم قلت : أين عملي من عملهم . . فإن حفظت وصيتي فلا يكن غائب أحب إليك من الموت ، وهو آتيك ، وإن ضيعت وصيتي فلا يكن غائب أبغض إليك من الموت ، وهو آتيك ، ولست بمعجز الله . . »(١) .

فهذا النص يدل دلالة واضحة على ما كان عليه الخليفة الصديق ، من فهم عميق لهذه الظاهرة ، والحكمة منها ، رضي الله عنه وعن سائر الصحابة والتابعين لهم بإحسان .

ومما يجسد هذه القصة أيضاً خبر يقول : « لو وُزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا ، فلا يزيد أحدهما عن الآخر » فقد لا يكون لهذا الخبر أصل في المرفوع ، إلا أن أقل ما يقال فيه هو أنه مأثور عن السلف ، وأنه كلام صحيح المعنى .(٢)

---

(١) الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين (ط٢ مكتبة الخانجي، القاهرة: ١٩٦٠-١٩٦١) ٢/ ٤٥.
(٢) كما صرح به العجلوني وعزاه إلى عدد من العلماء، منهم صاحب اللآلىء، وقال: رواه البيهقي عن مطرف قال: «لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه بميزان ماكان بينهما حبة شعرة» ورواه أيضا عن شعبة بلفظ: «لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه مازاد خوفه على رجائه ولارجاؤه على خوفه». ثم قال:ومعناه صحيح. وعزا إلى الزوذباري قولا يزيد المعنى تجسيداً، قال: الخوف والرجاء كجناحي الطائر، إذا استويا استوى الطائر وتم طيرانه ثم استدل بالحديث. كشف الظنون ٢/ ١٦٦.

وذلك أن المؤمن لديه يقين بعدالة الله المطلقة ، وبالتالي لديه يقين بثبوت ثواب من أحسن ، وهو يسعى للإحسان ، فيقوى عنده الرجاء بذلك ، ولكنه يخاف من أن ينحرف بما يستحق عليه العقاب . ثم إنه مؤمن بسعة رحمة الله تعالى بعباده ،ولكنه مؤمن كذلك بغيرة الله على الحرمات وحقوق العباد ، لايرضى بالمساس بها .

وكل ذلك يجعل الإنسان في حالة وسطى بين الخوف والرجاء ، دون أن يجعله ذلك في صراع نفسي يؤدي إلى سوء التكيف ، وإنما يثير لديه بين الحين والآخر نوعاً من القلق المعتدل ، الذي يدفع إلى بذل الجهد سعياً نحو الأفضل .

والحاصل أن القرآن الكريم يتمتع بمنهج تربوي دقيق ومرن في توجيهاته وتعليماته بصورة عامة ، وفي استخدام أساليب الترغيب والترهيب خصوصاً . وأن هذه الأساليب متوافرة فيه بكثرة ، وعلى عدة أنواع .

ولمعرفة نسبة شيوعها ومعدل توزيعها فيه ، وفي المكي والمدني منه ، ودعماً للمعلومات الواردة في الجانب النظري من البحث فقد آن الانتقال إلى الجانب الأخير منه ،والذي يتمثل في المعالجات الإحصائية التي يتم فيها رصد الآيات موضوع البحث من السور القرآنية ، ويرتكز عليها استخلاص النتائج أساساً .

* * * * *

الفصل الختامي (الثالث)

المعالجات الإحصائية والنتائج

أولاً- عملية رصد آيات الترغيب والترهيب

وقد أخذت عملية رصد الآيات محل البحث حيزاً بلغ ١٥٣ صفحة ، في فصل مستقل ، اختصرت جداوله ونقلت إلى حيز الملاحق ، تخفيفاً لحجم الكتاب وبناءً على ملاحظات الأساتذة .

وفيما يلي نموذج لما كانت عليه جداول الرصد قبل الاختصار ، مع حاصل جمع الأرقام التي تنطلق منها عملية تحليل النتائج وتفسيرها .

الجدول رقم (٨)

نموذج لعملية رصد ماورد في القرآن الكريم من آيات وعبارات صريحة في الترغيب والترهيب:

رقم السورة والآية	موضوع البحث من الآيات والعبارات(آ- عب)	ك		ترغيب		ترهيب		بيانات أخرى		
		آ	عب	ق	ز	ر	ع	ف	ص	صّ
٢/٢	ذلك الكتاب لا ريب فيه	١	١	١						
	هدى للمتقين	٠	١	١						
٥/٢	أولئك على هدى من ربهم	١	١		١					
	وأولئك هم المفلحون	٠	١		١					
١٨/٤٨	لقد رضي الله عن المؤمنين	١	١		١			١		
٧٥/٢٠	لهم الدرجات العلى	١	١		١					
٢٠/٧٦	إذا رأيت ثم،	١	١	١						١
	رأيت نعيماً وملكاً كبيراً		٢	٢						٢
١٢/٣	قل للذين كفروا ستغلبون	١	١				١			
	وتحشرون إلى جهنم	٠	١				١			
٥٦/٤	كلما نضجت جلودهم	١	١			١				١
	بدلناهم جلوداً غيرها	٠	١			١				١
	ليذوقوا العذاب	٠	١			١				١
٤٩/١٥	نبىء عبادي	١	١	١						
	أني أنا الغفور الرحيم	٠	٢	٢						
/٥٠	وأن عذابي هو العذاب ..	١	٢			٢				
٣٨/٨	إن ينتهوا يغفر لهم	١	١	١						
	وإن يعودوا فقد مضت..	٠	١			١				
١٣/٨٢	إن الأبرار لفي نعيم	١	١		١					
/١٤	وإن الفجار لفي جحيم	١	١				١			
٦٥/٢٦	وأنجينا موسى ومن معه	١	١	١					١	٠
/٦٦	ثم أغرقنا الآخرين	٠	١			١			١	
	حاصل الجمع	١٣	٢٥	١٠	٥	٧	٣	١	٢	٦

وكان حاصل الجمع الإجمالي لعملية الرصد على النحو التالي:

الجدول رقم (٩)

حاصل جمع آيات الترغيب والترهيب في أرباع القرآن الكريم :

أرباع القرآن الكريم	نسبة الآيات ٪	ك آ	عب	ترغيب ق	ترغيب ز	ترهيب ر	ترهيب ع	بيانات أخرى ف	بيانات أخرى ص	بيانات أخرى صّ
ربع أول	٦٣,٩٤	١٠	١٤٣٢	٤٥٠	٢٢٥	٤٤٠	٣١٧	١٥٥	٩٩	١٠١
ربع ثاني	٤٨,٥٣	٦١٢	١٤٧٩	٣٩٥	٢٢٠	٦١١	٢٥٣	١٨٩	٣٢٨	٢٣٧
ربع ثالث	٤٤,٣٧	٧٦٢	١٥٦	٤٣٥	١٩٧	٧٠١	١٧٣	١٠٨	٣٧٨	٣١٥
ربع أخير	٤٧،٩٦	١١٠٥	٢٠٤٩	٦٣٩	٢٣٣	٩٢٥	٢٥٢	١٣٩	٢٣١	٧٩٦
المجموع	٤٩,٥٣	٣٠٨٩	٦٤٦٦	١٩١٩	٨٧٥	٢٦٧٧	٩٩٥	٥٩١	١٠٣٦	١٥٤٩

ثانياً : نتائج البحث وتحليلها .

يتناول البحث في هذه الفقرة استخلاص النتائج وتحليلها ، في ضوء ما تم رصده وتصنيفه من آيات الترغيب والترهيب وعباراتها . . ثم إيجاز هذه النتائج الإحصائية والنظرية مع الاستعانة بجداول توضح النسب والمعدلات وتجمع شتاتها .

كما يعقب ذلك خاتمة للبحث تضم المقترحات والتوصيات التي يمكن استيحاؤها من النتائج .

تحليل النتائج وتفسيرها :

قد تبين من عملية الرصد والتصنيف أن القرآن الكريم في قمة المصادر التي تحتوي على أكبر قدر ممكن من أساليب ضبط السلوك الاجتماعي والتربوي ، حيث يشتمل على نسبة عالية جداً من أنواع الترغيب والترهيب .

ومن الجدير بالذكر في مطلع هذا الفصل أن الترغيب والترهيب في القرآن الكريم أقرب عموماً إلى التشويق والتحذير منهما إلى معنى التعزيز والعقاب بالمفهوم المعاصر ، بحيث لا يتأتى الحكم على ما ورد فيه منهما بأنه تعزيز أو عقاب بصورة قاطعة إلا في مواضع قليلة نسبياً ، مثل التي تحيط بها ظروف وقرائن تدعم هذا الحكم .

وعليه يمكن عقد مقارنة دقيقة إلى حدٍ ما بين الترغيب والترهيب فيه بغض النظر عن مدى دقة النسب المتفرعة عن كل منهما ، لما في هذه الفروع من المرونة وشدة التداخل ، وذلك لطابعها الموضوعي في الصيغ والمباني .

هذا وفيما يلي تحليل لهذه النسب مع بيان معدل توزيعها في القرآن الكريم .

١ - نسبة الترغيب والترهيب ومعدل توزيعها في القرآن الكريم :

تبلغ نسبة آيات الترغيب والترهيب في القرآن الكريم - مابين تشويق وتعزيز وتحذير وعقاب - مالا يقل عن٥٣ ,٤٩٪ من إجمالي آياته الكلي (٦٢٣٦/٣٠٨٩) .

وهذه النسبة تشير إلى أن القرآن الكريم لايكاد يخطو خطوة تعليمية أو توجيهية ، عقائدية أو تشريعية ، علمية أو عملية . . إلا ويقرنها بشيء من الترغيب أو الترهيب أو منهما معاً ، تبعاً لمقتضيات الظروف ومتطلبات الأحوال . ولاسيما أن ماتم رصده هنا هو الأكثر وضوحاً ، والمنطبقة عليه معايير البحث ، لا كل مايمكن أن يكون مرغباً من آيات

القرآن الكريم .

هذا و٣٩,٥٥٪ من آيات الترغيب والترهيب يقع في النصف الأول من القرآن الكريم(٣٠٨٩/١٢٢٢) مقابل ٦٠,٤٤٪ منها في النصف الأخير منه (٣٠٨٩/١٨٦٧) .

ويبدو لأول وهلة أن نسبة الترغيب والترهيب في النصف الأول أقل منها في النصف الثاني ، إلا أن ذلك وإن صح مبدئياً فلعل الأصح هو الحكم بتقارب النسبتين نظراً إلى نسبة الآيات موضوع البحث من كل نصف إلى مجمل آياته .

وذلك أن عدم تجاوز نسبة موضوع البحث من النصف الأول ٣٩,٥٥٪ من إجمالي الآيات موضوع البحث ليس حكماً نهائياً ، لأن هذه النسبة ترتفع إلى ٥٥,١٦٪ نظراً لنسبة الآيات موضوع البحث من هذا النصف إلى إجمالي آياته : (٢٢١٥/١٢٢٢) . علماً بأن آيات النصف الأول لاتمثل أكثر من ٣٥,٥١٪ من إجمالي آيات القرآن الكريم الكلي : (٦٢٣٦/٢٢١٥) .

وهذه النسبة معقولة بعض الشيء بحيث تعطي فكرة أو صورة ولو مبدئية للتقارب فيمابين النصفين من الترغيب والترهيب ، مع الإشارة إلى أن نسبتها في النصف الأول أعلى من حيث عدد الآيات على الأقل .

ويؤيد ذلك أنه وإن كانت نسبة الآيات موضوع البحث من النصف الأخير تبلغ٦٠,٤٤٪ من مجمل الآيات المعنية ، فإن هذه النسبة تتدنى إلى ٤٦,٤٣٪ نظراً إلى نسبة الآيات موضوع البحث من النصف نفسه إلى إجمالي آياته الكلي (٤٠٢١/١٨٦٧) . علماً بأن آيات النصف الثاني هذه تمثل ٦٤,٤٨٪ من مجمل آيات القرآن الكريم الكلي : (٦٢٣٦/٤٠٢١) .

ويلاحظ أن الفرق في النصف الأول كان لصالح الآيات موضوع البحث منه على حساب آياته الأصل : (٣٩,٥٥/٣٥,٥١) .

وأما الفرق في النصف الأخير فكان لصالح آياته الأصل : (٦٠,٤٤/٦٤,٤٨) .

كما يلاحظ أن هذا الفرق واضح أيضاً في نسبة الآيات موضوع البحث من كل نصف إلى إجمالي آياته : ٥٥,١٦٪ في الأول (٢٢١٥/١٢٢٢) و٤٦,٤٣٪ في الثاني (٤٠٢١/١٨٦٧) .

ومع ذلك لايعطي هذا الفرق حكماً نهائياً للتقارب أو التفاضل بين ما في النصفين من الترغيب والترهيب ، وإنما قد يفيد النظر إلى ما بين أرباع القرآن الكريم من ذلك ونسبته إلى مجمل الآيات القرآنية ، ثم النظر إلى عبارات الترغيب والترهيب ومفاهيمهما من كل ربع إلى

مجمل العبارات والمفاهيم موضوع البحث ، وذلك لمعرفة ما إذا كان هذا التقارب ثابتاً أم لا ، ولتكون الصورة أكثر دقة وواقعية .

آ - نسبة توزيع آيات الترغيب والترهيب في أرباع القرآن الكريم :

يبدو أن ثمة تدرجاً شبه ثابت في نسب آيات الترغيب والترهيب من كل ربع إلى مجمل الآيات موضوع البحث الكلي - باستثناء خلاف بسيط في ذلك . ويظهر هذا التدرج (النسبي) جلياً فيما يلي :

- فنسبة ذلك من الربع الأول هي : ١٩,٧٤٪ من مجمل الآيات موضوع البحث : (٣٠٨٩/٦١٠) .
- ونسبته من الربع الثاني هي : ١٩,٨١٪ من مجمل الآيات موضوع البحث : (٣٠٨٩,٦١٢) .
- ومن الربع الثالث ٢٤,٦٦٪ من مجمل الآيات موضوع البحث : (٣٠٨٩/٧٦٢) .
- ومن الربع الأخير ٣٥,٧٧٪ من مجمل الآيات موضوع البحث : (٣٠٨٩/١١٠٥) .

وهذا تابع لتدرج آيات كل ربع إلى مجمل آيات القرآن الكريم ، وصورته كالتالي :

- من الربع الأول : ١٥,٢٩٪ من مجمل الآيات القرآنية (٦٢٣٦/٩٥٤) .
- ومن الربع الثاني : ٢٠,٢٢٪ من مجمل الآيات القرآنية (٦٢٣٦/١٢٦١) .
- ومن الربع الثالث : ٢٧,٥٣٪ من مجمل الآيات القرآنية (٦٢٣٦/١٧١٧) .
- ومن الربع الأخير : ٣٦,٩٤٪ من مجمل الآيات القرآنية (٦٢٣٦/٢٣٠٤) .

إلا أن هذا التدرج سيختفي ليحل محله اختلاف ما ، وذلك عند النظر إلى آيات الترغيب والترهيب من كل ربع إلى إجمالي آيات الربع ذاته ، حيث تأتي نسبة ذلك من الربع الأول أعلى ، ويليه الربع الثاني الذي يتقارب مع الربع الأخير وتأتي نسبة ذلك من الربع الثالث أدنى ، وصورته على حسب التفاضل المشار إليه كما يلي :

- من الربع الأول : ٦٣,٩٤٪ من مجمل آياته : (٩٥٤/٦١٠) .
- ومن الربع الثاني : ٤٨,٥٣٪ من مجمل آياته : (١٢٦١/٦١٢) .
- ومن الربع الأخير : ٤٧,٩٦٪ من مجمل آياته : (٢٣٠٤/١١٠٥) .
- ومن الربع الثالث : ٤٤,٣٧٪ من مجمل آياته : (١٧١٧/٧٦٢) .

ولعل السبب في هذا الاختلاف الأخير هو أن نسبة القرآن المدني عالية جداً في الربع

الأول ، حيث تبلغ ٨١,٩٧٪ من إجمالي آيات الربع : (٩٥٤/٧٨٢) ، ونسبة آيات الترغيب والترهيب من المدني عالية كذلك ، وهي : ٦٦,٧٨٪ من مجمل آيات المدني الكلي : (١٦٢٣/١٠٨٤) .

وأما ارتفاع نسبة الترغيب والترهيب من الربع الأخير - بعض الشيء - فلعل السبب هو أن هذا الربع يعد فاتحة الكتاب للمبتدئين ، فيكثر فيه ذلك ، ثم يتناقص في الوسط حيث يتوقع تكامل النشاط ، ثم يتزايد في الربع الأخير ، لاحتمال الشعور بالتعب أو الإعياء .

وهذا التفسير صالح في الواقع لارتفاع نسبة الترغيب والترهيب في كل من الربعين : الأول والأخير، لأن كليهما فاتحة للكتاب : الأول للكبار ، والثاني للمبتدئين .

ويشير إلى هذا اختلاف نوعية الترغيب والترهيب الواردين في الربعين ، فيكثر في الأول الترغيب والترهيب التشريعيان أو العمليان ، في حين يكثر في الربع الأخير التشويق والتحذير بالوصف وتصوير المشاهد المثيرة والتي تتعلق بالجنة والنار ومواقف يوم القيامة . .

ومع ذلك فإن الحكم الأخير على مدى الدقة في توزيع أساليب الترغيب والترهيب إنما يتوقف - كما يبدو - على نتيجة المقارنة بين عدد العبارات والمفاهيم موضوع البحث من كل ربع من أرباع القرآن الكريم تبعاً لعدد آيات كل منها .

ب - نسبة توزيع عبارات الترغيب والترهيب في القرآن الكريم :

يبلغ عدد العبارات والمفاهيم الأساسية للترغيب والترهيب من الآيات التي سبق الحديث عنها آنفاً ٦٤٦٦ عبارة ومفهوما ، وذلك بمعدل :

٢,٠٩ : (عبارتين و٩٪ من العبارة) لكل آية من الآيات موضوع البحث : (٣٠٨٩/٦٤٦٦) ، ومعدل ١,٠٣ : (عبارة و٣٪ من العبارة) لكل آية واحدة من إجمالي آيات القرآن الكريم الكلي : (٦٢٣٦/٦٤٦٦) .

هذا و ٤٥,٠٢٪ من عبارات الترغيب والترهيب يقع في النصف الأول : (٢٩١١/٦٤٦٦) مقابل ٥٤,٥٧٪ منها في النصف الثاني (٣٥٥٥/٦٤٦٦) وهذا يعيد إلى الذاكرة أن نسبة الترغيب والترهيب في النصف الأخير أعلى منها في النصف الأول ، كما هو الشأن في نسبة الآيات . مع الأخذ بعين الاعتبار أن المدني كثير في النصف الأول ، وعباراته تكون عادة أطول من عبارات المكي .

وللتأكد مما إذا كان في ذلك تدرج أو تعادل يمكن بيان نسبة عبارات كل ربع إلى مجمل العبارات الكلي ، وذلك على النحو التالي :

من الربع الأول : ٢٢,١٤٪ من إجمالي العبارات الكلي : (٦٤٦٦/١٤٣٢) .
ومن الربع الثاني : ٢٢,٨٧٪ من إجمالي العبارات الكلي : (٦٤٦٦/١٤٧٩) .
ومن الربع الثالث : ٢٣,٢٩٪ من إجمالي العبارات الكلي : (٦٤٦٦/١٥٠٦) .
ومن الأخير : ٣١,٦٨٪ من إجمالي العبارات الكلي : (٦٤٦٦/٢٠٤٩) .

فبحكم العبارات والمفاهيم ومعدلاتها التوزيعية تبين وجود تدرج ثابت في نسبة شيوع هذه الأساليب في القرآن الكريم بين أرباعه تبعاً لتدرج نسبة توزيع الآيات فيها . فالربع الأخير يشتمل على أعلى نسبة من حيث عدد العبارات ، شأن ذلك شأن نسبة آيات الترغيب والترهيب منه إلى مجمل الآيات موضوع البحث . فالتدرج ثابت إلا من حيث نسبة ما في كل ربع من آيات الترغيب والترهيب إلى مجمل آياته ، أي الربع نفسه ، حيث كان الفرق لصالح الربع الأول .

هذا ومما يحسن بيانه معدلات توزيع هذه الأساليب في المكي والمدني من القرآن الكريم .

٢ - نسبة توزيع الترغيب والترهيب في المكي والمدني من القرآن الكريم :

سبق في أول البحث التنويه عن أن نسبة القرآن المكي أعلى من المدني ، سواء من حيث عدد السور والآيات ، أو من حيث حجم كل منهما .

وهذا يتطلب النظر فيما إذا كان هذا التفاوت كذلك من حيث نسبة الترغيب والترهيب في كل منهما .

آ - نسبة توزيع آيات الترغيب والترهيب في المكي والمدني :

تبلغ نسبة آيات الترغيب والترهيب من المكي ٦٤,٩٠٪ من مجمل الآيات موضوع البحث :(٣٠٨٩/٢٠٠٥) مقابل ٣٥,٠٩٪ منها في المدني : (٣٠٨٩/١٠٨٤) .

وهذه النسبة في المدني عالية نظراً إلى نسبة آياته إلى آيات المكي : ٢٦,٠٢٪ من إجمالي آيات القرآن الكريم : (٦٢٣٦/١٦٢٣) ، إلا أنها منخفضة نظراً إلى نسبة حجم المدني إلى المكي : ٣٩,١٦٪ من إجمالي أثمان القرآن الكريم : (٤٨٠/١٨٨) .

ولكن من الجدير بالذكر أن نسبة الآيات المدنية موضوع البحث تبلغ : ٦٦,٧٨٪ من مجمل آيات المدني نفسه : (١٦٢٣/١٠٨٤) ، بينما هي من المكي لاتتجاوز ٤٣,٤٦٪ من إجمالي آياته أي المكي نفسه : (٤٦١٣/٢٠٠٥) .

مما يشير إلى أن نسبة الترغيب والترهيب في المدني أعلى منها في المكي . وعلى كل حال

لايمكن البت في الحكم إلا بعد مقارنة العبارات والمفاهيم موضوع البحث في كل من المكي والمدني لمعرفة معدل توزيعها فيها بصورة أوضح .

ب - نسبة توزيع عبارات الترغيب والترهيب في المكي والمدني :

يبدو أن ثمة تطوراً إيجابياً لنسبة المدني من الترغيب والترهيب ، حيث تبلغ : ٤١,٤٠٪ من مجمل العبارات والمفاهيم موضوع البحث : (٦٤٦٦/٢٦٧٧) مقابل : ٥٨,٥٩٪ منها في المكي : (٦٤٦٦/٣٧٨٩) .

وفي هذا شيء من التقارب بين نسبة حجم كل منهما إلى الآخر ، مع ملاحظة أن الفارق لصالح المدني الذي كانت نسبته دون ٤٠٪ قليلاً : ٣٩,١٦٪ (٤٨٠/١٨٨) .

ومهما يكن من أمر فإن هذا التقارب يعدل الموقف من أن نسبة الترغيب والترهيب في المدني أعلى منها في المكي ، إذ يمكن أن يكون ارتفاع نسبة عبارات المدني هنا عن نسبة حجمه إلى المكي صحيحاً ، ولكن قد يكون أيضاً ناتجاً عن اختلاف نوعية الترغيب والترهيب أحياناً بين المكي والمدني ، بحيث يمكن أن يكون المدني أكثر مناسبة لمعايير البحث - وقد يعود إلى خلل في عملية الرصد والاستقراء . .

وبهذا تبين أن ثمة تناسباً من حيث المبدأ يمكن وصفه بالدقة في توزيع أساليب ضبط السلوك في كل من المكي والمدني من القرآن الكريم .

ومع ذلك فإن هذا التناسب ليس مطلقاً وإنما هو نسبي - أو إجمالي - لأنه قد تتفاوت نسبة ما في كل من المكي والمدني من أساليب لضبط السلوك في بعض أنواعها ، تبعاً لاختلاف الموضوعات ومتطلبات الظروف المرحلية مثلاً :

ج - اختلاف نوعية الترغيب والترهيب في المكي والمدني :

يلاحظ وجود فرق في نوعية أساليب ضبط السلوك بين المكي والمدني ، بل قد يظهر فرق ما في ذلك حتى بين سور الطائفة الواحدة ، كما قد تختلف النسب الجزئية لهذه الأساليب في كل منهما .

فنسبة الترهيب إلى الترغيب في المكي أعلى منها في المدني من حيث عدد العبارات على أقل تقدير ، إذ تبلغ في المكي : ٦٢,٥٧٪ من إجمالي عبارات المكي موضوع البحث : (٣٧٨٩/٢٣٧١) . ونسبة الترغيب فيه : ٣٧,٤٢٪ من إجمالي عباراته : (٣٧٨٩/١٤١٨) . في حين ينعكس الأمر في المدني ، فنسبة الترغيب فيه ٥١,٤٠٪ من إجمالي عباراته (٢٦٧٧/١٣٧٦) مقابل : ٤٨,٥٩٪ منها ترهيب (٢٦٧٧/١٣٠١) .

ولعل من عوامل ارتفاع نسبة الترهيب في المكي عن الترغيب فيه أن انتشال الأمة من الوثنية والتقاليد الراسبة كان يقتضي شيئاً من الشدة . مع ملاحظة أن هذه الشدة كانت أدبية في معظمها ، ولم يكن منها شيء من العقاب الجسدي ، بحيث كان الترهيب فيه عبارة عن التحذير أو الإنذار أو التنفير بالوصف التقبيحي ، وقد يصل إلى حد التأنيب أو الوعيد والشدة في القول . .

وذلك أن العهد المكي كان يركز على التعليم النظري والتوعية عن طريق النقاش المنطقي ، والإثارة العقلية ، مع التنبيه إلى نتائج التعنت وركوب الهوى . بينما العهد المدني كان عهد التطبيق العملي لمبادئ الإيمان التي أرساها العهد المكي - والتطبيق العملي يحتاج إلى الترغيب أو إثارة الحوافز أكثر من حاجة التعليم النظري إليه ، مما يرفع نسبة الترغيب فيه . وذلك أن التطبيق أمر إيجابي لابد لتحقيقه من إرادة ونشاط معاً ، يندفع بهما الفرد إلى مباشرة المطلوب منه ، طائعاً مختاراً .

وأما الامتناع فهو أمر سلبي يمكن تحقيقه بمجرد الإرادة والاقتناع العقلي . وقد يتحقق بالإكراه أو الحيلولة دون الفعل ، أو بوصف يقبح صورة الفعل في نظر الفرد . ويشير إلى سهولة الامتناع هذه أن اجتناب النواهي شرعاً لايتجزأ ، بل يجب أن يكون كاملاً ، بينما امتثال الأوامر موقوف على قدر الوسع والاستطاعة . يقول النبي ﷺ :

« إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ماستطعتم ، وما نهيتكم عنه فانتهوا »[(١)] .

إلا أن العمل التطبيقي يحتاج إلى نظام أو قانون ثابت في الجزاء ثواباً وعقاباً ، فاقتضى ذلك إقرار العقاب الجسدي في القرآن المدني الذي برز فيه التشريع وقامت به الدولة الإسلامية على ساقيها - صيانة للمجتمع والمبادئ . كما تقرر فيه الثواب على الإحسان بصورة أوضح وأقرب إلى مفهوم التعزيز المعاصر . وقد أتت نسبة الفوري من التعزيز والعقاب في المدني أعلى منه في المكي ، حيث تبلغ فيه أي المدني : ٨١,٧٢٪ من إجمالي عبارات التعزيز والعقاب الفوريين : (٤٨٣/٥٩١) . وذلك مقابل ١٨,٢٧٪ منها في المكي : (١٠٨/٥٩١) . بل تأتي نسبة التعزيز والعقاب عموماً في المدني أعلى منها في المكي ، إذ تبلغ نسبة التعزيز في المدني : ٦١,١٤٪ من مجموع عبارات التعزيز الكلي : (٨٧٥,٥٣٥) ، مقابل ٣٨,٨٥٪ منها في المكي : (٣٤٠/٨٧٥) .

وتبلغ نسبة العقاب في المدني : ٦٤,٤٢٪ من مجموع عبارات العقاب :

---

(١) البخاري، اعتصام٦، ومسلم، فضائل١٣٠، والنسائي، حج١ .

(٩٩٥/٦٤١) ، مقابل ٣٥,٥٧٪ منها في المكي : (٩٩٥/٣٥٤) .

وهذا الفرق شاسع جداً لصالح المدني ، وكذلك تأتي نسبة عبارات التشويق من المدني عالية إلى حد ما ، إذ تبلغ ٤٣,٨٢٪ من مجموع عبارات التشويق (١٩١٩/٨٤١) ، مقابل ٥٦,١٧٪ منها في المكي : (١٩١٩/١٠٧٨) . لأن هذا الفرق يزيد على ما بين عبارات كل منهما إلى الآخر : (٥٨,٥٩٪) في المكي مقابل (٤١,٤٠٪) في المدني ، إلا أن التعادل يعود عند النظر إلى أن نسبة التحذير في المكي أعلى منها في المدني ، إذ تبلغ في الأول ٧٥,٣٤٪ من عبارات التحذير : (٢٦٧٧/٢٠١٧) مقابل ٢٤,٦٥٪ منها في المدني : (٢٦٧٧/٦٦٠) .

فهذه الظاهرة الأخيرة تعطي نوعاً من التعادل العام بين الطائفتين : المكية والمدنية ، إذ التفاوت بينهما جزئي ، وتابع لمقتضى الحال في عهد كل منهما .

هذا وكما تختلف نوعية الترغيب والترهيب ومعدلاتها الجزئية بين المكي والمدني ، فكذلك قد يحدث بين السور بغض النظر عن كونها مكية أو مدنية .

د - اختلاف نوعية الترغيب والترهيب ونسبتهما بين السور :

ونوعية الترغيب والترهيب في السور المكية التي تعنى بالقصص تلميحية في معظمها ،كما هي الحال في سور (الأعراف ٧ ، والكهف ١٨ ، والأنبياء ٢١) ، بينما يكون ذلك صريحاً بصورة عامة في السور الأخرى ، مثل (فاطر ٣٥ ، والزمر ٣٩) سواء ما كان منها معنياً بتصوير المشاهد أو غيرها ، مثل : (الواقعة ٥٦ ، والحاقة ٦٩) ، كما أن نسبة الترغيب والترهيب في السور التي تكاد تخلو من القصص أعلى منها في غيرها . فنسبة ذلك في مثل سورتي (يوسف ١٢ ، والقصص ٢٨) منخفضة نسبياً ، وكذلك نوعية الترغيب والترهيب في السور المدنية التي تعالج شؤون الجهاد تتسم بالصراحة والمباشرة والفورية أكثر من غيرها : مثل سور (آل عمران ٣ والأنفال ٨ ومحمد ٤٧ والفتح ٤٨) ، كما تتسم بالشدة والصرامة أحياناً ، ولاسيما في معالجة قضية النفاق الذي يتبدى غالباً عند اشتداد الأمور ، كحالات الاستنفار للقتال ، مثل سور : (التوبة ٩ والحشر ٥٩ والمنافقون ٦٣) ، ثم إن نسبة هذا النوع من أساليب ضبط السلوك في تلك السور المشار إليها أعلى منها في غيرها ، وتليها في ذلك السور التي تعالج الشؤون الاجتماعية والإنسانية والأحوال الشخصية ، مثل سور (النساء ٤ والنور ٢٤ والحجرات ٤٩) .

ولعل السبب في ارتفاع نسبة الصراحة والصرامة في هذه الأمور هو أنها أكثر حيوية ، وأرهف حساسية ، لأنها أشد ارتباطاً بالنشاط الاجتماعي والضروري . . وقد تكون

أكثراحتمالاً للمساس بالأمن والاستقرار والتعايش البناء ، فتحتاج إلى الإشراف الدائم والتوجيه المستمر والتغذية الراجعة الفورية أكثر من غيرها . فقضية الأخلاق الإنسانية الأخرى التي لاتمس مباشرة مصالح الأفراد الأساسية أو المصلحة العامة للأمة ، وكذلك العبادات التي لاتتعلق مباشرة بأصول الدين الضرورية . . . يمكن تفويض كثير منها إلى الفطرة التي تغذت بالإيمان ، بل إن كثيراً من أمور الدين ومبادئ الإنسانية لاتستقيم إلا بالضمير الحي والإرادة الحرة .

هذا ومن الجدير بالذكر أن القانون الجزائي في القرآن الكريم ، والذي يتسم بأكبر قدر من الصرامة يظهر في السور التي تعالج الحقوق العامة أو مبادئ الأخلاق الضرورية في الإسلام ، مثل سورتي (المائدة ٥ والنور ٢٤) ويتمثل ذلك في الحدود والقصاص والديات ثم الكفارات وأنواع الفدية ، ونسبته قليلة قد لا تصل إلى ٢٠ آية من آيات القرآن الكريم .

هذا ومن المناسب هنا تلخيص أنواع الترغيب والترهيب المختلفة مع تحديد نسبة توزيعها في القرآن الكريم .

٣ - أنواع الترغيب والترهيب ونسبة توزيعها في القرآن الكريم .

تظهر نسبة الترهيب في القرآن الكريم أعلى من نسبة الترغيب فيه من حيث عدد العبارات على أقل تقدير ، إذ تبلغ نسبة الأول فيه :٥٦,٧٨٪ من مجموع العبارات : (٦٤٦٦/٣٦٧٢) ، ٧٢,٩٠٪ منها تحذير : (٣٦٧٢/٢٦٧٧) و٢٧,٠٩٪ عقاب : (٣٦٧٢/٩٩٥) ، في حين لاتتجاوز[1] نسبة الترغيب فيه ٤٣,٢١٪ من مجموع العبارات : (٦٤٦٦/٢٧٩٤) : ٦٨,٦٨٪ منها تشويق (٢٧٩٤/١٩١٩) ، و٣١,٣١٪ منها تعزيز : (٢٧٩٤/٨٧٥) ، ونسبة الفرق بين الإيجابية والسلبية إذن عالية جداً لصالح الأخيرة ، وكذلك الفرق بين قسيمي كل منهما (التحذير والعقاب في الترهيب ، والتشويق والتعزيز في الترغيب) .

إلا أنه يلاحظ أن أساليب الاستمالة وإجراءات الوقاية أكثر شيوعاً في القرآن الكريم ، وأعلى نسبة من أساليب الجزاء الفوري ثواباً وعقاباً ، إذ تبلغ نسبة التشويق والتحذير فيه ٧١,٠٧٪ من مجمل عبارات الترغيب والترهيب (٦٤٦٦/٤٥٩٦) مقابل ٢٨,٩٢٪ منها تعزيز وعقاب (٦٤٦٦/١٨٧٠) .ولا تتجاوز نسبة الفوري ٣١,٦٠٪ من مجموع عباراتهما أي التعزيز والعقاب (١٨٧٠/٥٩١) ، وأما الباقي منها فما بين مؤجل صريح في التأجيل ،

---

(١) حسب معايير البحث.

أو موضوعي ، ونسبته : ٦٨,٣٩٪ من مجمل عباراتها : (١٢٧٩/١٨٧٠) .

مع ملاحظة أن هذه النسبة ترتفع عالياً عند النظر إلى ما في صيغ التشويق والتحذير من الموضوعية ، بل أغلبها من هذا القبيل .

هذا و ٤٦,١٧٪ من عبارات الترغيب يقع في النصف الأول من القرآن الكريم : (١٢٩٠/٢٧٩٤) ، ٥٢,٣٢٪ منها في الربع الأول منه (٦٧٥/١٢٩٠) ، و ٤٧,٦٧٪ منها في الربع الثاني (٦١٥/١٢٩٠) وذلك مقابل : ٥٣,٨٢٪ منها في النصف الثاني (١٥٠٤/٢٧٩٤) ، ٤٢,٠٢٪ منها في الربع الثالث (٦٣٢/١٥٠٤) و٥٧,٩٧٪ منها في الربع الأخير (٨٧٢/١٥٠٤) .

وأما نسبة الترهيب في النصف الأول فهي ٤٤,١٤٪ من مجموع عبارات الترهيب (١٦٢١/٣٦٧٢) ، ٤٦,٦٩٪ منها في الربع الأول ، (٧٥٧/١٦٢١) و٥٣,٣٠٪ منها في الربع الثاني (٨٦٤/١٦٢١) ، وذلك مقابل : ٥٥,٨٥٪ منها في النصف الثاني (٢٠٥١/٢٧٦٣) ، ٤٢,٦١٪ منها في الربع الثالث (٨٧٤/٢٠٥١) و٥٧,٣٨٪ منها في الربع الأخير (١١٧٧/٢٠٥١) .

وسبق في القسم النظري من البحث أن هذه الأساليب إما أن تكون موجهة إلى هذه الأمة مباشرة ، وقد تكون فورية أو مؤجلة أو موضوعية ، ومن المؤجل مايتصل بما بعد الموت وعداً أو تصويراً لمشاهد من ذلك مثيرة : إيجابية أو سلبية ، وإما أن تكون تلميحية عن طريق القصص وحوادث التاريخ - مع الأخذ بعين الاعتبار ما سبق بيانه في معايير البحث من أن ما جاء عن طريق التصوير والقصص يعد من أساليب التشويق والتحذير بغض النظر عما يظهر فيها من ملامح للتعزيز والعقاب . فهما يؤديان دور التشويق والتحذير أكثر من أدائهما دور القسمين الآخرين ، إذ يشخصان حوادث الماضي وأحوال المصير ليأخذ الفرد حذره .

وتبلغ نسبة ذلك عن طريق التصوير ٢٣,٩٥٪ من مجمل عبارات الترغيب والترهيب : (١٥٤٩/٦٤٦٦) ، وعن طريق القصص ١٦,٠٢٪ منها : أي العبارات (١٠٣٦/٦٤٦٦) ، ونسبة غيرهما بالتالي : ٦٠,٠٢٪ منها (٣٨٨١/٦٤٦٦) .

ويكثر في السور المكية تصوير هذه المشاهد بحيث تبلغ نسبة ذلك فيها ٨٠,٧٦٪ من مجمل عبارات التصوير (١٢٥١/١٥٤٩) مقابل : ١٩,٢٣٪ منها في المدني (٢٩٨/١٥٤٩) .

وأما الترغيب والترهيب بالقصص فأغلبه مكي ، إذ تبلغ نسبته فيه : ٨٨,٨٩٪ من

مجمل عبارات القصصي (١٠٣٦/٩٢١) مقابل : ١١,١٠٪ منه في المدني (١٠٣٦/١١٥) .

وتنوع هذه الأساليب يعطي فكرة تربوية هي أن استخدام الترغيب والترهيب في مجال ضبط السلوك مهم ، ولكن الأهم هو تحقيق الحكمة في هذا الاستخدام بالتنويع ومراعاة الأحوال والظروف والمتطلبات التي تكتنفها المرحلة التربوية والوضع الاجتماعي والعقائدي . .

ولعل هذا أهم ما يستخلص من عملية الرصد والإحصاء السابقة .

وأما ماعداه فقد تم التعرض لمعظمه في القسم النظري من البحث ، كاعتماد هذه الأساليب على الوازع الديني أو المراقبة الذاتية ، واقتران الثواب بالعقاب أو الترغيب بالترهيب ، مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذا الاقتران لايعني بالضرورة تساوي نسبتيهما في القرآن الكريم من حيث عدد العبارات والمفاهيم على الأقل - كما تبين ذلك بالتحليل - حيث ظهر الفرق لصالح الترهيب (٥٦,٧٨٪ مقابل ٤٣,٢١٪) .

ولكن هذا لايخل بالاعتدال أو التوازن الذي تتسم به التربية القرآنية ، لأن ارتفاع نسبة السلبية على الإيجابية من حيث عدد العبارات قد يعود إلى ما كان يتطلبه العهد المكي من إكثار التحذير من الاستمرار والتمادي على الضلال ، وكان يتم هذا التحذير بأساليب منها القصص وبيان عاقبة الأمم المكذبة للرسل ، ومنها الإكثار من تصوير المصير الذي ينتظر المصر والمتمادي .

وكثيراً ما يأتي الترهيب من الكفر أو الفسق أو الفجور مثلاً بالوعيد عليها والتحذير منها دون تعداد لأعمال أو صفات أخرى لاستحقاق العقاب كما هي الحال في ربط الإيمان بالعمل الصالح والصفات الحميدة التي يكثر تعدادها في مجال الترغيب على سبيل الثناء بها - إلا أنها لاتنطبق عليها معايير البحث ، لاندراجها تحت الإجراءات بصورة أكثر وضوحاً[(١)] .

وعدم حساب هذه الإجراءات في قائمة الترغيب قد يكون من أسباب انخفاض نسبة الترغيب في هذا البحث .

---

(١) مثل آية ١٧٧ من سورة البقرة، وفاتحة سورة المؤمنون ٢٣/٢-١٠، وخواتيم سورة الفرقان ٢٥/٦٤-٧٥.

وبالمقابل قد يكون إكثار القرآن الكريم من تعداد ألوان العقاب وأشكال التحذير من الكفر مثلاً بدلاً من الإكثار من تعداد أفعال الكفر - ومرادفاته - من أهم عوامل ارتفاع نسبة الترهيب فيه .

هذا وقد يكون من المفيد - قبل تلخيص نتائج البحث - وضع مجموعة من الجداول توضح ما سبق عرضه بصورة متكاملة وتسهل تمثل النسب والمعدلات بمجرد إلقاء نظرة سريعة عليها .

* * *

الجدول (١٠)
نسبة آيات الترغيب والترهيب وعباراتهما في القرآن الكريم خلاصةً عامة لعملية الرصد:

آيات كل ربع		موضوع البحث من الآيات		العبارات والمفاهيم		الترغيب: التشويق		الترغيب: التعزيز	
	الأصلية	ا	٪	عب	٪	ق	٪	ز	٪
١	٩٥٤	٦١٠	٦٣,٩٤	١٤٣٢	٢٢,١٤	٤٥٠	٣١,٦٢	٢٢٥	١٥,٧١
٢	١٢٦١	٦١٢	٤٨,٥٣	١٤٨٩	٢٢,٨٧	٣٩٥	٢٦,٧٠	٢٢٠	١٤,٨٧
٣	١٧١٧	٧٦٢	٤٤,٣٧	١٥٠٦	٢٣,٢٩	٤٣٥	٢٨,٨٨	١٩٧	١٣,٠٨
٤	٢٣٠٤	١١٠٥	٤٧,٩٦	٢٠٤٩	٣١,٨٧	٦٣٩	٣١,١٨	٢٣٣	١١,٣٧
مج	٦٢٣٦	٣٠٨٩	٤٩,٥٣	٦٤٦٦	٩٩,٩٨	١٩١٩	٢٩,٦٧	٨٧٥	١٣,٥٣

الترهيب				الفوري		القصصي		التصويري	
ر	٪	ع	٪	ف	٪	ص	٪	صَ	٪
٤٤٠	٣٠,٧٢	٣١٧	٢٢,١٣	١٥٥	١٠,٨٢	٩٩	٦,٩١	١٠١	٧,٠٥
٦١١	٤١,٣١	٢٥٣	٪,١٠	١٨٩	١٢,٧٧	٣٢٨	٢٢,١٧	٢٣٧	١٦,٠٢
٧٠١	٤٤,٥٤	١٧٣	١١,٤٨	١٠٨	٧,١٧	٣٧٨	٢٥,٠٩	٤١٥	٢٧,٥٥
٩٢٥	٤٥,١٤	٢٥٢	١٢,٩٢	١٣٩	٦,٧٨	٢٣١	١١,٢٧	٧٩٦	٣٨,٨٤
٢٦٧٧	٤١,٤٠	٩٩٥	١٥,٣٨	٥٩١	٩,١٤	١٠٣٦	١٦,٠٢	١٥٤٩	٢٣,٩٥

الجدول رقم (١١)

معدل توزيع أنواع الترغيب والترهيب في أرباع القرآن الكريم معتمداً على العبارات :

الفئات		ربع (١)		ربع (٢)	
	ك	ك	٪	ك	٪
التشويق	١٩١٩	٤٥٠	٢٣,٤٤	٣٩٥	٢٠,٥٨
التعزيز	٨٧٥	٢٢٥	٢٥,٧١	٢٢٠	٢٥,١٤
التحذير	٢٦٧٧	٤٤٠	١٦,٤٣	٦١١	٢٢,٨٢
العقاب	٩٩٥	٣١٧	٣١,٨٥	٢٥٣	٢٥,٤٢
المجموع	٦٤٦٦	١٤٣٢	٢٢,١٤	١٤٧٩	٢٢,٨٧
ملاحظة	فالنصف الأول : ٢٩١١ = ٤٥,٠٢ ٪				

الفئات	ربع (٣)		ربع (٤)	
	ك	٪	ك	٪
التشويق	٤٣٥	٢٢,٦٦	٦٣٩	٣٣,٢٩
التعزيز	١٩٧	٢٢,٥١	٢٣٣	٢٦,٦٢
التحذير	٧٠١	٢٦,١٨	٩٢٥	٣٤,٥٥
العقاب	١٧٣	١٧,٣٨	٢٥٢	٢٥,٣٢
المجموع	١٥٠٦	٢٣,٢٩	٢٠٤٩	٣١,٦٨
	والنصف الثاني ٣٥٥٥= ٥٤,٩٧٪			

الجدول رقم (١٢)

معدل توزيع الفوري والمؤجل من التعزيز والعقاب في أرباع القرآن الكريم :

الفئات	ك	-١-		-٢-		-٣-		-٤-	
		ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪
الفوري	٥٩١	١٥٥	٢٦,٢٢	١٨٩	٣١,٩٧	١٠٨	١٨,٢٧	١٣٩	٢٣,٥١
المؤجل	١٢٧٩	٣٨٧	٣٠,٢٥	٢٨٤	٢٢,٢٠	٢٦٢	٢٠,٤٨	٣٤٦	٢٧,٠٥
المجموع	١٨٧٠	٥٤٢	٢٨,٩٨	٤٧٣	٢٥،٢٩	٣٧٠	١٩,٧٨	٤٨٥	٢٥,٩٣
ملاحظة	١٠١٥ = ٢٧, ٥٤٪				٨٥٥ = ٤٥,٧٢ ٪				

الجدول رقم (١٣)

معدل توزيع القصصي والتصويري من الترغيب والترهيب في أرباع القرآن الكريم :

الفئات	ك	-١-		-٢-		-٣-		-٤-	
		ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪
القصصي	١٠٣٦	٩٩	٩,٥٥	٣٢٨	٣١,٦٦	٣٧٨	٣٦,٤٨	٢٣١	٢٢,٢٩
التصويري	١٥٤٩	١٠١	٦,٥٢	٢٣٧	١٥,٣٠	٤١٥	٢٦,٧٩	٧٩٦	٥١,٣٨
المجموع	٢٥٨٥	٧٦٥ = ٢٩,٥٩٪				١٨٢٠ = ٧٠,٤٠ ٪			

ومما يلاحظ من الجداول السابقة - وعلى الأخص جدول رقم (١٠) :

أن التدرج المشار إليه من قبل ثابت في حاصل المجموع ، ولكنه جزئياً غير ثابت . إذ تبين أن نسبة التعزيز والعقاب في النصف الأول أعلى منها في الثاني من القرآن الكريم . وذلك أن نسبتهما في المدني أعلى منها في المكي ، ونسبة المدني في النصف الأول أعلى منها في المكي .

وبالمقابل : نسبة التشويق والتحذير في الأخير أعلى منها في الأول ، وكذلك نسبة كل من القصصي والتصويري .

والسبب هو أن نسبة ذلك في المكي أعلى منها في المدني ، ونسبة المكي في النصف الأخير أعلى ، والجداول التالية تزيد الأمر وضوحاً :

الجدول رقم (١٤)

معدل توزيع الترغيب والترهيب في المكي والمدني ، ونسبة بعضهما إلى بعض :

الفئات	ك	مك	٪ إلى الفئة	٪ إلى المكي	مد	٪ إلى الفئة	٪ إلى المدني
التشويق	١٩١٩	١٠٧٨	٥٦,١٧	٢٨,٤٥	٨٤١	٤٣,٨٢	٣١,٤١
التعزيز	٨٧٥	٣٤٠	٣٨,٨٥	٨,٩٧	٥٣٥	٦١,١٤	١٩,٩٨
التحذير	٢٦٧٧	٢٠١٧	٧٥,٣٤	٥٣,٢٣	٦٦٠	٢٤,٦٥	٢٤,٦٥
العقاب	٩٩٥	٣٥٤	٣٥,٥٧	٩,٣٤	٦٤١	٦٤,٤٢	٢٣,٩٤
المجموع	٦٤٦٦	٣٧٨٩	٥٨,٥٩٪ من المجموع		٢٦٧٧	٤١,٤٠٪ من المجموع	

الجدول رقم (١٥)
معدل توزيع القصصي والتصويري في المكي والمدني :

الفئات	ك	مك	٪ إلى الفئة	٪ إلى المكي	مد	٪ إلى الفئة	٪ إلى المدني
القصصي	١٠٣٦	٩٢١	٨٨,٨٩	٢٤,٣٠	١١٥	١١,١٠	٤,٢٩
التصويري	١٥٤٩	١٢٥١	٨٠,٧٦	٢٣,٠١	٢٩٨	١٩,٢٣	١١,١٣
المجموع	٢٥٨٥	٢١٧٢	٨٤,٠٢	٥٧,٣٢	٤١٣	١٥,٩٧	١٥,٤٢
ملاحظة : فنسبة المكي من كل منهما عالية جداً .							

الجدول رقم (١٦)
معدل توزيع الفوري والمؤجل من التعزيز والعقاب في المكي والمدني :

الفئات	ك	مك	٪ إلى الفئة	٪ إلى المكي	مد	٪ إلى الفئة	٪ إلى المدني
الفوري	٥٩١	١٠٨	١٨,٢٧	٢,٨٥	٤٨٣	٨١,٧٢	١٨,٠٤
المؤجل	١٢٧٩	٥٨٦	٤٥,٨١	١٥,٤٦	٦٩٣	٥٤,١٨	٢٥,٨٨
المجموع	١٨٧٠	٦٩٤	٣٧,١١	١٨,٣١	١١٧٦	٦٢,٨٨	٤٣,٩٢
ملاحظة : فنسبة المدني منهما هي الأعلى .							

هذا ولعل من الضروري في آخر البحث تقديم خلاصة عنه وعن نتائجه مع طرح جملة من المقترحات والتوصيات خاتمةً للبحث .

* * * * *

ثالثاً - الخاتمة : ملخص النتائج ومقترحات البحث

وتتلخص نتائج البحث بقسميه النظري والإحصائي بما يلي :

١ - حول آراء العلماء في الثواب والعقاب في التربية وضبط السلوك :

١-١- يعد الترغيب والترهيب أمرين واقعيين ، يوجهان السلوك الإنساني والاجتماعي - بغض النظر عن مشروعية استخدامها في التربية وضبط السلوك .

١-٢- يهتم علماء التربية وعلم النفس من المسلمين وغيرهم اهتماماً جدياً بالبحث في الترغيب والترهيب ومدى صلاحيتهما لضبط السلوك ، إلا أنهم يختلفون في مواقفهم منهما من حيث الإيجابية والسلبية ، ولهم في ذلك آراء متعددة :

آ - فمنهم من يرى الحاجة إلى إبعاد الثواب والعقاب معاً عن مجال التربية وضبط السلوك ، تغليباً لما يحتمل فيهما من سلبيات تربوية أو سلوكية ، إنسانية أو اجتماعية . .

ب - ومنهم من يرى ضرورة استخدام الثواب والعقاب في التربية وضبط السلوك - تغليباً لإيجابيتهما ، ولكن مع كثير من التحفظ - لاسيما في عناصر العقاب ، لطبيعته السلبية ، الأمر الذي أدى إلى مبالغة بعضهم في تضييق مجال استخدامه .

ج - ومنهم من يرى ضرورة إلغاء العقاب دون الثواب ، لغلبة سلبيات الأول في رأيهم ، ولطبيعة الثاني الإيجابية .

١-٣- يمثل القائلون بضرورة استخدام الثواب أساساً ، وعدم استخدام العقاب إلا عند الضرورة نسبة عالية على ما يظهر - فذلك رأي أغلب علماء المسلمين والمربين وعلماء النفس من القدماء والمعاصرين - في حدود الاطلاع .

١-٤- ينحصر الخلاف الأشد بين علماء التربية وعلم النفس في العقاب الجسدي ، أو القاسي من التأنيب القولي ، لافي العقاب المعنوي أو الأدبي - مادام معتدلاً . كما لايظهر أنهم يختلفون في ضرورة التشويق وإثارة الحوافز الإنسانية أو الذاتية ، إذ يتفقون على أنه « لاتَعَلُّم دون حافز » ، وإنما اختلافهم في استخدام مثل الجوائز والمكافآت المادية أو في الإكثار من ذلك .

١-٥- البدائل التي جاء بها رافضو الثواب والعقاب ، أو الأخير دون الأول ، بعضها معقول - ولكنها لاتكفي عنهما ، وإن كانت تحد من الإكثار منهما ، بل قد لاتكفي

عن العقاب الجسدي في بعض الحالات الخاصة ، لاختلاف الطبائع والظروف .

٢ - حول أهداف القرآن الكريم وغاياته التربوية :

١-٢- يهدف القرآن الكريم بتربيته إلى غاية تتمثل في تَنشئة الإنسان الصالح لمواطنة بني البشر ، ولعبادة ربه عز وجل ، دون أن يتقيد ذلك بمكان أو زمان محددين .

٢-٢- يبني القرآن الكريم سعيه لتحقيق غايته تلك على أساس الإيمان بالله تعالى وحده ، إيماناً يرافقه عمل صالح رديفاً ضرورياً لاستحقاق رضاء الله وثوابه ، والنجاة من سخطه وعقابه .

٣-٢- وللإيمان بالله كما بينه القرآن الكريم مقامات متدرجة ، من أبرزها البر والتقوى والإحسان . . ثم مقام العبودية الخالصة لله تعالى ، التي هي الغاية العليا والتي صرح القرآن الكريم بأنها علة خلق الإنس والجن .

٣ - حول أساليب القرآن الكريم التربوية :

١-٣- قد اتخذ القرآن الكريم وسائل تربوية لتحقيق أهدافه وغاياته ، ومن ذلك :

آ - وسائل وأساليب للاقناع العقلي ، وتتمثل في اعتبار هذا الكون بما فيه وسائل إيضاح للتعريف بالله تعالى ، ولفت النظر إلى كمال قدرته وفضله . .

ب - ترتيب يتمتع بنظم شائق بديع ، وسبك سهل منيع ، وأسلوب بلاغي رفيع ، يَشدُّ بذلك قارئه وسامعه إليه شدّاً ، ويثير فيه ما يشبه الطرب .

ج - أساليب للترغيب والترهيب أو إثارة العاطفة ، تشويقاً وتعزيزاً ، ثواباً وعقاباً . وذلك بنسبة عالية لاتقل عن ٤٩,٥٣٪ من إجمالي آياته الكلي (٦٢٣٦/٣٠٨٩) .

٢-٣- تأتي أساليب الترغيب والترهيب في القرآن الكريم متنوعة ، منها ما يتفق مع أساليب ضبط السلوك بالمفهوم المعاصر ، كالتشويق والتعزيز والعقاب بمعناها التربوي ، الفوري منها والمؤجل .

٣-٣- يقر القرآن الكريم هذه الأساليب في ضبط السلوك إلا أن نسبة العقاب الجسدي فيه متدنية إلى حد كبير ، مثل الحدود والقصاص - مما يفيد بأن إقرار العقاب فيه أقرب إلى أن يكون إجراءً وقائياً ، لايلجأ إليه إلا عند ضرورة اختيار أهون الشرين ، ردعاً وزجراً ، ولهدف الإصلاح لا الانتقام والتشفي ، وعند رجاء الجدوى منه ، وبقدر الحاجة لا أكثر .

٤-٣- نسبة الفوري من التعزيز والعقاب ضئيلة نظراً إلى نسبة المؤجل والموضوعي

منهما إلى مجمل عبارات الترغيب والترهيب : ١٤,٩٪ الفوري و١٩,٧٨٪ المؤجل[١] .
ويبدو أن السبب هو أن القرآن الكريم عالمي الدعوة ، يصوغ عباراته صياغة يمكن أن تنطبق على أي فرد من البشر ، لايخص من عاصروا نزوله دون غيرهم .

٥-٣- للقرآن الكريم أساليب أخرى للترغيب والترهيب ، يختص بها عن أساليب ضبط السلوك المعاصرة ، كتصوير مشاهد مثيرة لما بعد الموت ، والعناية بإحياء المراقبة الذاتية في النفس .

٦-٣- تنوع أساليب ضبط السلوك القرآنية جاء نتيجة لواقعية القرآن الكريم التربوية ، بمراعاة الظروف والمناسبات ومراحل الدعوة ، واغتنام الفرص . . مما جعل هذه الأساليب تختلف باختلاف السور في موضوعاتها التي كانت تلبي الظروف والحاجات التربوية والاجتماعية ، دون أن يطغى ذلك على مرونة القرآن الكريم وصلاحية ما فيه من الترغيب والترهيب لتلبية حاجات المستقبل وظروفه .

ويشير إلى هذا ارتفاع نسبة التعزيز والعقاب في القرآن المدني أكثر منها في القرآن المكي (حيث كان كما يلي : ٦٢,٨٨٪ منهما مدني ، و٣٧,١١٪ منهما مكي) . وذلك أن النشاط العملي والتطبيق الميداني كان في العهد المدني ، مقابل التعليم النظري والجهاد الروحي في العهد المكي - مما يؤكد الحاجة إلى مراعاة المراحل والظروف بتنويع الوسائل التربوية وأساليب ضبط السلوك .

٧-٣- نسبة الترهيب في القرآن الكريم أعلى من نسبة الترغيب فيه : (٤٣,٢١/٥٦,٧٨) . مع ملاحظة أن نسبة أساليب الاستمالة والوقاية أي التشويق والتحذير هي أعلى من نسبة أساليب الجزاء ثواباً وعقاباً : (٢٨,٩٢/٧١,٠٧) . ولعل من أسباب هذه الظاهرة أن نسبة القرآن المكي أعلى من نسبة المدني منه ، ولم يكن العقاب في العهد المكي إلا أدبياً ، وكانت نسبة الثواب فيه كذلك أقل ، إذ الكلام كان مع قوم لم يؤمنوا بعد ، وكانت الحاجة إلى التحذير من الإصرار والتمادي على تقاليد الانحراف أشد من غيره .

ويبدو أن هذا هو أصل ارتفاع نسبة التشويق في القرآن الكريم عن نسبة التعزيز فيه ، لأن الحاجة إلى التشويق قبل الإيمان أشد منها بعده . ومن هنا كانت نسبة القصصي والتصويري من الترغيب والترهيب أعلى في القرآن المكي منها في المدني .

٨-٣- تأتي أساليب ضبط السلوك في القرآن الكريم متدرجة تدرجاً تصاعدياً - وفق

(١) وما عداهما فتشويق وتحذير، ونسبتهما ٧١,٠٧٪ من مجموع عبارات الترغيب والترهيب.

ترتيبه الحالي ، مع اختلاف في نوعية هذه الأساليب في أرباعه - وهذا من حيث عدد عبارات الترغيب والترهيب ، وأما من حيث عدد الآيات من كل ربع فإن نسبة الترغيب والترهيب في الربع الأول أعلى منها في غيره ، ويليه الربع الثاني فالأخير ، ثم الثالث أخيراً .

والسبب هو أن نسبة المدني في الربع الأول عالية جداً ، ونسبة التصويري في الربع الأخير عالية كذلك ، وقد تبين أن كلاً منهما عامل لارتفاع نسبة الترغيب والترهيب .

٩-٣- تعتمد أساليب ضبط السلوك القرآنية على مبدأ الإيمان بالله تعالى ، وعلى الوازع الديني الناتج عنه أكثر من اعتمادها على المراقبة الحسية والإشراف الاجتماعي . . الأمر الذي يظهر أهم ما يتميز به الترغيب والترهيب في القرآن الكريم لأن مثل هذا هو الضمان الأمثل للتطبيق التلقائي مع الحفاظ على حرية الإنسان وصيانة كرامته - دون أن يعني ذلك الطعن في أهمية المراقبة الاجتماعية .

٤ - نتائج أخرى

١-٤- منهج القرآن الكريم في استخدام أساليب ضبط السلوك دقيق يمكن أن يكون له أثر تربوي فعال ، وهو أنه يقرن هذه الأساليب العاطفية بالإقناع العقلي ، ويدعمها بالتوثيق بحوادث التاريخ ، مما يصلح أن يكون عاملاً مهمًّا في التطويع مع الإرضاء .

٢-٤- التوجيه غير المباشر سمة بارزة في القرآن الكريم ومن ذلك بيان عواقب الأمم السالفة : الإيجابية والسلبية ، مع التعقيب عليها بالتنبيه إلى ثبوت قانون الجزاء فيمن أحسن أو أساء .

هذا مع التزام الموضوعية في الخطاب ، حيث يربط الترغيب والترهيب بأفعال أو صفات محددة فيجمع بذلك بين التشويق إليهاأو التحذير منها ، وبين تعزيز من تحققت تلك الصفات فيه أو عتابه عليها - كما يجمع بين تلبية الظروف الراهنة وشمول ظروف المستقبل .

٣-٤- توافر مبدأ الإيمان في التربية يجعل للمؤجَّل من التعزيز والعقاب فعالية قد لاتقل عن فعالية الفوري منهما ، كما يشهد بذلك النجاح التربوي الذي حققه القرآن الكريم .

٤-٤- تتحقق الفعالية التربوية للترغيب والترهيب إذا أُحسن استخدامها . ويبدو أن الإخفاق فيهما غالباً ما يعود إلى سوء الاستخدام من جهة ، وإلى انعدام الثقة بمصدرهما من جهة أخرى ، أو إلى انعدام مبدأ راسخ في النفس يطمئن إليه القلب ويحتكم إليه الضمير من جهة ثالثة .

وليس الإخفاق في استخدامهما عائداً إلى أن لهما - أي الثواب والعقاب - عوائق أو سلبيات ذاتية وحتمية .

هذه أهم النتائج التي أمكن استلهامها من البحث ، وفي ضوئها يمكن طرح بعض المقترحات التي يبدو أنها يمكن أن تسهم في توجيه عملية الترغيب والترهيب في التربية . .

مقترحات البحث

بناءً على أهم النتائج السابقة الذكر يظهر أن ثمة حاجة إلى مايلي :

١ - إعادة النظر في استخدام الثواب والعقاب في التربية وضبط السلوك بما يتناسب مع الطبيعة البشرية وفطرة الإنسان وكرامته ، دون أن يعني ذلك إلغاء استخدامها .

٢ - العودة في ذلك إلى مصادر التربية الإسلامية- العربية التي على رأسها القرآن الكريم ، سعياً وراء إيجاد منهج تربوي متكامل يتلاءم مع متطلبات حياتنا الإقليمية . مع متابعة التطورات العلمية والتربوية للاستفادة من التجارب الميدانية التي أثبتت فعاليتها التربوية ، على أن يكون في ذلك تيقظ كافٍ لتفادي سلبيات بعض الاتجاهات التي قد تؤذي الناشيء نفسياً أو سلوكياً .

٣ - تعاون ودي ومنصف بين كليات التربية والشريعة لتحقيق البند الآنف الذكر ، توفيقاً بين مصادر التربية الإسلامية ومصادر التربية الحديثة ، ومنعاً للصراع الذي قد يقع ضحيته الناشيء من جراء تطرف محتمل من الجهتين أو من إحداهما - نتيجة لحصر الاهتمام في مجال التخصص وإهمال غيره بعض الشيء .

٤ - العناية بإرساء مبادئ الإيمان والأخلاق في نفوس الناشئين لضمان دعم العقل بالإرضاء الذاتي الذي هو ركيزة فعالة للتطبيق التلقائي البناء . . وذلك عن طريق تعاون المدرسين على اختلاف اختصاصاتهم . . إذ تصلح كل مادة دراسية لأن تكون وسيلة إيضاح للفت النظر إلى مافي هذا الكون من دلائل القدرة والفضل . . مما يضفي على المادة حيوية وتشويقاً ، دون أن يكون ذلك على حساب الجانب العلمي . . وليس من الضروري أن توكل هذه المهمة إلى أهل التخصص في التربية الإسلامية دون غيرهم - بل قد يكون المتخصص في العلوم كالكيمياء والفيزياء والطب والهندسة - أقدر على الاقناع بأمر الله من غيره ، وإن كان لابد من إحالة الأحكام التفصيلية إلى المتخصص في التربية الإسلامية .

٥ - الأخذ بالاتجاه القائل باستخدام الثواب أساساً - لميل الفطرة إلى ذلك - واستخدام العقاب عند الضرورة - لقوة احتمال السلبية فيه - بحيث يخفف استعماله إلى أدنى حد ممكن ، ولاسيما الجسدي منه ، وأن لايلجأ إليه إلا عند رجاء الجدوى منه ، وعدم جدوى غيره - أخذاً بأهون الشرين عند اللزوم .

٦ - الاستعانة بالبدائل التي طرحها خصوم العقاب قدر الإمكان ، مثل مراعاة الفروق الفردية واغتنام الفرص والتدرج في التوجيه . .

٧ - إعادة النظر في الاتجاه السائد باستخدام العقاب الأدبي المتدرج الذي ينتهي بفصل الطالب من المؤسسة التربوية بحجة حماية حرمة الإنسان وحريته وكرامته . . لأن الفصل لايقل عن العقاب الجسدي إيذاءً للطالب ، بل إن العقاب الجسدي المعتدل عند الضرورة قد يكون أجدى له ، لاحتمال فوات فرصة التعلم بالفصل .

٨ - تنويع الأساليب التربوية ومراعاة اختلاف المراحل والأعمار . . تلبية لحاجات الناشئين النفسية والعقلية ، ومتطلبات الحياة الاجتماعية . . إذ ليس المهم كثرة استخدام الثواب والعقاب مثلاً أو أحدهما أو التقليل من ذلك ، وإنما المهم هو نوعية هذه الأساليب وكيفية هذا الاستخدام .

٩ - متابعة هذا الموضوع نفسه في القرآن الكريم - وفيما تفرع عنه من مصادر التربية الإسلامية ، حيث لم يأت هذا البحث إلا خطوة قصيرة تحتوي على معلومات هي أشبه بالمواد الخام تنتظر من أهلها الوصل والتطوير تنقيحاً وتهذيباً ، لإخراجها على صورة أفضل أو أدق . . بل إن ما بذل في القرآن الكريم في هذا المجال لايعدو كونه مقتطفات متفرقة على الرغم من طرافة بعضها ، وذلك أنه يضم جوانب تربوية كثيرة تستحق البحث والتحليل .

١٠ - وعليه ينبغي لعلماء التربية وعلم النفس في عالمنا العربي- الإسلامي أن يخصوا القرآن الكريم بالدراسة والتحليل في ضوء الأساليب التربوية المعاصرة ، وذلك عن طريق تأليف فريق بحث تربوي مشترك مثلاً . . مفترضاً أنهم سيخرجون بنتائج إيجابية تجمع لنا بين الإنجاز التربوي وإحياء التراث العربي- الإسلامي الأصيل . فيمكن مثلاً دراسة أسباب النزول لجلال الدين السيوطي فيما يخص التعزيز الفوري في القرآن الكريم ، لأن تلك الأسباب تشير إلى أن القرآن الكريم كان ينزل لمناسبة وقوع مشاكل اجتماعية يحلها ، أو حوادث سلوكية يستحسنها أو يستهجنها ، يعززها أو يثبطها .

١١ - متابعة هذا الموضوع نفسه في كتب السنة الصحيحة ، لأن السنة كانت الترجمة العملية للقرآن الكريم . ومن هذه الكتب : « صحيح الإمام البخاري وصحيح الإمام مسلم » ولعل من أسهلها تناولاً في هذا الموضوع كتاب « رياض الصالحين » للإمام النووي ، لاحتوائه على أحاديث الترغيب والترهيب الصحيحة دون غيرها .

ومن المفيد تناول هذه الأحاديث وتحليلها من الناحية التربوية- التعزيزية ، ولاسيما إذا رافق ذلك عناية بأسباب ورود الأحاديث ، الأمر الذي يُمكن من فهمها في ضوء الظروف والملابسات التي كانت ترد فيها - وأسباب الورود في السنة بمعنى أسباب النزول في القرآن الكريم .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

رابعاً - الملاحق

تسهيلاً للرجوع إلى الآيات التي كانت موضوعاً لاستخراج عبارات الترغيب والترهيب من الكتاب العزيز ، ووفاءً بما سبق الوعد به ، يتم فيما يلي اختصار عملية الرصد ، وجعلها أول ملاحق البحث ، وهو ملحق للجدول رقم (٨) . ويكون ذلك حسب تسلسل السور التوقيفي . عن طريق القيام بالمهمات التالية :

١ - ذكر السورة أولاً ، ورقمها ، ثم عدد آياتها الأصل : (البقرة٢/٢٨٦)

٢ - ذكر كل آية في محلها من السورة ولوتكررت .

٣ - ذكر أول الآية فقط ، مع الإشارة إلى رقمها - أو رقمها ورقم الآية الأخيرة ، في حال تتالي عدة آيات تتضمن الترغيب والترهيب .

٤ - بيان حاصل الجمع لموضوع البحث من الآيات ونسبته إلى الآيات الأصل . وذلك عقب السورة مباشرة ، إذا كانت من الطوال . وإلا فعقب كل سورتين أو ثلاث أو أربع ، أو أكثر حسب حجمها .

٥ - بيان حاصل الجمع لموضوع البحث من كل ربع من أرباع القرآن الكريم .

٦ - تلخيص موضوع البحث من السور : آيات وعبارات - بالأرقام والنسب . على أن يتم ذلك في جدولين : أحدهما للسور المكية ، والآخر للسور المدنية ، يشخصان عدد آيات كل سورة - تقريباً - وعدد موضوع البحث منها ، ونسبته المئوية ، ثم عدد ماتحويه من عبارات ترغيب وترهيب ، وذلك سداً لثغرة الإجمال الحاصل في مضمون ما تقدم ذكره في فقرة « ٤ » فيما عدا المفصل والقصار ، فالإجمال فيها باق .

هذا ومما يحسن التذكير به مرة أخرى أن السور القرآنية كلها تشمل على ما يفيد الترغيب والترهيب ، إلا أن محل الرصد هنا ينحصر فيما اندرج تحت معايير البحث . وأنه لايخرج عن عملية الرصد هذه إلا أربع سور قصار لاتتجاوز بمجموعها ٢٢ آية وهي : الفاتحة/١ ، والإخلاص/١١٢ ، والفلق/١١٣ ، والناس/١١٤ . علماً بأن هذه السور نفسها تتضمن معنى الترغيب والترهيب لكن بصورة غير واضحة - حسب معايير البحث .

والله ولي التوفيق

الجدول رقم(١٧) وهو ملحق الجدول رقم (٨) أوائل آيات الترغيب والترهيب (أي التي تحتوي على عبارات أو مفاهيم تفيد ذلك بوضوح) .

أوائل الآيات - بسورها	أرقامها	أوائل الآيات	أرقامها
من سورة البقرة ٢/ ٢٨٦ مدنية		ومن أظلم ممن منع	١١٤
ذلك الكتاب لاريب فيه	٢	ولن ترضى عنك اليهود	١٢٠-١٢١
أولئك على هدى	٥	واتقوا يوماً	١٢٣-١٢٤
ختم الله	٧	وإذ قال إبراهيم	١٢٦
يخادعون الله	٩-١٠	ومن يرغب عن ملة	١٣٠
ألا إنهم هم المفسدون	١٢-١٣	وقالوا كونوا هوداً	١٣٥
الله يستهزىء بهم	١٥-١٩	فإن أمنوا	١٣٧
ياأيها الناس	٢١-٢٧	أم تقولون	١٤٠
وقلنا ياآدم	٣٥-٤٠	وكذلك جعلناكم	١٤٣-١٤٥
أتأمرون الناس	٤٤	ومن حيث خرجت	١٤٩-١٥٥
واتقوا يوماً	٤٨	أولئك عليهم صلوات	١٥٧-١٦٣
ثم عفونا عنكم	٥٢-٥٤	ومن الناس	١٦٥-١٦٩
وإذ قلنا ادخلوا	٥٨-٥٩	ومثل الذين كفروا	١٧١
وإذ قلتم ياموسى	٦١-٦٣	إنما حرم عليكم الميتة	١٧٣-١٧٩
فقلنا اضربوه	٧٣-٧٤	فمن بدله	١٨١-١٨٧
فويل للذين	٧٩	يسألونك	١٨٩-١٩٢
بلى من كسب	٨١-٨٢	الشهر الحرام	١٩٤-١٩٧
ثم أنتم هؤلاء	٨٥-٩١	ثم أفيضوا	١٩٩
وإذ أخذنا ميثاقكم	٩٣	أولئك لهم نصيب	٢٠٢-٢٠٨
ولن يتمنوه أبداً	٩٥	سل بني إسرائيل	٢١١-٢١٢
قل من كان عدواً	٩٧-٩٩	أم حسبتم	٢١٤-٢١٩
واتبعوا ما تتلو الشياطين	١٠٢-١٠٥	ولا تنكحوا المشركات	٢٢١-٢٢٣
أم تريدون	١٠٨	لايؤاخذكم الله باللغو	٢٢٥
وأقيموا الصلاة	١١٠	الطلاق مرتان	٢٢٩
بلى من أسلم وجهه	١١٢	وإذا طلقتم النساء	٢٣١-٢٣٥

أوائل الآيات	أرقامها
وإن طلقتموهن	٢٣٧
كذلك يبين الله لكم	٢٤٢-٢٤٣
من ذا الذي يقرض الله	٢٤٥-٢٤٦
وقال لهم نبيهم	٢٤٨-٢٤٩
تلك آيات الله	٢٥٢
ياأيها الذين آمنوا	٢٥٤
لاإكراه في الدين	٢٥٦-٢٥٨
مثل الذين ينفقون	٢٦١-٢٦٢
ياأيها الذين آمنوا	٢٦٤-٢٨٤

حاصل السورة: ١٧٣ ÷ ٢٨٦ = ٦٠,٤٨٪

من سورة آل عمران ٣/ ٢٠٠ مدنية .

أوائل الآيات	أرقامها
إن الذين كفروا	٤
إن الذين كفروا	١٠-١٢
زين للناس	١٤-١٥
إن الدين عند الله	١٩
إن الذين كفروا	٢١-٢٢
ذلك بأنهم	٢٤
لايتخذ المؤمنون	٢٨-٣٢
فنادته الملائكة	٣٩
وإذ قالت الملائكة	٤٢
إذ قالت الملائكة	٤٥-٤٦
ورسولاً إلى بني إسرائيل	٤٩
إن الله ربي وربكم	٥١
فأما الذين كفروا	٥٦-٥٧
فمن حاجك فيه	٦١
فإن تولوا	٦٣
إن أولى الناس	٦٨-٧١
ولاتؤمنوا إلا لمن تبع	٧٣-٧٤
بلى من أوفى بعهده	٧٦-٧٧
فمن تولى بعد ذلك	٨٢
ومن يبتغ غير الإسلام	٨٥-٩٢
فمن افترى على الله	٩٤-١٠٢
ولتكن منكم أمة	١٠٤-١٠٦
كنتم خير أمة	١١٠
ضربت عليهم الذلة	١١٢-١٢٠
إذهمت طائفتان	١٢٢-١٣٤
أولئك جزاؤهم مغفرة	١٣٦
هذا بيان للناس	١٣٨-١٤١
وما محمد إلا رسول	١٤٤-١٤٦
فآتاهم الله ثواب الدنيا	١٤٨-١٥٧
فبما رحمة من الله لنت	١٥٩-١٧٢
فانقلبوا بنعمة	١٧٤-١٨٢
فإن كذبوك	١٨٤-١٨٨
ربنا إنك	١٩٢
فاستجاب لهم	١٩٥-٢٠٠

حاصل السورة :١٢٩÷٢٠٠ = ٦٤,٥٠

أوائل الآيات	أرقامها
من سورة النساء ٤/ ١٧٦ مدنية	
ياأيها الناس	١-٢
وليخش الذين	٩-١٠
تلك حدود الله	١٣-١٤
واللذان يأتيانها	١٦-٢٣
ومن لم يستطع	٢٥-٣١
الرجال قوامون	٣٤-٤٠
يومئذ يود الذين	٤٢-٤٨
انظر كيف يفترون	٥٠-٥٢
فمنهم من آمن	٥٥-٦٠
فكيف إذا أصابتهم	٦٢-٦٤
ولو أنا كتبنا عليهم	٦٦-٧١
فليقاتل في سبيل الله	٧٤-٨١
وإذا جاءهم أمر	٨٣-٨٥
فمالكم في المنافقين	٨٨-٨٩
ستجدون آخرين	٩١-١٠٠
وإذا كنت فيهم	١٠٢
ولا تهنوا في ابتغاء	١٠٤
واستغفر الله	١٠٦-١٠٨
ومن يعمل سوءاً	١١٠-١١٧
ولأضلنهم	١١٩-١٢٥
ويستفتونك	١٢٧-١٢٩
ولله ما في السموات	١٣١
إن يشأ يذهبكم	١٣٣-١٤٠
إن المنافقين يخادعون	١٤٢-١٤٩
أولئك هم الكافرون	١٥١-١٥٣
فبظلم من الذين هادوا	١٦٠-١٦٢

أوائل الآيات	أرقامها
إن الذين كفروا	١٦٧-١٧٥
حاصل السورة : ١٣١÷١٧٦= ٧٤,٤٣	
من سورة المائدة ٤/ ١٢٠ مدنية	
ياأيها الذين آمنوا	١-١٧
وإذ قال موسى لقومه	٢٠-٢١
قال رجلان	٢٣
قال فإنها محرمة عليهم	٢٦-٢٧
إني أريد أن تبوء	٢٩-٣٩
يا أيها الرسول	٤١-٤٥
وليحكم أهل الإنجيل	٤٧
وأن احكم بينهم	٤٩-٦٠
وترى كثيرا منهم	٦٢-٦٩
وحسبوا ألاتكون فتنة	٧١-٧٤
قل ياأهل الكتاب	٧٧-٨٣
فأثابهم الله	٨٥-٩٥
اعلموا أن الله	٩٨-١٠١
ما جعل الله من بحيرة	١٠٣
ياأيها الذين آمنوا	١٠٥-١٠٦
ذلك أدنى	١٠٨
إذ قال الحواريون	١١٢
قال الله إني منزلها	١١٥
قال الله هذا يوم	١١٩
حاصل السورة : ٩٢÷١٢٠=٧٦,٦٦٪	

أوائل الآيات	أرقامها
من سورة الأنعام ٦/ ١٦٥ مكية	
وهو الله في السموات	٣
فقد كذبوا بالحق	٥-٦
ولقد استهزىء برسل	١٠-١٢
قل إني أخاف	١٥-١٦
قل أي شيء أكبر شهادة	١٩-٢١
وهم ينهون عنه	٢٦-٢٧
ولوترى إذ وقفوا	٣٠-٣٢
والذين كذبوا	٣٩-٤٠
ولقد أرسلنا إلى أمم	٤٢-٤٥
قل أرأيتكم إن أتاكم	٤٧-٤٩
وإذا جاءك الذين	٥٤
قل إني نهيت	٥٦
قل لو أن عندي	٥٨
قل هو القادر	٦٥-٦٧
وذر الذين اتخذوا	٧٠-٧١
وإذ قال إبراهيم	٧٤
فلما رأى الشمس	٧٨
الذين آمنوا ولم يلبسوا	٨٢
ووهبنا له إسحاق	٨٤
ومن آبائهم	٨٧-٨٨
أولئك الذين هدى الله	٩٠-٩٤
قد جاءكم بصائر	١٠٤
اتبع ما أوحي إليك	١٠٦
ونقلب أفئدتهم	١١٠
وكذلك جعلنا لكل نبي	١١٢
إن ربك هو أعلم	١١٧-١٣٠

أوائل الآيات	أرقامها
قل يا قوم اعملوا	١٣٥-١٤٢
ومن الإبل اثنين	١٤٤-١٤٨
قل تعالوا أتل	١٥١-١٥٥
أوتقولوا لو أنا	١٥٧
من جاء بالحسنة	١٦٠-١٦١
قل أغير الله أبغي ربا	١٦٤-١٦٥
خاصل السورة : ٨٥÷١٦٥=٥١,٥١	
انتهى الربع الأول من القرآن الكريم وحاصله : ٦١٠÷٩٥٤=٦٣,٩٤٪	
من سورة الأعراف ٧/ ٢٠٦ مكية	
كتاب أنزل إليك	٢
وكم من قرية	٤
والوزن يومئذ الحق	٨-٩
قال فاهبط منها	١٣
قال اخرج منها	١٨-١٩
فدلاهما بغرور	٢٢
يا بني آدم لا يفتننكم	٢٧-٢٨
يابني آدم خذوا	٣١
يا بني آدم إما يأتينكم	٣٥-٤٤
وبينهما حجاب	٤٦
ونادى أصحاب الأعراف	٤٨-٥٣
ادعوا ربكم تضرعاً	٥٥-٥٦
لقد أرسلنا نوحاً	٥٩
أوعجبتم أن جاءكم	٦٣-٦٤

أوائل الآيات	أرقامها
أوعجبتم أن جاءكم	٦٩
قال قد وقع عليكم	٧١-٧٤
فأخذتهم الرجفة	٧٨
ولوطاً إذ قال لقومه	٨٠-٨١
فأنجيناه وأهله	٨٣-٨٦
فأخذتهم الرجفة	٩١-٩٢
وما أرسلنا . . إلا . .	٩٤-٩٩
تلك القرى نقص عليك	١٠١
ثم بعثنا من بعدهم	١٠٣
فوقع الحق	١١٨-١١٩
قال موسى لقومه	١٢٨-١٣٠
فأرسلنا عليهم الطوفان	١٣٣
فانتقمنا منهم	١٣٦-١٣٩
قال ياموسى	١٤٤
سأصرف عن آياتي	١٤٦-١٤٧
ولما رجع موسى	١٥٠
إن الذين اتخذوا	١٥٢-١٥٣
واكتب لنا في هذه	١٥٦-١٥٨
وقطعناهم اثنتي عشرة	١٦٠-١٦٧
فخلف من بعدهم	١٦٩-١٧١
ولو شئنا لرفعناه بها	١٧٦-١٨٠
والذين كذبوا بآياتنا	١٨٢-١٨٣
من يضلل الله فلا	١٨٦
إن وليي الله	١٩٦
وإذا لم تأتهم بآية	٢٠٣-٢٠٤

حاصل السورة : ٩٧÷٢٠٦= ٤٧,٠٨٪

أوائل الآيات	أرقامها
من سورة الأنفال ٨/ ٧٥ مدنية	
يسألونك عن الأنفال	١
أولئك هم المؤمنون	٤
وإذ يعدكم الله	٧
إذ تستغيثون ربكم	٩-١٦
ذلكم وأن الله	١٨-٢٠
إن شر الدواب	٢٢
ياأيها الذين آمنوا	٢٤-٢٩
وما كان الله ليعذبهم	٣٣-٤٠
ياأيها الذين آمنوا	٤٥-٥٢
كدأب آل فرعون	٥٤-٥٥
فإما تثقفنهم في الحرب	٥٧-٦٢
ياأيها النبي حسبك الله	٦٤-٧٥
من سورة التوبة ٩/ ١٢٩ مدنية	
فسيحوا في الأرض	٢-٥
كيف يكون للمشركين	٧-٣٠
هو الذي أرسل رسوله	٣٣-٣٥
إنما النسيء زيادة في الكفر	٣٧-٤٢
لايستأذنك الذين	٤٤-٤٧
ومنهم من يقول ائذن لي	٤٩
قل لن يصيبنا	٥١-٥٣
فلا تعجبك أموالهم	٥٥
ولوأنهم رضوا	٥٩
ومنهم الذين يؤذون	٦١-٧٤
فأعقبهم نفاقاً	٧٧-٨٥

أوائل الآيات	أرقامها
رضوا بأن يكونوا	٨٧-١٠٥
والذين اتخذوا مسجداً	١٠٧-١٠٩
إن الله اشترى من المؤمنين	١١١-١١٢
وما كان استغفار إبراهيم	١١٤
لقد تاب الله على النبي	١١٧-١٢١
ياأيها الذين آمنوا	١٢٣-١٢٥
وإذا ما أنزلت سورة	١٢٧-١٢٨

حاصل السورتين: ٥٧+١٠٥÷٢٠٤=٧٩,٤١٪

أوائل الآيات	أرقامها
من سورة يونس ١٠/١٠٩ مكية	
أكان للناس عجباً	٢
إليه مرجعكم جميعاً	٤
أولئك مأواهم النار	٨-١١
ولقد أهلكنا القرون	١٣
وإذا تتلى عليهم	١٥
فمن أظلم ممن افترى	١٧
وإذا أذقنا الناس	٢١
فلما أنجاهم إذا هم	٢٣
والله يدعو إلى دار السلام	٢٥-٢٨
هنالك تبلو كل نفس	٣٠
وما يتبع أكثرهم إلا ظناً	٣٦
بل كذبوا بما لم يحيطوا	٣٩-٤٠
ويوم يحشرهم	٤٥-٤٦
قل أرأيتم إن أتاكم	٥٠
ثم قيل للذين ظلموا	٥٢
ولو أن لكل نفس	٥٤
ياأيها الناس	٥٧-٥٨
وما ظن الذين يفترون	٦٠
ألا إن أولياء الله	٦٢
لهم البشرى	٦٤
قالوا اتخذ الله	٦٨-٧٠
فكذبوه فنجيناه	٧٣-٧٤
قال موسى أتقولون	٧٧
فلما ألقوا قال	٨١
وقال موسى يا قوم	٨٤
وأوحينا إلى موسى	٨٧
ولا تكونن من الذين	٩٥
فلولا كانت قرية آمنت	٩٨
وما كان لنفس	١٠٠
ثم ننجي رسلنا	١٠٣
ولا تدع من دون الله	١٠٦-١٠٨

حاصل السورة: ٤٥÷١٠٩ = ٤١,٢٨٪

أوائل الآيات	أرقامها
من سورة هود ١١/١٢٣	مكية
وأن استغفروا ربكم	٣
ألا إنهم يثنون	٥
ولئن أخرنا عنهم العذاب	٨
إلا الذين صبروا	١١
من كان يريد الحياة	١٥-١٨
أولئك لم يكونوا	٢٠-٢٣
أن لاتعبدوا إلا الله	٢٦
وياقوم لا أسألكم	٢٩

أوائل الآيات	أرقامها
واصنع الفلك	٣٧
فسوف تعلمون	٣٩
وقال اركبوا فيها	٤١-٤٤
قيل يانوح اهبط	٤٨-٤٩
وياقوم استغفروا ربكم	٥٢
إن نقول إلا اعتراك	٥٤
فإن تولوا فقد	٥٧-٥٨
وأتبعوا في هذه الدنيا	٦٠-٦١
ويا قوم هذه ناقة الله	٦٤
فلما جاء أمرنا نجينا	٦٦-٦٨
قالوا أتعجبين	٧٣
إن إبراهيم لحليم	٧٥-٧٦
فلما جاء أمرنا	٨٢-٨٤
بقية الله خير	٨٦
وياقوم لايجرمنكم	٨٩-٩٠
قال ياقوم أرهطي	٩٢-٩٥
يقدم قومه	٩٨-٩٩
وما ظلمناهم	١٠١-١٠٣
فأما الذين شقوا	١٠٦-١٠٩
وإن كلا لما ليوفينهم	١١١-١١٥
وكلا نقص عليك	١٢٠-١٢٣
من سورة يوسف ١٢/ ١١١ مكية	
نحن نقص عليك	٣
قال يابني لاتقصص	٥-٦
ولما بلغ أشده	٢٢
ولقد همت به	٢٤

أوائل الآيات	أرقامها
فاستجاب له ربه	٣٤
ذلك ليعلم	٥٢-٥٤
وكذلك مكنا ليوسف	٥٦-٥٧
قال هل آمنكم عليه	٦٤
قالوا جزاؤه	٧٥
قالوا ياأيها العزيز	٧٨
يابني اذهبوا	٨٧-٨٨
قالوا أئنك لأنت	٩٠
قال لا تثريب عليكم	٩٢
قال سوف أستغفر لكم	٩٨
أفأمنوا أن تأتيهم	١٠٧
وما أرسلنا. . .إلا	١٠٩-١١١
حاصل السورتين٦٣+٢٣÷٢٣٤=٣٦,٧٥٪	
من سورة الرعد ١٣/ ٤٣ مدنية	
وإن تعجب فعجب	٥-٦
له معقبات	١١
ويسبح الرعد بحمده	١٣-١٤
للذين استجابوا لربهم	١٨-١٩
والذين صبروا	٢٢-٢٥
ويقول الذين كفروا	٢٧-٢٩
ولو أن قرآنا	٣١-٣٢
لهم عذاب في الحياة	٣٤-٣٥
وقد مكر الذين من قبلهم	٤٢

أوائل الآيات	أرقامها
من سورة إبراهيم ١٤/ ٥٢ مكية	
كتاب أنزلناه	١-٣
ولقد أرسلنا موسى	٥-٨
قالت رسلهم	١٠-١١
وقال الذين كفروا	١٣-١٩
وبرزوا لله جميعا	٢١-٢٣
يثبت الله الذين آمنوا	٢٧-٣١
وآتاكم من كل ما سألتموه	٣٤
ولاتحسبن الله غافلا	٤٢-٤٥
فلا تحسبن الله مخلف وعده	٤٧
وترى المجرمين يومئذ	٤٩-٥٢
من سورة الحجر ١٥/ ٩٩ مكية	
ربما يود الذين كفروا	٢-٣
قال فاخرج منها	٣٤-٣٥
وإن جهنم لموعدهم	٤٣-٥٠
قال ومن يقنط	٥٦
إلا آل لوط	٥٩-٦٠
لعمرك إنهم	٧٢-٧٤
فأخذتهم الصيحة	٨٣-٨٤
فوربك لنسألنهم	٩٢-٩٣
إنا كفيناك المستهزئين	٩٥-٩٦
حاصل السور الثلاث ٧٧÷١٩٤=٣٩,٦٩٪	
من سورة النحل ١٦/ ١٢٨ مكية	
وتحمل أثقالكم	٧
إن تعدوا نعمة الله	١٨-١٩
لاجرم أن الله يعلم	٢٣

أوائل الآيات	أرقامها
ليحملوا أوزارهم	٢٥-٣٤
ولقد بعثنا في كل أمة	٣٦
أفأمن الذين كفروا	٤٥-٤٧
وقال الله لاتتخذوا	٥١-٥٢
ليكفروا بما آتيناهم	٥٥-٥٦
للذين لايؤمنون	٦٠
ويجعلون لله ما يكرهون	٦٢-٦٤
والله فضل بعضكم	٧١-٧٢
والله أخرجكم	٧٨
والله جعل لكم	٨١
يعرفون نعمة الله	٨٣-٨٩
ولو شاء الله	٩٣-٩٧
إنه (أي الشيطان) ليس له	٩٩-١٠٠
قل نزله روح القدس	١٠٢
إن الذين لايؤمنون	١٠٤-١١٧
ثم إن ربك للذين عملوا	١١٩-١٢٣
ادع إلى سبيل ربك	١٢٥-١٢٨
من سورة الإسراء ١٧/ ١١١ مكية	
فإذا جاء وعد أولاهما	٥-١٠
وكل إنسان ألزمناه	١٣-١٩
انظر كيف فضلنا	٢١-٢٢
ربكم أعلم	٢٥
إن المبذرين	٢٧
ولا تقتلوا أولادكم	٣١-٣٢
وأوفوا الكيل	٣٥
كل ذلك كان	٣٨-٤٠
تسبح له السموات	٤٤
وقل لعبادي يقولوا	٥٣-٥٤

أوائل الآيات	أرقامها
أولئك الذين يدعون	٥٧
وما منعنا أن نرسل	٥٩
قال اذهب	٦٣-٦٤
ربكم الذي يزجي	٦٦
أفأمنتم أن يخسف بكم	٦٨-٧٢
إذن لأذقناك	٧٥-٧٦
ومن الليل فتهجد به	٧٩
وننزل من القرآن	٨٢
إلا رحمة من ربك	٨٧
قل كفى بالله شهيداً	٩٦-٩٨
قال لقد علمت	١٠٢-١٠٣
قل آمنوا به	١٠٧
ويخرون للأذقان	١٠٩-١١٠
من سورة الكهف ١٨/ ١١٠	مكية
قيماً لينذر بأساً	٢-٥
نحن نقص عليك	١٣
هؤلاء قومنا	١٥
وترى الشمس	١٧
إلا أن يشاء الله	٢٤
واصبر نفسك	٢٨-٣١
وأحيط بثمره	٤٢-٤٤
المال والبنون	٤٦-٥٣
وما منع الناس	٥٥
ومن أظلم ممن ذكر	٥٧-٥٩
قال أما من ظلم	٨٧-١٠٠
أفحسب الذين كفروا	١٠٢-١٠٨

أوائل الآيات	أرقامها
قل إنما أنا بشر	١١٠

حاصل السور الثلاث ١٥٧÷٣٤٩= ٤٤,٩٨٪

وقد انتهى الربع الثاني من القرآن الكريم على رأس آية ٧٤ من السورة الأخيرة الكهف وحاصل الربع هو : ٦١٢÷١٢٦١= ٤٨,٥٣٪

أوائل الآيات	أرقامها
من سورة مريم ١٩/٩٨	مكية
وسلام عليه يوم ولد	١٥
فناداها من تحتها	٢٤-٢٦
وإن الله ربي وربكم	٣٦-٣٩
يا أبت لاتعبد الشيطان	٤٤-٤٥
قال سلام عليك	٤٧
فلما اعتزلهم	٤٩-٥٠
وناديناه	٥٢
ورفعناه مكاناً علياً	٥٧-٦٣
فوربك لنحشرنهم	٦٨
ثم لنحن أعلم	٧٠-٧٢
وكم أهلكنا قبلهم	٧٤-٧٦
كلا سنكتب ما يقول	٧٩-٨٠
كلا سيكفرون	٨٢
فلا تعجل عليهم	٨٤-٨٧
لقد جئتم شيئاً إدّاً	٨٩-٩١
وكلهم آتيه	٩٥-٩٨

★ ★ ★

أوائل الآيات	أرقامها
من سورة طه ٢٠/ ١٣٥ مكية	
ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى	٢-٣
وإن تجهر بالقول	٧
إني أنا ربك	١٢-١٤
فلا يصدنك عنها	١٦
قال خذها ولا تخف	٢١
قال قد أوتيت سؤلك	٣٦-٣٧
أن اقذفيه	٣٩-٤٠
قال لا تخافا	٤٦-٤٨
قال لهم موسى	٦١
قلنا لاتخف	٦٨-٦٩
إنا آمنا بربنا	٧٣-٧٨
يا بني إسرائيل	٨٠-٨٢
فرجع موسى إلى قومه	٨٦
كذلك نقص عليك	٩٩-١٠٤
يومئذ يتبعون الداعي	١٠٨
وعنت الوجوه للحي القيوم	١١١-١١٣
فقلنا يا آدم	١١٧-١١٩
فأكلا منها	١٢١-١٢٨
فاصبر على ما يقولون	١٣٠-١٣٢
ولو أنا أهلكناهم	١٣٤-١٣٥
من سورة الأنبياء ٢١/ ١١٢ مكية	
اقترب للناس حسابهم	١
ثم صدقناهم الوعد	٩-١٥
بل نقذف بالحق	١٨
ومن يقل منهم	٢٩

أوائل الآيات	أرقامها
لو يعلم الذين كفروا	٣٩-٤١
ونضع الموازين القسط	٤٧
وهذا ذكر مبارك	٥٠
قال لقد كنتم أنتم	٥٤
قال أفتعبدون من دون الله	٦٦-٦٧
قلنا يا نار كوني برداً	٦٩-٧٧
فاستجبنا له فكشفنا	٨٤
وأدخلناهم في رحمتنا	٨٦
فاستجبنا له ونجيناه	٨٨
فاستجبنا له ووهبنا له	٩٠
فمن يعمل من الصالحات	٩٤
واقترب الوعد الحق	٩٧-١٠٣
ولقد كتبنا في الزبور	١٠٥
وما أرسلناك إلا رحمة	١٠٧-١١٠
حاصل السور الثلاث ١٤١÷٤٣٥=٤٠,٨٦٪	
من سورة الحج ٢٢/ ٧٨ مدنية	
يا أيها الناس	١-٢
كتب عليه أنه	٤
ثاني عطفه	٩-١٤
ألم تر أن الله	١٨-٢٥
ليشهدوا منافع لهم	٢٨
ذلك ومن يعظم	٣٠-٣٢
ولكل أمة جعلنا منسكاً	٣٤
لن ينال الله لحومها	٣٧-٤٠
وأصحاب مدين	٤٤-٤٥

أوائل الآيات	أرقامها
ويستعجلونك	٤٧-٤٨
فالذين امنوا	٥٠-٥١
وليعلم الذين أوتوا العلم	٥٤-٦٠
له ما في السموات	٦٤-٦٥
لكل أمة جعلنا منسكاً	٦٧-٦٨
ويعبدون من دون الله	٧١-٧٢
ياأيها الذين امنوا	٧٧-٧٨
من سورة المؤمنون ٢٣/ ١١٨ مكية	
قد أفلح المؤمنون	١
إلا على أزواجهم	٦-٧
أولئك هم الوارثون	١٠-١١
فأوحينا إليه	٢٧
قال عما قليل	٤٠-٤١
ثم أرسلنا رسلنا	٤٤
فكذبوهما	٤٨
يا أيها الرسل	٥١
فذرهم في غمرتهم	٥٤
والذين يؤتون	٦٠
حتى إذا أخذنا	٦٤-٦٥
أم تسألهم خرجاً	٧٢-٧٣
ولقد أخذناهم	٧٦-٧٧
ادفع بالتي هي أحسن	٩٦
حتى إذا جاء أحدهم الموت	٩٩-١٠٨
فاتخذتموهم سخرياً	١١٠-١١١
أفحسبتم أنما	١١٥
ومن يدع مع الله إلهاً	١١٧

أوائل الآيات	أرقامها
من سورة النور ٢٤/ ٦٤ مدنية	
الزانية والزاني	٢-٥
والخامسة أن	٧
والخامسة أنّ	٩-١٧
إن الذين يحبون	١٩-٣٣
ليجزيهم الله	٣٨-٤١
لقد أنزلنا آيات	٤٦
أفي قلوبهم مرض	٥٠-٥٧
والقواعد من النساء	٦٠
إنما المؤمنون	٦٢-٦٤
حاصل السور الثلاث:	
٤٧+٣٤+٤٦÷٢٦٠=٤٨,٨٤٪	
من سورة الفرقان ٢٥/ ٧٧ مكية	
وقال الذين كفروا	٤
قل أنزله الذي يعلم	٦
انظر كيف ضربوا لك	٩-١٩
وقال الذين لا يرجون	٢١-٢٤
الملك يومئذ	٢٦-٢٩
وكذلك جعلنا لكل نبي	٣١-٣٤
فقلنا اذهبا	٣٦-٣٧
وكلاً ضربنا له الأمثال	٣٩-٤٠
إن كاد ليضلنا	٤٢
أم تحسب أن أكثرهم	٤٤
فلا تطع الكافرين	٥٢
وتوكل على الحي	٥٨

أوائل الآيات	أرقامها
والذين يقولون	٦٥-٦٦
والذين لا يدعون مع الله	٦٨-٧٠
أولئك يجزون الغرفة	٧٥-٧٦
من سورة الشعراء ٢٦/ ٢٢٧ مكية	
فقد كذبوا	٦
وإن ربك لهو العزيز الرحيم	٩
فأخرجناهم من جنات	٥٧-٥٩
وأنجينا موسى ومن معه	٦٥-٦٦
وإن ربك لهو العزيز	٦٨
يوم لاينفع مال	٨٨-١٠٢
وإن ربك لهو العزيز	١٠٤
فأنجيناه ومن معه	١١٩-١٢٠
وإن ربك لهو العزيز	١٢٢
واتقوا الذي أمدكم	١٣٢-١٣٥
فكذبوه فأهلكناهم	١٣٩-١٤٠
ولا تمسوها بسوء	١٥٦-١٥٩
فنجيناه وأهله	١٧٠-١٧٣
وإن ربك لهو العزيز	١٧٥
فكذبوه فأخذهم	١٨٩
وإن ربك لهو العزيز	١٩١
لا يؤمنون به	٢٠١-٢٠٢
أفبعذابنا يستعجلون	٢٠٤
فلا تدع مع الله إلهاً	٢١٣
فإن عصوك فقل	٢١٦-٢٢٧
من ورة النمل ٢٧/ ٩٣ مكية	

أوائل الآيات	أرقامها
هدى وبشرى	٢
أولئك الذين	٥-٦
يا موسى إنه أنا الله	٩-١١
وجحدوا بها	١٤
ارجع إليهم	٣٧
قال الذي عنده علم	٤٠
قال ياقوم	٤٦
ومكروا مكراً	٥٠-٥٣
فأنجيناه وأهله	٥٧-٥٩
قل سيروا في الأرض	٦٩-٧٠
قل عسى أن يكون	٧٢-٧٤
وإنه لهدى ورحمة	٧٧
فتوكل على الله	٧٩
ويوم نحشر	٨٣-٨٥
ويوم ينفخ في الصور	٨٧-٩٠
وأن أتلو القرآن	٩٢-٩٣
حاصل السور الثلاث:	
٤٠+٤٩+٣٣÷٣٩٧=٧٣, ٣٠٪	
من سورة القصص ٢٨/ ٨٨ مكية	
ونريد أن نمن	٥-٧
فرددناه إلى أمه	١٣-١٤
قال رب إني ظلمت	١٦
فجاءته إحداهما	٢٥-٢٦
فلما أتاها نودي	٣٠-٣١
قال سنشد عضدك	٣٥

أوائل الآيات	أرقامها
وقال موسى ربي أعلم	٣٧
فأخذناه . . (فرعون)	٤٠-٤٢
وما كنت بجانب الطور	٤٦
فإن لم يستجيبوا لك	٥٠
أولئك يؤتون	٥٤-٥٦
وكم أهلكنا من قرية	٥٨-٦٣
ويوم يناديهم	٦٥-٦٧
وربك يعلم	٦٩
ويوم يناديهم	٧٤-٧٨
وقال الذين أوتوا العلم	٨٠-٨٤
من سورة العنكبوت ٢٩/ ٦٩ مكية	
أم حسب الذين	٤-٧
والذين آمنوا	٩
وليعلمن الله الذين آمنوا	١١
وليحملن أثقالهم	١٣-١٦
وما أنتم بمعجزين	٢٢-٢٥
ووهبنا له إسحاق	٢٧
ولما جاءت رسلنا	٣١-٣٤
فكذبوه فأخذتهم	٣٧
فكلا أخذنا بذنبه	٤٠
اتل ما أوحي إليك[1]	٤٥
وكذلك أنزلنا إليك	٤٧
بل هو آيات بينات	٤٩
أولم يكفهم أنا أنزلنا	٥١-٥٨
وما هذه الحياة الدنيا	٦٤
ليكفروا بما آتيناهم	٦٦-٦٩
من سورة الروم ٣٠/ ٦٠ مكية	
غلبت الروم	٢-٤
أولم يسيروا في الأرض	٩-١٠
ويوم تقوم الساعة	١٢
ويوم تقوم الساعة	١٤-١٦
بل اتبع الذين ظلموا	٢٩
ليكفروا بما آتيناهم	٣٤
وإذا أذقنا الناس	٣٦
فآت ذا القربى حقه	٣٨-٣٩
ظهر الفساد في البر	٤١-٤٧
ويوم تقوم الساعة	٥٥-٥٧
فاصبر إن وعد الله حق	٦٠
من سورة لقمان ٣١/ ٣٤ مكية	
هدى ورحمة	٣
أولئك على هدى	٥-٩
هذا خلق الله	١١-١٣
وإن جاهداك	١٥-١٩
وإذا قيل لهم	٢١-٢٤
وإذا غشيهم موج	٣٢-٣٣

(١) انتهى الثلث الثاني من القرآن الكريم على رأس هذه الآية (٤٥)

أوائل الآيات	أرقامها
من سورة السجدة ٣٢/ ٣٠مكية	
تنزيل الكتاب	٢-٣
ولو ترى إذ المجرمون	١٢-١٥
فلا تعلم نفس	١٧
أما الذين آمنوا	١٩-٢٢
أولم يهد لهم	٢٦
قل يوم الفتح[1]	٢٩-٣٠
حاصل السور الخمس :	
١٣٤÷٢٨١=٤٧,٦٨٪	
من سورة الأحزاب ٣٣/ ٧٣ مدنية	
واتبع ما يوحى إليك	٢-٥
ليسأل الصادقين	٨-٩
قل لن ينفعكم الفرار	١٦-١٩
لقد كان لكم	٢١
من المؤمنين رجال	٢٣-٢٧
إن كنتن تردن الله	٢٩-٣٣
إن المسلمين والمسلمات	٣٥-٣٦
يا أيها الذين آمنوا	٤١
هو الذي يصلي عليكم	٤٣-٥١
ياأيها الذين آمنوا	٥٣-٦١

أوائل الآيات	أرقامها
إن الله لعن الكافرين	٦٤-٧١
ليعذب الله المنافقين	٧٣
من سورة سبأ ٣٤/ ٥٤ مكية	
ليجزي الذين آمنوا	٤-٦
أفترى على الله	٨-٩
أن اعمل سابغات	١١-١٢
لقد كان لسبأ	١٥-١٩
قل لكم ميعاد يوم	٣٠-٣٣
وما أموالكم	٣٧-٤٢
وكذب الذين من قبلهم	٤٥-٤٧
ولوترى إذ فزعوا	٥١-٥٢
وحيل بينهم	٥٤
من سورة فاطر ٣٥/ ٤٥ مكية	
يا أيها الناس	٥-٧
من كان يريد العزة	١٠
إن يشأ يذهبكم	١٦
ولا تزر وازرة	١٨
إنا أرسلناك بالحق	٢٤
ثم أخذت الذين كفروا	٢٦
ومن الناس والدواب	٢٨-٣٧

(١) لم يعد الحيز يتسع لتفصيل محل البحث من كل سورة، ولكن لمعرفة التفصيلات يمكن الرجوع إلى الملحق الثاني بجدوليه (١٨ و ١٩) حيث تم تلخيص ما في السور مكية - مدنية .

أوائل الآيات	أرقامها
هو الذي جعلكم	٣٩-٤٠
استكباراً في الأرض	٤٣-٤٥
من سورة يسٓ ٣٦/ ٨٣ مكية	
إنك لمن المرسلين	٣-٤
لتنذر قوماً	٦-٨
إنما تنذر من اتبع	١١
قالوا طائركم معكم	١٩
اتبعوا من لا يسألكم	٢١
قيل ادخل الجنة	٢٦-٢٧
إن كانت إلا صيحة	٢٩-٣١
وإن نشأ نغرقهم	٤٣-٤٥
ما ينظرون إلا صيحة	٤٩
ونفخ في الصور	٥١-٦٧
لينذر من كان حياً	٧٠
وذللناها لهم	٧٢-٧٣
فلا يحزنك قولهم	٧٦
حاصل السور الأربع : ١٤٠÷ ٢٥٥ = ٥٤,٩٠ ٪	
من سورة الصافات ٣٧/ ١٨٢ مكية	
لا يسّمعون إلى الملأ	٨-٩
قل نعم وأنتم داخرون	١٨-٣٤
إنكم لذائقو العذاب	٣٨-٥٢
فاطلع فرآه	٥٥-٦٨
فانظر كيف كان	٧٣-٨٢

أوائل الآيات	أرقامها
فراغ عليهم ضرباً	٩٣
فأرادوا به كيداً	٩٨
فبشرناه بغلام حليم	١٠١
قد صدقت الرؤيا	١٠٥
وتركنا عليه في الآخرين	١٠٨-١٢٢
فكذبوه فإنهم	١٢٧-١٣٢
إذ نجيناه وأهله	١٣٤-١٣٦
وأرسلناه إلى مئة ألف	١٤٧-١٤٨
إلا من هو صال الجحيم	١٦٣
فكفروا به فسوف	١٧٠-١٧٩
وسلام على المرسلين	١٨١
وقد انتهى الربع الثالث من القرآن الكريم على رأس آية ١٤٤. وحاصله : ٧٦٢÷١٧١٧= ٤٤,٣٧٪	
من سورة صٓ ٣٨/ ٨٨ مكية	
كم أهلكنا قبلهم	٣
أأنزل عليه الذكر	٨
جند ما هنالك	١١
إن كل إلا كذب الرسل	١٤-١٥
اصبر على ما يقولون	١٧
وشددنا ملكه	٢٠
فغفرنا له ذلك	٢٥-٢٧
كتاب أنزلناه	٢٩-٣٠
هذا عطاؤنا	٣٩-٤٠
ووهبنا له أهله	٤٣-٤٤

أوائل الآيات	أرقامها
إنا أخلصناهم	٤٦-٦١
إن ذلك لحق	٦٤
قال فاخرج منها	٧٧-٧٨
لأملأن جهنم	٨٥
ولتعلمن نبأه	٨٨
من سورة الزمر ٣٩/ ٧٥ مكية	
ألا لله الدين الخالص	٣
إن تكفروا فإن الله غني	٧-١٠
قل إني أخاف	١٣
فاعبدوا ما شئتم	١٥-٢٠
أفمن شرح الله صدره	٢٢-٢٦
فمن أظلم ممن كذب	٣٢-٤١
ولو أن للذين ظلموا	٤٧-٤٨
قد قالها الذين من قبلهم	٥٠-٥١
قل يا عبادي الذين	٥٣-٦١
له مقاليد السموات	٦٣-٦٥
ووفيت كل نفس	٧٠-٧٥
من سورة غافر (المؤمن) ٤٠/ ٨٥ مكية	
غافر الذنب	٣-١١
يوم هم بارزون	١٦-١٩
أولم يسيروا في الأرض	٢١-٢٢
فلما جاءهم بالحق	٢٥
وقال رجل مؤمن	٢٨
وقال الذي آمن	٣٠
وياقوم إني أخاف	٣٢-٣٥
أسباب السموات	٣٧-٥٢
فاصبر إن وعد الله حق	٥٥
وقال ربكم ادعوني	٦٠-٦١
الذين كذبوا بالكتاب	٧٠-٧٢
من دون الله ، قالوا	٧٤-٧٨
أفلم يسيروا في الأرض	٨٢-٨٣
فلم يك ينفعهم إيمانهم	٨٥
من سورة فصلت ٤١/ ٥٤ مكية	
تنزيل الكتاب	١
قل إنما أنا بشر	٦
إن الذين آمنوا	٨
فإن أعرضوا	١٣
فأرسلنا عليهم	١٦-٢٥
فلنذيقن الذين كفروا	٢٧-٣٥
إن الذين يلحدون	٤٠
ما يقال لك إلا ما قد قيل	٤٣-٤٤
من عمل صالحاً فلنفسه	٤٦-٥٠
حاصل السور الخمس :	
٢٦٩ ÷ ٤٨٤ = ٥٥,٥٧ ٪	
من سورة الشورى ٤٢-٥٣ مكية	
تكاد السموات يتفطرن	٥
وكذلك أوحينا إليك	٧-٨
شرع لكم من الدين	١٣
فلذلك فادع	١٥-١٦

أوائل الآيات	أرقامها	أوائل الآيات	أرقامها
يستعجل بها الذين	١٨	من سورة الدخان ٤٤/ ٥٩ مكية	
من كان يريد حرث الآخرة	٢٠-٢٣	إنا أنزلناه في ليلة	٣
وهو الذي يقبل التوبة	٢٥-٢٦	رحمة من ربك	٦
وهو الذي ينزل الغيث	٢٨	فارتقب يوم تأتي السماء	١٠-١٢
وما أصابكم من مصيبة	٣٠-٣١	إنا كاشفو العذاب	١٥-١٦
فما أوتيتم من شيء	٣٦	واترك البحر رهواً	٢٤-٣٢
وجزاء سيئة سيئة	٤٠	أهم خير أم قوم تبع	٣٧
إنما السبيل على الذين	٤٢-٤٨	يوم لا يغني مولى	٤١-٥٧
وكذلك أوحينا إليك	٥٢-٥٣	فارتقب إنهم مرتقبون	٥٩
من سورة الزخرف ٤٣/ ٨٩ مكية		من سورة الجاثية ٤٥/ ٣٧ مكية	
فأهلكنا أشد منهم	٨	ويل لكل أفاك أثيم	٧-١١
وجعلوا الملائكة	١٩	قل للذين آمنوا يغفروا	١٤-١٥
فانتقمنا منهم	٢٥	إنهم لن يغنوا عنك	١٩-٢٠
أهم يقسمون رحمة ربك	٣٢	وخلق الله السموات	٢٢
وزخرفاً ، وإن كل ذلك	٣٥-٣٦	ولله ملك السموات	٢٧-٣١
حتى إذا جاءنا	٣٨-٣٩	وبدا لهم سيئات ما عملوا	٣٣-٣٥
فإما نذهبن بك	٤١-٤٤		
وما نريهم من آية	٤٨	من سورة الأحقاف ٤٦/ ٣٥ مكية	
فلما آسفونا انتقمنا	٥٥-٥٦	ومن أضل ممن يدعو	٥
وإنه لعلم للساعة	٦١-٦٢	أم يقولون افتراه	٨
إن الله هو ربي وربكم	٦٤-٦٨	قل أرأيتم إن كان	١٠
ادخلوا الجنة	٧٠-٧٧	ومن قبله كتاب موسى	١٢-١٤
أم يحسبون أنّا لانسمع	٨٠	أولئك الذين نتقبل	١٦-٢١
فذرهم يخوضوا	٨٣	قال إنما العلم عند الله	٢٣-٢٧
فاصفح عنهم	٨٩	قالوا ياقومنا	٣٠-٣٢
		ويوم يعرض الذين كفروا	٣٤-٣٥

أوائل الآيات	أرقامها
حاصل السور الخمس السابقة:	
١٣٢ ÷ ٢٧٣ = ٤٨,٣٥ ٪	
من سورة محمد ﷺ ٤٧/٣٨ مدنية	
الذين كفروا	١-٢
فإذا لقيتم الذين	٤-١٣
مثل الجنة التي وعد	١٥-١٨
طاعة وقول معروف	٢١
أولئك الذين	٢٣
فكيف إذا توفتهم	٢٧-٢٨
إن الذين كفروا	٣٢-٣٦
ها أنتم هؤلاء	٣٨
من سورة الفتح ٤٨/٢٩ مدنية	
إنا فتحنا لك فتحاً	١-٦
إنا أرسلناك	٨
إن الذين يبايعونك	١٠-٢١
وهو الذي كف أيديهم	٢٤-٢٩
من سورة الحجرات ٤٩/١٨ مدنية	
يا أيها الذين آمنوا	١-١٥
إن الله يعلم	١٨
من سورة قٓ ٥٠/ ٤٥ مكية	
وأصحاب الأيكة	١٤
ولقد خلقنا الإنسان	١٦
ما يلفظ من قول إلا	١٨-٢٢
ألقيا في جهنم	٢٤-٣٢
ادخلوها بسلام	٣٤-٣٦
فاصبر على ما يقولون	٣٩
يوم يسمعون الصيحة	٤٢
يوم تشقق الأرض	٤٤-٤٥
من سورة الذاريات ٥١/ ٦٠ مكية	
إنما توعدون لصادق	٥-٦
قتل الخراصون	١٠-١١
يوم هم على النار	١٣-١٦
قالوا إنا أرسلنا	٣٢-٣٥
وتركنا فيها آية	٣٧
فأخذناه وجنوده	٤٠-٤٢
فعتوا عن أمر ربهم	٤٤-٤٥
فتول عنهم	٥٤-٥٥
إن الله هو الرزاق	٥٨-٦٠
من سورة الطور ٥٢/ ٤٩ مكية	
إن عذاب ربك لواقع	٧-٨
فويل يومئذ للمكذبين	١١
يوم يدعون إلى نار	١٣-٢٩
قل تربصوا	٣١
أم يريدون كيداً	٤٢
فذرهم حتى يلاقوا	٤٥-٤٨
من سورة النجم ٥٣/ ٦٢ مكية	
ما ضل صاحبكم	٢-٥

أوائل الآيات	أرقامها
وهو بالأفق الأعلى	٧
فأعرض عمن تولى	٢٩-٣٢
وأن ليس للإنسان إلا	٣٩-٤١
وأنه أهلك عاداً	٥٠-٥٤
من سورة القمر ٥٤/ ٥٥ مكية	
فتول عنهم	٦-٨
ففتحنا أبواب السماء	١١-١٤
فكيف كان عذابي	١٦-١٧
إنا أرسلنا عليهم	١٩-٢٠
سيعلمون غدا	٢٦
إنا أرسلنا عليهم صيحة	٣١
إنا أرسلنا عليهم حاصباً	٣٤-٣٥
ولقد راودوه	٣٧-٣٩
كذبوا بآياتنا	٤٢-٤٣
سيهزم الجمع	٤٥-٤٨
ولقد أهلكنا أشياعكم	٥١-٥٥
من سورة الرحمن ٥٥/ ٧٨ مدنية	
سنفرغ لكم	٣١
فيومئذ لا يسأل	٣٩
يعرف المجرمون	٤١
هذه جهنم	٤٣-٤٤
ولمن خاف مقام ربه	٤٦
ذواتا أفنان	٤٨
فيهما عينان تجريان	٥٠
فيهما من كل فاكهة	٥٢

أوائل الآيات	أرقامها
متكئين على فرش	٥٤
فيهن قاصرات الطرف	٥٦
هل جزاء الإحسان إلا	٦٠
ومن دونهما جنتان	٦٢
مدهامتان	٦٤
فيهما عينان نضاختان	٦٦
فيهما فاكهة	٦٨
فيهن خيرات	٧٠
حور مقصورات	٧٢
لم يطمثهن إنس	٧٤
متكئين على رفرف	٧٦
تبارك اسم ربك	٧٨
من سورة الواقعة ٥٦/ ٩٦ مكية	
والسابقون السابقون	١٠-١٢
على سرر موضونة	١٥-٣٨
وأصحاب الشمال	٤١-٤٦
ثم إنكم أيها الضالون	٥١-٥٦
إنه لقرآن كريم	٧٧-٧٩
فأما إن كان من المقربين	٨٨-٩٤
حاصل السور العشر :	
٢٦١ ÷ ٥٣٠ = ٤٩,٢٤٪	
من سورة الحديد ٥٧/ ٢٩ مدنية	
هو الذي خلق السموات	٤
يولج الليل في النهار	٦-٧

أوائل الآيات	أرقامها
هو الذي ينزل على عبده	٩-١٥
إن المصدقين والمصدقات	١٨-٢١
لكيلا تأسوا	٢٣-٢٤
ثم قفينا على آثارهم	٢٧-٢٩
من سورة المجادلة ٥٨/ ٢٢ مدنية	
الذين يظاهرون منكم	٢-٦
ألم تر إلى الذين نهوا	٨-٩
يا أيها الذين امنوا	١١-٢٢
من سورة الحشر ٥٩/ ٢٤ مدنية	
هو الذي أخرج الذين كفروا	٢-٥
ما أفاء الله على رسوله	٧-٩
ألم تر إلى الذين نافقوا	١١
كمثل الذين من قبلهم	١٥
فكان عاقبتهما	١٧-٢٠
هو الله الذي لا إله إلا هو	٢٢
من سورة الممتحنة ٦٠/ ١٣ مدنية	
يا أيها الذين آمنوا	١
قد كانت لكم أسوة	٤
لقد كان لكم فيهم أسوة	٦-١٠
يا أيها النبي	١٢-١٣
من سورة الصف ٦١/ ١٤ مدنية	
يا أيها الذين آمنوا	٢-٥
ومن أظلم ممن افترى	٧

أوائل الآيات	أرقامها
هو الذي أرسل رسوله	٩-١٤
من سورة الجمعة ٦٢/ ١١ مدنية	
هو الذي بعث في الأميين	٢
ذلك فضل الله	٤-٥
قل إن الموت الذي	٨-١١
من سورة المنافقون ٦٣/ ١١ مدنية	
إذا جاءك المنافقون	١-٤
سواء عليهم	٦
يقولون لئن رجعنا	٨-١١
من سورة التغابن ٦٤/ ١٨ مدنية	
هو الذي خلقكم	٢
يعلم ما في السموات	٤-٥
زعم الذين كفروا	٧-١٧
من سورة الطلاق ٦٥/ ١٢ مدنية	
يا أيها النبي	١-٥
وكأين من قرية عتت	٨-١١
من سورة التحريم ٦٦/ ١٢ مدنية	
يا أيها النبي	١-٢
عسى ربه إن طلقكن	٥-١٠
حاصل السور العشر :	
١١٩ ÷ ١٦٦ = ٧١,٦٨٪	

أوائل الآيات	أرقامها
من سورة الملك ٦٧/ ٣٠ مكية	
ولقد زينا السماء	٥-١٣
أأمنتم من في السماء	١٦-١٨
أمّن هذا الذي هو جند	٢٠-٢١
فلما رأوه زلفة	٢٧-٢٨
من سورة نٓ ٦٨/ ٥٢ مكية	
ما أنت بنعمة ربك بمجنون	٢-١٣
سنسمه على الخرطوم	١٦-١٧
فطاف عليها طائف	١٩-٢٠
كذلك العذاب	٣٣-٣٤
يوم يكشف عن ساق	٤٢-٤٥
فاجتباه ربه	٥٠
من سورة الحاقة ٦٩/ ٥٢ مكية	
فأما ثمود فأهلكوا	٥-٧
فعصوا رسول ربهم	١٠
يومئذ تعرضون	١٨-٣٧
وإنا لنعلم	٤٩-٥٠
من سورة المعارج ٧٠/ ٤٤ مكية	
سأل سائل بعذاب	١-٢
إنهم يرونه بعيداً	٦
ولا يسأل حميم	١٠-١٨
إن عذاب ربهم	٢٨
فمن ابتغى وراء ذلك	٣١
أولئك في جنات	٣٥
فذرهم يخوضوا	٤٢-٤٤
من سورة نوح ٧١/ ٢٨ مكية	
إنا أرسلنا نوحاً	١
يغفر لكم ذنوبكم	٤
فقلت استغفروا	١٠-١٢
مما خطيئاتهم أغرقوا	٢٥
من سورة الجن ٧٢/ ٢٨ مكية	
وأنا لما سمعنا الهدى	١٣-١٧
إلا بلاغاً من الله	٢٣-٢٤
من سورة المزمل ٧٣/ ٢٠ مكية	
واصبر على ما يقولون	١٠-١٣
فعصى فرعون الرسول	١٦-١٧
إن ربك يعلم	٢٠
من سورة المدثر ٧٤/ ٥٦ مكية	
فذلك يومئذ يوم	٩-١١
كلا إنه كان	١٦-١٧
سأصليه سقر	٢٦-٢٩
كل نفس بما كسبت	٣٨-٤٨
كلا بل لا يخافون	٥٣
وما يذكرون إلا	٥٦
من سورة القيامة ٧٥/ ٤٠ مكية	
يقول الإنسان يومئذ	١٠-١٣

أوائل الآيات	أرقامها
وجوه يومئذ ناضرة	٣١-٢٢
من سورة الإنسان ٧٦/ ٣١ مدنية	
إنا أعتدنا للكافرين	٦-٤
فوقاهم الله شر ذلك	٢٢-١١
إن هؤلاء يحبون	٢٧
يدخل من يشاء	٣١
من سورة المرسلات ٧٧/ ٥٠ مكية	
إنما توعدون لواقع	٧
ويل يومئذ للمكذبين	١٩-١٥
ويل يومئذ للمكذبين	٢٤
ويل يومئذ للمكذبين	٤٧-٢٨
ويل يومئذ للمكذبين	٤٩
من سورة النبأ ٧٨/ ٤٠ مكية	
يوم ينفخ في الصور	١٨
إن جهنم كانت مرصاداً	٣٧-٢١
ذلك اليوم الحق	٤٠-٣٩
حاصل السور الاثنتي عشرة : ٢٠٣ ÷ ٤٧١ = ٤٣,٠٩٪	
من سورة النازعات ٧٩/ ٤٦ مكية	
قلوب يومئذ واجفة	٩-٨
فإنما هي زجرة واحدة	١٤-١٣
فأخذه الله نكال الآخرة	٢٥

أوائل الآيات	أرقامها
فإذا جاءت الطامة	٣٦-٣٤
فإن الجحيم هي المأوى	٣٩
فإن الجنة هي المأوى	٤١
كأنهم يوم يرونها	٤٦
من سورة عبس ٨٠/ ٤٢ مكية	
يوم يفر المرء من أخيه (إلى آخر السورة)	٤٢-٣٤
من سورة التكوير ٨١/ ٢٩ مكية	
وإذا الجحيم سعرت	١٤-١٢
إنه لقول رسول كريم	٢٢-١٩
وما هو بقول شيطان	٢٥
من سورة الانفطار ٨٢/ ١٩ مكية	
وإذا القبور بعثرت	٦-٤
وإن عليكم لحافظين	١٦-١٠
يوم لا تملك نفس لنفس	١٩
من سورة المطففين ٨٣/ ٣٦ مكية	
ويل للمطففين	١
ألا يظن أولئك	٧-٤
ويل يومئذ للمكذبين	١٠
وما يكذب به إلا كل معتد	١٢
كلا إنهم عن ربهم	١٨-١٥
يشهده المقربون	٢٨-٢١
فاليوم الذين آمنوا	٣٦-٣٤

أوائل الآيات	أرقامها
من سورة الانشقاق ٨٤/ ٢٥ مكية	
يا أيها الإنسان	١٥-٦
والله أعلم بما يوعون	٢٥-٢٣
من سورة البروج ٨٥/ ٢٢ مكية	
قتل أصحاب الأخدود	٥-٤
إن الذين فتنوا المؤمنين	١٢-١٠
وهو الغفور الودود	١٤
(والله من ورائهم محيط)	
من سورة الطارق ٨٦/ ١٧ مكية	
يوم تبلى السرائر	١٠-٩
إنهم يكيدون كيداً	١٧-١٥
من سورة الأعلى ٨٧/ ١٩ مكية	
سنقرئك فلا تنسى	٦
ونيسرك لليسرى	٨
فذكر إن نفعت الذكرى	١٤-٩
والآخرة خير وأبقى	١٧
من سورة الغاشية ٨٨/ ٢٦ مكية	
وجوه يومئذ خاشعة	١٦-٢
إلا من تولى وكفر	٢٦-٢٣
من سورة الفجر ٨٩/ ٣٠ مكية	
ألم تر كيف فعل ربك	٦
فصب عليهم ربك	١٤-١٣
وجيء يومئذ بجهنم	٣٠-٢٣
من سورة البلد ٩٠/ ٢٠ مكية	
أولئك أصحاب الميمنة	٢٠-١٨
من سورة الشمس ٩١/ ١٥ مكية	
قد أفلح من زكاها	١٠-٩
إذ انبعث أشقاها	١٢
فكذبوه فدمدم عليهم	١٤
من سورة الليل ٩٢/ ٢١ مكية	
فسنيسره لليسرى	٧
فسنيسره للعسرى	١٢-١٠
فأنذرتكم ناراً	١٥-١٤
وسيجنبها الأتقى	١٧
ولسوف يرضى	٢١
من سورة الضحى ٩٣/ ١١ مكية	
ما ودعك ربك	٨-٣
من سورة الشرح ٩٤/ ٨ مكية	
ألم نشرح لك صدرك	٢-١
ورفعنا لك ذكرك	٦-٤
من سورة التين ٩٥/ ٨ مكية	
لقد خلقنا الإنسان	٦-٤

أوائل الآيات	أرقامها
من سورة العلق ٩٦/ ١٩ مكية كلا لئن لم ينته لنسفعاً	 ١٥-١٨
من سورة القدر ٩٧/ ٥ مكية إنا أنزلناه في ليلة القدر ليلة القدر خير	 ١ ٣
من سورة البينة ٩٨/ ٨ مدنية إن الذين كفروا	 ٦-٨
من سورة الزلزلة ٩٩/ ٨ مدنية يومئذ يصدر الناس	 ٦-٨
من سورة العاديات ١٠٠/ ١١ مكية أفلا يعلم إذا بعثر	 ٩-١١
من سورة القارعة ١٠١/ ١١ مكية فأما من ثقلت موازينه	 ٦-١١
من سورة التكاثر ١٠٢/ ٨ مكية كلا سوف تعلمون	 ٣-٨
من سورة العصر ١٠٣/ ٣ مكية إن الإنسان لفي خسر	 ٢-٣
من سورة الهمزة ١٠٤/ ٩ مكية ويل لكل همزة لمزة	 ١

أوائل الآيات	أرقامها
كلا لينبذن نار الله الموقدة	٤ ٦-٩
سورة الفيل ١٠٥/ ٥ مكية (كلهـــا)	
من سورة قريش ١٠٦/ ٤ مكية فليعبدوا رب هذا البيت	 ٣-٤
من سورة الماعون ١٠٧/ ٧ مكية فويل للمصلين (الذين هم عن صلاتهم ساهون)	 ٤
من سورة الكوثر ١٠٨/ ٣ مكية الآيتان الأولى والأخيرة	 ١و٣
من سورة الكافرون ١٠٩/ ٦ مكية الآيتان الأولى والثانية	 ١-٢
سورة النصر ١١٠/ ٣ مدنية (كلهـــا)	 ١-٣
سورة المسد ١١١/ ٥ مكية (كلهـــا)	 ١-٥
حاصل السور الثلاث والثلاثين: ٢٠٧ ÷ ٥٠٩ = ٤٠,٦٦ ٪	

٢- ملحق يلخص موضوع البحث من السور مصنفة إلى مكية ومدنية في جدولين :

آ - الجدول رقم (١٨).

ملخص ما في السور المكية من آيات الترغيب والترهيب وعباراتهما .

السورة	رقمها	آياتها	موضوع البحث منها	%	عب	ترغيب ق	ترغيب ز	ترهيب ر	ترهيب ع	بيانات أخرى ف	بيانات أخرى ص	بيانات أخرى صَ
الفاتحة	١	٧	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
الأنعام	٦	١٦٥	٨٥	٥١,٥١	٢٠٢	٤٣	١٦	١١٧	٢٦	٧	٢٢	٢٨
الأعراف	٧	٢٠٦	٩٧	٤٧,٠٨	٢٢٤	٦٤	١١	١٣٣	١٦	٤	١٠١	٤٣
يونس	١٠	١٠٩	٤٥	٤١,٢٨	١٠٧	٣٠	٢٠	٤٢	١٥	٢	١٣	١٨
هود	١١	١٢٣	٦٣	٥١,٢١	١٤٢	٣٦	١٠	٨٧	٩	٥	٨٩	٩
يوسف	١٢	١١١	٢٣	٢٠,٧٢	٤٥	٣٨	٠	٧	٠	٠	٣٦	٠
إبراهيم	١٤	٥٢	٣٤	٦٥,٣٨	٨٩	٢٠	٢	٥٩	٨	٠	١٤	٤٨
الحجر	١٥	٩٩	٢٤	٢٤,٢٤	٣٤	١٢	١	٢٠	١	٠	١٢	١٢
النحل	١٦	١٢٨	٦٩	٥٣,٩٠	١٥١	٤١	٢٧	٦١	٢٢	٣	٢٠	٣٣
الإسراء	١٧	١١١	٤٩	٤٤,١٤	١٠٩	٣٢	٨	٦١	٨	٣	١٨	١٧
الكهف	١٨	١١٠	٣٩	٣٥,٤٥	١٠٣	١٩	٩	٦٤	١١	١	١٩	٣٧
مريم	١٩	٩٨	٤٢	٤٢,٨٥	٨٠	٢٨	١٠	٣١	١١	١	٢٧	٢٠
طه	٢٠	١٣٥	٥٥	٤٠,٧٤	١١٢	٥٢	٨	٥٢	٠	٣	٥٨	٢٦
الأنبياء	٢١	١١٢	٤٤	٣٩,٢٨	٩٦	٤٧	٠	٤٦	٣	٠	٥٤	٢٢
المؤمنون	٢٤	١١٨	٣٤	٢٨,٨١	٦١	٦	٩	٤٤	٢	١	١١	٣١
الفرقان	٢٥	٧٧	٤٠	٥١,٩٤	٨٧	١٥	١٤	٤٦	١٢	١٣	٧	٣٤
الشعراء	٢٦	٢٢٧	٤٩	٢١,٢٨	٥٦	١١	٧	٣٤	٤	١	٢٤	١٨
النمل	٢٧	٩٣	٣٣	٣٥,٤٨	٥٧	١٨	٧	٢٩	٣	٥	٢٣	١٣
القصص	٢٨	٨٨	٣٩	٤٤,٣١	٩٠	٣٨	٧	٤٣	٢	٢	٥٠	١٥
المجموع	١٩	٢١٦٩	٨٦٤	٣٩,٨٣	١٨٤٥	٥٥٠	١٦٦	٩٧٦	١٥٣	٥١	٥٩٨	٤٢٤

السور المكية - تابع وتتمة الجدول رقم (١٨) / آ .

السور	آياتها	موضوع البحث منها	٪	عب	ترغيب ق	ز	ترهيب ر	ع	بيانات أخرى ف	ص	صّ
العنكبوت	٦٩	٣٧	٥٣,٦٢	٨٥	٢٣	١٠	٤١	١١	١	٣٠	٧
الروم-السجدة	١٢٤	٥٨	٤٦,٧٧	١٠٧	١٣	٢٣	٥٠	٢١	٢	١٢	٢٣
سبأ	٥٤	٢٨	٥١,٨٥	٦٣	٨	٩	٤١	٥	٠	١٥	٢٨
فاطر ويسّ	١٢٨	٦١	٤٧,٦٥	١٤٨	٤٢	١٧	٧٩	١٠	٦	١٦	٦٢
الصافات	١٨٢	١٠١	٥٥,٤٩	١٢٢	٥١	٧	٥٨	٦	٠	٤٢	٥٥
صّ والزمر	١٦٣	٨٦	٥٢,٧٦	١٩٧	٦٣	٢٦	٨٨	٢٠	٢	٤١	٥٩
غافر وفصلت	١٣٩	٨٢	٥٨,٩٩	١٨٨	٣٧	١٥	١١١	٢٥	٢	٤٤	٨٠
الشورى والزخرف	١٤٢	٦٠	٤٢,٢٥	١٢٨	٣٩	٩	٦٦	١٤	٣	١٠	٤١
الدخان-الأحقاف	١٣١	٧٢	٥٤,٩٦	١٣٧	٣٧	١١	٧٨	١١	٠	٢٠	٦٤
قّ-القمر	٢٧١	١٢٤	٤٥,٧٥	٢٠٩	٦٢	٩	١٢١	١٧	٦	٤٨	٨٩
الواقعة	٩٦	٤٨	٥٠,٠٠	٦١	٤٤	٠	١٧	٠	٠	٠	٥٨
الملك-القيامة	٣٥٠	١٣٨	٣٩,٤٢	٢٠٤	٣٣	١٠	١٣٤	٢٧	١٤	٢٩	٩٤
المرسلات والنبأ	٩٠	٤٨	٥٣,٣٣	٦٣	١٥	٠	٤٦	٢	٢	٣	٥٦
النازعات-المسد[1]	٤٩٠	١٩٨	٤٠,٤٠	٢٣٢	٦١	٢٨	١١١	٣٢	١٩	١٣	١١١
الإخلاص-الناس	١٥	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
المجموع ٦٧	٢٤٤٤	١١٤١	٤٦,٦٨	١٩٤٤	٥٢٨	١٧٤	١٠٤١	٢٠١	٥٧	٣٢٣	٨٢٧
١٩	٢١٦٩	٨٦٤	٣٩,٨٣	١٨٤٥	٥٥٠	١٦٦	٩٧٦	١٥٣	٥١	٥٩٨	٤٢٤
المجموع الكلي	٤٦١٣	٢٠٠٥	٤٣,٤٦	٣٧٨٩	١٠٧٨	٣٤٠	٢٠١٧	٣٥٤	١٠٨	٩٢١	١٢٥١
الربع الأول ٢س	١٧٢	٨٥	٤٩,٤١	٢٠٢	٤٣	١٦	١١٧	٢٦	٧	٢٢	٢٨
الربع الثاني ٩	١٠١٤	٤٣١	٤٢,٥٠	٩٨٢	٢٨٩	٨٥	٥٢٣	٨٥	١٨	٣١٧	٢١٤
الربع الثالث ١٦	١٥٠٢	٦١٨	٤١,١٤	١١٧٠	٣٥٣	١٢٧	٥٩٨	٩٢	٣٥	٣٧٢	٣٥٧
الربع الأخير ٥٩	١٩٢٥	٨٧١	٤٥,٢٤	١٤٣٥	٣٩٣	١١٢	٧٧٩	١٥١	٤٨	٢١٠	٦٥٢

(١) بعد استثناء ثلاث سور هي مدنية : البينة ٩٨ ، والزلزلة ٩٩ ، والنصر ١١٠ .

ب - الجدول رقم (١٩)

ملخص ما في السور المدنية من آيات الترغيب والترهيب وعباراتهما :

السور	آياتها	موضوع البحث	٪	عب	ترغيب ق	ترغيب ز	ترهيب ر	ترهيب ع	بيانات أخرى ف	بيانات أخرى ص	بيانات أخرى صّ
البقرة	٢٨٦	١٧٣	٦٠,٢٨	٣٨٧	١٤٩	٥٣	١١٠	٧٥	٢٣	٢٤	٢٨
آل عمران	٢٠٠	١٢٩	٦٤,٥٠	٣١٧	٨٣	٨٢	٦٥	٨٧	٧٢	١٣	٢١
النساء	١٧٦	١٣١	٧٤,٤٣	٢٨٦	٩١	٤٦	٨٢	٦٧	٣٣	٤	١٢
المائدة	١٢٠	٩٢	٧٦,٦٦	٢٤٠	٨٤	٢٨	٦٦	٦٢	٢٠	٣٦	١٢
الأنفال	٧٥	٥٧	٧٦,٠٠	١٤٢	٣٩	٣٦	٣٩	٢٨	٢٨	٦	٥
التوبة	١٢٩	١٠٥	٨١,٣٩	٣٢٣	٥٦	٩٢	٤٢	١٢٣	١٤٣	٣	٩
الرعد	٤٣	١٩	٤٤,١٨	٤٢	١١	٧	٧	١٧	٠	٢	٩
الحج	٧٨	٤٧	٦٠,٢٥	٩٨	٢٢	٢٤	٤٤	٨	٣	٦	٢٦
النور	٦٤	٤٦	٧١,٨٧	١١٣	٢٦	١١	٣٥	٤١	٣١	٠	٢٢
الأحزاب	٧٣	٥١	٦٩,٨٦	١٢٥	٣٤	٣٥	٢٤	٣٢	٣٩	٠	١٠
محمد-الحجرات	٨٥	٦٧	٧٨,٨٢	١٩٧	٤٣	٨٠	٣٨	٣٦	٦٣	٥	١٨
الرحمن	٧٨	٢٢	٢٥,٢٨	٣٦	٢٧	٠	٩	٠	٠	٠	٣٢
الحديد-التحريم	١٦٦	١١٩	٧١,٦٨	٣٢١	١٣٧	٣١	٩٥	٥٨	٢٨	١٦	٥١
الإنسان	٣١	١٧	٥٤,٨٣	٤٢	٣٦	٠	٢	٤	٠	٠	٣٨
البينةوالزلزلة	١٦	٦	٣٧,٥٠	١٤	٢	٧	٢	٣	٠	٠	٥
النصر	٣	٣	١٠٠	٤	١	٣	٠	٠	٠	٠	٠
المجموع ٢٨س	١٦٢٣	١٠٨٤	٦٦,٧٨	٢٦٧٧	٨٤١	٥٣٥	٦٦٠	٦٤١	٤٨٣	١١٥	٢٩٨
الربع الأول	٧٨٢	٥٢٥	٦٧,١٣	١٢٣٠	٤٠٧	٢٠٩	٣٢٣	٢٩١	١٤٨	٧٧	٧٣
الربع الثاني	٢٤٧	١٨١	٧٣,٢٧	٤٩٧	١٠٦	١٣٥	٨٨	١٦٨	١٧١	١١	٢٣
الربع الثالث	٢١٥	١٤٤	٦٦,٩٧	٣٣٦	٨٢	٧٠	١٠٣	٨١	٧٣	٦	٥٨
الربع الأخير	٣٧٩	٢٣٤	٦١,٧٤	٦١٤	٢٤٦	١٢١	١٤٦	١٠١	٩١	٢١	١٤٤

مصادر البحث :

آ- في التربية وعلم النفس :

١ - أسس الصحة النفسية : القوصي ،د.عبد العزيز (القاهرة : مكتبة النهضة ، ط١، ١٣٨٢/١٩٦٢).

٢ - أصول التدريس ، جـ١-٢ : القلا ،د.فخر الدين (دمشق : مطابع مؤسسة الوحدة ، ١٤٠٢/١٩٨٢).

٣ - التربية العامة ، جـ١ : الجيوشي ، د. فاطمة ، (دمشق : مطابع مؤسسة الوحدة ، ١٤٠٢/١٩٨٢).

٤ - التربية العامة ،جـ٢ : رحمة ، أنطون حبيب (دمشق:مطبعة طربين ١٤٠٢/١٩٨٢).

٥ - التعلم والتعليم الفعالان- دليل الدراسة الذاتية ، رقم ٥ : سوريال ، لطفي (وزارة التربية السورية : مديرية التربية).

٦ - التعلم ونظرياته : عاقل ، د. فاخر (بيروت : دار العلم للملايين ط٢ ، ١٤٠١/١٩٨١).

٧ - تكنولوجيا السلوك الإنساني : سكنر ، بروس فريدريك ، ترجمة : يوسف ، د. عبد القادر (الكويت : عالم المعرفة ٣٢/١٤٠٠/١٩٨٠).

٨ - التوجيه والإرشاد النفسي : زهران ، د. حامد عبد السلام (القاهرة : عالم الكتب ، ط٣ ، ١٩٨٢).

٩ - الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني : ديوي ، جون. ترجمة : النجمي ، د. محمد لبيب (القاهرة : مؤسسة الخانجي ١٩٦٣).

١٠ - علم النفس التربوي : عاقل ، د. فاخر (بيروت : دار العلم للملايين ، ط٢ ، ١٤٠٤/١٩٨٤).

١١ - علم النفس التربوي : النشواتي ، د. عبد المجيد (عمان-الأردن : دار الفرقان ، ط١ ، ١٤٠٤/١٩٨٤).

١٢ - فلسفة التربية جـ٢ : الجيوشي ، د. فاطمة (دمشق : مطبعة خالد بن الوليد ١٤٠٢/١٩٨٢).

١٣ - مبادئ في الدراسة النفسية للتعلم : سوريال ، لطفي (وزارة التربية السورية- الدورات التدريبية في مديرية التربية).
١٤ - مجلة المعلم العربي ١٩٨٣/٦ (وزارة التربية السورية) ثلاث مقالات منها :
-أسس استخدام اللغة في المختبرات اللغوية : السيد د. محمود أحمد ، ص١١-٢٤ .
-تجارب في التحكم بالسلوك بالتعزيز : القلا ، د. فخر الدين ، ص٢٥-٣١.
-التربية عند الغزالي : مرزة ، باكزة ، ص٥٥-٦٣.
١٥ - نظريات التعلم- دراسة مقارنة : الحجاج ، د. علي حسين «المترجم» (الكويت : عالم المعرفة ١٩٨٣/١٤٠٣/٧٠).
١٦ - ورقة عمل النشاط المقترح للدورات التمهيدية في برامج تدريب المعلمين ، رقم٢ ، سوريال ، لطفي (وزارة التربية السورية- مديرية التربية).
١٧ - النظرية السلوكية التعزيزية لدى «هلارك هل» : الطحان ، د. ناظم (رسالة ماجستير في التربية : جامعة دمشق ١٩٧٠).

ب - في التربية الإسلامية :

١٨ - آداب المتعلمين : الطوسي ، نصير الدين- تحقيق : عطار ، أحمد عبد الغفور (بيروت ط٢ ، ١٩٦٧/١٣٨٦) ومعه عدة رسائل تربوية جمعها المحقق في مجلد واحد تحت العنوان السابق نفسه ، وهي :
آ - ملخص آراء إخوان الصفا في التربية (ص٣٣-٦٠).
ب - ملخص آراء الغزالي- من رسالته «أيها الولد» (ص٦١-١٣٦).
جـ - تذكرة السامع والمتعلم لابن جماعة (ص١٥٧-٢٥٢).
د - ملخص آراء ابن خلدون في التربية- من مقدمته (ص٢٥٣-٢٧٤).
هـ - تحرير المقال لابن حجر الهيثمي (ص٢٧٥-٣٣٣).
١٩ - أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع : النحلاوي ، عبد الرحمن (دمشق : دار الفكر ، ط٢ ، ١٩٨٣/١٤٠٣).
٢٠ - الإعداد النفسي والتربوي لمدرس التربية الإسلامية وعلومها الدينية : الهاشمي ، د. عبد الحميد (دمشق : ١٩٦٥/١٣٨٥).
٢١ - الأمثال القرآنية- دراسة تحليلية : الميداني ، عبد الرحمن حبنكة ، (دمشق : دار القلم ، ط١ ، ١٩٨١).
٢٢ - التعزيز في الشريعة الإسلامية : عامر ، د. عبد العزيز ، (القاهرة : مطبعة البابي

الحلبي ، ط٢ ، ١٩٥٧).
٢٣ - تعليم المتعلم طريق التعلم : الزرنوجي ، الإمام برهان الدين- تحقيق الخيمي ، صلاح الدين ، وحمدان ، نذير (دمشق دار ابن كثير ، ط١ ، ١٤٠٦/١٩٨٦).
٢٤ - الرسول العربي المربي- دراسات نفسية وتربوية : الهاشمي ، د. عبد الحميد (دمشق ، دار الثقافة للمجتمع ، ط١ ، ١٤٠١/١٩٨١).
٢٥- أيها الولد : الغزالي ، الإمام أبو حامد ، (دمشق : مكتبة الغزالي).
٢٦ - طرق تدريس التربية الإسلامية : الزحيلي ، د. محمد مصطفى ، (دمشق : المطبعة الجديدة ، ١٤٠٢/١٩٨٢).
٢٧ - فلسفة العقوبة في الفقه الإسلامي : أبو زهرة ، الأستاذ محمد (معهد الدراسات العربية العالمية ، ١٩٦٣).
٢٨ - المذهب التربوي عند ابن سحنون- رائد التأليف التربوي الإسلامي : حجازي ، عبد الرحمن عثمان ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٠٦/١٩٨٦).
٢٩ - لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها : المصري ، د. محمد أمين ، (دار الفكر ، ط٤ ، ١٩٧٨).
٣٠ - معجزة الإسلام التربوية- مفاهيم تربوية : السيد ، د. محمود أحمد ، (الكويت : دار البحوث العلمية ، ط١ ، ١٣٩٨/١٩٧٨).
٣١ - منهج التربية الإسلامية : قطب ، محمد (القاهرة : دار القلم).
٣٢ - منهج تربوي فريد في القرآن : البوطي ، د. محمد سعيد رمضان (دمشق : مكتبة الفارابي).
٣٣ - منهج الحضارة الإنسانية في القرآن : المؤلف نفسه (دمشق دار الفكر ، ط١ ، ١٤٠٢/١٩٨٢).
٣٤ - منهج القرآن في التربية : شديد ، محمد ، (دمشق : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٢/١٩٨٢).
٣٥ - فن التدريس للتربية الدينية وارتباطاتها النفسية وأنماطها السلوكية : سمك ، محمد صالح ، (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ط١ ، ١٣٧٨).
٣٦ - النظام التربوي في الإسلام : القرشي ، باقر شريف (بيروت : دار التعارف للمطبوعات ، ١٤٠٣/١٩٨٣).

جـ - كتب أخرى عامة في التربية الإسلامية :

٣٧ - إحياء علوم الدين ، ج٣و٤ : الغزالي ، الإمام أبو حامد (بيروت : دار المعرفة ، ١٤٠٢/١٩٨٢).

٣٨ - تجربة التربية الإسلامية في ميزان البحث : البوطي ، د. محمد سعيد رمضان ، (دمشق : المكتبة الأموية ١٩٦١).

٣٩ - خصائص التصور الإسلامي : قطب ، سيد ، (ط٣ ، ١٣٨٨/١٩٦٨).

٤٠ - الخصائص العامة للإسلام : القرضاوي ، د. يوسف ، (القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٧٧).

٤١ - عوارف المعارف- ملحق الإحياء للغزالي ، ج٥ ، السهروردي (دار المعرفة ١٤٠٢/١٩٨٢).

٤٢ - الفقه الإسلامي ، ج١و٣و٦ : الزحيلي ، د. وهبة (دمشق : دار الفكر ، ط١).

٤٣ - المجموع - شرح المهذب : النووي ، الإمام أبو زكريا ، يحيى بن شرف ، (مصر : المطبعة المنيرية ، ط٢).

٤٤ - مقدمة ابن خلدون : ابن خلدون ، عبد الرحمن (بيروت : دار الرائد ، ط٥ ، ١٤٠٢/١٩٨٢).

د - في التفسير وعلوم القرآن :

٤٥ - إعجاز القرآن : الباقلاني ، أبو بكر محمد بن الطيب ، تحقيق : صقر ، السيد أحمد ، (مصر : دار المعارف ١٩٦٣).

٤٦ - الإتقان في علوم القرآن : السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (القاهرة : مكتبة محمود توفيق الكتبي ، ط٢ ، ١٣٥٤/١٩٣٥).

٤٧ - البيان القرآني- سلسلة البحوث الإسلامية رقم٣١ سنة٣ : البيومي ، محمد رجب ، (القاهرة : دار النصر للطباعة ، ١٣٩١/١٩٧١).

٤٨ - تفسير الجلالين : السيوطي ، والمحلي : (القاهرة : المطبعة العامرة الشرقية ، ١٣٢٠).

٤٩ - تفسير القرآن : ابن العربي ، الشيخ محيي الدين ، (بيروت : مطبعة النجوى ١٩٦٨).

٥٠ - تفسير القرآن العظيم : ابن كثير ، الإمام عماد الدين

(بيروت : دار المعرفة ١٣٨٨/١٩٦٩).
٥١ - التفسير- أحكام القرآن للسنة الرابعة ، كلية الشريعة : عتر ، د. نور الدين ، (دمشق : مطبعة الإنشاء ، ١٤٠١/١٩٨١).
٥٢ - تناسق الدرر في تناسب السور : السيوطي ، جلال الدين ، تحقيق : الدرويش ، عبد الله ، (دمشق : دار الكتاب العربي ، ط١ ،١٤٠٢/١٩٨٢).
٥٣ - الجامع لأحكام القرآن : القرطبي ، الإمام محمد بن أحمد الأنصاري ، (القاهرة : دار الكتب العربية المصرية ، ١٣٦٥/١٩٤٦).
٥٤ - في ظلال القرآن : قطب ، سيد (مطبعة عيسى البابي ط١).
٥٥ - مباحث في علوم القرآن : صالح ، د. صبحي (مطبعة جامعة دمشق ، ط٢ ، ١٣٣٢/١٩٦٢).
٥٦ - محاسن التأويل : القاسمي ، جمال الدين ، (دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي ، ط١ ، ١٣٧٦/١٩٥٧).
٥٧ - من روائع القرآن : البوطي ، د. محمد سعيد رمضان (دمشق : مكتبة الغزالي ، ط٣ ، ١٣٩٥/١٩٧٥).

هـ - في السنة والسيرة والمعاجم :

٥٨ - الترغيب والترهيب : المنذري ، الإمام زكي الدين عبد العظيم ، (دمشق-بيروت : دار الإيمان ، ط٣ ، ١٣٨٨/١٩٦٨).
٥٩ - رياض الصالحين : النووي ، الإمام أبو زكريا ، يحيى بن شرف ، (منشورات دار النصر).
٦٠ - السيرة النبوية : ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك الحميري- تحقيق : مصطفى السقا وآخرين (مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٥/١٩٣٦).
٦١ - كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس : العجلوني ، إسماعيل بن محمد (مكتبة القدسي. ١٣٥١).
٦٢ - معجم علم النفس- إنجليزي ، فرنسي ، عربي : عاقل ، د. فاخر ، (بيروت : دار العلم للملايين ، ط٣ ، ١٩٧٩).
٦٣ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن : عبد الباقي ، محمد فؤاد ، (دار الفكر ، ط٢ ، ١٤٠١/١٩٨١).
٦٤ - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي : لفيف من المستشرقين ، (نشره : د. أي

ونسنك ، جامعة ليدن ، مكتبة بريل- ليدن ١٩٣٦).

و - كتب أخرى وردت في البحث بقلة : .

٦٥ - الأحاديث القدسية (دمشق:دار الرشيد).
٦٦ - البيان والتبيين ،ج٤ : الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (القاهرة : مكتبة الخانجي ، ط٢ ، ١٩٦٠-١٩٦١).
٦٧ - حياة الصحابة : الكاندهلوي ، الشيخ يوسف- ضبط وتصحيح : محمد علي دولة.
٦٨ - في تربية الإنسان المسلم : الشعراوي ، الشيخ محمد متولي. (بيروت ، ط٢ ، ١٣٨٦/١٩٦٧).
٦٩ - فيض القدير- شرح الجامع الصغير ، ج٣ ، المناوي (القاهرة : المطبعة التجارية الكبرى ، ١٩٣٨).
٧٠ - المبادئ العامة في قانون العقوبات : الفاضل ، د. محمد (دمشق ، مطبعة جامعة دمشق ، ط٤ ، ١٣٨٥/١٩٦٥).
٧١ - مفردات القرآن- تفسير وبيان : الحمصي ، محمد حسن (دمشق : دار الرشيد).
٧٢ - تفسير الرازي : الفخر الرازي ، محمد محيي الدين بن عبد الحميد ، ج٣و٣٢ (المطبعة المصرية ، ١٣٥٢/١٩٣٣).
٧٣ - اعترافات روسو : جان جاك ، ترجمة : خليل ، محمد بدر الدين. (القاهرة : مطابع دار الكتاب العربي).

* * *

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
الباب الأول : الأطر التمهيدية والدراسات السابقة	٧
الفصل الأول : الأطر التمهيدية للبحث	٨
أولاً - التربية ومفهومها .	٨
آ -التربية حاجة اجتماعية ملحة .	٨
ب - مفهوم التربية وبعض وسائل تحقيقها	١٢
ثانياً - دوافع البحث وأهميته والهدف منه	١٤
- سبب اختيار الموضوع	١٨
- أهمية البحث .	٢٢
- أهمية التشويق والتعزيز في توجيه السلوك وضبطه .	٢٤
- الأسئلة التي يجيب عنها البحث . (أهدافه).	٢٦
ثالثاً - تعريف المصطلحات الواردة في البحث :	٢٧
١ - المصطلحات المنبثقة عن نظريات التعلم .	٢٧
٢ - المصطلحات الإسلامية .	٣٧
رموز البحث .	٤٨
٣ - مقارنة بين التشويق والتعزيز من ثلاث حيثيات :	٤٩
- الفورية والتأجيل في التشويق والتعزيز .	٥٠
- الإيجابية والسلبية في التشويق والتعزيز .	٥١
- معايير التمييز بين التشويق والتعزيز عند رصد الآيات .	٥٢
رابعاً - منهج البحث وأدواته .	٥٥
الفصل الثاني : الدراسات السابقة .	٦٢
-تمهيد .	٦٢
أولاً - نماذج من دراسات القدماء .	٦٣

ثانياً - نماذج من دراسات المعاصرين . ٦٨
ثالثاً - آراء العلماء حول الهدف الأساسي للتربية . ٧٣
- الهدف الأساسي للتربية في الأنظمة الوضعية . ٧٣
- الهدف الأساسي للتربية الإسلامية . ٧٤
- عمارة الأرض واقعة بشرية يعنى الإسلام بتنظيمها . ٧٥
الفصل الثالث : آراء العلماء حول ضبط السلوك بالثواب والعقاب ٨٣
تمهيد : فكرة عن الثواب والعقاب في واقع حياة الإنسان . ٨٣
أولاً - إلغاء الثواب والعقاب في ضبط السلوك . ٨٥
ثانياً - ضرورة الثواب والعقاب في ضبط السلوك . ٨٨
ثالثاً - إلغاء العقاب دون الثواب في ضبط السلوك . ٩٢
رأي علماء التربية في العقاب . ٩٣
نظرة علماء المسلمين إلى العقاب في ضبط السلوك . ٩٦
رابعاً - بدائل العقاب : ٩٩
- الطائفة الأولى من بدائل العقاب . ١٠٠
- الطائفة الثانية من بدائل العقاب . ١٠٤
خامساً - مصدر سلبيات الثواب والعقاب في التربية - مناقشة . ١١١
- خلاصة البحث في آراء العلماء حول الثواب والعقاب . ١١٩
الباب الثاني : أهداف القرآن الكريم وأساليبه في ضبط السلوك . ١٢٣
الفصل الأول : القرآن الكريم وأهدافه التربوية . ١٢٤
تمهيد : لمحة عن الجو الذي كان سائداً قبل القرآن الكريم . ١٢٤
أولاً - محتوى القرآن الكريم مكياً ومدنياً . ١٢٥
ثانياً - نظرة القرآن الكريم إلى الإنسان . ١٣٢
- التعريف بالإنسان في القرآن الكريم . ١٣٣
- تعريف الحياة والكون في القرآن الكريم . ١٣٥
ثالثاً - أبرز القيم والأهداف القرآنية . ١٣٩
الفصل الثاني : توافر أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم ١٥٦

تمهيد : أهمية الوسائل التربوية . ١٥٦
أولاً - التشويق بتنويع وسائل الإقناع العقلي . ١٥٨
ثانياً - وسائل القرآن الكريم العاطفية في ضبط السلوك «الثواب والعقاب» ١٦٠
- آيات تصرح باتخاذ القرآن الكريم الترغيب والترهيب . ١٦٢
- أمثلة تطبيقية للتشويق والتعزيز والعقاب في القرآن الكريم . ١٦٧
الفصل الثالث : مسوغات توافر الثواب والعقاب في القرآن الكريم ١٧٧
- تمهيد . ١٧٧
أولاً - حرية الإنسان في القرآن الكريم . ١٧٨
ثانياً - تربية الضمير والوازع الديني في القرآن الكريم . ١٨٢
- كيف يربي القرآن الكريم لتحقيق الوازع الديني . ١٩١
ثالثاً - اعتماد الفطرة الإنسانية في التربية والتوجيه في القرآن الكريم . ٢٠٠
الباب الثالث : أنواع أساليب ضبط السلوك وأسسها في القرآن الكريم ٢٠٧
الفصل الأول : تصنيف أساليب ضبط السلوك القرآنية في ضوء
الأساليب المعاصرة . ٢٠٨
- تمهيد : ٢٠٨
النوع الأول : الترغيب والترهيب عن طريق الحث والتعليق
« تشويق وتعزيز » ٢٠٨
النوع الثاني : الترغيب والترهيب عن طريق مبادىء موضوعية . ٢٢٢
النوع الثالث : الترغيب والترهيب عن طريق تصوير مشاهد مثيرة ٢٢٥
النوع الرابع : ضبط السلوك عن طريق قواعد جزائية محددة . ٢٣١
الفصل الثاني : أسس أساليب ضبط السلوك في القرآن الكريم ٢٤٠
أولاً : مميزات أساليب الضبط المعاصرة . ٢٤٠
ثانياً : الأسس التربوية التي يعتمدها منهج القرآن الكريم ٢٤٤
الأساس الأول لمنهج القرآن الكريم : المحاكمة العقلية . ٢٤٦
الأساس الثاني لمنهج القرآن الكريم : القصص والعبر التاريخية . ٢٥٨

الأساس الثالث لمنهج القرآن الكريم : الإثارة الوجدانية . ٢٥٥
- الإثارة الوجدانية في معاونة العقل . ٢٥٦
- الاستعانة بالتصوير والتخيل في الإثارة الوجدانية . ٢٥٨
- الاعتماد على مزيج متكافىء من العناصر الوجدانية . ٢٦٢
الفصل الثالث : المعالجات الإحصائية والنتائج . ٢٦٩
أولاً - عملية رصد آيات الترغيب والترهيب في القرآن الكريم . ٢٦٩
ثانيا - نتائج البحث وتحليلها . ٢٧٢
ثالثاً - ملخص النتائج والمقترحات . ٢٨٩
- ملخص النتائج . ٢٨٩
- مقترحات البحث . ٢٩٣
رابعاً - الملاحــق . ٢٩٦
مصادر البحث ومراجعه ٣٢٤

★ ★ ★

الجـــــداول

الجـــدول		الصفحة
١	نسبة آيات المدني من القرآن الكريم إلى آيات المكي منه	١٣٠
٢	نسبة حجم المدني من القرآن الكريم إلى المكي منه .	١٣١
٣	تكرارات مفاهيم القيم والأهداف القرآنية البارزة ونسبة كل منها .	١٥٥
٤	نسبة ورود مفاهيم الجنة والنار في القرآن الكريم .	١٧٠
٥	نسبة ورود مفاهيم كل من الرحمة والعذاب في القرآن الكريم	١٧٤
٦	نسبة ورود بعض ألفاظ العموم في القرآن الكريم .	١٧٤
٧	نسبة ورود مفاهيم الجزاء والعطاء وما في معناهما في القرآن الكريم	٢٤٩
٨	نموذج لعملية رصد ما في القرآن الكريم من آيات وعبارات ومفاهيم صريحة في الترغيب والترهيب .	٢٧٠
٩	حاصل جمع آيات الترغيب والترهيب في القرآن الكريم	٢٧١
١٠	نسبة آيات الترغيب والترهيب وعباراتها في القرآن الكريم	٢٨٤
١١	معدل توزيع أنواع الترغيب والترهيب في أرباع القرآن الكريم	٢٨٥
١٢	معدل توزيع الفوري والمؤجل من التعزيز والعقاب	٢٨٦
١٣	معدل توزيع القصصي والتصويري من الترغيب والترهيب	٢٨٧
١٤	معدل توزيع الترغيب والترهيب في المكي والمدني	٢٨٧
١٥	معدل توزيع القصصي والتصويري من ذلك في المكي والمدني	٢٨٨
١٦	معدل توزيع الفوري والمؤجل من ذلك في المكي والمدني	٢٨٨
١٧	ملحق الجدول رقم (٨) أوائل آيات الترغيب والترهيب	٢٩٧
١٨	ملخص ما في السور المكية من آيات الترغيب والترهيب	٣٢١
١٩	ملخص ما في السور المدنية من آيات الترغيب والترهيب	٣٢٣

★ ★ ★